تم تصويب ما رأته اللجنة أثناء مناقشة الرسالة
قبل الطالب
١- أ.د. محمد [illegible]
٢- د. [illegible]
٣- د. محمود حسن زيني

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا
قسم الأدب والنقد

٣٠١٠٢٠٠٠٠٢٢٨٦
٢٢٨٦

شعر قبيلة بني كلاب

« من العصر الجاهلي إلى آخر عصر بني أمية »

دراسة موضوعية فنية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

٠٠٤٦٢٢

إعداد الطالب :

بجاد بن زياد بن معضد الروقي

إشراف الأستاذ الدكتور :

محمود حسن زيني

العام الدراسي

١٤١٤ هـ

المُقَدِّمَة

أحمد الله سبحانه ، وأشكره على فضله وإحسانه ، وأصلي وأسلم على رسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم سيّد الأنام ، وخيرُ من نطق وأبان ، فكان مما قال[1] : " إنّ من البيان لسحراً " و " إنّ من الشعر حكمة " .

وبعد :

فقد كان القرآن الكريم فاتحة خير على العرب والمسلمين ، إذ لفت جمالُ بيانِهِ أنظارهم إلى تتبع أشعار العرب يستقرئونها ويستَمِدُّون منها الأدلة والشواهد ، التي غدت مُسْتَنْبَطاً للقواعد ، وجداول ثرَّة بالثقافة المتعددة ، وكان هذا دافعاً للاهتمام بالشعر وروايته ، فقد قام علماء اللغة بجمع الأشعار ، وصنَّفوها في مجموعات منها ما يخص شعر الفرد ، ومنها ما يختص بشعر قبيلة معينة ، أو قبائل متعددة ، ويُمدُّنا كتابا الفهرست لابن النديم ، والمؤتلف والمختلف للآمدي بطائفة غير قليلة من كتب ودواوين القبائل ، منها كتاب بني كلاب الذي نقل عنه الآمدي[2] وهو يترجم لبعض شعراء القبيلة ، غير أنَّ هذا الكتاب صار من جملة كتب القبائل التي ضاعت .

ويفسِّر الدكتور ناصر الدين الأسد[3] معنى ديوان القبيلة بأنَّه كتاب جامع لقصائد ومقطوعات شعراء القبيلة مع أخبارها ونسبها وتاريخها ، وما إلى ذلك من قصص وأحاديث تتعلق بالقبيلة وأفرادها وتكشف غموض أشعارها ، فهو سجل لأيامها ومعرض لمفاخرها .

وما كان للقدماءِ أن ينتهجوا هذا المنهج في جمع شعر القبائل من غير هدف !

لقد رأوا أنَّ ذلك المنهج يحقق غاية مهمة من غايات الدراسة الأدبية ، وهي الكشف عمّا في هذا الديوان من صلات موضوعيّة وفنيّة يشترك فيها شعراء القبيلة الواحدة ، وتفضي إلى ظواهر معينة ، وهذا ما أوحى إليَّ بموضوع بحثي ، حيث ارتأيت دراسة شعر قبيلة بني كلاب من العصر الجاهلي إلى آخر عصر بني أمية .

وكان اختياري هذه القبيلة دون غيرها لأسباب منها :

---

(١) صحيح البخاري (٣٠/٧ كتاب الطب) ، (١٠٧/٧ كتاب الأدب) .

(٢) المؤتلف والمختلف ص ١٨٧ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٥٢ .

شهرة هذه القبيلة في الجاهلية والإسلام ، حيث عُرِفَت بأيامها وفرسانها ، وظهر من أفرادها القادة والرواة والعلماء .

صيرورة هذه القبيلة منهلاً من مناهل اللغة ، يُسْتَنْشَد رواتُها ، ويستشهد بلُغَتها كثرة شعراء القبيلة سواءٌ المعروفين أو المغمورين ، ممّا يجعل من شعرهم مجالاً للبحث المستشرف جدة والمطمئن إلى آفاقٍ أوسع ، لم تستطلع من قبل .

عدم إفراد هذه القبيلة بجمع خاص لِشعرها ، أو دراسة له ، وإنّما وجدت دراسات قاصرة في الزمن المدروس ، وعامة في طبيعة البحث .

كما أنَّ هناك دراسات مفردة لشعراء مشهورين من القبيلة .

من تلك الجهود التي لم تخل من شعر قبيلة بني كلاب ، والذي ضُمَّ إلى شعر قبائل أخرى في الدراسة بحث الدكتوراه الذي قام به رضوان محمد حسين النجار بعنوان " الشعر في قبيلة عامر بن صعصعة حتى نهاية القرن الأول الهجري "[1] جمع فيه ألفي بيت لِشُعَرَاء قبائلِ بني عامر من قشير ونمير وعقيل وكعب وكلاب ، وغيرهم ، تقدم به الباحث إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٤٠١ هـ .

ونشر الدكتور عبد الكريم يعقوب كتاب " أشعار العامريين الجاهليين "[2] ضمّنه شيئاً من شعر عشرين شاعراً كلابياً ، والكتاب أصل رسالة ماجستير قُدِّمت لجامعة الإسكندرية ، عام ١٩٧٧ م .

وهناك دراسات لشعراء مشهورين من القبيلة كرسالة الدكتور يحيى الجبوري عن لبيد كما دارت حول شعر عامر بن الطُّفيل دراسات جامعية[3] .

وهي دراسات لا تُفضي إلى رأي خاص بقبيلة بني كلاب ، فهي دراسات عامة ، أو فردية ممّا يجعل دراسة شعر هذه القبيلة أمراً ضرورياً ، لا يصح إغفاله وسط عشرات الرَّسائل الجامعية التي تدرس أشعار القبائل .

إنَّ هذه الدراسات مختبر علمي وتطبيق عملي لقواعد النّقد النظرية ، ممّا يُهيّء لهذه المناهج النَّقدية مراجعة دقيقة ، تُثري جيِّدها .

---

(١) رقم الرسالة ١٦٤٢ ، ١٦٤٤ في مكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر .

(٢) دار الحوار ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م ، سوريا ، اللاذقية .

(٣) عامر بن الطفيل حياته وشعره ، ماجستير ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٧٥ م .

ومثلُ ما استنبط القدماءُ من الشعر نظرياتٍ نقديّة ، فـإنَّ باستطاعة هـذه الدراسـات أن تكون مصدراً ثرّاً لأُصول تذوّق الشِّعر .

كما أنَّ هذا الشِّعر الذي ندرسه يُتيح للعلومِ البلاغية الحيويَّة والنَّماء ، كما يجعلها تنطلق من عُقال جفافها إلى رونق الخصب الجمالي .

ودراسة الشعر من أقوى وسائل تحقيقه ، فهي إثبات أو نفي لنسبته .

وتيسِّر هذه الدراسات المتخصِّصةُ في شعر القبائل الوقوف على لهجاتها ، وطريقة أدائهـا التعبيري ، وهو ما يُوسِّع دائرة البحث العلمي ، ويمنحـه ثـراءً ، كمـا يحقـق لمعـين اللغـة دَفْقـاً متجدداً .

وإضافة لما سبق فإنَّ هـذه الدِّراسـات تفتـح آفاقـاً معرفيّـة في التـاريخ والأدب والديـار ، تصبُّ في نهر الثقافة ، فيجد الباحث مادّة علميّة ، تكون أدلة للتحقيق .

إنَّ ذلك وغيره هو ما شجَّعني على دراسة شعر هـذه القبيلـة ، الـتي لم تنـل حظَّهـا مـن الدراسة ، وهي دراسة لم أكن لأبدأها من فراغ ، فقد اقتضى الأمـر منِّـي أن أعـودَ لأشـتات المصادر في كلِّ العلوم على اختلافها ، وكان تركيزي على كتب الشِّعر من مجـاميع ودواويـن مفردة ، فكان أن رجعت لكتب الحماسة والاختيارات الشِّعرية ، كما قَلَّبت صفحات الكتب الأَدبيَّة ، وتتبَّعت كتب التراجم العامّة ، وتفحَّصت تراجم الشُّعراء ، وكتب البلدان ، وكانت كتب التاريخ والأنساب موضع بصري ، واهتممت بكتب اللغـة فهـي مظنّـة شـعر القبـائل ، وقد حظيت منها بشيء من مرادي ، ولم تقصر خطواتي عن كلِّ ما أؤمل فيه شعرا ، فوقفت على كتب الإعجاز القرآني والتفسير والتَّصحيف والتَّحريف .

وفي الدراسة استفدت مِن عدَّةِ مُؤلّفات لمتخصصين، من تلك، الكتب التي تُعنى بالأسلوب، من مثل كتاب " الأسلوب " لأحمد الشايب ، وكتب الدكتور شكري عيّاد في هذا المجال .

كما كان كتاب " المرشد إلى فهم أشعار العرب " لمؤلفه الدكتور عبد الله الطيِّـب خـير عونٍ لي في شحذ ذائقتي ، ولا أَنْسَى تلك السعادة التي غمرتني وَأَنا أقرأ في مجلـة " المجلـة "[1] تحليل العلامة محمود محمد شاكر لقصيدة تأبّطَ شرّاً :

إنَّ بالشِّعْبِ الَّذي دُوْنَ سَلْعٍ لَقَتِيْلاً ، دَمُهُ مَا يُطَلُّ

---

(١) الصَّادرة عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، العدد ١٤٨ إبريـل نيسـان ، والعـدد ١٥٠ يونيه حزيران ، والعدد ١٥٣ سبتمبر أيلول من عام ١٩٦٩ م .

تحليلاً أدبياً رائعاً ، أخذ عليَّ كلّ حواسّي .

وهناك دراسات أخرى أفدت منها في بحثي ، وقد أثبتها في مصادري .

وقد اعتمدت في دراستي لشعر هذه القبيلة على نـاحيتين أساسِيَّتين في المنهـج العلمـي ، تقوم عليهما دراسة النُّصوص الأدبية ، الأولى : ما توفر لي من معلومات تُضيء النَّص ، سـواءٌ ما يُبيِّنُ مناسبته ، أو ما يُوَضِّح حياة قائله ، وأود أن أشير هنـا إلى شُحِّ هـذه المعلومـات ، ممـا يجعلني في أحيان كثيرة أعتمد على ما يشي به النَّص ، دون مُستند روائي .

والنَّاحية الثّانية التي أخذت بها في الدِّراسة كانت الإصغاء للـذَّوق الخـاص الـذي كنـت أقرنه بالتّعليل له ، لأحاول أن أشرك القـاريء معـي إن مُؤيـداً وإن مخالفـاً ، وبـذا أكـون قـد وسّعت أُفق النَّص .

ولا أزعم أنّي بهذه الدراسة قد أتيت بالفصل في شعر بـني كـلاب ، فمـا كـان للـدرس الأدبي أن يستقر بكلمة أخيرة ، فشأنه الروح المتجدّدة .

غير أنّي أجزم أنَّ هذا ما استطعت من عملٍ بعد أن اصطنعـت لـه المنهـج ، وبذلـت فيـه الجهد .

وكان ميلي إلى هذا الجانب من البحث طلباً للمتعة التي غدت عَليّ نقمـة ، فديـوان بـني كلاب ليس له وجود وعليَّ أن أبدأ الطريـق مـن أولـه ، فـأجمعَ شعرَ القبيلـة ، وذا مـا أقـضَّ كاهلي ، وأوهن بصري ، فقد أمضيت ثلاث سنين أو تزيد في جهد مخبوءٍ لا يعلمه إلّا الله ، أجمع المادة التي أُقيم عليها دراستي ، أُنقِّب في بطون الكتب ، وأستجدي المخطوطات ، حتـى توفّر لديَّ ما يقرب من ألفي بيت ، تزداد يوماً بعد آخر ، فجعلت لهذا حدّاً ، وبدأت أُرتِّـب وأُصنِّف وريقاتي ، فإذا اجتمعت في ناحية تفرّقت في نواحٍ أخرى .

وعندما هممت بالدِّراسة ازدادت البلوى ، ووقفت محتاراً أمام مناهجها ، أنظر أيُّها أقوم نقداً ، وأوفى مراداً ، فلم أر أصلح منهجاً وأدقّ موضوعيّة ممّا اتخذه السَّلف من النّقـاد للإبانـة عمّـا في النُّصـوص مـن جمـال شـكلي ومضمـون معنـوي ، وأسـلوب مُـؤدٍ لهمـا ، فكـان أن اختططت لدراستي ما رأيته مُحَقِّقاً لذلك بإذن الله ، فجاءت خطة البحث موزعة على أبوابٍ ثلاثة ، اشتمل الأول على ثلاثة فصول ، كان الأول عن قبيلة بـني كـلاب مـن ناحيـة نسـبها وأيامها وديارها ، وجاء الفصل الثاني مُترجماً للشعراء ، وتضمن الثالث مصادر شعر القبيلة .

وفي الباب الثاني درست أغراض الشعر ، فجاءت عدّتها في ستة فُصولٍ كانت مبحثاً لشعر الغزل والطّبيعة والفخر والمدح والهجاء والرثاء .

وضمّ الباب الثالث الدراسة الفنيّة ، كان الفصل الأول فيها عن الدراسة الفنية من حيث الشكل الذي ضمَّ أربعة عناصر هي : السِّمات الأسلوبية وسمات الصورة الفنية والسِّمات الصَّوتية وسمات البناء الفني ، والفصل الثاني عن الدراسة الفنية من حيث المضمون في ناحيتي المعاني والشعور ، ثم الخاتمة والملاحق والفهارس .

ولم أفصل العصور عن بعضها ، لأنّي لم أر كبير فرق بين شعرائها ، إذ كان تأثرهم ببعضهم متتابعاً ، وإنّما أنصَّ على ما يَبِيْنُ بِهِ بعضُهم عن بعض ، إذا ما وجدت لتلك البينونة أثراً يُذكر .

وأشكل عَليَّ عصر الشاعر فاستغلق عليه زمنه ، فما يكون لي إلا أن أُدقِّق في الأبيات عَلَّ في سماتها ما يُسْعِف فَيُبين .

ولا يعني تحديدي نهاية بحثي بزمن معين أنّ ما برز عندهم من ظواهر موضوعية وفنيّة قد أنبتّ ، فلا شيء منها يبدو عند خَلَفِهِمْ ، غير أنّي توقّفت أمام عصر اعتبره النُّقاد مُغايراً لما قبله في الثقافة والبيئة ، ومن ثُمَّ فالتأثر بهاتين النّاحيتين وارد ، كما أنَّ بني كلاب في العصر العبّاسي قد تشعَّبوا ، وفارق الكثير منهم ديارهم ، ولم يعد أبناؤهم حينئذ ينتسبون للجدِّ الأعلى .

وكان اهتمامي بالنُّصوص الشعرية لزاماً لأنّها قاعدة البحث الأَساسية ، وبدا ذلك من خلال أمور منها :

توثيق النّص المستشهد به ، إذ كُنْتُ حريصاً على أَنْ أستقي ذلك النّص من أقدم مصادره وأن أُحقق نسبته لقائله ، وأجلوَ عصره .

إيراد النّص مضبوطاً بالحركات ، مع بيان معاني المفردات ، والتعريف بالشاعر في موضعه من التراجم ، تفادياً للتكرار والحشو .

ولست بهذا أوكد لِعَمَلي الكمال ، فالكمال لله سبحانه وتعالى ، ولا أدعي السلامة من الفوات ، فما كان لعمل المرء أن يبرأ من العيب ، أيّاً كان ذلك العمل ، فكيف والحال أنَّ العمل عملان ، تمّا في آنٍ واحد ، فجمعُ شعر القبائل ودراسته فيهما من الجهد والمشقة ما ا لله به عليم ، كما أنهما من البحوث التي تصعب الإحاطة بها ، أو يتيسر لها اليقين وعدم

الفوات، وقد بيَّن ذلك العلماء ، فابن سلام الجمحي يقول ، وهو يذكر أشعار العرب : " ذكرنا العرب وأشعارها والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيّامها ، إذ كان لا يُحاط بشعر قبيلةٍ واحدةٍ من قبائل العرب "(١) ، ويقول ابنُ قتيبة : " والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفد عمره في التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ، ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتّى لم يَفُتْه من تلك القبيلة شاعر إلا عَرَفَه ، ولا قصيدةٌ إلا رواها "(٢) .

وما الدراسة إلا صعوبة قائمة على صعوبة ، فما في الدراسة آراء مجزوم بها ، وإنّما هي اجتهادات مبنية على قواعد ، قد أكون أصبت فيها ، وإن خالفت غيري .

ولعلي بهذه الدراسة قد ساهمت بشيء ولو يسير في دراسات شعر القبائل ، فقد حاولت جاهداً أن أرسم صورة جلية لقبيلة بني كلاب ، فوضّحت نسبها وعدّدت فروعها ، وذكرت مشهور رجالها ، كما بيّنت أيّامها ، وما كان لها من مشاركة في الحروب ، وحدّدت ديارها ، وعيَّنت مرعاها ومزدرعها .

وكان ابتغائي من الدراسةِ الموضوعيةِ أَنْ أُجَلِّي ما دار في شعرهم من معانٍ ، تعكس خبايا النَّفس وتُبيِّن مظاهر الحياة ، وتكشف عن دورهم في موضوعات الشِّعر العربي ، وما لهم من تأثر أو تأثير .

وإذا كانت هذه القبيلة قد اشتهرت بلهجتها التي تناقلتها كتب اللغة ، فإنّ هذا ما دعاني لأن أتبيَّن خصائص شعرها الذي هو أرقى أنواع الفنون الأدبية ، فكانت الدراسة الفنية باباً حاولت أن ألج من خلاله إلى كُنْه أسَاليبهم ، ونغم أصواتهم ، لعلّ في هذا ما يُضيف إلى جمال اللغة جمالاً ، ويزيد من أمثلتها روائعاً ، ويُقدِّم للمتذوقين نصوصاً غير مكررة، تأخذ حقَّها من النَّقد ، وتخرج من حال الإهمال والعفاء إلى الدرس والاهتمام ، فتكون جزءاً من النتاج الأدبي ، وتشارك في مسيرة النقد ، وتصحيح أحكامه .

لقد أضافت هذه الدراسة أسماءَ جديدة لمعجم الشعراء العرب ، نيّف عددهم على المئة ، كما كان لها الفضل في جمع شعر بني كلاب الذي كان شذر مذر في كتب التراث والأدب ،

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٣/١ .

(٢) الشعر والشعراء ٦٠/١ .

فاجتمع لديّ منه ما يبلغ ألفي بيت سأحاول نشرها قريباً إن شاء الله .

ويسعدني في ختام مقدمتي أن أنسب الفضل لأهله ، فأقدم شكري لجامعة أُمّ القرى التي هيأت لي سبل البحث ، وأخصّ عميد كلية اللغة العربية ورئيس الدراسات العليا فيها ، فقد كان لخلقهما الطيّب أثر في تشجيعي على إتمام دراستي . كما أتقدم بوافر شكري للجامعة الإسلامية التي أعمل فيها على أن أتاحت لي فرصة الدراسة .

وأقدم خالص شكري واحترامي لأستاذي الدكتور محمود حسن زيني الذي أشرف على هذا البحث فلم يبخل عليَّ بعلمه ووقته ، وكان في خلقه وتواضعه ما منحني الجلد على هذا البحث .

وأحمد للأستاذين الجليلين تفضلهما بقراءة بحثي وإرشادي إلى ما فاتني فيه .

وختاماً أقول لكل من ساعَدني أو أسدى إلي نصيحة : أجزل الله لك الأجر ، وكتب لك الخير في الدنيا والآخرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباب الأول

التاريخ

الفصل الأول : قبيلة بني كلاب :

النسب

الديار

الأيام

الفصل الثاني : شعراء القبيلة

الفصل الثالث : مصادر شعرها

الفصل الأول

قبيلة بني كلاب

النسب

الديار

الأيام

تمهيد :

لم تكن قبيلة بني كلاب بطارئة على الأحداث ، فقد كانت في المعمعة منذ أمد ، فهذا الأشهب بن الحارث يقول[١] :

ألا قبّح الإلهُ غداةَ حجر سيوفاً في أكفٍّ بني كلاب

نبون عن العدوّ غداة حجر ولا تنبو لأيام السِّباب

على أنَّ موقع القبيلة مكانة ومكاناً يجعلانها محطَّ الأنظار ، ومشار البنان ، حتّى لقد ضرب بها المثل في رجاحة العقل وبعد النظر حين تخلّت عن معركة حنين ، وسؤال دريد ابن الصِّمة عن حضورها ذلك اليوم ، فقال : " ما فعلت كعبٌ وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحدُّ والجد ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب .. "[٢] .

إن تلك المكانة قد جعلت بني كلاب أحد نجمي بيت جرير[٣] ، إلى وقتنا الحاضر :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابَا

إن هذا التميز يدفعنا للكشف عن نسب هذه القبيلة وتبيّن منازلها وأيامها للوقوف على الطبيعة الحقيقية والمكتسبة التي هيأت لبذور المجد في هذه القبيلة أن تثمر .

١ ـ النسب :

نُسِبت هذه القبيلة إلى أبيها كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن القيسيِّة . وكلاب : جمع كلب ، وهو كل سَبُع عقور ، وغلب على النابح ، وكانت العرب تُسمِّي أولادها بأسماءَ منكرة شُؤماً لأعدائها ، وتحسن أسماء عبيدها تفاؤلاً بها ، وقد

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ٣٣ .

(٢) السيرة النبوية ٤٣٨/٢ .

(٣) ديوان جرير ص ٧٥ .

عُرف كلاب هذا بالحمق[١] ، وعُدَّ ولده من بعده في جماجم العرب[٢] ، إذ كثرت بطونهم، فقد أنجب كلاب عشرة من الولد ، أشار إليهم النوّاح الكلابي[٣] بقوله :

وإنَّ كِلاباً هذه عَشْرُ أبطُنٍ وأنتَ بَرِيءٌ من قَبائلها العشر

العاشر منهم زيد ، وقد مات و لم يعقب ، والآخرون هم :

١ ـ أبو بكر وهو عبيد بن كلاب ، وجعله ابن دريد بطنين[٤] ، يُلَقَّبُون ببني البَزَرى ، يقول أحدهم وهو القتّال الكلابي[٥] :

إذا ما تَجَعْفَرْتُمْ عَلَيْنَا فَإِنَّنَا بَنُو البَزَرَى مِنْ عِزَّة نَتَبزَّرُ

وقد امتدحتهم ليلى الأخيلية فقالت :[٦]

إن كنت تبغي أبا بكر فإنَّهم بكل ساحة قوم منهم أثر

نُعمى وبؤسى بآفاق البلاد فما أعداؤهم منهم ، ولا قدروا

ومن ولد أبي بكر عبد ، الذي من نسله القرطاء ، تزوَّج الرسول ﷺ امرأة منهم اسمها عمرة " فوصفها أبوها ، ثم قال : وأزيدك أنها لم تمرض قط ، فقال رسول ا لله ﷺ : " ما لهذه عند ا لله من خير ، وطلّقها ، و لم يبن بها "[٧] .

ومنهم عبد ا لله وكعب وربيعة .

ومن مشاهير أبي بكر الضَّحاك بن سفيان سيَّاف رسول ا لله ﷺ ، وعبد العزيز بن زرارة سيِّدُ أهل البادية ، ونباتة بن حنظلة من قُوَّاد بني أُميَّة .

٢ ـ جعفر بن كلاب ، أعزُّ بيتين في مضر ، مع بني عمرو بن جندب[٨] ، عُدُّوا في

---

(١) عيون الأخبار ٢/٤٥ .

(٢) الديباج ص ١١٣ .

(٣) الدّرر ٢/٢٠٤ .

(٤) الاشتقاق ص ٢٩٦ .

(٥) لسان العرب (بزر) ، وبزر : انتمى .

(٦) ديوان ليلى الأخيلية ص ٦٧ .

(٧) المعارف ص ١٣٩ .

(٨) النقائض ص ٣١٥ .

المذكورين من الناس بالكبر[١] لما وجدوا في أنفسهم الفضل ، مدحهم جرير ، فكان من قوله[٢] :

ذَوو الحُجُراتِ الشُّمِّ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ يُسَلِّم جانيها ويُعطى فَقِيْرُها
حَيَاتُهُمُ عِزٌّ وَتُبْنَى لِجَعْفَرٍ إِذَا ذُكِرَتْ مجد الحياة قبورها

لهم صيت في كل المواقف ، واشتهر من رجالهم ملاعب الأسنة : عامر بن مالك الذي وفد على رسول الله وأجار الدعاة ، الذين قُتلوا على بئر معونة بتدبير ابن أخيه عامر بن الطفيل ، وبعض بني سليم .

ومنهم علقمة بن علاثة الصَّحابي ، استعمله عمر بن الخطاب على حوران فقصده الحطيئة فوجده ميتاً ، فقال[٣] :

إلى القَائل الفَعَّالِ عَلْقَمَةَ النَّدَى رَحَلْتُ قَلُوْصِي تَجْتَوِيْهَا المَنَاهِلُ
إلى مَاجِدِ الآبَاءِ فَرْعٍ عَثَمْثَمٍ لَهُ عَطَنٌ يَوْمَ التَّفَاضُلِ آهِلُ
لعمري لَنِعْمَ المَرْءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحَوْرَانَ أَمْسَى أَعْلَقَتْهُ الحَبَائِلُ

ومنهم الشاعر لبيد بن ربيعة العامري .

٣ ـ الحارث بن كلاب ، وهو رؤاس ، مشتق " من روائس الوادي ، وهي أعاليه ، وقالوا رجل رُؤاسيٌّ وهو عظيم الرأس "[٤] .

ولدُه عُبيد وبُجَيِّد وبجاد .

منهم الهَزْهَاز بن ميزز يُحدَّث عنه ، وعمرو بن مالك الوافد على رسول الله ﷺ ، والشاعر أبو دؤاد الرُّؤاسي ، ووكيع بن الجراح المحدِّث[٥] ، وأبوه .

---

(١) الحيوان ٦/٧٠ .
(٢) النقائض ص ٥٤٠ .
(٣) ديوان الحطيئة ص ٢٣٥ .
(٤) الاشتقاق ص ٢٩٦ .
(٥) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٣٠ .

٤ ـ ربيعة بن كلاب ، " وهم قليل ، وليس فيهم مذكور مشهور "[١] " منهم أهل بيت بالبصرة ، هم بنو نفيل بن ربيعة .

٥ ـ عامر بن كلاب وولده كعب والأصمّ ، ومن كعب بنو الوحيد أخوال العباس وجعفر ومحمد الأصغر وعبد الله وعثمان أبناء عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أم البنين بنت حزام[٢] الكلابية .

ومنهم الشاعر شبيب بن حزاد ، والأشعث بن وائل رئيس شُرط الحجاج بواسط .

وفي بني الوحيد يقول مزرد بن ضرار الذُّبياني[٣] :

أَتَذْهَبُ مِنْ آلِ الوَحِيْدِ وَلَمْ تطُفْ بِكُلِّ مَكَانٍ أَرْبَعٍ كَالخَرَائِدِ

٦ ـ عبد الله بن كلاب ، ولده معاوية (الصَّمُّوت) ، ونفاثة ، وعوف ، وفيهم يقول الشاعر[٤] :

فإنَّ الأَخْضَرَ الهَمَجِيَّ رَهْنٌ بِمَا فَعَلَتْ نُفَاثَةُ والصَّمُوتُ

ومنهم الشاعر : سراج بن قوة بن ربعي ، من بني الصَّموت[٥] .

٧ ـ عمرو بن كلاب ، وله من الولد نفيل ومالك ، وجلُّ بني عمرو من ولد نفيل ، إذ من ولده خويلد المعروف بـ " الصَّعق " جدُّ الشاعر يزيد بن عمرو[٦] .

ومن بني عمرو زفر بن الحارث الكلابي القائد المشهور أيام بني أمية ، والأمير صالح بن مرداس الكلابي مؤسس دولة بني مرداس في حلب عام ٤١٧ هـ[٧] .

---

(١) الاشتقاق ص ٢٩٦ .

(٢) جمهرة النسب ص ٣٢٨ .

(٣) المفضلية ١٥ .

(٤) معجم البلدان (نهي تربة) ، الأخضر الهمجي : يريد وادي تربة حينما يسيل.

(٥) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٣١ .

(٦) السابق ص ٣٢٠ .

(٧) الأعلام للزّركلي .

٨ ـ كعب بن كلاب ، وهو الأَضبط ، وجعله ابن قتيبة وابن دريد اثنين[١] .

من شعرائهم عطاء بن منظور ، والركين بن حيَّان ، ودآؤد بن الأغضف[٢] .

٩ ـ معاوية بن كلاب ، ويُسمى الضِّباب لغلبة بعض ولده على الاسم ، إذ فيهم ضبّ ومضب وضَباب ، غير عمرو وخالد ، ويروي ابن رشيق أنَّ رجلاً سمع عمرو بن معاوية يهتف بأسماءِ بنيه : " فقال : والله ما بنوك هؤلاء إلا الضِّباب ، فسُمُّوا الضِّباب إلى اليوم "[٣] .

منهم الصحابي موله بن كُنيف ، ذو اللسانين ، وشمر بن ذي الجوشن من قتلة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والصميل بن حاتم من سادة الأندلس .

وقد انتسب إليهم النابغة الذبياني فقال[٤] :

فَإِمَّا تُنْكِرِيْ نَسَبِيْ فَإِنِّي ... مِنَ الصُّهْبِ السِّبَال بَنِي ضِبَابِ

فَإِنَّ مَنَازِلِي وَبِلاد قَوْمِيْ ... جَنُوبُ قَنَاً هُنَالِكَ فَالهِضَابِ

٢ ـ المنازل :

كانت منازل بني كلاب ممتدة بين السَّهل والحرة ، فهم ينتجعون عالية نجد في الصيف ويشتون في الحجاز ، متنقّلين من مكان إلى مكان يطلبون الكلأ ويرتادون المياه ، ولذا شغلوا رقعة واسعة من الديار حلّوها ونزحوا عنها ، وكانوا أهل السطوة فيها ، وقد عدَّهم أبو عبيد البكري من ساكني الحجاز عند مجيء الإسلام ، إذ قال : " وجاء الله عزَّ وجل بالإسلام وقد نزل الحجاز من العرب أسد وعبس وغطفان ... وكلاب بن ربيعة ... " ثم يقول : " ومن بقي بأَرض الحجاز من أعجاز جشم ونصر بن معاوية ، ومن ولد خصفة بن قيس ، فهم

---

(١) المعارف ص ٨٨ ، الاشتقاق ص ٢٩٦ .

(٢) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٣١ .

(٣) العمدة ص ٨٨٩ .

(٤) معجم ما استعجم ص ١٠٩٦ . قنا : اسم لعدة مواضع (معجم البلدان) .

بالحرة ، حرة بني سليم وحرة بني هلال وحضة الرَّبذة إلى قرن تربة وهم مخالطون لكلاب بن ربيعة ، هؤلاء كلهم من ساكني الحجاز "[١] .

ويظهر أنَّ ديار بني كلاب تمتدُّ من المنطقة التي يَتَّصل فيها نجد بالحجاز ، على عالية نجد وجنوبه إلى أواسطه ، فقد انتسب أبو براء عامر بن مالك الكلابي هو وقومه إلى أهل نجد حينما طلب من الرسول ﷺ أن يبعث من رجاله من يدعو قومه للإسلام ، فقال : " يا محمد لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله ﷺ : إنِّي أخشى عليهم أهل نجد ... "[٢] .

وفي ذكر بئر معونة قال ابن هشام : " وهي بين أرض بني عامر[٣] وحرة بني سُليم ، كلا البلدين منها قريب "[٤] .

ونتبين بعضاً من ديار بني كلاب وخاصة ما يلي الحجاز حين نرى مسير مصدِّق المدينة وهو ينزل عليهم ، فأول منزل لبني كلاب يطلبهم عليه هو " أريكة " ، وهو ماء يقع غربي حمى ضرية ثم يرد العناقة ثم مذعا ثم المصلوق ، إلى أن يبلغ رَنْية منزل بني ربيعة بن عبد الله ابن أبي بكر بن عمرو بن كلاب قوم المحلَّق ، ويقول أبو زياد الكلابي : يخرج عامل بني كلاب من المدينة فأول منزل يصدق عليه الأريكة ثم العَناقة ثم مدعا ثم المصلوق ثم الرَّنية ، ثم يرد الحُلَيف لبني أبي بكر بن كلاب ثم الدَّخول ثم الحصَّاء ثم يرد الحوْأب ثم سجا ثم الجديلة ، ثم ينصرف إلى المدينة ، ويصدق على الحليف بطوناً من بطون أبي بكر بن عبد الله ابن كلاب وسلول وعمرو بن كلاب[٥] .

ولَّما كانت الفتوحات الإسلامية هاجر كثير من بني كلاب وهجروا مواطنهم ، فلبيد ابن ربيعة الكلابي وبنوه نزل الكوفة وأقام بها إلى أن مات ، فرجع بنوه إلى البادية أعراباً[٦].

---

(١) معجم ما استعجم ص ٩٠ .
(٢) السيرة النبوية ١٨٤/٢ .
(٣) بنو كلاب من عامر .
(٤) السيرة النبوية ١٨٤/٢ .
(٥) معجم البلدان (أريكة ، مصلوق ، الحُليف) .
(٦) المعارف ص ٣٣٢ .

وعلقمة بن علاثة الكلابي يسكن حوران من أعمال دمشق هو وولده والياً عليها إلى أن مات[١] ، ونباتة بن حنظلة الكلابي يلي الأهواز والرّي وجرجان[٢] ، والجنيد بن عبد الرحمن الرؤاسي يلي خراسان[٣] .

ويقول ابن الكلبي عن بني رؤاس بن كلاب : " وولدَ رُؤاسُ ، وهو الحارث بن كلاب: عُبيداً وهم بالكوفة وبجيِّداً وبجاداً ، وهما بالشام ، وليس لبني رُؤاس بادية اليوم "[٤] .

وهاجر إلى الأندلس الصُّميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن وسادبها ، وله فيها عقب، وقد نزلوا الخشبل من شوذر من عمل جيَّان[٥] .

وينقل القلقشندي عن الذهبي قوله عن بني كلاب : " وكانت ديارهم حمى ضرية ، .. والرَّبذة في جهات المدينة النبوية وفَدَك والعوالي ، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيت وملكوا مدينة حلب ونواحيها وكثيراً من مدن الشام ، وأول من ملك منهم صالح بن مرداس .. ثم ضعفوا وهم الآن تحت خفارة الأمراء من آل ربيعة من عرب الشام " إلى أن قال : " وهم عرب غُزٌّ يتكلمون بالتركية ويركبون الأكاديش "[٦] .

وفي الشام عرفوا بخدمتهم للملك الأشرف موسى من بني أيوب ، وقدمهم الملك الظاهر بيبرس ، وامتدحهم الأمير طيبغا[٧] .

وما كانت تلك القبيلة لتطمئن للراحة ، سواء في ديارها أو بعيداً عنها ، فقد كانت مصدر قلق للحكام ، ففي سنة ٦٤ هـ خرج زفر بن الحارث الكلابي على الأمويين إلى الزبيريين ، فنشأت بينهم الحرب التي كان أعتاها " مرج راهط "[٨] ، مما جعل ضوء بن

---

(١) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣١٥ .

(٢) المعارف ص ٣٧٠، ٤١٨ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٧ .

(٤) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٣٠ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٧ .

(٦) قلائد الجمان ص ١١٦، ١١٧ .

(٧) السابق ص ١١٧ .

(٨) تاريخ الطبري ٥/٥٣١،٥٣٥ .

اللجلاج الشيباني يُخوّف الخليفة منه ، في قوله[١] :

بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمُ ... فَلا يَبِيتَنَّ فِيكُمُ آمِناً زُفَرُ

مُفْتَرِشاً كَافْتِرَاشِ اللَّيْثِ كَلْكَلَهُ ... لِوَقْعَةٍ كَائِنٍ فِيهَا لَهُ جَزَرُ

وفي عام ٢٣١ هـ يرسل والي الأمر من يقبض على نحو ثلاثة آلاف من الكلابيين في " ضرية " ويودعهم السجن ، لما نُعِتوا من أنهم من أهل الفساد[٢] .

وعام ٣١٨ هـ يخرج أعراب من بني كلاب وبني نمير فيعيثون بظهر الكوفة ويستطيلون على المسلمين ويخيفون السبيل ، فيخرج إليهم أمير الكوفة محمد بن ورقاء في جمع من أشراف الكوفة ، فيؤسر ومعه نفر ويخلُصون منهم بالفداء[٣] .

كما خرجوا على سيف الدولة الحمداني في جهات حلب ، فأوقع بهم ، حتى شفع لهم أبو الطيب المتنبي في قوله[٤] :

تَرَفَّقْ أَيُّهَا المَوْلَى عَلَيْهِمْ ... فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالجَانِي عِتَابُ

وَإِنَّهُمُ عَبِيْدُكَ حَيْثُ كَانُوا ... إِذا تَدْعُوا لِحَادِثَةٍ أَجَابُوا

ويمكننا أن نقف على بعض منازل الكلابيين دون الإلمام بها لسعة ديارهم وكثرتها ، حتّى يتسنى لنا تبيّن مختلف تلك الديار وتنوعها ، وما هي عليه من طبيعة ، سواء كانت قرى أو أودية أو جبالاً أو مياهاً ومعادن :

١ ـ ضَرِيَّة : " بلد قديم ، وقرية عامرة ، على طول الدهر ، فيها جبلان يشرفان عليها، أحدهما عن يمين المصعد ، يقال له وسط ، وكان ذو الجوشن ، أبو شمرٍ قال :

سَأَلْتُ اللهَ ذَا النَّعْمَاءِ أَمْراً ... لِيَجْعَلَ لِيْ إِلَى وَسَطٍ طَعَامَا[٥]

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٤٩٢ .

(٢) تاريخ الطبري ١٣٤/٩ .

(٣) صلة تاريخ الطبري ١٢٧/١١ .

(٤) العمدة ص ١٤٥ ، ديوان المتنبي ٧٥/١.

(٥) بعده في معجم ما استعجم ص ٨٦٥ :

فأعطاني ضرية خير بئر ... تثج الماء والحبَّ التؤاما .

وبحضرة هذا الجبل قاع يُزدرع فيه ، فأتى رسول الله ﷺ فاستقطعه ذلك الموضع فأقطعه إيّاه ، والجبل الآخر عن يسار المصعد ، يقال له الأحسن ، وبه معدن الفضّة "[١] .

وضرية تتبع المدينة في ولايتها ، وفيها " بركة وآبار كثيرة ، ونخل ، وبها بئر يقال لها الطّهمانية ، طيبة لا يُعلم أخف منها ماءً إلا ماويّة ... "[٢] .

وكانت ضرية في الجاهلية من مياه الضِّباب الكلابيين ، وكان أول من نزلها ذو الجوشن الضِّبابي ثم توافدت أبطن بني كلاب على سكناها[٣] ، وعرفت ضرية بأنها قرية لبني كلاب تحتل صقعاً واسعاً بنجد ينزل فيها حاج البصرة ، وتقع بين الجديلة وطخفة ، وهي إلى مكة أقرب[٤] .

٢ ـ الأَحْسَن : قرية لبني كلاب ، بها حصن ، وبها بحث معدن للذهب ، وهي من أول عمل المدينة[٥] ، ويقول ياقوت : " أحسن .. اسم قرية بين اليمامة وحمى ضريّة ، يقال لها معدن الأحسن ، لبني أبي بكر بن كلاب ، بها حصن ومعدن ذهب ، وهي طريق أيمن اليمامة .. "[٦] .

٣ ـ تُرَبَة : وادٍ طوله ثلاث ليالٍ ، به النخل والزّرع والفواكه والأشجار ، والضبابيون من بني كلاب لهم فيها مِلك ، إذ يشاركون هلالاً وعامر بن ربيعة[٧] ، وتربة من مخاليف مكة النجدية[٨] ، وقال الأصمعي : تربة وادٍ للضّباب طوله ثلاث ليال ، فيه النخل والزرع والفواكه ، ويشاركهم فيه هلال وعامر بن ربيعة، .. وفي المثل: " عرف بطني بطنَ تربة" ،

---

(١) المناسك ص ٥٩٤ ، انظر معدن الأحسن .
(٢) السابق ص ٥٩٧ .
(٣) معجم ما استعجم ص ٨٦٥، ٨٦٦ .
(٤) معجم البلدان (ضرية) .
(٥) بلاد العرب ص ١٥٩، ٣٧٠ .
(٦) معجم البلدان (أحسن) ، (معدن الأحسن) .
(٧) بلاد العرب ص ١٠٩ .
(٨) معجم ما استعجم ص ٣٠٨ .

قاله عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أبو براء (ملاعب الأسنة) .. غاب عن قومه فلما عاد إلى تربة وهي أرضه التي ولد بها ألصق بطنه بأرضها فوجد راحة فقال ذلك[١] .

٤ ـ حِلّيت : جبالٌ بها مَعْدن وقرية[٢] ، قال نصر : حِلّيت جبال من أخيلة حمى ضرية، عظيمة كثيرة القنان ، كان فيه معدن ذهب ، وهو من ديار بني كلاب ، وقال أبو زياد : حِلّيت ماء بالحمى للضِّباب ، وبحليت معدن[٣] ..

٥ ـ الجَرِيب : وادٍ لبني كلاب ، به الحموض والأكلاء .. وسيل الجريب يدفع في بطن الرمة فيسيلان سيلاً واحداً ، والرمة تجيء من الغور والحجاز ، فأعلى الرمة لأهل المدينة وبني سليم ، ووسطها لبني كلاب وغطفان ، وأسفلها لبني أسد وعبس ، ثم ينقطع في رمل العيون[٤] .

٦ ـ العُكْلِيَّة : أدنى بلاد بني أبي بكر بن كلاب مما يلي بني الأضبط ، وهي ماءَة عليها خمسون بئراً ، وجبلها أسود النَّسَاء[٥] ، ويقول ابن جنيدل ، عكلية : ماء عِدٌّ قديم ، في دارةٍ تُدعى دارة عكلية .. والدارة محفوفة بهضاب سود كبار ، وهي في ناحيتها الغربية، يقال لهذه الهضاب السود عكليات جمع عكلية ، واقعة شمال عفيف على خمسة وثلاثين كيلاً[٦] ..

٧ ـ الجُبَاجِبَة : ماءَة في ديار بني كلاب لربيعة بن قرط ، عليها نخل ، وليس على شيء من مياههم نخل غيرها ، وغير الجرولة .

قال أبو زياد : الجبابة من مياه أبي بكر بن كلاب[٧] .

٨ ـ البَقَرَة : ماء لبني عبد بن كعب[٨] ، من بني كلاب ، وبها معدن

---

(١) معجم البلدان (تربة) .

(٢) بلاد العرب ص ١٠٧ .

(٣) معجم البلدان (حليت) .

(٤) بلاد العرب ص ٧٩ .

(٥) السابق ص ١١٥ .

(٦) المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (عالية نجد) ص ٩٧٩ .

(٧) معجم البلدان (الجباجبة، الجبابة) .

(٨) بلاد العرب ص ١٥٤ .

الذهب[١] ، ويقول ابن جنيدل : البقرة : ماء قديم ، عِدٌّ مُرٌّ ، يقع في غربي العبلة ، شرقاً جنوبياً من جبل ظلم ، وغرباً جنوبياً من بلدة عفيف .. وبالقرب منه مما يلي مطلع الشمس آثار تعدين قديم ، وهذا المعدن كان قديماً يسمى الهروة[٢] .

٩ ـ سَجَا : ماءة جاهلية لبني الأضبط بن كلاب ، في شعب جبل يقال له شعر ، وهي جرور ، بعيدة القعر[٣] ، وقال أبو زياد : من مياه بني وبر بن الأضبط بن كلاب سجا ، وفي كتاب الأصمعي : من مياه قوالة سجا والثعل ، وسجا لبني الأضبط إلا أنها مرتفعة في ديار بني أبي بكر[٤] ..

١٠ ـ طِخْفَة : ماء لجعفر والضِّباب[٥] ، اقتتلوا عليه[٦] ، يمر به طريق الحاج[٧] .

١١ ـ الثُّعْل : ماء لبني قوالة قرب سجا والأخراب بنجد في ديار بني كلاب .. وقال أبو زياد : ومن مياه أبي بكر بن كلاب الثُّعل[٨] ..

١٢ ـ المَرْدَمَة : جبل لبني مالك بن ربيعة بن أبي بكر بن كلاب أسود عظيم ، ويناوحه سُوَاج .. وقال أبو زياد : مما يذكر من بلاد أبي بكر بن كلاب مما فيه مياهٌ وجبالٌ المردمة ، وهي بلاد واسعة ، وفيها جبلان يسمّيان الأخرجين[٩] .

١٣ ـ الأَثْبِجَة : صحراء ، لها جبال يقال لها جبال الأثبجة[١٠] ، لبني جعفر بن كلاب[١١] ، ويبدو أنها الهبجة الآن .

---

(١) معجم البلدان (بقرة) .
(٢) المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (عالية نجد) ص ٢٣٤ .
(٣) بلاد العرب ص ١٥٥ .
(٤) معجم البلدان (سجا) .
(٥) بلاد العرب ص ٣٩٠ .
(٦) النقائض ص ٥٢٥ .
(٧) المناسك ص ٥٩٣ .
(٨) معجم البلدان (ثعل) .
(٩) معجم البلدان (المردمة) .
(١٠) بلاد العرب ص ١١٣ .
(١١) معجم البلدان (الأثبجة) .

١٤ ـ ظَلِم : جبل أسود لعمرو بن عبد الله بن كلاب[١] ، وقال الأصمعي : ظلم جبل أسود لعمرو بن عبد بن كلاب ، وهو وخَوٌّ في حافتي بلاد بني أبي بكر بن كلاب ، فبلاد أبي بكر بينهما ظلم مما يلي مكة ، جنوبي الدفينة[٢] .

١٥ ـ كَبَشَات : وهن أجبُلٌ ، كبشة لبني جعفر ، وكبشة للضِّباب ، وكبشة لبني لقيطة ، وقال الأصفهاني أيضاً : كبشات : أجبل سود عظام للضِّباب[٣] ، ويقول ياقوت : هي أجبل في ديار بني ذؤيبة بهن هراميت ، وهي آبار متقاربة ، وبها البكرة ، وهي ماءة لهم[٤] .

١٦ ـ الحَصَّاء : قال السكري : الحصاء لبني عبد الله بن أبي بكر ، وقال أبو محمد الأسود : الحصاء جبال مطرحة يُرى بعضها من بعض ، وهي لبعض بني أبي بكر بن كلاب .. وقال أبو زياد : ومن مياه أبي بكر الحصاء ، وهي من خير مياههم ، أكثرها أهلاً، وأوسعُها مساحة[٥] ..

١٧ ـ المُحْدَثَة : ماءَة لبني يزيد ، وهم من كعب بن كلاب ، ليقظان ودكين . .. من ضرية على مسير ثلاثة أيام للغنم تُساق ، على طريق حاج اليمامة ، بها فمان متوحان[٦] .

١٨ ـ حَمَّة : الحمة : حجارة سوداء تراها لازقة بالأرض ومنقلعة ، ملساء ، متدانية ومتفرقة ، وفي بلاد العرب حمَّات كثيرة ، منها : حمّة أكيمة في بلاد كلاب ، وحَمَّتا الثُّوير لبني كلاب أيضاً ، وحمَّة البُرقة ، وحمَّة خِنزر ، وحمّة المنتضى ، وحمة الهوْدَرى ، هذه الست في بلاد كلاب ، فأما حمة المنتضى فهي حمَّة فاردة ليس بقربها جبل ، قال الأصمعي : هي جبل

---

(١) بلاد العرب ص ١٤٢ .

(٢) معجم البلدان (ظَلِم) .

(٣) بلاد العرب ص ٩٤، ١٥٨ .

(٤) معجم البلدان (كبشات) ، بنو ذؤيبة : ذويبة بن والبة بن الحارث (جمهرة النسب ١٧٤) .

(٥) معجم البلدان (الحصاء) .

(٦) بلاد العرب ص ١٢٠، ٢٢٠ .

صغير كأنّه قطع من حرّة لبني كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، وحمّة الثُّوير أُبيرق[١] .

٣ ـ دارات بني كلاب :

الدارة : كل جوبة بين جبال في حزن أو سهل ، وعن الأصمعي : الدارة رمل مستدير في وسطه فجوة .. ولبني كلاب من الدارات دارة الأسواط : وهي برقة بيضاءً لبني قيس بن جزء بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، ودارة الجثوم : لبني الأضبط بن كلاب ، ودارة الخنزَرين : من مياه حمل بن الضّباب في الأرطاة .. وقال ابن دريد : الخنزرتين ، وربما قالوا في الشعر دارة الخنزر ، وهي لبني حمل من الضباب .. ودارة الذئب بنجد في ديار بني كلاب، ودارة الذؤيب لبني الأضبط ، ودارة الرَّدْم في أرض بني كلاب ، ودارة رمح في ديار بني كلاب لبني عمرو بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر ، وعنده البتيلة ماء لهم باليمامة ، ودارة شبيث لبني الأضبط ببطن الجريب ، ودارة صلصل لعمرو بن كلاب بأعلى دارها ، ودارة عسعس لبني جعفر ، ودارة الغزيِّل لبني الحارث بن ربيعة بن أبي بكر بن كلاب ، ودارة كبد ودارة الكبشات[٢] .

ويظهر مما سبق أنَّ بني كلاب ينزلون شتى المواقع في عالية نجد ، حيث تتوزع ديارهم القرى التي تمدُّهم ويمدونها فيتعايش باديهم مع حاضرهم ، ويكمِّل هؤلاء نقص أولئك في توفير الأرزاق وتبادل المصالح .

وإنَّ وجود مباحث المعادن في ديارهم يدل على أنَّهم ذوو كسبٍ مالي ، وأن لهم أثراً في اقتصاد البلاد .

كما أنَّا نستدل مما ذكرنا من قرى وأودية وحرار ودارات على سعة ديارهم ، وتنقلهم فيما بينها مما يدل على سعة عيشهم ، حيث الخصب في البراري ، والثِّمار في القرى ،

---

(١) معجم البلدان (حمّة) .

(٢) السابق (دارات العرب) .

والدفء في الحرار ، وطيب النسيم في الدارات ، وهـذا تنـوع قـد يمنـح الكلابيـين تفاوتـاً في الطِّباع .

إنَّ كثرة ديارهم تعكس كثرة عددهم ، وتفرُّع قبائلهم وشتاتها ، حيث يتنازعون علـى المراعي والمياه ، مما جعل الحروب تقوم بينهم ، كما سنعرف ذلك من خلال ذكر الأيام الـتي وقعت بينهم ، إذ نشأ عن ذلك استقلال كل أب بأبنائه ، في منزل ينفردون به .

٤ ـ الأيام :

كانت تتنازع السيطرة على عالية نجد عدّةُ قبائل ، منها تميم التي دُفعت إلى سافلة نجد ، حين تغلَّب الغطفانيون عليهم فصالوا في نجد وبغوا حتّى أخضعوا من حولهـم ، وممـن أخضـع بنو عامر الذين استكانوا لإتاوات زهير بن جذيمة العبسي يجبيها منهم كلّ سنة ، ولم تكن بنو كلاب بأطيب حالاً من بقية القبيلـة فقـد كـانت في ضعـفٍ لا تسـتطيع معـه أن تدفـعَ عنهـا مظلمة ، والدليل على ذلك ما كان من أَمرِ الكلابـي الـذي أتـى عمـيراً اليربوعي (فقـال : أَجِرني فأجاره وكتب له على سهم : فلان جار عمير ، وكان مع الكلابي أخٌ له جميل)[١] قتله أخو عمير فطَلَبَ الكلابيُّ النصرةُ من مُجيره فطاوله حتّى لجأ الكلابي إلى قبر أَبـي عمـير عائذاً به ، مما جعل اليربوعي يفي للكلابي ويقول[٢] :

قَتَلْـنَا أَخَـانَـا لِلْـوَفَاءِ بِجَـارِنَـا وَكَـانَ أَبُـوْنَـا قَـدْ تُجِـيْرُ مَـقَابِـرُه

وما كان لهذا الكلابي أن يفعل ذلك لو كانت قبيلته عزيزة الجانب .

ولقد ثَقُل على بني كلاب هيمنة غطفان فتململ كبـارُهم ، إذ لم يـروا لهـم زعامـة تُذْكَـر أو لواءً يُرفع ، وزاد من حنقهم على غطفان عجوزٌ من عامر أَتت بِنحي فيه سمن ودفعتـه لزهـير وشكت السنين وقحطها والأرض وجدبها ، فمـا زاده ذلـك إلا تجبّرا ، إذ دفـع المـرأَة علـى قفاها حتى سقطت[٣] ، وما كان لبني كلاب أن تسـكت علـى هـذا إذ انـبرت لـتزعُّم لـواءِ

---

(١) الديباج ص ٥٤ .

(٢) السابق ص ٥٦ .

(٣) العقد ١٣٥/٥ .

الظهور على أسيادهم ، ورفع الظلم عن قبيلتهم، فيقود الناس لتلك المهمة كلابي اسمه: خالد ابن جعفر أخذ يُعِدُّ العدّة لحمل القبيلة على العزّة ، وأبياته التالية تدل على ذلك فهو يقول ذاكراً فرسه[١] :

يَبِيْتُ رِبَاطُهَا بِاللَّيْلِ كَفِّي عَلَى عُوْدِ الخَشِيْشِ وَغَيْرِ عُوْدِ
لَعَلَّ اللَّه يُمْكِنُنِي عَلَيْهَا جِهَاراً مِنْ زُهَيْر أَوْ أُسَيْدِ
فَإِمَّا تَثْقَفُونِي فَاقْتُلُوْنِي فَمَنْ أَثْقَفْ فَلَيْسَ إِلى خُلُودِ

وكان تألّي خالدٍ بجعلِ ذراعه من وراء عنق زهير حتّى يَقتله أو يُقتل دونه جاعلاً غطفان وزعيمها تحت رصد الأعين ، حتّى إذا ما نزل زهير رُكْبَة أدركه خالد بالنّفراوات فضربه على دماغه حين خرَّ عليه لمّا عُقرت فرسه ، واستنقذه ابناه بعد أن أثخنته الجراح التي مات منها[٢] ، وقد قال ورقاء بن زهير عن أبيه وندّه :

رَأَيتُ زُهَيْراً تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعَجُولِ أُبَادِرُ
إِلى بَطَلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلاهُمَا يُرِيْدَانِ نَصْلَ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ نَادِرُ
فَشُلَّتَ يَمِيْنِي يَوْمَ أَضْرِبُ خالِداً وَيَمْنَعُهُ مِنِّي الحَدِيْدُ المُظَاهِرُ

وقال خالد[٣] يمنُّ على هوازن أن تولّى زمام أمرها فأزال عنها ذلاً كان يخيم عليها زمناً :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرني هَوَازِنُ بَعْدَمَا أَعْتَقْتُهم فَتَوَالَدُوا أَحْرَارَا
وَقَتَلْتُ رَبَّهُمُ زُهَيْراً بَعْدَمَا جَدَعَ الأُنُوْفَ وَأَكْثَرَ الأَوْتَارَا
وَجَعَلْتُ حَزْنَ بِلادِهِم وَجِبَالَهُمْ أَرْضاً فَضَاءً سَهْلَةً وَعِشَارَا

وكان زهير يفعل الأفاعيل بغني أخوال خالد إثر مقتلها لولده " شاس "[٤] ممّا جعل الحرب مع غطفان أمراً لازماً وسبيلاً لازباً لإعلاء شأن القبيلة في مجتمعٍ هذا طريق مجده،

---

(١) الأغاني ٧٨/١١ .

(٢) العقد ١٣٥/٥ ، معجم ما استعجم ص ٦٧٠ .

(٣) الأغاني ٨٤/١١ .

(٤) الكامل لابن الأثير ٣٣٧/١ .

فكان أن انصبَّ خالدٌ على بني ذبيان في وادٍ اسمُه "حراض" قتل فيه الرجال وأثكل النساء، وصرع حينئذ زعيم ذبيان : (ظالم بن جذيمة المري) وخلّف بعده ابنه " الحارث " صغيراً وسط نساءٍ لا رجال لهنّ ، لا يجدن غيره يشدُّ عصاب الناقة ليحلبنها ، وهن يبكين رجالاً قتلتهم بنو كلاب يوم " ساق " ، وهو يوم " حراض " ، وفي هذا اليوم يقول خالد بن جعفر الكلابي[١] :

وَيَرْبُوعَ بْنَ غَيْظٍ يَوْمَ سَاقَ ... تَرَكْنَاهُمْ كَجَارِيَةٍ وَئِيْدِ
تَرَكْتُ بِهَا نِسَاءَ بَنِي عُصَيْمٍ ... أَرَامِلَ مَا تَحِنُّ إِلَى وَلِيْدِ
يَلِذْنَ بِحَارِثٍ جَزَعاً عَلَيْهِ ... يَقُلْنَ لِحَارِثٍ لَوْلا تَسُوْدُ

هذه المعارك جعلت تميماً تُقِرُّ لكلاب بالقوة ، حتى قال سيدهم : أمّا كلاب فكالحية إن تركتها تركتك وإن وطئتها عضّتك)[٢] .

ويسمق ذكر بني كلاب ، ويرحل زعماؤهم للحواضر ، فيُعرفون لدى الملوك ، ويُصبحون من ندمائهم ، ولقد كان مقدم زعيم بني كلاب : خالد بن جعفر على الأسود ابن المنذر أهم وفاداتهم ، إذ كان ذا أثرٍ بالغ في الأحداث التي أعقبت ذلك ، فقد وجد الكلابيون ابن عدوٍ قتلوه في " حُراض " ظنّوه قد مات ، فإذا هو ينبت ثانية في ابنٍ له يُدعى " الحارث " خَبَروه " صغيراً ، فأغاظهم كبيراً حين رأوه مُتَبوِّأً مكانة يُحسد عليها لدى الأسود بن المنذر ملك الحيرة ، فأرادوا لمزه ، فقال له خالد بن جعفر الكلابي : (يا حارث ألا تشكر يدي عندك إن قتلت عنك سيد قومك زهيراً وتركتك سيدهم ؟) فقال الحارث : (سأجزيك شكر ذلك) . ولّما خرج الحارث عاتب الأسودُ خالداً على تحرُّشه بضيفه ، فرد خالد قائلاً : (إنّما هو عبد من عبيدي لو وجدني نائماً ما أيقظني)[٣] . فلما أجنّهم الليل هتك الحارث قبة خالد فوجده نائماً فقتله وهرب ، وما إن سمعت كلاب بمقتل زعيمها حتّى أُسقِط في يدها فبكاه النساء وتعهد الرجال بثأره ، إذ قال عبد الله بن جعدة الكلابي[٤] :

---

(١) الأغاني ٨٤/١١ .
(٢) السابق ٨٦/١١ .
(٣) العقد ١٣٧/٥ .
(٤) السابق ١٣٨/٥ .

شَـقَّتْ عَلَيْـكَ العَامِرِيَّـةُ جَيْبَهـا ... أَسَـفاً وَمَـا تَبْكِـي عَلَيْـكَ ضَـلالا
يَـا حَـارِ لَـوْ نَبَّهْتَـهُ لَوَجَدْتَـهُ ... لا طَائِشَـاً رَعِشَـاً وَلا مِعْـزَالا
وَاغْرَوْرَقَـتْ عَيْنَـايَ لَمَّـا أُخْـبِرَتْ ... بِـالْجَعْفَرِيِّ وَسَـبَّلتْ إِسْـبَالا
فَلَنقتلَـنَّ بخَـالدٍ سَـرواتكم ... وَلَنَجْعَلَـنْ لِلظَّـالِمِيْنَ نَكَـالا
فَـإذا رأيتـم عـارضـاً مـتـهـلّـلاً ... مِـنّـا فَـإِنَّـا لا نُحَـاوِلُ مَـالا

وأخذت بنو كلاب تُعِدُّ العدة لتقتص لمؤسس مجدها فتولّى الأحوصُ بن جعفر القيادة وجمع حوله القبيلة وطلب سند الأعوان ، وكان يتسمَّع عن الحارث وملاجئه التي تؤويه ، ويأتيه أنَّ مُلحفيه أبوا أن يُسلِمُوه حتّى إذا ما عرف أنّ تميماً قد ألجأته ، وقام دونه زعيهما ابن زرارة ، مع تشاؤم قبيلته من مصادمة بني كلاب سار غازياً تميماً ، وما إن التقوا في " رحرحان " حتى كان أقسى الأيام بين تميم وكلاب ، انهزمت فيه بنو تميم وأُسِر سيدها معبد ابن زرارة ، أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر الكلابيّان[١] وطالت المداولات بين القبيلتين لفداء معبد ولم تفض لنتيجة ، بل مات معبد وسُبَّ بنو تميمٍ به ، فقال جرير[٢]:

وبِـرَحْـرَحـانَ غَـداةَ كُـبِّل مَـعْـبَـدٌ ... نَكَـحُـوا بَـنَـاتِـكُمُ بِـغَـيْرِ مُـهُـوْرِ

وفي هذه المعركة ظهر للكلابيين عدوٌ جديد وحلف جديد ، فقد دخلت تميم طرفاً في العداء ، وانضمّ ملك الحيرة إلى بني كلاب نُصرة لهم على مجير قاتل ضيفه وحامي لطيمته ، وقد كان الهجاء المتبادل بين الكلابيين والتيميِّين وعلى رأسهم يزيد بن عمرو الكلابي والنابغة الذبياني سِجلاً لتلك الفترة[٣] .

وعلى رأس الحول تجمع تميم جموعها لتنتصف لزعيمها ومذبحتها في " رحرحان " وهنا نشهد تآلفاً وتحالفاً بين القبائل النجدية ، فقد تفرَّقت غطفان بسبب حربهم في داحسٍ والغبراء ، إذ تحالفت عبس مع الأحوص الذي أجارهم بعد أن حاول ابنه عوف صدَّهم ، بينما تحالفت ذبيان مع تميم التي كثر أحلافها ، فقد انضمَّ إليهم بنو أسد ، وانحازت إليهم

---

(١) النقائض ص ٢٢٦ .

(٢) ديوان جرير ص ١٩٦ .

(٣) ديوان النابغة ص ١٤٧ .

الملوك ، فكان في صفّهم ملك هجر ، وملك الحيرة ، وابتلي قائد هوازن آنذاك : الأحوص ابن جعفر الكلابي بهذه الجموع التي انقضّت عليه ، وليس معه إلا غني وباهلة ورهط من بارق وبجيلة ، فأخذ يعجم الآراء فما يجد فيها صلباً أو حصيفاً حتى جاءَه فتى كلابي اسمه : عمرو بن عبد الله[١] بن جعدة برأي أعجبه وأنقذ القبيلة ، فما إن قَدِم لقيط حتى جعله طيشُه واعتزازه بجموعه يقتحم جبلة على بني كلاب وحلفائها فتنهلّ عليه من شعابها إبلٌ عطشى ، يحثُّها رجال ضنكى ، لا يردُّها شيء ، تُحطِّم ما أمامها ، لها دوي ، وغلمان من شاكلة هذا الغلام الأعسر الآخذ بذنب بعير أعور يحثه ويرتجز[٢] :

أَنَا الغُلامُ الأَعْسَرُ الخَيْرُ فيَّ والشَّرُ
وَالشَّرُّ فيَّ أَكْثَرُ

فكان بلاءً مشهوداً فعل فيه الكلابيون أعتى الأفاعيل ، منهم شريح بن الأحوص الكلابي الذي انكسر جزء من سيفه في رأس ابن الجون ، وطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي الذي أسر حسَّان بن الجون ، وعوف بن الأحوص الكلابي الذي أسر معاوية بن الجون وجزَّ ناصيته وأعتقه .

ولذا كان يوم جبلة مفخرة لبني كلاب إذ يقول أحدهم[٣] :

نَحْنُ رُؤُوْسُ القَوْمِ يَوْمَ جَبَلَة يَوْمَ أَتَتْنَا أَسَدٌ وَحَنْظَلَة

فقد عزّز مكانتهم وجعل السَّادة دون مُنازع .

وكان لبني كلاب في " يوم خزاز "[٤] اسم وذكر ، إذ تذكر بعض الرِّوايات أنَّ الذي أشعل النار على خزاز هو : الأحوص بن جعفر الكلابي ، فقد كان كبير نزار آنذاك ، وتابع بذرة بذرها أخوه خالد بن جعفر في يوم النفراوات لتتضرَّم النار بمن ساد وبغى من ملوك القبائل ، وفك الناس من أسرهم ، حتى تحررت قبائل مضر وربيعة من حكم كندة واليمن ،

---

(١) النقائض ص ٦٥٨ .

(٢) العقد ١٤١/٥ .

(٣) اللسان (صقيل) .

(٤) معجم البلدان (خزاز) .

غير أنهم صاروا يوالون ملوك الشمال ، ومن هنا تبرز وفادة قادة الكلابيين على ملوك الحيرة.

وعلى الحول من جبلة تتحالف بنو كلاب بزعامة عمرو بن الأحوص الكلابي مع قبيلة كندة وزعيمها حسان بن معاوية بن آكل المرار لغزو بني تميم ، إذ أحست كندة أنّها خُدعت من قبل تميم في يوم جبلة حين أسلموهم لبني كلاب يقتلون ويأسرون ، لكنَّ كلاباً رفقت بهم فأطلقتهم ، فكانوا ذوي يد عليهم ، جعلتهم يميلون إليهم ، فيغزون تميماً، ويلتقون بهم في " ذي نجب " فيصمدون دون ذراريهم ، ويكون بلاؤهم حسناً .

وكان فيمن قُتِل زعيم كندة (حسان) ، وزعيم كلاب (عمرو بن الأحوص) ويموت بعده أبوه أسفاً عليه ، ويقتل عبيدة بن مالك الكلابي ، ويؤسر يزيد بن الصَّعق الكلابي وعامر بن كعب الكلابي ، وفي هذا يقول سحيم بن وثيل الرِّياحي[١] :

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا هَامَةَ ابْنَ خُوَيْلِدٍ يَزِيْدَ وَضَرَّجْنَا عُبَيْدَةَ بِالدَّمِ

بِذِيْ نُجُبٍ إِذْ نَحْنُ دُوْنَ حَرِيْمِنَا عَلَى كُلِّ جَيَّاشِ الأَجَارِي مِرْجَمِ

ولم يكن ليوم ذي نجب شأن لولا فرسان بني كلاب الذي شهروا ذلك اليوم بأخبارهم فيه ، فعامر بن مالك (ملاعب الأسنة) وأخواه طفيل وعبيدة ما إن يُذْكَروا حتّى ينبثق عنهم يوم ذي نجب[٢] .

وقد أغارت تميم فيما بعد بقيادة زعيمها عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي على بني كلاب في يوم " الرَّغام " فهزموهم وقتلوا منهم : الحوثرة بن قيس الكلابي ، وأخذوا إبلهم[٣] .

وفي يوم " النِّسار "[٤] يقوم الحلف أيضاً بين الأعداء تميم وكلاب وأتباعهما مقابل تحالف أسد وطيء وغطفان لمّا رأت غياب أقوى عناصر بني كلاب وهم بنو جعفر، إذ كانوا منفيين إلى بني الحارث بن كعب وهذا ما هوّن على الأعداء النصر بجانب انفضاض تميم حين

---

(١) النقائض ص ١٠٧٩ .

(٢) معجم ما استعجم ص ١٢٩٧ .

(٣) النقائض ص ٤١١ .

(٤) السابق ص ١٠٦٤ ، العقد ٢٤٨/٥ .

استحرَّ القتل ، فكان أن تلاومت فصائل بني عامر ، كلاب تتهم قشيراً ، وقشير تتهم كلاباً، وعُدَّ من الفارِّين بعض زعماء بني كلاب ، منهم الطفيل بن مالك وجوّاب، ولم يذكر في الثبات وشدة البأس حين ذلك سوى بني ربيعة بن كلاب المسمى بـ "المجنون"، وفي هذا اليوم تقول الفارعة القشيريَّة :

زَعَمَتْ بُزُوْخُ بني كِلابٍ أَنَّهم ... هَزَمُوا الجَمِيْعَ وَأَنَّ كَعْبَاً أَدْبَرُوا
كَذَبَتْ بُزُوْخُ بَني كِلابٍ إِنَّها ... تَأْتي الضَّراء وبَظْرُهَا يَتَقَطَّرُ
حَاشَى بني المَجْنُون إِنَّ أَبَاهُمُ ... صَلْتٌ إِذَا سَطَعَ الغُبَارُ الأَكْدَرُ
مِنَّا فَوَارِسُ قَاتَلُوا عَنْ كلِّهم ... يَوْمَ النِّسَارِ وَلَمْ تُقَاتِلْ أَشْطُرُ

كما هجت سلمى بنت المحلق[1] بعض الكلابيين فقالت :

لَحَى الإِلَهُ أَبَا لَيْلَىْ بِفَرَّتِهِ ... يَوْمَ النِّسَارِ وَقُنْبَ العِيْرِ جَوَّابَا
كَيْفَ الفَخَارُ وَقَدْ كَانَتْ بِمُعْتَرَكٍ ... يَوْمَ النِّسَارِ بَنُو ذُبْيَانَ أَرْبَابَا
لَمْ تَمْنَعُوا القَوْمَ إِذْ شَلُّوا سَوَامَكُمُ ... وَلا النِّسَاءَ وَكَانَ القَوْمُ أَحْزَابَا

وإذا كان الهجاءُ صادراً عن النساء فمعنى هذا أنَّ الرِّجال كلَّهم ملومون ، واقعون تحت وطأةِ هزيمتهم متساوون في ذلك .

ثمَّ يتولّى قيادة القبيلة كلابي آخر هو أبو براء عامر بن مالك يُغير بجمعه على بني تميم ألدّ الأعداء حين منعت على كلاب وغيرها خصباً ظهر في ديارها تناوشته نعم القوم ، فتشق كلاب بسيوفها طريقاً إليه ، يكون من أعتى أيامها عرف بيوم " السُّلان " أو السُّوبان "[2] يُبلي فيه زعيمها " عامر " بلاءً حسناً ، يُسمَّى على إثره " ملاعب الأسنة " ، وتهزم تميم مع مؤازرة ملك الحيرة لهم ، وانضمام ابن وبرة وضبّة إليهم ، فيأسر حسّانَ بن وبرة أخا النّعمان لأُمّه يزيدُ بن الصَّعق ثم يطلقُه بفداءِ ملك يُغنيه ، ويطمعه في أموال الملوك فيغير على إبل النّعمان المسمَّاة بـ " العصافير " فيأخذه .

---

(١) النقائض ص ٢٤٢ .

(٢) السابق ص ٢٨٦ ، العقدة ص ١٧٧ ، معجم ما استعجم ص ٧٠٩ . (السلان) .

وتستمر قيادة أبي براء (عامر بن مالك) لقبيلة كلاب خائضاً بها معارك النّصر ، ومن ذلك يوم " قراقر " الذي أَسَرَ فيه عامرُ بن مالك حبيشَ بن الدُّلف الضَّبيّ[١] .

ويحصل التقارب بين قريش وكلاب حين سيَّر النعمان أتباعاً له وموالين لحماية تجارته ، فعلمت قريش بنوايا الملك في بني عامر فقام عبد الله بن جدعان وأخبر بني كلاب زعماء القبيلة ، مما جعلهم يتهيأون للقاءٍ كان شديداً تغلب فيه ملاعب الأسنة وقومه على لفيف النعمان[٢] .

وتأخذ صلة بني كلاب بملوك الحيرة وضعها أيام خالد بن جعفر فتعود قويّة وخاصة بعد وفادة أبي براء على النعمان إذ صَار النعمان يُقرِّب رجال بني كلاب ويعهد إليهم بحماية قوافله لثقته بهم ، مما خلق للكلابيين حسدة ، فحين أَجار عروة الرَّحال بن عتبة الكلابي لطيمة النعمان بن المنذر أغاظ ذلك البراض الكناني ، إذ قلل ذلك من شأنه وشأن قبيلته ، فقال لعروة مُسْتهيناً : أتجيرها على كنانة ؟! ، قال : نعم ، وعلى الخلق كُلِّه ، ثم ساق اللطيمة ومضى يريد عكاظاً ، حتى إذا كان ببعض الطريق أصاب منه البراض غفلة فقتله في الشهر الحرام ، فيبلغ قريشاً حليفة كنانة مقتل عروة فتهاب كلاباً وترتحل تريد دخول الحرم فتدركها كلاب بنخلة فيقتتلون حتى أَظلم عليهم الليل فتتسرّب إِبّانة قريش إلى الحرم فيُمسكون عنهم أندادهم ، فيكون ذلك أول حروب الفجار الثانية[٣] ، وقد طُعِن أبو براء في هذا اليوم ، إذ طعنه النبي ﷺ وكان مع أعمامه يناولهم النبل[٤] .

ويكبر أبو براء فيحلُّ محلَّه قائد جديد فيه طموح وبه كبرياء ، هو عامر بن الطفيل الذي استطاع أن يتولى زمام القبيلة بعد مشادات كلامية ومنافرات طويلة بينه وبين علقمة بن علاثة فيمن هو أولى بالزَّعامة[٥] .

---

(١) الديباج ص ١١٣ .

(٢) الكامل لابن الأثير ٣٩١/١ .

(٣) السيرة النبوية ١٨٤/١ . العقد ١٥٣/٥ .

(٤) الأغاني ٧٩/٢٢ .

(٥) كان أوج تلك المنافرات ونهايتها بعد فيف الريح .

قاد عامر قبيلته إلى معارك كثيرة غير أنَّ الشؤم كان يرافقه فيها ، منها يوم " الرَّقم " وهم يوم " يأجج " ويسمى " ساحوق "[١] فقد غزا عامر غطفان لحدة ما بينهما من بغضاء، حتى إذا بلغوا وادياً اسمه " الرقم " التقوا ببني مرة بن عوف ، وقوم من أشجع غطفان ، وناس من فزارة ذبيان فهجموا عليهم ، فكان القتال شديداً انهزم فيه عامر ، وكان الذبح والأسر في قومه بالغاً ، ولذا سُمِّي بـ " يوم ساحوق " فقد كان للهزيمة وقع شديد على نفوس الكلابيين ، إذ خنق الحكم بن الطفيل نفسه خوف عار الأسر ، وهرب الكثير فماتوا من العطش في يوم شديد الحر ، حتى قال فيهم عروة بن الورد :

عَجِبْتُ لَهُم إِذْ يَخْنِقُوْنَ نُفُوْسَهُمْ وَمَقْتَلُهُمْ تَحْتَ الوَغى كَانَ أَجْدَرا

وأعقب هذا مناوشات شعرية ابتغت منها كلاب النَّصفة لما لحق بها ، فانبرى النابغة الذبياني[٢] ينحو بالمتهاجين منحى العقل ، إذ يقول لعامر بن الطفيل :

إِنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلاً فَإِنَّ مَظِنَّةَ الجهلِ الشَّبَابُ
فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَو تَنَاهَى إِذَا مَا شِبْتَ أَوْ شَابَ الغرابُ
فَكُنْ كَأَبِيكَ أو كَأَبي بَرَاءٍ تُوافِقْكَ الحُكُوْمَةُ والصَّوَاب

وتخرج بنو كلاب تريد الثأر لنفسها عمّا أصابها في يوم الرَّقم ، فتصادف نعماً لعبس وذبيان وأشجع فتستاقها معها ، ويعودون راجعين لديارهم فيضلون الطريق ويسلكون وادي النُّتأة[٣] ويمعنون فيه حتى تصكُّ عليهم الجبال فلا يجدون مخرجاً فيرجعون من حيث أتوا، فيرون خيّالة قد طلعوا عليهم يريدونهم فيحثون السير يبتغون مجالاً للخيل فيُدركون في الوادي فإذا هو الربيع بن زياد في جمعٍ من عبس ، وكان عامر قد فات القوم فلمَّا حبس عنه رفاقه عاد فقاتل معهم فطعن ضبيعة بن الحارث وفيه يقول[٤] :

---

(١) العقد ٥/١٦٠ . الكامل لابن الأثير ١/٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١٥٥ .

(٣) العقد ٥/١٦١ ، الكامل لابن الأثير ١/٣٩٥ .

(٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٢٣ .

فإن تَنْجُ مِنْهَا يَا ضُبَيعَ فَإِنني وَجَدِّكَ لَمْ أَعْقِدْ عَلَيْكَ التَّمَائِمَا
فَأَنْزَلْتُهُ إِنْزَالَ مِثْلِيَ مِثْلَهُ بِنَجْلاءَ بَلَّتْ ظَهْرَهُ وَالمَآكِمَا

ولم يفلح عامر ومن معه ، فقد هزموا ، وقُتِل من زعماء بني كلاب براء بن ملاعب الأسنة ، وولد لخالد بن جعفر وعبد الله بن الطُّفيل أخو عامر ، وفيهما يقول خراشة بن عمرو العبسي :

وأَسْلَمْتَ عَبْدَ الله لَمَّا عَرَفْتَهُمْ وَنَجّاكَ وَثّابُ الجَراميز ضَامِرُ
قَذَفْتَهُمُ فِي المَوْتِ ثُمَّ خَذَلْتَهُمْ فَلا وَأَلَتْ نَفْسٌ عَلَيك تُحَاذِرُ

وتستمر قيادة عامر بن الطفيل الكلابي لقبيلته ، فحين مبعث النبي ﷺ يواجه قبائل الجنوب (مَذْحج) من بني الحارث وجعفي وزبيد وسعد العشيرة ومراد وصداء ونهد ، ومعهم خثعم (شهران وناهس وأكلب) التي قصدت عامراً ومن معه لقتلى عندهم ، في مكان اسمه " فيف الرِّيح "[1] كانوا ينتجعونه ، فلمَّا بلغوهم أشار عامر بالغارة عليهم فأطاعوه ، فما كان من خثعم إلا أن هربت عن مذحج ، واقتتل القوم ثلاثة أيامٍ أغنت فيها فرسان بني كلاب ، منهم أربد بن قيس وعبد عمرو بن شريح[2] والصميل بن الأعور وحسيل بن عمرو ، ولقد بلغ من شدة القتال أن طُعن عامر ما بين نحره وسرته عشرين طعنة ، غير أنّه انتصر هو وقومه في النهاية ، وأسروا سيد مراد ، وكان لبني نمير مع إخوتهم الكلابيين موقف صامد ، ظهر فيه سندهم .

ويعتبر يوم " فيف الرِّيح " أهم أيام الكلابيين التي كانت مجالاً للفخر والاعتزاز ، إذ يقول أبو دوآد الكلابي[3] :

أَتَانَا أَنَّ بِالخَرْمَاءِ مِنْهُمْ سَوَامَهُم وَدُوْنَ الفَيْفَ شَاءُ

---

(١) النقائض ص ٤٦٩ ، العقد ٢٣٥/٥ ، معجم ما استعجم ص ١٠٣٨ ، الكامل لابن الأثير ٣٨٧/١ .

(٢) هو القائل :

طلقت إن لم تسألي أي فارسٍ حليلك إذ لا قى صداءً وخثعما .

أسماء خيل العرب ص ١٣٧ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٥ .

فَوَجَّهْنَا كَتَائِبَ غَيْرَ مِيلٍ وَلا كُشُفٍ إِذَا كُرِهَ اللِّقَاءُ

واتصل بهذا اليوم جولات في مواضع مجاورة لفيف الريح منها يوم بضيع ويوم الذهاب ويوم الأجشر ويوم العرقوب .

ولم تكن تلك كلُّ أيام الكلابيين ، فهي أكثر من ذلك، غير أني سقت المشهور منها، وما هو تحت إمرة قادتهم لأُفيدَ بِأنَّ هذه القبيلة لم تكن لتحقّق انتصاراتها لولا اجتماع فصائلها وتساندها ولذلك حين انفصل بنو جعفر عن إخوتهم من بني كلاب كانت وقعة " يوم النّسار " بعد انخزال الجعفريين عن قبيلتهم وتحالفهم مع بني الحارث مما أوهنهم أمام أعدائهم الذين لم تخلُص لهم المعارك بل قذفت بالإخوة إلى أُتونها ، واصطلوا بنارها ، فوقعت بينهم حروبٌ دامية ، جعلتهم شتاتاً ، كما في حديث " ابن ضبا "[1] الذي كان سبباً في الوقيعة بين الأخوين أبي بكر بن كلاب وجعفر بن كلاب ، إذ أنَّ سعدبن ضبا الأسدي جار بني جعفر قتلته بنو أبي بكر بن كلاب بقتيل لهم في بني أسد ، فدفع بكري صهر لبني جعفر اسمه : مالك ابنه رهناً في دية الأسدي ، فلم يكتفِ الجعفريُّون بهذا لكبريائهم بل أخذوا ربيعة الشَّر البكري وقيَّدوه لديهم ، فغضب صهرهم مالك فقام إليهم ساخطاً فأعطوه ابنه وأبقوا ربيعة الشَّر في قيده حتّى أدّى بنو بكر الدِّيةَ ، فانبرى الهِصَّان أخو ربيعة يُطالب بإسار أخيه أو التحكيم ، فدفع عوف بن الأحوص ابنه دأب له فأبى ، فحكم لأخيه بأربعين من الإبل ، فلم يقف الشر عند هذا بل تجدَّد بقتل بني جعفر لرجل من بني أبي بكر بن كلاب ، ولم يرضوا بحكم جوّاب في تكافؤ الدِّماء ، فاشتعلت النار بين الحيين ، فخُذِل الجعفريون فما كان منهم إلا أن نزلوا على حكم جوّاب الذي نفاهم عن قبيلتهم ، فخرجوا إلى بني الحارث ابن كعب فحالفوهم حولاً ، فلمّا أحسوا أنَّهم سيكونون أذناباً في بني الحارث عادوا لقبيلتهم وتحمَّل عنهم جوّاب الدِّيات .

٥ ـ بنو كلاب في الإسلام :

لَمَّا بُعث النبي ﷺ كان أبو براءٍ عامر بن مالك زعيم كلابٍ قد أَسنَّ وأصابه المرض،

---

(١) النقائض ص ٥٣٢ .

فسمع بنبي في المدينة يُعالج الأرواح والأبدان ، فأرسل إليه أنْ جد لي بدواء ، فبعث إليه الرسول ﷺ بعكة عسلٍ ، كان بها البرء ، فأراد عامر أن يعرف كُنْهَ هذا الرّجل فقدم عليه، وأهدى له هدية رفضها رسول ا لله ﷺ وعرض عليه الإسلام لكنّه أبى ، وتكفّل بحمايةِ من يُرسِلُهم ﷺ إلى قبيلته للدعوة ، فلمّا وصل رهط الدّعوة اعترضهم ابن أخي عامر : عامر بن الطفيل وكان يُدَبِّر أمر القبيلة عن عمِّه المُسنِّ ، ونادى في بني كلاب فما أطاعه منهم إلا نفر قليل ، وهبَّت بنو عُصَيَّة ورعل وبنو ذكوان السُّلَميين معه فقتلوا الدُّعاة على بئر معونة[١]، وذلك سنة ٤ هـ .

وقبل توجه الرسول ﷺ إلى حنين كان قد أَمّر على بني كلاب ومن يليهم من بني سليم الضَّحاك بن سفيان الكلابي سيّاف النبي ﷺ فيما بعد وقد بقي فيهم إلى زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢] ، وقد يكون لتأثيره وتأثير المسلمين غيره فضل في عدم مشاركة بني كلاب في غزوة حنين ، ولذا فُلّ في عَضُد هوازن ، وكان في كلمة دريد بن الصمة دليل على مكانة كلاب وأثرها في الحروب ، إذ يقول مُستفهِماً عمَّن حضر حنيناً من القبائل : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحدُّ والجِدُّ[٣] ، ولو كان يومَ علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب[٤] وحين أقام الرسول ﷺ بالجعرانة عائداً من حنين أخذ يُقسِّم الغنائم على رؤساء القوم ليأتلف بها قلوبهم، وكان ممن أعطى عليه السلام بعض بني كلاب وفيهم علقمة بن علاثة ولبيد بن ربيعة[٥] ، وأقطع بعضهم ضريَّة واستوطنوها .

ويأتي وفد بني كلاب إلى رسول ا لله ﷺ عدته (خمسة وعشرون رجلاً من بني جعفر وبني أبي بكر وغيرهم من بطون بني كلاب فيهم عامر بن مالك بن جعفر ، وأنّه نظر إليهم فقال: قد استعملت عليكم هذا ، وأشار إلى الضَّحاك بن سفيان ، فقال له عامر بن مالك :

---

(١) السيرة النبوية ١٨٤/٢ ، الإصابة ٥٩٩/٣ ، ٢١٧/٧ .

(٢) تاريخ المدينة المنورة ص ٥٩٨ .

(٣) الحد : الشجاعة والحدة .

(٤) السيرة النبوية ٤٣٨/٢ .

(٥) السابق ٤٩٥/٢ .

أفتخرجني من الأمر ؟ قال : فأنت على بني جعفر، ثم أوصى بـه الضّحـاك ...)[١]، وكـان الرسول ﷺ قد بعثه إلى قومه ليدعوهم للإسلام فأجابوه ودخلوا في دين ا لله جميعاً .

ووفد عليه عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط فاستقطعه عليه السلام حمى بـين الشـقراء والسعدية[٢] ، سكنه زمناً هو وولده ، ويفد عليه العاصي بن عامر الكلابي فيسأله ﷺ عـن اسمه فيجيب العاصي ، فيسميه عليه السلام مطيعاً[٣] .

ويأتيه مولة بن كثيف الكلابي وهو ابن عشرين سنة فيمسح يمينه عليه الصلاة والسـلام ويقدم إليه قلوصاً صدقة[٤] .

كما قدم على رسول ا لله ﷺ من بني كلاب عامر ابن الطفيل يريـد الغـدر بـه بعـد أن نصحه عقلاء قومه بالإسلام فأبى ، وقال : (وا لله لقد كنت آليـت أن لا أنتهـيَ حتـى تتبـع العرب عقبي ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ؟!)[٥] واتفق مع أربد بن قيس الكلابي على أنَّ يعلو رسول ا لله بالسيف حين يُشْغِلُه عنه فحمى ا لله نبيـه ﷺ ، ويُذكـر أنّهمـا أتيـا رسول ا لله فلقيهما (ووسَّد عامراً وسادة وقـال: أسـلم يـا عـامر ، قـال : علـى أن تجعـل لي الوبر، ولك المدر ، فـأبى رسـول ا لله ﷺ ، قـال : فعلـى أن تجعلـني الخليفـة بعـدك ، إنْ أنـا أسلمت ، قال : لا ، قال : فما الذي تجعل لي ؟ قال : أَعِنَّـة الخيـل ، تقـاتل عليهـا في سـبيل ا لله، قال : أو ليست أَعِنَّة الخيل بيدي اليوم ؟ وولّى عامر مُغْضَباً وهو يقول : لأملأنَّها عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً ، ولأربطنَّ على كلِّ نخلةٍ فرساً ...)[٦] ، ودعا عليه الرسـول ﷺ وعلى صاحبه أربد ، فمات الأول بغدّة ومات الثاني بصاعقة .

وما زواج رسول ا لله ﷺ من أم المساكين العالية بنت ظبيان الكلابية[٧] إلا دليل على

---

(١) تاريخ المدينة المنورة ص ٥٩٨ .
(٢) الإصابة ٦٤٢/٤ .
(٣) السابق ١٣٥/٦ .
(٤) الإصابة ٢٣٥/٦ .
(٥) السيرة النبوية ٥٦٨/٢ .
(٦) الفرج بعد الشدَّة ١٣٦/٣ .
(٧) الإصابة ١٦/٨ .

اندماج القبيلة في المجتمع الإسلامي الجديد .

ويموت رسول الله ﷺ فترتدُّ غالبُ قبائل العربِ عن الإسلام ، وممن ارتد قبيلة بني كلاب وكان كبيرهم في ذلك علقمة بن علاثة الذي أسلم في عهد رسول الله ﷺ ، وخرج بعد فتح الطائف إلى الشام فلمّا توفي النبي ﷺ عاد مسرعاً حتّى عسكر في بني كعب ، وهو متردد ، فبلغ خبره أبا بكر رضي الله عنه فأرسل إليه سرية عليها القعقاع بن عمرو ، وأمره أن يُغير على علقمة فيأخذه أو يقتله ، فيُغير القعقاع على علقمة فيفوته ، ويأتي بولده إلى أبي بكر فينفون موافقتهم لأبيهم ، ويُسلم الأب فيما بعد ويُقبل منه[١] .

ولم تكن كلُّ كلاب قد ارتدَّت ، ففيها نفر بقوا على إسلامهم منهم معاذ بن يزيد بن الصَّعق الكلابي الذي جمع قومه وخطب فيهم خطبةً يحرِّضُهم فيها على الرجوع للإسلام ويقبِّح عليهم الرِّدة ويقول : يا معشر هوازن إنكم عثرتم في الإسلام خمس عثرات ، والله لترجعن إلى ما خرجتم منه أو لتؤخذن أخذة أهل بدر فلا يقبلون منه فيرتحل بأهله وبمن أطاعه[٢] ، ومنهم من شارك في حروب المرتدة فهذا عبد الله بن حذف الكلابي يذهب إلى البحرين فيحاصر مع المسلمين في جواثا[٣] .

ويولِّي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الكلابيين من صحابة رسول الله ﷺ ممن نافح عنه في مجلس هرقل وهو علقمة بن علاثة على ناحية بالشام اسمها " حوران " كان عليها علقمة إلى أن مات ، وكان قد قصده الحطيئة بمدحةٍ فلم يوافه حيّاً[٤] .

ولم يكن عمر ليولِّيهم إلا لما رأى فيهم من قوة وأمانة ، فأبو المختار (يزيد بن قيس ابن الصَّعق)[٥] هو أول من يقلقه فساد الولاة ، فيرفع بأمرهم إلى الخليفة .

وكان ممن شارك في فتوحات العراق وشهد الحيرة والقادسية من بني كلاب الأشعث بن

---

(١) تاريخ الطبري ٢٦٢/٣ .

(٢) الإصابة ٣٠١/٦ .

(٣) فتوح البلدان ص ٩٤ .

(٤) جمهرة النسب ص ٣١٥ ، معجم البلدان (حوران) .

(٥) الأوائل لأبي هلال ٢٤٧/١ .

عبد الحجر بن سراقة[١] .

ويعجب بهم عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيتزوج منهم أُمَّ البنين بنت حزام من بني الوحيد فتلد له العباس وجعفراً ومحمداً الأصغر وعبد الله وعثمان ، وقد قتلوا مع أخيهم الحُسين[٢] .

ويناصر شبيب بن جراد الكلابي الحسين بن علي ، فيقف في صفّه إلى أن قُتل الحسين رضي الله عنهم[٣] ، وكان ممن شارك في قتله كلابي آخر هو شمر بن ذي الجوشن الضِّبابي[٤] .

٦ ـ بنو كلاب في العصر الأُموي :

حين كان النزاع بين علي بن أَبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنهما ، برز في صفِّ الأخير بعضُ الكلابيين ، فلمّا كانت دولة بني أُمية قَرَّبَ ولاتُها من ساندهم ، فزفر ابن الحارث الكلابي كان مع معاوية في وقعة صفين ، قائماً على أهل قنّسرين[٥] بعد أن كان مع عليٍّ في وقعة الجمل ، وتزوَّج مسلمةُ بن عبد الملك ابنته[٦] فكانت صلة آل زفر بالبيت الأُموي أقوى ، مما جعل مُناصرة الكلابيين لبني أُمية تبلغ حدَّ التَّضحية في مقتل الحسين فيكون من بني كلاب من تصدّى له وشارك في قتله ، فشمر بن ذي الجوشن الضِّبابي الكلابي[٧] يقترن اسمه دوماً بقتل الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عام ٦١ هـ ، كما كان زواج مروان بن الحكم من قطية بنت بشر بن عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) وولادتها لبشر[٨] ابن مروان مُؤَكداً عمق الصِّلة بين بني كلب وخلفائهم ، التي نرى من مظاهرها

---

(١) جمهرة النسب ص ٣١٦ .
(٢) السابق ص ٣٢٨ .
(٣) الإصابة ٥٣٣/١ .
(٤) المعارف ص ٥٨٢ .
(٥) وقعة صفين ص ٢٠٦ .
(٦) رسائل الجاحظ (كتاب الحجاب) ٧٧/٢ .
(٧) المعارف ص ٥٨٢ .
(٨) جمهرة النسب ص ٣١٩ .

ولاية المهاجر ابن عبد الله الكلابي لليمامة[١] في خلافة هشام والوليد بن يزيد .

لكن زفراً يخرج فيما بعد على الأُمويين إلى الزُّبيريين[٢] ، فيحاصره عبد الملك ابن مروان ثم يؤمِّنه[٣] .

وولّى يزيد بن عبد الملك بعضاً من الكلابيين على خراسان والسند ، منهم أسلم بن زرعة[٤] وولده .

وكان آخر الولاة لبني أُمية من بني كلاب هو نباتة بن حنظلة الكلابي الذي كان على جرجان ، وقاتل دعاة بني العباس حتى قُتل[٥] .

وشارك كثير من الكلابيين الأمويين ضد الروم ، فهذا عبد العزيز بن زرارة الكلابي يموت في غزوة له مع يزيد بن معاوية[٦] ، وهي وقعة القسطنطينية[٧] ، فينعاه معاوية لأبيه.

ويغزو هبيرة بن مشمرج الكلابي الصِّين مع قتيبة بن مسلم الباهلي فيوفده قتيبة رسولاً ونذيراً لملك " كاشغر " ، فيؤدى الرسالة ويُعجب به الملك ، ثم يبعثه قتيبة إلى الوليد بن عبد الملك ليزفّ إليه أخبار الانتصارات[٨] ، غير أنَّ المنية واتته بفارس .

وفي الأندلس يشتهر الصُّميل بن حاتم الكلابي ، إذ كان شيخاً للمضرية في الأندلس واتخذه يوسف الفهري سلطان الأندلس في عهد الولاة وزيراً له[٩] .

---

(١) النقائض ص ٩٣٤ .

(٢) نقائض جرير والأخطل ص ٦ .

(٣) أنساب الأشراف ٣٠٥/٥ .

(٤) جمهرة النسب ص ٣٢٢ .

(٥) تاريخ الطبري ٤٠١/٧ .

(٦) جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٣ .

(٧) الإصابة ٥٥٩/٢ .

(٨) الكامل لابن الأثير .

(٩) الحلة السيراء ص ٤٩ .

أما بنو كلاب الذين بقوا في ديارهم فلم يكن لهم شَأْنٌ يذكر ، بل لي أن أقول إنهم عادوا لما نُهوا عنه من عادات الجاهلية ، ولأُدلِّل على ذلك أسوق واقعتين تُظْهِرَان تنازعهم وهم إخوة ، فإذا كان تنازعهم على " قُنَيع "[1] قد أَفْضَى إلى سِلم ، بعد أن كاد بنو جعفرٍ وبنوا أبي بكر الكلابيين يقتتلون ، فما ذلك بنهجٍ لهم ، فقد اقتتلوا أيّام عبد الملك بن مروان، حين كان بعض الجعفريين رعاة في أرض لجحوش بن عمرو[2] ، فأراد إخراجهم منها فقاتلوه ، ولذا يقول القتال الكلابي[3] مُحَرِّضاً :

فَيَا لأَبي بَكْرٍ وَيَا لجحوَّشٍ ... وَ للهِ مَوْلَى دَعْوَةٍ لا يُجَابُهَا

أَفي كُلِّ عَامٍ لا تَزَالُ كَتِيْبَةٌ ... ذُؤَيْبِيَّةٌ تَهْفُو عَلَيْكُم عُقَابُها

لَهُمْ جَزَرٌ مِنْكُم عَبِيطٌ كأنّه ... وقَاعُ الملوكِ فَتْكُهَا وَاغْتِصَابُها

وَأَنْتُم عَدِيْدٌ في حَدِيدٍ وشِكَّةٍ ... وَغَابٍ رِمَاحٍ يُوْجِفَ القَلْبَ غَابُهَا

والواقعة الثانية ما كان بين الضِّبابا وجعفر ، حين احتفر الجليح الجعفري بئراً في هراميت فنزل عليه الأسود الضِّبابي فشجَّه وحذم أُذنه ، فأبت بنو جعفر إلا أخذ غريمهم عنوة لبذخهم ، وكان قد دُفِع إليهم ، فالتقوا على هراميت فاقتتلوا ثم افترقوا ، حتى عادت بنو جعفر مرة أُخرى للضِّباب فقتلوا منهم اثنين وجداهما في الطريق ، ثم واصلوا يريدون مجمع الضِّباب ، فما إن وصلوهم حتى قتلوا فيمن وجدوا ، وعادوا ، فاستجمع الضِّبابيُّون رجالهم ولحقوا بني جعفر فكان القتال بينهم شديداً ، انهزمت فيه بنو جعفر وطُرِدوا مسافة خمسة أميالٍ ، فاحتمل الضبابيون قتلاهم ، وهاب الجعفريّون العودة لحمل قتلاهم من أرض المعركة ، فبعثوا نساءَهم ، فلما تولّى عبد الملك الخلافة أخذ رؤوس الفريقين فحبسهم لعودتهم لأمر الجاهلية ، وقتل من أصحاب الأفاعيل درّاج الضِّبابي[4] .

---

(١) معجم ما استعجم ص ٨٦٢ .

(٢) الأغاني ١٩٣/٤ .

(٣) ديوان القتال ص ٣٣ ، وفيه : عقيلية بدل ذؤيبيَّة .

(٤) النقائض ص ٩٢٧ .

الفصل الثاني

شعراء القبيلة

تمهيد :

بلغ عدد من أحصيت من شعراء بني كلاب ما يقرب من مئة وخمسين شاعراً عاشوا في العصور الثلاثة الأولى ، عصر الجاهلية ، وعصر صدر الإسلام ، والعصر الأموي ، منهم من هو مكثر في شعره ، ومنهم من هو مُقِل ، ومنهم من لم أجد له إلا البيت أو البيتين ، وفيهم من لم يرد له من الشِّعر شيء ، فلم أكن لأفطن إلى شاعريته لولا ما وجدت في بعض المصادر من نَصٍّ على أنَّه شاعر أو ما يفيد بذلك . وقد يكون في بُعْدِ القبيلة عن مواطنِ الثقافة آنذاك سببٌ في الجهل بكثيرٍ من شعرائها وخاصة من لم يرحل منهم ، ولذلك لم يصلنا إلا القليل من أخبارهم والنُّتف من أشعارهم ، كما أدّى ذلك إلى غُموض أَزْمَانهم ، فَقَلَّما أشار إليها من ذكرهم ، فما تكاد تبين إلا من خلال خبر أو ملمح في شعر ، وربّما خفيت .

إنَّ شحَ المصادر في الإبانة عن هذه القبيلة وخاصة شعراءها قد جنى على تراجم الكثير منهم ، فلم تكن المعلومات عنهم وافية ، كما قد تعذَّر الحصول على ما يكشف عن حياة بعضهم .

وانتفى من الترجمة من لا يحتاجها ممن اشتهر فكُتب عنه كلبيد بن ربيعة ، والقتَّال الكلابي ، وما التَّراجم الواردة هنا إلا عصارة كتبٍ عديدة ، ما تيسَّر منها رأيته فضلاً أستزيده كلَّ يوم إن شاء الله .

١ ـ الأجْلَح بن قاسِط الضِّبابي :

اسمه الأجلح، وجاء في التاج الجلاح ، وسُميَّ الخطيم .

لأسرته « بني قاسط » مياه في حمى ضرية ، من ديار الضِّباب .

كان حيّاً أيام فتنة ابن الزبير ، إبّان حكم مروان بن الحكم لدولة بني أُميّة ، وخلافة ابنه عبد الملك بن مروان له ، إذ شارك في يوم هراميت الذي وقع بين قومه (الضِّباب) وبني جعفر، وعُرِف يومئذٍ بفروسيته ، فقد أبلى بلاءً حسناً ، وكان ممن تبع بني جعفر حين فرارهم ، راكباً صهوة جواده ، مُعلياً صوته بأبياته المشهورة :

لا تَسْقِهِ حِزْرَاً وَلا حَلِيْبَا إِنْ لَمْ تَجِدْهُ سَابِحَاً يَعْبُوْبَا

كَالذِّئبِ يَتْلُو طَمَعَاً قَرِيْبَا عَلَى هَرَامِيْتَ تَرَى العَجِيْبَا

أَنْ تَدْعُوَ الشَّيخَ فَلَنْ يُجِيْبَا

حتّى إذ لحق بالكروّس ومِعْتَر الجعفريّين طعنهما بسيفه ، وخلّفهما وراءَه يريد حُميضة ابن بُحير يسوق به ابناها آخر الليل ، هاربين به ، فلما أدركهما تجاوز على الشيخ يبغي جزره ، فحماه ولداه ، وفيما هو يحمل عليهما أبصر حاجب بن حميضة لسيفه موضِعاً في صدره ، كانت قد نبّهته إليه ابنته فتجاهله ، فطعنه حاجب حينئذٍ فقضى عليه ، وأخذ فرسه .

---

١ ـ النقائض ٩٢٩/٢ ، تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٣٨٨ ، الزاهر لأبي بكر الأنباري ٣٦٢/١ ، شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٣٥ ، معجم ما استعجم ص ١٧٢ ، ٨٦٥، ٨٧٠ ، لسان العرب (جبب ، جون) ، تاج العروس (رمل) .

٢ ـ الأَحوص بن جعفر الكِلابي :

هو : ربيعة بن جعفر بن كلاب .

لُقّب بالأحوص لضِيق عينيه ، كأنّهما مخيطتان .

وصفه ابن الكلبي فقال : « كان أرمض ، صغير العينين » .

كان حكيماً يستظل بظلّه ، ويؤخذ برأيه ، جعله كليب صاحب الرياسة ، وهو يومئذ شاب .

وكان سيداً ، قد رأس قومه ، وقاد هوازن وعبس وغنيّ وباهلة يوم جَبَلة ، وغزا بعامر بني دارم طلباً لثأر أخيه خالد فكان بطل رَحْرحان ، شهدها وقد سقط حاجباه ، ويروى أنّه الذي اسر مَعْبد بن زرارة ، هجاه الأعشى فقال :

أتاني وَعِيدُ الحُوص من آلِ جعفرٍ ... فيا عبدَ عمروٍ لو نهيتَ الأحاوصا

ومدحه عمرو بن مَرثد فقال :

أتاها مِنَ الأنباءِ أنَّ ابنَ جَعْفَرٍ ... رَبيعَةَ لم يُخْضِرَ خُضَارة مُلْبِدِ

أَجَادَتْ بِهِ إِحْدَى غَنِيّ لِجَعْفَرٍ ... إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمِرْبَدِ

يُشير إلى أنَّ أُمّه غنوية .

---

٢ ـ جمهرة النسب ص ٣١٤ ، الدِّيباج ص ٩٢ ، النقائض ص ٢٢٦، ٤٢٦، ٦٥٥، ١٠٦٠، طبقات فحول الشعراء ص ١٦٥ ، المحبّر ص ٢٤٩، ٢٥٤ ، الاشتقاق ص ٢٩٦، معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٠٧ ، جمهرة أشعار العرب ص ٢٩١ .

٣ ـ أَرْبَد بن قَيْس الجَعْفَري :

هو : أربد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جَعفر بن كلاب ، أخو لبيد بن ربيعة لأُمِّه ، كنيته « أبو الحزّاز » سمّاه المرزباني في معجمه : « عمرو بن زهير بن جذيمة[1] بن جزء بن خالد بن جعفر » ، كُنّي بأبي الحزّاز ، وبأبي المغوار .

له ولد شاعر اسمه « زرّ » ، وله ابنة ذكرها لبيد في شعره .

عيّره مالك بن نويرة التّميمي هو وأباه في أبياتٍ شعر .

شارك في يوم الرَّغام (الجونين) ، وأبلى في حرب فيف الرِّيح .

كان ضمن وفد بني كلاب إلى رسول ا لله ﷺ.

تآمر مع عامر بن الطُّفيل لقتل النبي عليه الصلاة والسلام ، عامر يُشغِلُه ، وأربد يعلُوه بالسّيف ، فلما قدما عليه طلب عامر النَّجوى برسولِ اللهِ ، وأخذ يُكلِّمُه ، وينتظر من أربد ما أَمره به ، غير أنَّ أربد لم يصنع شيئاً ، حتّى إذا ما خرجا تقابلا يتعاتبان ، عامر يتّهم أربد بالجبن ، وأربد يدفع ذلك ، فما إِن يرفع السيف حتّى يحول عامر بينه وبين مراده .

وقد أصابتهما دعوة رسول ا لله ﷺ، فمات عامر بالغدّة في الطّريق ، وقدم أربد على القوم ، فسألوه : ما وراءَك يا أَرْبد ؟ قال : لا شيء ، رجل يدعو إِلى عبادة شيءٍ لو كان عنديْ لقتلته ، فما مضى له يومان حتّى أصابته صاعقة أحرقته ، ويذكر ابن عباس أن ا لله أنزل في عامر وأَربد الآيات الكريمة : ﴿ ا لله يعلمُ ما تحملُ كلُّ أُنثى وما تغيض الأَرحام وما تزداد ، وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * سواءٌ منكم من أَسَرَّ القول ومن جهر به ومن هو مُستْخف بالليل وسارب بالنهار * له معقباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر ا لله .. ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ويرسل الصّواعِقَ فيُصيبُ بها من يشاء وهم يجادلون في ا لله وهو شديد المحال * ﴾[2] .

---

٣ ـ السيرة النبوية لابن هشام ص ٥٦٧ ، المؤتلف والمختلف ص ١٣٢،٢٥، معجم الشعراء للمرزباني ص ٢١٠، كنى الشعراء (نوادر المخطوطات ٢٨٩/٢) .

(١) يبدو الخلط هنا فزهير بن جذيمة سيّد عبس .

(٢) سورة الرعد ، من الآية ٨ إلى الآية ١٣ .

وقد رثاه أخوه لبيد بأبياتٍ كثيرة ، منها قوله[١] :

يا أربدَ الخيرِ الكريمَ جدودُه ... أَفْرَدَتَنِي أَمْشِي بِقَرْنٍ أَعْضَبِ

إِنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا ... فُقْدَانُ كُلِّ أخٍ كَضَوْءِ الكوكبِ

ذَهَبَ الَّذينَ يُعَاشُ في أكنَافِهِمْ ... وَبَقِيْتُ في خَلَفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

ويقول فيه[٢] :

أَخْشَى عَلى أَرْبَدَ الْحُتُوْفَ وَلا ... أَرْهَبُ نَوءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ

فَجَّعَني الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بالـ ... ـفَارِسِ يَوْمَ الكَرِيْهَةِ النَّجُدِ

---

(١) ديوان لبيد ص ١٥٦ .

(٢) السابق ص ١٥٨ .

٤ ـ الأَشْعَث بن عَبد الحجر الكِلابِي :

هو : الأشعث بن عبد الحجر بن سُراقة بن عوف بن الأَحوص بن جعفر بن كلاب ، كان أبوه سيّد أهل زمانه .

شهد الأشعث حروب الفتح الإسلامي لفارس وما جاورها ، فكان ممن قاتل في معارك الحيرة والقادسية ، وضُرِب المثل بجلده فيها ، وعُقِرت ناقته في إِحدى تلك الوقائع .

وقد هجاه الشاعر طهمان بن عمرو الكلابي بهجاء شنيع ، مقللاً من بطولاته .

وقال ابن حجر إنّ المرزباني قد ذكره في معجم الشعراء ، ولم أجده ، إِذ حَرِيٌّ به أن يكون في الجزء المفقود من المعجم .

---

٤ ـــ جمهرة النسب ص ٣١٦ ، ديوان طهمان ص ٤٨ ، فتوح البلدان ص ٢٦٠ ، الإصابة ١٠٢/٥ .

٥ ـ أوس بن الأَعور الكلابي :

هو : أوس بن الأَعور بن عَمرو بن مُعاوية (وهو ضِباب بن كِلاب) .

وقيل اسمه : شُرحبيل بن عمرو بن معاوية ، وقيل شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن مُعاوية ، أو هو : شُرحبيل بن قُرط الأعور .

لُقّب بـ « ذي الجوشن » لأنه وفد على كسرى فأعطاه جوشناً (درعاً) فكان أول عربي لبس الجوشن ، وقيل كان له صدر بارز فسُمّي بذي الجوشن .

رأس قومه في الحرب بين بني جعفر وبني كلاب .

كان له في ضَرِيَّةَ مُلك قد زرعه ، فقال يزهو به[1] :

دعوت ا لله إذ سغِبت عيالي ... ليجعل لي لدى وسَطِ طعاماً

فَأَعْطَاني ضَرِيَّةَ خَيْرَ بِئْرٍ ... تَثُجُّ المَاءَ وَالحَبَّ التُّؤامَا

وقال الحربي[2] إنّه استقطعه من رسول ا لله ﷺ.

كان من الصحابة ، جاء إلى رسول ا لله ﷺفبايعه على ما بايع النّاس ، وهو والد شمر قاتل الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عرف بفروسيته .

كان شاعراً ، له مراثٍ في أخيه الصُّميل ، الذي قتلته ختعم في يوم فيف الرِّيح .

---

٥ ــ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٩ ، النقائض ص ٥٣٤، ٤٧٠، الإيناس ص ٢٤٦ ، المرصّع ص ١٣٤ ، القاموس المحيط ٢٠٩/٤ ، الإصابة ١٣٤/١، ١٦٢، ٤١٠ .

(١) معجم ما استعجم ص ٨٦٥ .

(٢) المناسك ص ٥٩٤ .

٦ ــ جَامِع بن مُرْخِيَة البكري :

هو : جَامِع بن شَدَّاد ، الملقب بـ « مُرْخِيَة » لقوله :

فحُطُّوا بالرَّوايا من نحيط وَرَخُّوا المحضَ بالنُّطَف العِذَابِ

ابن مالك بن شداد بن ربيعة (المجنون) بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب .

اضطُرِب في إيراد اسمه ، فمن قائل إنه : جامع بن مالك ، ومن قائل إنه : جامع بن عمرو ، والمعروف أنَّ «شدّاداً» و «مالكاً» و «عمراً» إخوة .

عاش جامع في عهد بني أُميّة ، وكان اتصاله بعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، المتوفى سنة ٩٨ هـ وثيقا ، وروى عنه بيتين يستفتي فيهما سعيد بن المسيّب ، الذي وصف جامعاً بالكذب .

وهو من شعراء الحجاز .

ذُكِر أنَّ ابن السِّكيت صنَع له ديواناً ، لم يصل إلينا .

وذكر الشيخ حمد الجاسر في تحقيقه لكتاب (بلاد العرب) أنّ جامعاً شاعر إسلامي ، وفرّق بينه وبين شداد بن مالك الذي أراه أباً لجامع .

---

٦ ــ جمهرة النّسب لابن الكلبي ص ٣٢٥ ، ألقاب الشعراء (نوادر المخطوطات ٣١٢/٢) ، المنتخب لكراع ص ٧٤٧ ، الأغاني ١٤٣/٩ ، بلاد العرب للحسن الأصبهاني ص ٩٩ ، فرحة الأديب ص ١٠٣ ، القاموس المحيط ٣٣٣/٤ ، روضة المحبين ص ١٣٧، ١٥٧ ، تاريخ التراث العربي لزسكين ١٦٠/٣ .

٧ ـ جبَّار بن سَلمى الجعفري :

هو : جبَّار بن سُلْمى بن مالك بن جعفر بن كلاب .

خال أمّ سلمة المخزومية زوجة أبي العباس السَّفَّاح .

عُرف أبوه بـ « نزّال المضيق » .

قدم مع عامر بن الطّفيل وأربد بن قيس حينما أرادا الغدر برسول ا لله ﷺ.

كان بينه وبين كعب بن مالك صحبة ، وحين قدوم جبّار في وفد بني كلاب جاءَهم كعب ورحّب بهم ، وأكرم صديقه ، وانطلق معهم إلى رسول ا لله عليه الصلاة والسلام .

حضر بئر معونة ، وطَعَن عامرَ بن فهيرة ، وسمعه وقد وقع يقول : فزت وربّ الكعبة ، ثم تبيَّن الجثة فلم يرها ، وأَخْبرَ بعد ذلك أنَّ هذا ممّا دعاه إلى الإسلام ، ويُذكر أنه أسلم على يد الضَّحاك بن سُفيان الكلابي .

قيل إنَّه أفرس من عامر بن الطّفيل ، وكان قد ارتدَفه جبّارُ يوم الرَّقم على فرسه ، ولّما مات عامر كان جبّار غائباً فرأى حمى قبره حين أتى فقال : « ضيّقتم على أبي عليّ ... كان لا يعطَش حتى يعطش الجمل ، وكان لا يضلُّ حتى يضلّ النجم ، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل .

له ابن اسمه حبيب كان قد أخفى القتّال الكلابي في بيته وستره عن جند مَروان بن الحكم .

---

٧ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣١٩ ، المحبَّر ص ٢٢٨ ، تاريخ الطبري ٢/٥٤٨، ٣/١٤٤ ، معجم ما استعجم ص ٨٦٦ ، الإصابة ١/٤٤٨ ، الخزانة ٣/٨٢ ، ١٠/٦٣ .

٨ ـ جَهْم بن شِبل البَكْري :

هو : جهم بن شِبْل ، الذي يقول فيه معاوية بن مالك بن جعفر الكلابي :

أَبلغ كِلاباً وخَلِّلْ في سَراتِهُمُ ... هل يَخْلِفَنَّا لهم شِبْلٌ ودينارُ

أم يخلفّنا لهم قوم إذا سَمِعوا ... من العدوِّ بليلٍ نتأَةً طـاروا

وربّما قيل لأبيه «سَبل»[1] .

وهو من بني أبي بكر بن كلاب ، وقال أبو زياد الكلابي : هو من بني كعب بن بكر .

وقد أدرك أبو زياد جَهْماً ورأْسُهُ يُرْعَدُ من الكِبر[2] ، ووصفه بأنّه شاعر ، لم يُسْمَع في الجاهليةِ والإسلام من بني بكر أَشعر منه .

قال عنه المرتضى في أماليه : إنّه من أهل اليمامة .

---

٨ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٣ ، أمالي المرتضى ٤١/٢ ، لسان العرب (سبل) ، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين لعفيف عبد الرحمن ص ٧١ .

(١) السبب بيته : **أنا الجوادُ ابنُ الجوادِ ابن سَبَل ... إن ديَّموا جادَ وإن جادُوا وبل .**
يريد بسبل : دوام المطر ، لا اسم أبيه .

(٢) تُوفي أبو زياد الكلابي عام ٢٠٠ هـ ، وأُقدِّر أن أبا زياد رأى جهماً مابين عـام ١٣٥ هـ ، و عام ١٤٥ هـ ، وعلى هذا فجهم شاعر أموي أدرك قيام الدولة العباسية .

٩ ـ خالد بن جعفر :

هو : خالد بن جَعفر بن كِلاب ، أكبر أخويه : مالك الطّيان ، وربيعة الأَحوص .

لقّب بـ «الأصبغ» لبياض ناصيته ، وقيل هي شامة في مقدمة رأسه كان يصبغها .

أخواله بنو غني ، وأمُّه : خبيّة بنت رياح بن ربيعة الغَنوية ، إحدى المنجبات من النساء.

أحد جراري مُضَر ، قاد هوازن بعد قتله زُهير بن جَذيمة العَبسي ، يوم النّفراوات ، واجتمعت عليه بعد تفرق ، نبا عنه سيف ورْقاء بن زُهير ، وهو يحاول إنقاذ أبيه من تحته .

شارك في يوم الحَومان .

كان معاصراً للنّعمان بن المنذر ، ومقرَّباً لديه ، إذ قبل شفاعته في دخول النّابغة الذّبياني عليه .

تزوج السوا بنت الأَعْيس الهِزَّاني العنزي .

أصاب غُنماً فيه ديباج فناط به الكعبة ، فكان أول من كسى الكعبة بالديباج .

أتى الملك : حسان بن عمرو بن تبع في أسارى قومه فأطلقهم ومدح الملك .

قتله الحارث بن ظالم المرّي ، وهو في جوار الأَسود بن المنذر ، ثأراً لزهير ، وكان مقتله إحدى فتكاتِ العرب المشهورة ، قامت حرب رحرحان الثانية طلباً لثأره ، بقيادة أخيه الأحوص ، وتحمس ابنه أنس بن خالد .

---

٩ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣١٤ ، النقائض ص ٢٢٦، ٣٨٤، ٥٣٣، ١٠٦٠، أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ١٣٤/٢) ، كنى الشعراء (نوادر المخطوطات ٢٨٩/٢) ، المحبر ص ١٩٢ وما بعد ، المعارف ص ٦٣٦ ، بلوغ الأرب ٢٣٤/١ ، خزانة الأدب ٤٤٢/١٠ ، مجالس العلماء للزجاجي ص ١٩٨ ، الديباج ص ٧٦ .

١٠ ـ أبو الأجرب الكِلابي :

هو : جَعْوَنَة بن الصِّمَّة[١] الكلابي :

لقب بعَنْتَرة الأَندلس ، لما أتصف به من شجاعة وفروسية .

من قدماء شعراء الأندلس ، الطارئين عليها ، كان يرحل ويَحُلُّ بأكناف قرطبة .

كان نداً لجرير والفرزدق لدى النُّقاد ، وكان معاصراً لهما ، قال عنه ابن حزم : إنّه في طبقة جرير والفرزدق . مدح الصّميل بن حاتم الكلابي[٢] ، الذي قبض عليه بعد أن هجاه هو وقومه فعفى عنه ، فانقلب الهجاء مدحاً للصميل الذي أجزل له العطاء ، وقد دعى الضّبّي في بغيته إلى الاستشهاد بشعره ، لما يرى من جودته وأصالته ، وخاصة مدائحه للصميل التي أفنى فيها قوافيه ، مما جعل الممدوح يقدم للشاعر كل ما يملك عند كل مدحة حتى استحى الشاعر فصار يزور غباً ، جرى على منهج قدماءِ العرب في نظمه .

كان الحسن بن هانىء يستنشد الرّواة عن شعره .

لم يلحق أبو الأجرب دولة بني أمية في الأندلس ، تُوفي قبل سنة ١٣٨ هـ تقريباً ، إذ مات قبل وقعة المصارة التي كانت لعبد الرحمن الداخل على يوسف الفهري .

---

١٠ ـ بغية الملتمس ص ٢٤٤ ، جذوة المقتبس للحميدي ص ١٨٩ ، المغرب لابن سعيد ١/١٣١ ، نفح الطيب ٢/١٢٠ ، إنباه الرواة ٢/٣٣٦ .

(١) في بغية الملتمس الصّهة .

(٢) الصُّميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الضِّبابي ، من دهاة الأندلس ، وزر ليوسف الفهري، ومات في السجن حين دخول عبد الرحمن الأموي الأندلس (جذوة المقتبس ١٧٧).

١١ ـ جَوَّاب بن كعب البكري :

هو : مالك بن كعب بن عوف بن عبد أو عُبيد أو عبد الله بن أبي بكر بن كلاب .

أُمُّه غَنوية من بني حرثان ، من ضبينة .

لُقِّب بـ « جوّاب » لأنّه كان يجوبُ الديار ، يحفر الآبار ، واشتهر بهذا اللقب ، حتّى لم يَعُد يُعْرَف إلا به ، ولا يفتخر بمسمىً دونه ، فهو يقول[١] مخاطباً لَبيد بن رَبيعة :

لا تَسْقِني بِيَدَيكَ إنْ لَمْ تَأتِني رَقْصَ المطِيَّةِ إنَّني جَوَّابُ

شارك في حرب النّسار ، وكان هو والطّفيل بن مالك من رؤساء القوم آنذاك ، ولذا جُعِلا سببَ الهزيمة ، وعُيّرا بفرارهما ، فقالت سَلمى بنت المحلّق[٢] الكلابي :

لحى الإلهُ أبا لَيلى بِفَرَّتِهِ يوم النّسار وقُنْبَ العَير جَوَّابا

كيف الفَخار وقد كانت بُمعتَرَكٍ يومَ النّسار بَنُو ذُبيان أَرْبَابا

لم تمنعوا القومَ إذ شَلُّوا سَوامَكم ولا النّساءَ وكان القومُ أَحْزابا

وقد كان حكماً في قضية قتل بين الأخوين بني جعفر بن كلاب وبني أبي بكر بن كلاب ، فقضى بحكم قاسٍ على الجَعْفَرِيّين ، إذ أمر بنفيهم عن ديارهم ، وأقام أخواله مكانهم ، ولذا ذكر لبيد ميله إلى أخواله ، ناسِبه لهم ، مظهراً غطرسته ، وقسوته التي تشبه قسوة ابن كسرى في قتله لوالده ، إذ يقول لَبيد[٣] :

وَلَدَتْ بَنُو حَرْثَانَ فَرْخَ مُحَرِّقٍ بِلوى الوَضِيْعَةِ مُرْتجَ الأَبْوابِ

---

١١ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٤ ، النقائض ص ٥٣٣ ، شرح ديوان لبيد ص ٢١ ، جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٨٤ .

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٦٢ .

(٢) النقائض ص ٢٤٢ ، قنب العير : غلاف ذكره .

(٣) شرح ديوان لبيد ص ٢١ . بنو حرثان : أخوال جواب الغنويين . فرخ محرق : ابن كسرى . بنو ضبينة : من بني حرثان من غني . الأجباب : آبار لبني جعفر . عروة : عروة بن جعفر أو عروة بن عتبة بن جعفر . لطّوا : سترُوا .

أَبني كِلاب كَيْفَ تُنْفَى جَعْفَرٌ وَبَنُو ضُبَيْنَةَ حَاضِرُوا الأَجْبَابِ

قَتَلُوا ابْنَ عُرْوَةَ ثُمَّ لَطُّوا دُوْنَهُ حَتَّى نُحَاكِمَهُمْ إِلى جَوَّابِ

مات جوّاب يوم الرَّقم عطشاً ، وهو منهزم .

١٢ ــ دَرّاج بن زُرعة الضِّبابي :

هو : دَرّاج بن زُرْعَةَ بن قَطَن بن الأَعرف .

كان له في يوم هراميت التي وقعت بين الضِّباب وجعفر أفاعيل مشهورة ، اقتيد بسببها إلى عبد الملك بن مَروان الذي أمر بقتله ، وكان السّجن باعثاً على الشّجن ، فاستولده أعظم قصائد الحبس التي بدأها بقوله[1] :

ألا يا غُرابَ البَينِ أَسْمعتَ فارْبَعْ وطِرْ بالّذي قَدْ حُمَّ وَيْحَكَ أوقَعْ

وأنهاها بقوله :

وما السَّوطُ أبكاني ولا السِّجنُ شَفَّني ولكنَّني مِن رَهْبةِ الموتِ أَجْـزَعْ

وكان الذي قبض عليه الحجاج بن يوسف ، فبعد أن قتلَ ابنَ الزبير وجَّه للمتقاتلين من الفريقين عثمان بن عبد الله القرشي الذي أتاه بدرّاج .

---

١٢ ــ النقائض ص ٩٢٧، ٩٣٠ ، الوحشيات ص ٣٠ ، التذكرة السعدية ص ١٠٢ .

(١) النقائض ص ٩٣٠ .

١٣ ـ ذو الأَهدام الجَعفري :

هو : متوكّل بن عِياض بن حَكم بن طُفيل بن مالك بن جَعفر بن كِلاب .

وقيل هو : نافع بن سَوادة الضِّبابي .

وقيل هو : نافع بن الخَنْجر بن الحَكم بن عُقيل بن طُفيل بن مالك بن جَعفر .

وجاء أنّ اسمه : نافع بن سوادة بن مالك بن عامر بن مالك بن جَعفر .

وصغّره الفرزدق فقال : «نفيع» .

يُلقّب أبوه بـ «الخنْجر» ، وكان شاعراً .

هجا الفرزدقَ الذي ردّ عليه وهجى قبيلته بني جعفر ، فما كان من أمّه إلى أَنِ استجارت بقبر غالب تودّ سكوتَ ابنه عن هجاء ابنها والحطّ من شأنه .

---

١٣ ـ النقائض ص ٥١٣ وما بعد ، ص ٩٠٧ وما بعد ، ص ٩٢٢ ، طبقات فحول الشعراء ص ٣١٣ ، بلاد العرب ص ١٤٥ ، المؤتلف والمختلف ص ١٧٩ ، معجم الشعراء ص ٤١٠ ، المرصّع ص ٨٢ .

١٤ ـ زُرعة بن عَمرو :

زُرْعة بن عمرو بن خُويلد (الصَّعق) بن نُفيل بن عَمرو بن كِلاب .

وُصِف بأنّه حسن الوجه ، أصهب اللون .

وهو الذي يقول[١] فيه الرَّبيع بن زياد العبسي مُفَضِّلاً نفسه وإخوته على زرعة وإخوته:

عُمارةُ الوهّابُ خَيرٌ مِن عَلَس وزُرعةُ الفَسّاءُ شرٌّ من أَنَس

وأنا خَيرٌ مِنْكَ يا قُنْبَ الفَرس

التقى بالنّابغة الذّبياني في سوق عُكاظ ، وحبَّب إليه الغَدر ببني أسد ، فأبى النّابغة وصَار زُرعة بعد ذلك هجاءً للنّابغة ، الذي ردّ على زرعة بقوله[٢] :

نُبئتُ زُرعةَ والسَّفاهةُ كاسمها يُهدِي إليَّ غرائبَ الأشعارِ

فحلفتُ يا زُرعَ بن عمرو إنَّني مما يَشُقُّ على العَدُوِّ ضِراري

شارك في يوم رَحْرَحان[٣] ، وكان قد أسره قَيْس بن البَهِيم التّميمي ، وقال[٤] :

تركت النّهاب ليوم النّهاب وأكرهت نفسي على ابن الصَّعق

جعلتُ ذِراعي وشاحاً له وبعضُ الفوارسِ لا يَعْتنق

وقد رثاه مردَاس بن حُصَين الكلابي فقال[٥] :

---

١٤ ـ الأغاني ١٢٧/١١ .

(١) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢١ ، و علس : أخو زرعة ، وأنس : أخو الربيع . قنب الفرس: وعاء ذكره .

(٢) ديوان النابغة ٩٧ ، الخزانة ٣٣٣/٦ .

(٣) النقائض ص ١٠٦٢ .

(٤) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٢٦٧ .

(٥) النوادر لأبي زيد ص ١٥٠ ، ونُسبت الأبيات لطفيل الغنوي ، ديوانه ص ١١٤ .

ولم أَرَ هالكاً من أَهْلِ نَجْدٍ كزُرْعَةَ يومَ قامَ به النَّواعِي
أَجَلَّ جَلالَةً وأعَزَّ فَقْداً على المولى وأَكرَمَ في المساعي
وأَقْوَلَ للتي نَبَذَتْ بَنِيها وقد رَأتِ السَّوابِقَ : لا تُرَاعي
ولا فَرِحٍ بِخَيْرٍ إِنْ أَتَاهُ ولا جَزِعٍ من الحَدَثَان لاعِ
وَلا وَقَّافَةٍ والخَيْلُ تَرْدِي ولا خَالٍ كأَنْبُوبِ اليَرَاعِ

١٥ ـ زَينب بنت مالِك الكِلابي :

هي : زَينب بنت مالِك (الطّيان) بن جَعفر بن كِلاب .

أبوها مالك أحد أبطال يوم رَحْرَحان ، وأخوتها هم أبناء أم البنين الذي اشتهروا بين عرب الجاهلية منهم : عامر (ملاعب الأَسِنّة) وخالد قائد يوم النّفراوات .

عاصرت يزيد بن عبد المدان المذحجي ورثته فعُوتبت على ذلك ، وكان يزيد قد أَسر أَخويها عامراً وعُبيدة (الوضّاح) ، ثم أَطلق سراحهما ، فذكرت فضله ، وردّت على من عيَّرها برثاء البُعداء .

---

١٥ ـ النقائض ص ١٠٦٢ ، الأغاني ١٨/١٢ .

١٦ ـ سِراج بن قُوَّة الكِلابي :

هو : سَرَاج بن قُوَّة بن رِبْعيّ بن كَاهِل (أو كاهن) بن عَمْرو بن معاوية (الصَّمُوت) بن عبد الله بن كلاب .

واسم أبيه عند ابن حزم «قُرَّة» ، وكذا في المغرب .

وقد أطال ابن حجر في إيراد اسمه .

يُروى أنّه وفد على الرسول ﷺ، فكان أحد صحابته .

وفي الإصابة نقلاً عن المرزباني في معجمه ، قال : إنّه جاهلي ، وإنّه قد أنشد له شعراً قاله في يوم من أيام الجاهليَّة .

---

١٦ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٣١ ، شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٤١٠ ، جمهرة الأنساب ص ٢٨٨ ، الإصابة ٣٧/٣ ، المغرب في حُلى المغرب ١١٥/١ .

١٧ ـ سَلْمى بنت المُحَلَّق الكِلابي :

هي : سَلمى بنت عبد العزيز بن حَنْتَم بن شَدَّاد بن رَبيعة (المجنون) بن عبد الله بن أبـي بكر ، بن كلاب .

عُرِف أبوها بالمُحَلَّق ، لحلقة في وجهه من عضّة بعير ، كان خـامل الذِّكـر حتّـى مدحـه الأعشى بقوله[١] :

لَعَمْري لقد لاحتْ عُيُوْنٌ كثيرةٌ ... إلى ضوءِ نَـارٍ في يَـفاع تُحَـرَّقُ

تُشَـبُّ لمقـرُورَيـن يَصْـطـليانِـهـا ... وباتَ على النَّارِ النَّدى والمُحَلَّقُ

صار سيّداً في قومه ، وذا بأس في أَعْدَائه .

هجت سلمى جوّاباً في يوم النِّسار ، وذلك لفـراره ، وتـرك النسـاء أسـارى ، والأنعـام غُنماً للأعداء ، إذ قالت[٢] :

لَـحَـى الإلَـه أَبـا لَـيْـلى بِـفَـرَّتِـهِ ... يوم النِّسار وقُنْبَ العَـيْر جَوَّابا

لم تمنعوا القوم إذ شَلُّوا سَوامَكم ... ولا النِّساءَ وكان القومُ أَحزابا

---

١٧ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٥ ، النقائض ص ٢٤٢ ، نظم الدّر والعقيان ص ١٠٤.

(١) ديو الأعشى ص ١٤٩ .

(٢) النقائض ص ٢٤٢ . قنب العير : غلاف ذكره .

١٨ ـ شَبِيب بن جَرَاد الكِلابي :

هو : شبيب بن جراد ، وقيل (حزاد) بن طهفة بن ربيعة بن الوحيد (هو عامر) بن كعب بن عامر بن كلاب ، أبوه (جراد) مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

قال عنه ابن الكلبي : إنه شاعر ، وذكره ابن الأعرابي مع ذكره لفرسه «الشَّموس» وأورد له بيتين فيها .

وذكره ابن سيدة فيمن له فرس من هوازن ، وسمى فرسه «أُهْلُوب» .

وأكثر ما عرف شبيب عن طريق فرسه ، إحدى خيل العرب المشهورة ، التي كان يصول بها ويجول في صفِّ الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

عاش شبيب فترة الصِّراع بين بني أُمية وآل علي رضي الله عنهم ، ولم يُدْرَ متى مات .

---

١٨ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٨ ، أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ص ١٣٩ ، المخصَّص ١٩٦/٢ ، القاموس المحيط (شمس) ، الإصابة ٥٣٣/١ ، وفيه ((طُهَيَّة)) ، الإكمال ١٧٤/٢ .

١٩ ـ شَمر بن ذي الجَوْشَن الضِّبابي :

هو : شَمِر بن أوس (شُرحبيل) بن الأعور بن عَمرو بن مُعاوية (الضِّباب) بن كِلاب .

نَعَتَهُ الحسين بن علي بابن راعية المِعْزَى .

وذكره ابن حَبيب في البُرْصِ الأَشراف .

شهد يوم صفّين مع عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وضربه أدهم الباهلي على وجهه ، فصارت علامة عليه .

أحد قتلة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وممن حمل رأسَه إلى يزيد بن معاوية بالشّام .

وكان رسول الله ﷺ قد رأى في نومه كأنّ كلباً أبقع ولغ في دمه ، ففسّر هذا على أنّه شمر .

تتبَّعه المختارُ بن أبي عُبيد بعد استيلائه على الكوفة مع من أرادهم من قتلة الحسين حتى ظفر به وقتله ، ورُميت جثّته للكلاب ، وكانت وفاته حوالي عام ٦٦ هـ .

اشتهر من أَحفاده الشاعر : الصُّميل بن حاتم بن شمر ، في الأندلس .

---

١٩ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٩ ، وقعة صفّين ص ٢٦٨ ، المحبّر ص ٣٠١ ، تاريخ الطبري ٤٢٢/٥ ، بهجة المجالس ١٤٩/٣ ، الأخبار الطّوال ص ٢٥٤ .

٢٠ ـ الصُّميل بن حاتم الكلابي :

هو : الصُّمَيل بن حاتم بن شَمِر بن ذِي الجوشَن (أوس أو شرحبيل) بن الأعور بن عمرو بن معاوية (الضِّباب) ، جدُّه شَمِر أحد قتلة الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وممن قدم برأسه على يزيد بن معاوية .

وفي الإحاطة : الصميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شِمْر .

رحل إلى الأندلس في مدد لبني أمية ، فساد بها ، ورَأس ، وعرف بدهائه وشجاعته ، حتى صار شيخاً لقبائل مُضَر هناك ، تَتوجَّه إليه الشعراء فيجزل لها العطاء .

كان وزيراً للأمير يوسف الفهري .

ثار على أبي الخطّار الكلبي أمير الأندلس في عهد هِشام بن عبد الملك ، حتى خلعه بمعونة أصحابه ، وكان ذلك سنة ١٢٨ هـ ، وصار له النفوذ إلى أن دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس .

مات الصُّميل حوالي عام ١٤٢ هـ في السجن .

كان أُميّاً شاعراً .

له ولد اسمه «هُذَيل» قتله عبد الرحمن الداخل .

مدحه أبو الأجرب الكلابي فكان ممَّا قاله فيه[1] :

بَنَى لَكَ حَاتِمٌ بَيْتاً رَفِيْعَاً ... رَأَيْنَاهُ عَلَى عَمدٍ طِوَالِ

وَقَدْ كَانَ ابْتَنَى شَمِرٌ وَعَمْروٌ ... بُيُوتاً غَيْرَ ضَاحِيَةِ الظِّلالِ

فأَنْتَ ابْنُ الأَكَارِمِ مِنْ مَعَدٍّ ... بِمُعْتلجِ الأَباطِحِ وَالرِّمالِ

---

٢٠ ـ جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٨٧ ، الإحاطة في أخبار غرناطة ٣٤٥/٣ ، الحلة السيراء ٦٧/١ ، التاج (صمل)

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ٣٤٧/٣ .

٢١ ـ الضَّحّاك بن سُفيان الكِلابي :

هو : الضَّحاك بن سُفيان بن عَوف بن كَعب بن أبي بكْر بن كِلاب .

كنيته : أبو سَعِيد .

كان ينزل البادية بين رُكْبَة وضَرِيَّة .

ولّما كانت وقعة بئر مَعُونة عُرِف أنه مسلم يكتم إسلامه .

ولاه الرسول ﷺ على قومه .

وبعثه أميراً على سريّة إلى بني سُلَيم ، مع من يليها من قومه .

سكن المدينة النبوية ، وكان سيّاف الرسول ﷺ، يقف خلفه متوشّحاً سيفه ، عُـدَّ عـن مائة فارس ، وشهد مع رسول ا لله ﷺفتح مكة ، ولما رجع النبي ﷺمن الجِعْرَانة بعثه إلى بني كلاب يجمع صدقاتهم .

يذكر أنّه تُوفي في حروب الرِّدَّة .

---

٢١ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٧ ، المعارف ص ٤١٢ ، الفتوح ٩/١ ، الاستيعاب ٧٤٢/٢ ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٦١ ، الإصابة ٤٨/٢ ، ٤٧٧/٣ .

٢٢ ـ عامِر بن مالِك الكِلابي :

هو : عامر بن مالِك (الأَخْرم) بن جَعفر بن كِلاب .

لُقّب بملاعب الأسِنَّة ، وكان ذلك في يوم السُّؤْبان .

وكنيتُه : أبو بَرَاء .

أُمُّهُ : أُمُّ البَنِين بنت عَمرو بن عَامِر (فارس الضَّحْياء) ، إحدى مُنْجِبات العَرب في الجاهلية .

رأسَ قبيلته ، ولَمَّا أسنَّ اختلفوا على خلافته ، فكان ذلك سبباً للمنافرة بين عامر بن الطُّفيل وعَلْقَمة بن عُلاثة ، أَيّهم أحق بالرّئاسة ؟

كان رزيناً يُرضى حكمُه بين القبائل .

شهد يوم قُراقِر ، ويوم رَحْرَحان وفيه أَسَرَ مَعبدَ بن زُرارة التَّميمي ، ويوم جَبَلة ، ويوم الفِجار ، وفيه طعن الرسولُ ﷺوهو ابن عشرين عاماً عامرَ بن مالك .

كان في وفد بني كلاب إلى حسّان بن مُعاوية (آكل المرار) ، وممن رحل إلى بني الحارث بن كَعب وحالفوهم بعد حكم جوّاب على بني جعفر .

أهدى إلى رسول ا لله ﷺفرساً ، وكتب إليه : إِني قد ظَهرت فيَّ دُبيْلة فابعث إليَّ دواءً من عندك ، فرد الفرس لأنّه لم يكن أسلم ، وأرسل إليه عُكةً من عسل .

وبعث النبي ﷺدعاة جعلهم في جوار عامر فقبل ، وما إن علم بوصولهم عامر بن الطفيل حتى استنفر القبائل لصدِّهم فلم يطعه إلا ذكوان وعصية من بني سُليم ونفر من بني عامر ، فقتلوهم على بئر معونة ، فعلم عامر فشرب الخمر لتطفىء غضبه فمات .

من ولده ابنا حميضة اللذان هجاهما الفرزدق .

ذكر الآمدي في المؤتلف أنَّ له في كتاب بني كلاب أشعاراً ، وهو كتاب مفقود .

---

٢٢ ـ الديباج (فهرست الأعلام) ، النقائض ص ٢٢٧ ، الأغاني ٧٩/٢٢ ، ثمار القلوب ص ١٠١ ، الإصابة ٥٩٩/٣ ، ١٧٢/٥ ، ٢١٧/٦ .

٢٣ ـ عَبد العزيز بن زُرارة الكِلابي :

هو : عبد العزيز بن زُرارةَ بن جَزْء بن عمرو بن عَوف بن كَعب بن أبـي بكْـر (عُبيـد) ابن كِلاب .

لقي أبوه عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقال فيه شعراً يمدحه .

كان سيد أهل البادية ، مدحه بعضُ الشُّعراء ، وكان شريفاً ذا مال ، اختار الجهاد على الإقامة .

أتى معاوية فَحُجِز عنـد بابـه فقـال قولتـه المشـهورة : « مـن يسـتأذِن لي اليـومَ أسـتأذِن له غداً » وقد أعجب به معاويةَ فجعله من رجال ولده يزيد ، وفرض له عطاء .

دَفَنَ توبةَ بن الحميِّر في أثناءِ ولاية مروان بن الحكـم للمدينـة مـن قبـل مُعاويـة بـن أبـي سفيان .

تُوفِّي في غزوٍ إلى بلاد الرُّوم زمن معاوية ، ويذكر الواقدي أن عبد العزيز شهد مع يزيد ابن معاوية فتح القسطنطينية سنة ٤٩، ٥٠ هـ ، ويقال إنَّه مات في تلـك الرحلـة فجـاء خـبَرُه إلى معاوية فنعاه إلى والده زرارة ، الذي رثاه بشعر .

له شعر في كُتُب الجاحظ ، وفي بـلاد العـرب للأصفهـاني ، وقـد ذكـر ابـنُ الكلبي أنّ شعره في الاستئذان على معاوية مصنوع .

---

٢٣ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٦ ، الحيوان ٣٢٩/٦ ، بلاد العرب ص ١٥٣ ، الأغاني ٦٨/١٠ ، الإصابة ٥٥٩/٢ .

٢٤ ـ عبد الله بن حذف الكِلابي :

هو : عبد الله بن حذف أو حذق بن عبد الله بن عَوف بن شَدّاد بن رَبِيعة بن عبد الله ابن أبي بكْر بن كِلاب .

أمُّه من بني عجل .

كان حليفاً لبني عامر بن لؤي .

شارك في حروب الرِّدة ، وكان في جيش العَلاء بن الحَضْرَمِي في البَحرين ، وحوصر في حصن جواثى مع المسلمين المجاهدين .

شاعر ، أرسل إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأبيات يستنجد فيها لمّا حصرتهم قبيلة ربيعة المرتدة في حصن جواثى حين لجأ إليه المسلمون ليكروا على العدو الذي كان أسرع .

---

٢٤ ـ أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ١٥٣/٢) ، فتوح البلدان ص ٩٤ ، تاريخ الطبري ٣٠٤/٣، الفتوح ٤٧/١ ، الإصابة ٨٣/٥ عن ابن الكلبي في نسب بني عامر .

٢٥ ـ العَرَنْدس الكِلابي :

عُبَيْد ، أو عَقيل ، أو عَمرو ، من بني أبي بكْر بن كِلاب .

والعَرَنْدَس : بمعنى : البَعير الشّديد أو الأسد والسيل الشديدين ، وهو لقبُه ، أو لقب والده .

شاعر أموي ، مدح بني عمرو الغَنويين ، وذلك بسبب إعجابه بحكم أحدهم في بئار قُنيع ، إذ كان الحُكم فَصْلاً مُقْنِعاً ، فقد كان رأي سلمة بن عمرو أن تلك الآبار ليست لأحد عن أحد ، وإنما هي قديمة موات ، فرضِي الطَّرفان (بنو جعفرٍ وبنو أبي بكر) ذلك الحُكْمَ ، وامتُدِح الحَكَمُ ، وممن مَدَحَهُ هذا الشّاعر ، وقد اشتهرت مدحته التي فيها :

يا دَارُ بَيْنَ كُلَيَّاتٍ وَأَظْفَارِ ... والحَمَّتَيْنِ سَقَاكِ اللهُ من دَارِ

بَلْ أَيُّهَا الرَّاكبُ المُفْنِي شَبِيبَتَهُ ... يَبْكي على ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ

عَدِّ نُحَيّ بَنِي عَمْرٍو فَإِنَّهُمُ ... أُولُوْ فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارِ

وكانت أبياتُه مثارَ استغراب الرُّواة ، إذ تساءَلوا كيف يمدح كِلابيٌّ غَنَويّا ، على ما بينهما من تدابر ؟ !

---

٢٥ ـ الحماسة لأبي تمام ٢٦٧/٢ ، البيان والتبيين ٢٧١/٢ ، الكامل للمبرد ص ٧٨ ، الأمالي للقالي ٢٨٧/١ ، معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٠٦، ٥١٤ ، التنبيه للبكري ص ٧٩ ، معجم ما استعجم ص ٨٦٢ ، الحماسة المغربية ص ٢٩٨.

٢٦ ـ عُروة بن عُتبة الكِلابي :

هو : عُروة بن عُتبة بن جَعفر بن كِلاب .

جدّ عامر بن الطّفيل (والد أمّه) .

يُكنّى بالرَّحال .

أحد أَرحاء هَوازن .

كان خِدناً لجِرَان العَود النُّميري .

شهد يوم جَبَلة ، ومَنَّ على سِنان بن أبي حارثة وابنيه آنذاك ، حين وجدهما وقد أعياهم العطش فجزَّ نواصيَهم وتركهم ، وقال فيهم بعد ذلك شعراً يُذكّرهم بما كان .

كان مع خالد بن جعفر حينما فتك به الحارث بن ظالم .

دفع إليه النّعمان لطيمته للتجارة ليوافي بها عكاظ ، ويمنعها من غارات الأعراب ، وكان البراض الكناني قد طلب إجارة اللّطيمة ، غير أنّ عروة تصدّى له في مجلس النُّعمان وهزأ بضعفه عن أن يحمي اللّطيمة ، فمنع الملك تجارته عن البراض وأعطاها عُروة ، مما أوغر صدر البراض وصار يَتتبَّع عُروة ، يقيل مقيله ، ويُمسي ممساه ، يتحين الفرصة عليه ، حتّى تمكّن منه دوين الجريب ، على ماءٍ اسمه «أوارة» فقتله نائماً في قبته ، فقامت كلاب ، وأُشعلت نار الحرب ، فجرّت حرب الفجار ، بين كنانة وقيس .

---

٢٦ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣١٩ ، السيرة النبوية ١/١٨٥ ، الديباج ص ٧٦ ، المحبّر ص ١٩٣، ١٩٦ ، الأعلام ، تاريخ التراث العربي لسزكين ٢/١٩٣ .

٢٧ ـ عمّار بن الكاهن الصَّمّوتي :

هو : عمّار بن الكاهن بن الصَّموت (وهو معاوية) بن عبد الله بن كلاب .

وفي أجداد الشاعر سراج من اسمه «كاهل» فقد يلتقي الشاعران في هذا الجد.

سمّاه ياقوت : عامر بن الكاهن بن عوف بن الصَّموت ...

شهد عمّار يوم الرّقم ، وكان له فيه موقف بطولي ، إذ استنقذ عقيل بن الطّفيل من القتل .

---

٢٧ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٣١ ، ديوان المفضليات بشرح الأنباري ص ٣٤ ، أمالي المرتضى ٣٠٢/١ ، معجم البلدان (سحامة) .

٢٨ ـ عمرو بن الأحوص الجعفري :

هو : عمرو بن الأحوص (ربيعة) بن جعفر بن كلاب .

أمُّه : أنيسة بنت كعب بن عامر بن كِلاب .

رأس قبيلته ، وقادهم في يوم ذي نَجَب ، وأُخِذ عليه آنذاك تحاوصه عن شعاع السّيف، حتّى علاه .

كان أحبَّ إخوته لدى والده الذي كاد يذهب عقله عليه ، فما يسمع باكية إلا قال: « وأهل عمرو قد أضلوه » قُتِل عمرو يوم ذي نجب ، قتله خالد بن مالك النَّهشلي ثأراً لأبيه مالك الذي قتل يوم جَبلة ، وكان قبل ذي نَجَب بعام ، وقال فيه الفَرزدق :

وعمراً أخا عوفٍ تركنا بملتقىً من الخيلِ في كابٍ من النَّقعِ قاتم

---

٢٨ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣١٥ ، النقائض ص ٣٠٢ ، ١٠٧٩ ، المحبّر ص ٤٦٠، من اسمه عمرو من الشعراء ص ٢٣ ، مجمع الأمثال ٣٦٩/٢ .

٢٩ ـ عَمرو بن البَراء الصَّمّوتي :

هو : عمرو بن البراء ، من بني الصَّمّوت ، بن عبد الله بن كلاب ، وذكر الأخفش أنّ اسم أبيه يزيد .

لقبه : الأعور .

ذُكِر أنّه عَبد .

شاعر بذيءُ اللّسان ، لا يتورع عن مهاجاةِ أحد سواءٌ أكان رجلاً أم امرأة .

قال عنه أبو زيد الأنصاري إنّه : « أدرك الإسلام » .

يبدو أنّ عمره كان مديداً ، فقد كان طرفٌ من حياته في عصر صدر الإسلام ، وبقية سنواته قضاها في عهد الأمويين ، إذ التقى الشاعر : تَمِيم بن أُبيّ بن مُقْبِل[1] ، وجاء في بعض أخباره أنّه من شعراء بني أُميّة المناوئين للشِّيعة .

---

٢٩ ـ النوادر لأبي زيد ص ٤٤٣ ، أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ص ١٤٠ ، الكامل للمبرد ١٢/٤ ، من اسمه عمرو من الشعراء ص ٢٥ ، الاختيارين للأخفش ص ١٨٣ ، اختيار الممتع ص ٤٢٧ ، فرحة الأديب ص ٦٥ .

(١) شاعر مخضرم عاش إلى ما بعد ٣٧ هـ . (الأعلام) .

٣٠ ـ عمرو بن حسّان الكِلابي :

هو : عمرو بن حسّان بن عَوف بن عبد بن أبي بكْر (عبيد) بن كِلاب .

جاء اسمه عند الخالديين «عبد الرحمن» ، ويبدو أنّه اشتباه بغيره .

يظهر أنَّ الشاعر « عمرو » عاش في العصر الأُموي ، وذلك ما يكشفه لنا شعره الموجود.

أخذ في معانيه عن المرقّش الأَكبر ، وأخذ عنه الشّاعر منصور النَّمْري .

جاء شعره في كتاب « من اسمه عمرو من الشُّعراء » ، وفي كتاب « الأَشباه والنّظائر » للخالديين .

---

٣٠ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٢ ، من اسمه عمرو من الشّعراء ص ٢٥ ، الأشباه والنظائر للخالديين ص ٣٥٣،٣٥٤ .

٣١ ـ عَمرو بن الصَّعِق الكلابي :

هو : عَمرو بن خُويلد (الصَّعِق) بن نُفَيْل بن عَمرو بن كِلاب .

لُقِّب أبوه بالصَّعِق لأنّه اتخذ لقومه طعاماً فهبّت الريحُ فحثت فيه التراب فلعنها فـأُصيب بصاعقة فقتلته .

وأُمه : رَيطة بنت رَبيعة بن الحريش .

أسرته قبيلة شاكر الهمدانية ، فأحسنت إليه ، وكان قد فارق قومه نحيفـاً ، فلمّـا هـرب من آسريه وأتى قومه رأوه بادناً ، فقالوا : أي عمرو خرجـت مـن عندنـا نحيفـاً وأنـت اليـوم بادن ، فقال : القيد والرَّتعة ، فصارت مثلاً .

كان ممن حضر يوم رَحْرَحان مع والده .

شاعر جاهلي .

أورد له الأَصمعي والجاحظ شعراً .

---

٣١ ـ جمهرة النَّسب لابن الكلبي ص ٣٢٠ ، النقائض ص ١٠٦٢ ، تاريخ العـرب قبـل الإسـلام ص ١٠٥ ، الحيـوان ٩٤/٦ ، مـن اسمـه عمـرو مـن الشـعراء ص ٩٢ ، معجـم الشـعراء للمرزباني ص ٢٣٧ ، لسان العرب : (رتع) .

٣٢ ـ عمرو بن قُرَيط العَبدي :

هو : عمرو بن قُرَيْط بنُ عبد الله بن أبي بكْر بن كلاب ، وقد يُقال له : عُمارة .

صحابي .

قُتل أبوه يوم رَحْرَحَان .

كان ممن ثبت على إسلامه أيّام الرِّدة .

قام مُعاتِباً ومُحذِّراً قومه المرتدّين ، الذين خالفوه رأيه وعصوه ، فأنشأ فيهم شعراً .

شاعر ، أورد له ابن الجرّاح وابن حجَر أبياتاً .

له نسل ، منهم من أقام على ماءَة لبني قُريط بديار كلاب ، اسمها «مطلوب» ، من ولده النّواس بن سَمعان .

---

٣٢ ـ النقائض ص ١٠٦٠ ، بلاد العرب ص ١٣١ ، من اسمه عمرو من الشعراء ص ٢٥ ، الإصابة ٢/١١٢ ، ٣/١٨٣ ، ٥/١٤٠، ٦/٤٧٨ .

٣٣ ـ عوف بن الأحوص الكلابي :

هو : عوف بن رَبيعة (الأَحوص) بن جَعفر بن كِلاب .

كنيته : أبو يَزِيد .

لُقِّب بـ «الجَرَّار» لأنّه رأس ألفاً من النّاس وأكثر ، ويُقال لـه الجـزّاز إذ أَسَـرَ مُعاويـة بـن الجَون زَعيم كِندة يوم شِعْبَ جَبلة ، وجزّ ناصِيته وأعتقه .

أُمُّهُ إحدى المنجبات ، ممن ولدن الأشراف ، اسمها : أنيسة بنت الوحيد بن كلاب .

كان عوف مهيباً تخافُه القبائل ، أحمر اللّون أشقر ، ضخم الأنف . جسيم البدن ، كأنّ شعر رأسه حشيشاً .

شارك في يوم رَحْرَحَان .

مات يوم ذي نَجَب ، عقب جَبَلة بعامٍ .

وفي مُعجم المرزباني ما يدل على أنَّ عوفاً كان حيّاً أيام الفِجار .

شاعر جاهلي ، من أصحاب المفضَّليات ، هجاء للنِّساء .

---

٣٣ ـ جمهرة النسب لابـن الكلـبي ص ٣١٥ ، النقـائض ص ٤٠٧ ، ٦٦٨ ، ١٠٦٢ ، المحبّر ص ٤٦٠ ، ألقـاب الشـعراء (نـوادر المخطوطـات ٣١٣/٢) ، معجـم الشـعراء للمرزبـاني ص ٢٧٥، الإيناس ص ١٤٧ ، سمط اللآلي ص ٣٧٧ .

٣٤ ـ قُطَيَّة بنتِ بشْر الكِلابيَّة :

هي : قُطَيَّةُ بنتُ بِشْر بن عَامِر (مُلاعِب الأَسِنَّة) بن مالِك بن جَعفر بن كِلاب .

زوجة مَروان بن الحَكَم بن أبي العاص .

وأُمُّ ولده بشر والي العراق من سنة ٧١ هـ إلى سنة ٧٥ هـ عام وفاته .

كانت قُطَيَّة ذات حُسن وجمال ، مما جعل عبد الرحمن بن الحكم أخو زوجها لا يتورع عن التّشبيب بها ، إذ يقول :

قُطَيَّةُ كالتِّمثالِ أُحْسِنَ نَقْشُه وأُمُّ أَبانٍ كالشَّرَابِ المبرَّدِ

كان سبب زواج مروان بها أن رآها تمتح على بئر لإبل لها ، فأُعجب بها ، واستحسن شعراً سمعه منها ، فخطبها من أبيها .

---

٣٤ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٩، ٣١٩ ، أنساب الأشراف ٦٥ ، الأغاني ٢١٣/١.

٣٥ ـ أبو المختار الكِلابي :

هو : قيس بن يَزِيد بن قَيس بن يَزِيد بن عمرو بن خُويلد بنُ نفيل بن عَمرو بن كِلاب، يُكَنَّى بأبي المختار .

شاعر مخضرم .

اشتكى عمّال الأهواز إلى الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذ كتب إليه قصيدة عدّد فيها أسماءَهم ، وذكر أعمالهم ، فكانت أول قصيدة في نقد الحكام ، اشتُهِر بسببها ، بدأها قائلاً :

فأبلغْ أمير المؤمنين رسالةً ... فَأنتَ أمينُ اللهِ في النَّهي والأمْرِ
وأنتَ أمينُ الله فينا ومن يَكُنْ ... أميناً لِرَبِّ النَّاسِ يَسْلمْ لَهُ صَدْرِي
فلا تَدَعَنْ أهْلَ الرَّسَاتيقِ والقرى ... يُضيعون مَالَ اللهِ في الأدم الوفر

---

٣٥ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٢ ، كنى الشعراء (نوادر المخطوطات ٢/٢٨٣) ، الاشتقاق ص ٢٠٩ ، الأوائل لأبي هلال ١/٢٤٧ ، جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٨٦، الإصابة ٥/٥٤٢ .

٣٦ ـ مِرْبع بن وَعْوَعَة الكلابي :

هو : مِرْبع بن وعوعة بن سَعِيد بن قُرْط بن عَبد بن أبي بكْر (عبيد) بن كِلاب .

وفي النقائض : اسمُه وعوعة ، ولقبه مربع .

وقال الصنعاني : مربع لقبه ، واسمه وعوعة .

كان مربع راويةً لجرير ، وكان يساعده ، فتهدده الفرزدق ، فقال في ذلك جرير :

زعمَ الفرزدقُ أن سيقتلُ مِرْبَعاً أَبْشِرْ بطُولِ سَلامةٍ يا مِرْبَعُ

وقيل إن سبب التّهديد أنَّ مربعاً نفَّر بأبي الفرزدق وضربه ، ويقال إنّه مات من تلك الضّربة فحلف الفرزدق ليقتلنَّ مربعاً ، فكان ذلك موضع هجوٍ للفرزدق من خصمه جرير .

كان شجاعاً ، يقذف بنفسه في خضمِّ معارك الهجاء ، فيكون طرفاً طارئاً فيها حتّى النِّساء كان بينه وبينهنّ هجاء شديد .

---

٣٦ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٤ ، النقائض ص ٩٧٥ ، ١٠٩٧ ، أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ٢/٢٧٥) ، شرح الحور العين ص ٢٨٢ ، الإصابة ٦/٦٣٣ .

٣٧ ـ معاوية بن مالِك الكِلابي :

معاوية بن مالك بن جَعفر بن كِلاب .

أُمُّهُ أمُّ البنين بنت عمرو بن عامر (فارس الضَّحياء) .

لُقِّب بمُعَوِّد الحُكماء لقوله :

سَأَعْقِلُهَا وتَحْمِلُها غَنِيٌّ وأُوْرِثُ مَجْدَهَا أَبَداً كِلابَا

أُعَوِّدُ مِثْلَهَا الحُكَمَاءَ يَوْمَاً إِذَا ما نَائبُ الحَدَثَانِ نَابَا

وذلك لما قام به من صُلحٍ بين بني عقيل وبني قُشير ، فاشتهر على أنه أحد حكماء العرب .

كان ممن ساد في قومه ، وأحد خمسة إخوة عرف كلّ واحد منهم بخصلة كانت له وسماً.

وفيه يقول قيس بن مقلد الكليبي :

أَتيت بني سَعد بن زَيْدٍ بِحيِّها كَتَائب يُهْدِيْهَا الرَّئيسُ مُعَوِّدُ

شاعر جاهلي ، يتسم شعره بالتعقل .

---

٣٧ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣١٨ ، الديباج ص ٧٥ ، النقائض ص ٥٣٥ ، ألقاب الشعراء (نوادر المخطوطات ٣١٣/٢) ، المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٨٨ ، معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٩١ ، سمط اللآلي ص ١٩٠ ، تاريخ التراث العربي لسزكين ١٣٥/٢ .

٣٨ ـ المهاجر بن عبد الله الكلابي :

كان والياً على اليمامة في خلافة هِشام بن عبد الملك والوليد بن يَزِيد .

مدح جرير المهاجر بعد أن أقطعه داراً وسيّر معه جنداً تحميه من ربيعة .

وهجاه الفرزدق فقال :

وإذا اليمامة أَتْمرت حِيطانُها ... وقعدت يابنَ خَضافِ[1] فوق سَرير

لوَّيْتَ بي شِدْقَيْك تحسِب أَنَّني ... أعيا بلومِكَ يا ابن عبد كثير[2]

إِنِّي لَمُهْدٍ للمهاجر جُبَّةً ... أزرارها من جلد أم جرير

ويبدو أن هذا الهجاء كان بعد دخول الفرزدق على المهاجر وهو على اليمامة ورجوعه منها خائباً حتّى إذا علم جرير بذلك قال يهزأ بالفرزدق :

رَأَيْتُكَ إذ لم يُغْنِكَ الله بالغِنى ... رجعت إلى قيسٍ وخَدُّكَ ضَارِعُ

وما ذاك إن أَعْطَى الفرزدقَ باسْتِهِ ... بِأَوَّلِ ثَغْرٍ ضَيَّعَتْهُ مُجَاشِعُ

وقد عاب المهاجر جريراً لهجائه الفرزدق بعد ما مات ، وأشار عليه أن يرثيه لتخلّد العرب ذلك الصنيع .

---

٣٨ ـ النقائض ص ٩٣٤ ، طبقات فحول الشعراء ص ٤١٦ ، ذيل الأمالي للقالي ص ٦٣ .

(١) يعني بذلك المهاجر .

(٢) يريد أنّ كثير بن الصَّلت الكندي كان سببَ اتصال المهاجر ببني أُمية .

٣٩ ـ نُباتَة بن حَنْظَلة الكِلابي :

هو : نُبَاتَةُ بن حَنْظَلَة بن رَبِيعة بن عَبْدِ قَيْس بن رَبِيعة بن كَعْب بن عبد الله بن أبي بكْر ابن كلاب .

قائد وفارس شجاع ، كان مع الحجّاج في حصار ابن الزُّبير .

ولي جُرجان والرَّي ، عاملاً لمروان بن محمد ، وكان قد وجهه لمقاتلة سليمان بن حَبِيب سنة ١٢٧ هـ فانتصر عليه نباتة ، وفي سنة ١٢٩ هـ قتل دآودَ بنَ حاتم الذي بعثه سليمان ليمنعه من دخول الأهواز .

وفي عام ١٣٠ هـ بعث يزيد بن عمر بن هبيرة نباتة لنصرة نَصْرِ بن سيّار ، فأتى فارس وأَصْبَهان ، ثم سار إلى الرَّي حتّى أتى جُرجان ، فقابله قَحْطَبة بن شَبِيب الطّائي في عددٍ لا مثيل له ، وكان ذلك في مستهل ذي الحجة من عام ١٣٠ هـ في يوم الجمعة ، فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض ، فقُتِل نباته وانهزم من معه ، وبعث قحطبةُ برأس نباتة وابنه حيّة إلى أبي مُسلم الخُراساني .

---

٣٩ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٥ ، المعارف ص ٣٧٠ ، ٤١٨ ، تاريخ الطبري ٣٩١/٧ ، العقد الفريد ٤٨٠/٤ ، الإصابة ١٨٣/٢ .

٤٠ ـ يَزِيد بن عَمرو الكِلابي :

هو : يزيد بن عمرو بن خُويلد بن نُفَيل بن عَمرو بن كِلاب .

يُكَنّى بأبي قَيْس .

عُرِف جدُّه بالصَّعِق ، وذلك أنَّ ريحاً هبَّت على طعامٍ كان يُقَدِّمه لقومه فأفسدته فشتمها فأرسل الله عليه صاعقة أحرقته ، ولذا قال شاعرهم :

أَلا إنّ خُوَيْلداً فابكي عَليه قَتِيْلُ الرَّعْدِ بِالبلدِ التِّهامي

ويقال إن الصَّعق لقب لأبيه .

كان يزيد شديد الأدمة ، وقد عابه بذلك الرّبيع بن زياد العَبْسي ، كما كان أعرجاً إذ طعنه العمرّد في رجله .

شارك يزيد في يوم القُرْنَتين ، وكان أحد الأبطال فيه ، إذ أَسَر وَبْرةَ بن رومانس الكَلْبي أخا النّعمان بن المنذر لأمِّه ، وأسره أنيف بن الحارث اليَرْبُوعي في يوم ذي نَجَب ، وضرب رأسه ، حتى قال فيه الفرزدق :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلدٍ يزيد على أمِّ الفراخ الجواثم

كان يتهاجى هو والنّابغة الذبياني ، كما تهاجى مع العوراء أخت بني رِيَاح .

مدحه مِرداس بن أبي عَامِر العَبْسي ، وهجاه أوس بن غلفاء الهجيمي ، وعيّره سُحيم ابن وَثِيل الرِّياحي .

---

٤٠ ـ المفضلية ١١٨ ، جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢١ ، النقائض ص ٧٢ ، ٣٧٨ ، ٥٨٩، ٩٣٣ ، طبقات فحول الشعراء ص ١٦٧ ، كُنى الشعراء (نوادر المخطوطات ٢٩٤/٢) ، البرصان للجاحظ ص ٢٥٦ ، الشعر والشعراء ص ٦٣٦ ، الأمالي لليزيدي ص ١٣٩ ، معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٩٤ ، القرط على الكامل ص ٤٤٠ ، خزانة الأدب ٤٣٠/١ .

٤١ ـ يَزِيد بن مُعاوية الكِلابي :

هو : يَزيد بن مُعاوية بن عَمرو بن عُبَيد بن رُؤَاس (الحارث) بن كِلاب .

وفي المؤتلف والمختلف : ... عمرو بنَ قيْس بن عُبيد ...

كنيته : أبو دُوَاد .

فارس شجاع شارك في وقائع فيف الرِّيح التي كانت عند مبعث الرسول ﷺ.

شاعر جَاهلي ، جعله ابن سلام الجمحي في الطبقة العاشرة من طبقات فحول الشعراء ، بعد مزاحم العقيلي ، ويَزِيد بن الطِّثرِيّة ، ونقل ابن حجر عن المرزباني أنّه مخضرم .

أغلب شعره في الفخر بقبيلته ، ثم الغزل .

---

٤١ ـ جمهرة النسب ص ٣٣٠ ، النقائض ص ٤٧١ ، النوادر لأبي زيد ص ٤٤٥ ، طبقات فحول الشعراء ص ٧٦٩، ٧٨٣ ، كُنَى الشعراء (نوادر المخطوطات ٢/٢٨٣) ، المؤتلف والمختلف ص ١١٥ ، الإصابة ٦/٧٠٥ ، لسان العرب (دأدأ) .

٤٢ ـ الهُذَيْل بن زُفَر الكِلابي :

هو : الُهذيل بن زُفَر بن الحارِث بن عَبْدِ عمرو بن مُعَاز بن يَزِيد بن عَمرو بن خُويلد ابن نُفَيل بن عَمرو بن كِلاب .

كان مع أبيه «زفر» حينما تحصَّن بقرقيسيا سنة ٦٥ هـ ، وسيّداً من سادات قيس .

أوقع ببني تَغْلِب يوم حَزّة .

لجأ عام ٧١ هـ إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأمَّنه عبد الملك .

كان ممن شارك في هزيمة يزيد بن المهلَّب عام ١٠٢ هـ ، وكان قد استعان به من قبل في نائبة أثقلته ، وفي جمهرة الأنساب أنّ الذي قتل يزيداً هو الهذيل ، وكان ذلك يوم العَقْر .

مدحه الفرزدق فقال :

ترك الهذيل هذيل قيس منكم قتلى يُقَبِّح روحَها الملكان

كما ذكره جرير في قوله :

لقد سرَّني وقع خيل الهذيل وترغيم تغلب في دارها

وفات الهذيل بني تغلب وجحَّاف قَيْسٍ بأزفارها

له شعر يُخاطِب به عاصم بن عبد الله الهِلالي والي هِشام بن عبد الملك على خُراسان .

---

٤٢ ـ جمهرة النسب ص ٣٢١ ، النقائض ص ٥٠٧، ٩٠٢، ١٠٤١، نقائض جرير والأخطل ص ٤٦ ، البيان والتبيين ٦٦/٢ ، تاريخ الطبري ٥٩٣/٥، ١٦٤/٦، ٥٩٥ ، العقد ٣٠٤/١، معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٨١ ، جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٦ .

الفصل الثالث

مصادر شعر القبيلة

تمهيد :

كانت قبيلة بني كلاب من القبائل التي يُعتدُّ بلغتها وتروى أخبارها فقد حرص الرُّواة على الأخذ عنها ، حتى قال أبو زيد الأنصاري الموصوف بالثقة : " لست أقول قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء : بكر بن هوازن ، وبني كلاب ، وبني هلال ، أو من عالية السافلة ، أو من سافلة العالية ، وإلا لم أقل : قالت العرب "[١] . ولذا كثر الرواة الذين يتردَّدون على عالية نجد ، ديار بني كلاب ومن جاورهم ، ممن بَعُدَ عن المدن ، فكان أكبر عدد نقل عنهم جامعو اللغة هم من بني كلاب[٢] وكان المؤمَّل أن يكثر الشعر المروي عنهم ، غير أن اللغة كانت لها الغلبة في هذا ، وتوارى الشعر وراءها ، فجاء دليلاً عليها ، ولو كان الضّد لحظينا بشعر وافر تتابع رواته حتى عصر التدوين ، الذي حظي فيه الشعر الكلابي بعناية الرواة من حفظة ونقلة ، فإذا كان أبو ضمضم الكلابي[٣] الذي صار شيخاً معمراً في عهد الأصمعي ينشد في ليلة واحدة لمئة شاعر كلهم اسمه عمرو ، فإنا نجزم أنَّ من بينهم من هو كلابي ، غير أنَّ العمرين الذين دُوِّن شعرهم من بني كلاب لا يجاوزون أصابع اليد ، مع قلة شعرهم وعدم روايته عن أبي ضمضم ، أفليس هذا يشعر بضياع شعر بني كلاب ، الذي صُنع له ديوان[٤] اطَّلع عليه الآمدي . ؟!

لقد هيأت الرّواية عدة سبل متنوعة كوَّنت مصادر الشعر الكلابي ، التي تمثلت فيما يأتي :

---

(١) المزهر للسيوطي ١/١٥١ .

(٢) راجع الأعراب الرواة ، د. عبد الحميد الشلقاني .

(٣) العقد الفريد ٥/٣٠٨ .

(٤) المؤتلف والمختلف ص ١٨٧ .

أ ـ الدَّواوين :

جاءت دواوين شعراء بني كلاب المفردة ضامة شعر المشهورين منهم ، عبر عصورهم الزمنية المتتابعة فيها دواوين مخطوطة ، جُمعت في عصور التدوين الأولى ، منها ما هو متداول بيننا ، ومنا ما هو مفقود ، نصّت عليه مصادر المؤلفات ، ونقل عنها المؤلفون .

وقد اهتم الباحثون بالشعر الكلابي فصنعوا دواوين جُمعت حديثاً ، بعد أن ضاعت الدواوين القديمة ، أو قد تكون مما لم يُجمع من قبل ، وظل متناثراً بين صفحات كتب التراث، سواء منها الخاص بالشعر ، أو ما حوى معه لغة وأخبارا

١ ـ من هذه الدَّواوين : **ديوان عامر بن الطُّفيل الكلابي** ، الذي نشره المستشرق الإنجليزي : " تشارلس لايل " في سلسلة نشريات " جب " التذكارية رقم ٢١ ، ليدن ، لندن ، عام ١٩١٣م . ونشر معه ديوان عبيد بن الأبرص الأسدي[١] ، وقد روى أبو بكر الأنباري ديوان عامر بن الطّفيل عن شيخه ثعلب ، وشرح منه ما رأى أنه يحتاج إلى شرح ، وألحق " لايل " بالديوان حينما طبعه حواشٍ ملأى بالفوائد ، والآراء الصائبة ، كما يقول البستاني ، ونقله إلى الانجليزية ، وجعل له مقدمة ، وصحَّح الخطأ ، وعمل له فهارس متعددة، جزيلة الفائدة[٢] .

وأعاد كرم البستاني نشر ديوان عامر بن الطفيل ، مُضيفاً إلى شرح المخطوطة شرحاً لما لم يشرح من قبل ، وتعريفاً بالشاعر وشعره .

٢ ـ ديوان لبيد :

كان ديوان لبيد بن ربيعة الكلابي متداولاً منذ القديم ، فقد صنع ديوانه رواة عُرفوا بجودة تآليفهم ، كان أولهم أبو عمرو الشيباني ، وبعده الأصمعي ، ثم ابن السكيت والطوسي وآخرهم أبو سعيد السكري[٣] .

ولديوان لبيد نسخ مخطوطة ، منها : شرح الطوسي ، وهو أهم مخطوطات الديوان ونسخة الشنقيطي الموجودة في دار الكتب المصرية ، التي تحوي عدة دواوين ، من ضمنها

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ص ١١١، ١١٧ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ٥ .

(٣) الفهرست ص ١٧٨ .

ديوان لبيد ونسخة مكة المكرمة ، التي قال عنها د . يحيى الجبوري إنها نسخة كاملة للديوان[١] .

ونُشر ديوان لبيد أول مرة عام ١٢٩٧هـ ، في فينّا ، باعتماد الأستاذ يوسف ضياء الدين الخالدي على نسخة من شرح الطوسي هي الجزء الثاني، أما الأول فلم يتمكن من قراءته[٢].

ثم ظهر ديوان لبيد تحت عنوان : " شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري بتحقيق الدكتور إحسان عباس ، الذي قال في تقديمه للديوان " وقد رأيت أنَّ ديوان لبيد يستحق عناية جديدة ، فأخذت نفسي بنشره ، ... فأبقيت شرح الطوسي كما هو ، غير أنّي غيرت ترتيب القصائد "[٣] ، وَشَرَح ما لم يشرحه الطوسي بالرجوع إلى الشروح القديمة .

٣ـ ديوان طهمان :

جمع أبو سعيد السُّكري في كتابه " أخبار اللصوص " شعراً لطهمان ، كما أورد بعض أخباره ضمن ما جمع من أشعار وأخبارٍ للّصوص المشهورين من البدو ، وكما يقول بروكلمان إن في ذلك الكتاب " ديوان طهمان " ويذكر أن مخطوطة لهذا الديوان تُوجد في مكتبة ليدن برقم ٥٨٢ ، كما توجد أشعار أخرى لطهمان في بودليانا برقم ٣١٥ ، واسكوريال ثان ٣٦٣،٤٦٦ ، وبولونيا ٤٩٦-٩٨ [٤] .

وقد طبع اللورد وليم رايت ، ديوان طهمان عام ١٨٥٠م ، اعتماداً على نسخة ليدن المخطوطة[٥] ، ويقول محمد جبَّار المعيبد إنَّ أول من نشر ديوان طهمان هو المستشرق الانجليزي وليم رايت سنة ١٨٥٢م ، ضمن مجموعة أدبية سمَّاها (جرزة الحاطب وتحفة الطالب)[٦] .

ولمحمد العطار المصري ٩١ ورقة بإسم كشف المعاني والبيان في شرح ديوان طهمان ، في دار الكتب بالقاهرة ، كتبت عام ١٣١١ هـ [٧] .

---

(١) لبيد بن ربيعة ص ١٨٩،١٩١ .

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ص ١٤٦، وشرح ديوان لبيد ص ٣٨ ، لبيد بن ربيعة ص ١٩٣.

(٣) شرح ديوان لبيد ص ٣٩ .

(٤) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ص ٨٥ .

(٥) السابق ص ٨٥ .

(٦) ديوان طهمان ص ١٤ .

(٧) تاريخ التراث العربي لسزكين ١٤٤/٣ .

وقد نشر محمد جبّار المعيبد ديوان طهمان بشرح أبي سعيد السُّكري ، مُعتمداً على طبعة وليم رايت ، أما طبعة وليم ألورد فلم يحصل عليها ، مع مطالعته لما نقله ابن ميمون في منتهى الطلب ، والعمري في مسالك الأبصار ، مضيفاً للديوان ما وجده في كتب التراث من أبيات .

٤ ـ ديوان زفر :

يذكر ياقوت الحموي في كتابه " معجم الأدباء " أنَّ محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥هـ قد ألف كتاب ديوان زفر بن الحارث[١] ، كما ذكر ياقوت أيضاً في كتابه الآخر " معجم البلدان " عن المدائني أنه صنَّف كتاباً في أخبار زفر بن الحارث ، وقرأه ياقوت بخط أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكري[٢] .

وقد نشر د. نوري حَمُّودي القيسي ديوان زفر عام ١٩٨٤م في مجلة المجمع العلمي العراقي[٣] ، بعد أن جمع متفرقه من كتب التراث ، وبعد ثلاث سنوات نشر الدكتور رضوان محمد النجار الديوان ذاته في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني[٤] ، وكان الدكتور النَّجار قد جمع شعر زُفر مع ما جمع من شعر بني عامر ضمن رسالته للدكتوراة المسجلة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٤٠١هـ ، وعقَّب على هذا الديوان المهندس حاتم غنيم في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني[٥] .

٥ ـ ديوان القتال :

يذكر الآمدي في كتابه " المؤتلف والمختلف " أن للقتال ديواناً مفرداً[٦] ، كما إنَّ ابن السكيت قام بتصنيف ديوان للقتال[٧] ، وينصُّ البغدادي على أن صاحب كتاب اللّصوص وهو السكري قد أورد له في هذا الكتاب أشعاراً ، مع ما أورد من جنايات[٨] ، وقد يكون ابن المبارك وياقوت قد وقفا على هذا الكتاب أو الديوان نفسه ، فقد جاء في منتهى

---

(١) معجم الأدباء ٤٧٦/٦ .

(٢) معجم البلدان (لُوّخ) .

(٣) الجزء الأول ، المجلد ٣٥ ، كانون الثاني ١٩٨٣م ص١٤٢ .

(٤) العدد ٣٣ ذو القعدة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧ ص٢١٥ .

(٥) العدد ٣٩ ذو القعدة ، ربيع الثاني ١٤١١ هـ .

(٦) المؤتلف والمختلف ص ١٦٧ .

(٧) ديوان القتال المقدمة ص ٢٥ .

(٨) خزانة الأدب ١١٢/٩ .

الطلب[١] أربع قصائد للقتال مجموع أبياتها ٩٤ بيتا، وكثيراً ما يستشهد ياقوت في معجمه[٢] بأبيات للقتال ، فيها ذكر للأماكن .

وقد قام الدكتور إحسان عباس ، بجمع ما تبقّى من شعر القتال ، إذ جمع من المصادر المختلفة سبعاً وأربعين ما بين مقطوعة وقصيدة[٣] ، ونشرها عام ١٩٦١ م ، دار الثقافة ، بيروت .

٦ - وهناك دواوين أخرى مفقودة لبني كلاب نَصَّت عليها بعض المصادر ، ففي كتاب الرِّجال للنّجاشي[٤] أنَّ ديوان جامع بن مرخية الكلابي كان بصنعة ابن السِّكيت ، ويظهر تداول هذا الديوان إذ نجد أبياتاً لهذا الشاعر مبثوثة في مجاميع الشعر كالزهرة لابن دآوُد الأصبهاني[٥] ، والحماسة البصرية[٦] ، وفي كتب البلدان كمعجم ياقوت[٧] الحموي ، وكتب اللغة كإصلاح المنطق[٨] واللسان[٩] .

إنَّ هذه النُّتف من الشعر الكلابي التي نجدها متفرقة بين الكتب لتدل على ما أصاب شعر هذه القبيلة من ضياع ، إمَّا بموت حُفَّاظه ، أو باندماجهم في مجتمعات جديدة أنستهم ما ضيهم وأشغلتهم بعيشها الحضاري عن الرواية ، التي صارت تهتم بالمضمون ، فقد نُبذت كلُّ رواية تُعيد عصبية الجاهلية جذعة ، فابن عبد البر في ترجمته لذي الجوشن الكلابي يُورد أبياتاً له يرثي بها أخاه الصُّميل ثم يقول بعدها : " وهي أكثر من هذه الأبيات تركتُ ذكْرَها لما فيها من الفخر بالجاهلية .. "[١٠] .

---

(١) منتهى الطلب ، الجزء الأول ص١٢٧ - ١٢٩ .

(٢) معجم البلدان (عماية) .

(٣) ديوان القتال ص ٢٥ .

(٤) الرجال للنجاشي ص ٣٥٠ .

(٥) الزهرة ص ٣١٩ .

(٦) الحماسة البصرية ٩٣/٢ .

(٧) معجم البلدان (الأيم) .

(٨) اصلاح المنطق ص ٢٩٠ .

(٩) لسان العرب (برم ، مهل) .

(١٠) الاستيعاب ٤٦٨/٢ .

وأوضح دليل على ضياع الشعر الكلابي ورود أسماء عديدة لشعراء كلابيين دون شيء من شعرهم .

٧- كما لم يسلم شعر المتأخرين من بني كلاب من الضياع ، فقد ذكر ابن النديم أن شعر ابن أبي الزوائد الكلابي يبلغ خمسين ورقة ، ومثلها شعر سعيد بن ضمضم الكلابي الذي قال عنه[١] إنَّهُ :

" وفد على الحسن بن سهل وله فيه أشعار جياد ، منها قصيدة لم يُسبق إلى قافيتها " ثم أتى ببيت واحد منها فقط ، وذكر أن مقدار شعر أبي زياد الكلابي ثلاثون ورقة ، وفي صفحتها عشرون سطراً ، كما نّص علي ذلك .

وقد جنى على شعر بني كلاب إعجابُ الناس به وإنشادهم له على المساجد حتى إن عظماء الشعراء عظّموه وخرُّوا له سُجَّداً فحين قدم الفرزدق ، " مر بمسجد بني أُقيصر ، وعليه رجل ينشد قول لبيد :

وجلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنَّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَها أقلامُها

فسجد الفرزدق ، فقيل له : ما هذا يا أبا فراس ؟ فقال : أنتم تعرفون سجدة القرآن ، وأنا أعرف سجدة الشعر "[٢] وتلك رواية المفضّل االضّبي ، فكان من تلك الجنايات انتحال الشعراء ما يروقهم من هذا الشعر الكلابي ، وإشاعته في الناس أنّه لهم ، فابن ميَّادة الشاعر المخضرم الذي جعله ابن سلاَّم في الطبقة السابعة ينتحل شعراً لابن القتال الكلابي الذي يقول: " عارضني ابن مَيَّادة فقال : أنشدني يابن القتال ، فأنشدته :

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً بِصَحْرَاءَ مَا بَيْنَ التَّنوُفَةِ وَالرَّمْلِ
وَهَلْ أَزْجُرَنَّ العِيْسَ شَاكِيَةً الوَجَى كَمَا عَسَلَ السَّرْحَانُ بِالبَلَدِ المَحْلِ
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ صَوْتَ حَمَامَةٍ تُغَنِّي حَمَامَاتٍ عَلى فَنَنٍ جَثْلِ
وَهَلْ أَشْرَبَنَّ الدَّهْرَ مُزْنَ سَحَابَةٍ عَلى ثَمَدِ الأَفْعَاةِ حَاضِرُهُ أَهْلِي
بِلادٌ بِهَا نِيْطَتْ عَليَّ تَمَائِمِي وَقُطِّعْنَ عَنِّي حِيْنَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي

---

(١) الفهرست ص ٥٢،١٨٨ .

(٢) الأغاني ١٥/٣٧١ .

قال : فأتاني الرُّواة بهذا البيت وقد اصطرفه ابن مَيَّادة وحده "[1] . إنَّ هذا مُبيِّن سبب نسبة بعض الشعر الكلابي لغيرهم .

وكان من أثر هذه الأسباب وغيرها أنَّها لم تُبقِ من الشعر الكلابي إلا ما كان شذر مذر ، قد توزَّعته مصادر مختلفة منها :

---

(١) الأغاني ٢/٣١١ .

ب - الاختيارات الشعرية :

وهي الكتب التي صُنعت على أساس الاختيار لطوائف من القصائد والمقطوعات المتنوعة حسب زمن قائليها وتعدُّد موضوعاتها ، واقتطفت من مجاميع الشعر وبالذات من شعر القبائل الذي سبق هذه الإختيارات مما أُغري به الذوق الحسن ، وقد كثرت هذه المنتقيات في القديم وفي الحديث ، واهتم بها الباحثون فأخرجوها الإخراج الدقيق .

وأولى تلك المختارات هي :

١ - **المفضليات** التي انتقاها المفضَّل الضّبي المتوفى عام ١٧٨هـ ، والتي تبلغ ١٣٠ قطعة لبني كلاب منها سبع قصائد[١] ثنتان لعامر بن الطفيل إحداهما تزيد بيتاً عما في الديوان ، وثلاث لعوف بن الأحوص ، وثنتان لمعاوية بن مالك " معود الحكماء " وتبرز قيمة رواية هذه القصائد في المفضليات بإعتبار أنها أقدم وأوثق مصدر للشعر .

وللمفضل كتاب آخر ضمَّ المقطّعات نقل عنه الآمدي في ترجمته لجبار بن سلمى الكلابي ، وقال[٢] : " أنشد له المفضل في المقطّعات " ثم أورد بيتين له .

٢ - **وتأتي الأصمعيات بعد المفضليات** ، التي هي من اختيار أبي سعيد الأصمعي الذي توفي سنة ٢١٦هـ .

حيث بلغت القطع التي جاءت في كتابه ثنتين وتسعين قطعة ، من ضمنها سبع قطع لخمسة شعراء كلابيين ، احدهم شاعر عباسي هو أبو مهدية الأعرابي الذي روى عنه الأصمعي[٣] .

وقد وافق الأصمعيُّ المفضَّل في اختياره لأبيات كلٍّ من الشاعر معاوية بن مالك وعامر بن الطفيل وعوف بن الأحوص وزاد الأصمعي بيتين ليزيد بن الصَّعق .

٣ - **ومن كتب الاختيارات كتاب الحماسة** لأبي تمام المتوفي عام ٢٣١ هـ ، وقد اشتمل على اثنين وستين بيتاً لثلاثة عشر شاعراً[٤] كلابياً ، ومع أنَّ بعض الأبيات مختلف في

---

(١) المفضلية ٣٥، ٣٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.

(٢) المؤتلف والمختلف ص ٩٩ .

(٣) الأصمعية ٣٥، ٤٥، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩. الفهرست ص ٥٢ .

(٤) الحماسة قطعة رقم ٢٧، ٢٨، ٤٣، ٥٨، ٨٤، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٤٩، ٣١٠، ٣٦٧، ٤٢٣، ٥٢١، ٦٩٧، ٦٩٨، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٩، ٧٨١، ٨٧٢ .

نسبتها ، إلاّ أنَّ نسخاً للحماسة تنسبها للكلابيين كما أن الباحث لا يعدم بروايات الحماسة شيئين يتطلبهما البحث هما : توثيق النص وتوثيق قائله وذلك مصدر اطمئناننا لما ورد في الحماسة وإن كان قليلاً لما ننشد من ضالة .

٤ ـ لكن كتاب أبي تمام الأخر المعروف "بالوحشيات" ـ لأنة يضمُّ مقاطيع من الشعر " أوابد وشوارد ، لا تعرف عامّة ، وأغلبها للمقلين من الشعراء أو المغمورين منهم "[١] ـ قد أظفرنا بما هو جديد من الأسماء لشعراء كلابيين ، مع أبياتهم ، مثل خنجر[٢] الجعفري ، وجعدة بن عتبة[٣] الكلابي ، وابنه عبد الله وخالد بن علقمة[٤] بن علاثة ، وآخرون ، كما بلغت الأبيات المنسوبة للكلابيين ما يقرب من ضعف عدد الأبيات الموجودة في الحماسة ، إذ هي حوالي ١١٢ بيتاً لـ٢١شاعرا ، غير ابيات أخرى مختلف في نسبتها ونسبة قائلها[٥] .

٥ ـ وتأتي حماسة البحتري المتوفى سنة ٢٨٤هـ في المرتبة الثانية بعد حماسة أبي تمام ، وكان البحتري قد اختارها من أشعار العرب للفتح بن خاقان معارضة لحماسة أبي تمام ، ونسجاً على منواله ، كما نصَّ على ذلك العنوان ، وأورد البحتري فيها أسماء عشرة من شعراء بني كلاب ، مورداً لكل شاعر ما بين القطعة إلى الثلاث قطع ، متحفنا بأسماء لم يُسبق إليها ، من مثل أبي الرُّبيس الكلابي ، ومقاعس وأم الأسوار[٦] الكلابيين ، وميزة البحتري أنه لم يُغفل نسبة الأبيات لقائليها ، كما فعل سابقه .

٦ ـ ويأتي كتاب الزهرة لأبي بكر الأصبهاني المتوفى عام ٢٩٧هـ بعد الحماستين ، ضمن كتب الإختيارات الشعرية ، حيث اختار المؤلف مقطوعاته لتكون نديماً لصديقه محمد بن جامع الصيدلاني ، إذ يخاطبه بقوله : " وقد عزمتُ لِماَ رأيت بك من غلبات الاشتياق ، ومن ميلك إلى تعرُّف أحوال المشاق ، أن أوجِّه إليك نديماً يشاهد بك أحوال المتقدمين ويحضرك أخبار الغائبين ... وهو كتاب سمَّيته " كتاب الزّهرة " واستودعته مئة باب ،

---

(١) الوحشيات ، المقدمة ص ٦ .

(٢) السابق ص ٢٢٨ .

(٣) الوحشيات ص ٢٦٢.

(٤) السابق ص ٨١ .

(٥) الوحشيات ص ١٢ .

(٦) الحماسة للبحتري ص ٢٦٤،١٨،١٣٠ .

ضَمَّنت كل باب مئة بيت ... "[١] وضم الكتاب شعر تسعة من الشعراء الكلابين ، بعضهم يبرز أول مرة[٢] ، وعادة ما ينسب الأصبهاني الأبيات لقائليها ، غير أنه أحياناً يشذُّ ، فيكتفي بقوله : قال بعض الكلابيين ، وقد يجمح إلى ما هو أبعد فيقول : قال آخر ، وناحية أخرى تبدو عند الأصبهاني كما بدت عند البحتري ، وهي أنه يختار للشاعر مقطوعات ، بين الثلاثة والأربعة من الأبيات ، وهذا ما ارتضاه من خطة لكتابه ، إذ يقول بعد ذكر أبواب الكتاب : " وأقتصر في ذلك على قليل من كثير ، وأقنع من كل فنٍ باليسير .. "[٣] .

٧ ـ **ويجمع الأخفش الأصغر** المتوفى عام ٣١٥هـ بين اختياري المفضل الضَّبي والأصمعي فيما عُرِف بالاختيارين ، وليس للأخفش مزية في هذا غير الجمع والشرح ، ومع هذا فإنا نظفر بما ليس من اختيار المفضل أو الأصمعي ، مما ورد من قصائد في هذا الكتاب ، إذ إنَّ ثمانياً وخمسين قصيدة لم ترو من اختيارهما[٤] ، ومن بين هذه القصائد أبيات للأعور ابن يزيد الكلابي[٥] ، لم ترد فيما سبق من اختيارات ، وفائدة أخرى نجنيها من كتاب الاختيارين ، وهي امدادنا بروايات مغايرة لروايات القصائد الكلابية التي أوردها من سبق الأخفش .

٨ ـ **ومن كتب المختارات ذات الأهمية كتاب " الأشباه والنظائر "** الذي جمع فيه الأخوان الخالديان[٦] ما استحسنا من شعر القدماء ، مع اليسير من شعر المشاهير ، وذلك سبب أهمية الكتاب إذ بمنهجه هذا يتيح الظهور للمغمورين من الشعراء ، مما يجعلنا نقع على أسماء أخرى لشعراء كلابيين . فمما قاله الأخوان في ديباجه كتابهما : " ونحن ـ أطال الله في العز بقاءك وكبت بالذل أعداءك[٧] ـ نضمِّن رسالتنا هذه مختار ما وقع إلينا من أشعار

---

(١) الزهرة ص ٣٧، ٤٠ .

(٢) السابق ص ٣٤٨ .

(٣) الزهرة ص ٤٠ .

(٤) الاختيارين ، المقدمة ص ٥ .

(٥) السابق ص ١٨٣ .

(٦) هما أبو بكر محمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠ هـ وأخوه أبو عثمان سعيد بن هاشم المتوفى عام ٣٩١ هـ .

(٧) يريد سيف الدولة أو الوزير المهلّبي : الأشباه ، المقدمة ت .

الجاهلية ومن تبعهم من المخضرمين ، ونجتنب أشعار المشاهير لكثرتها في أيدي الناس ، فلا نذكر منها إلا الشيء اليسير ، ولا نُخليها من غرر ما رويناه للمحدثين .. "[١] .

إن عنايتهما بشعر المتقدمين مبين عن أن ما أورداه من شعر وشعراء هو من تلك الفترة التي نتطلبها فكان أن بدت أعلام أخرى من شعراء بني كلاب ، منهم عمار بن هاشم الكلابي ، وهدم بن عمار الكلابي وعبد الرحمن بن حسان[٢] الكلابي ، وأم الظباء الكلابية، وزهراء الأعرابية الكلابية .

٩ - وكتاب آخر له قيمته الأدبية هو كتاب " الأنوار ومحاسن الأشعار " ألفه أبو الحسن الشمشاطي المتوفى آخر القرن ألرابع تقريباً ، وضمنه أشعاراً خلت منها المصادر المتداولة ، فلقد تفرد هذا الكتاب بذكر أبيات لبعض شعراء بني كلاب ، فقصيدة يزيد بن عمرو الكلابي في رثائه لمالك[٣] ، مَلِكُ سليم لم يرد منها في المصادر الأخرى إلا البيت الأخير ، وانفرد بها الشمشاطي ، وأبيات عامر بن مالك الكلابي[٤] في اعتذاره عن انهزامه لم يوردها مصدر غير الأنوار ، وأبيات أبي دوآد الرُّؤاسي الكلابي[٥] في يوم حاجر ، رواها المؤلف في كتابه ، ولم تتناقلها كتب الأدب أو التاريخ ، وذلك فضل تسديه الأنوار .

١٠ - وخاتمه هذه المختارات مخطوطة متداولة قد تناثرت قصائدها فيما أُلفّ من الكتب حديثاً ، تلك هي مخطوطة " **منتهى الطلب من أشعار العرب** " التي اختارها محمد بن المبارك بن ميمون المتوفى آخر القرن السادس وقد احتفى بها الباحثون ، وأقبلوا عليها ، أذ اعتبرت أكبر المجاميع لما ضمَّت من شعر غزير لشعراء متقدمين كان من بينهم كلابيون ، أورد المؤلف قصائدهم كاملة ، وانفرد برواية قصيدة أبي دوآد الرُّؤاسي[٦] الميمية كاملة ، إذ اطلع ابن المبارك على كتب هي مفقودة الآن ، كما أنه قرأ ما ضمَّ كتابه على شيخه ابن الخشاب ،

---

(١) الأشباه والنظائر للخالديين ص ٢ .

(٢) هو عمرو بن حسّان الكلابي : من اسمه عمرو من الشعراء ص ٢٥ .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/١٢٤ .

(٤) السابق ص ١٨٩

(٥) الأنوار ١/٢٣٧ .

(٦) منتهى الطلب ، الجزء الخامس .

وتميز عمّن سبقه بإيراده القصائد العديدة للشاعر الواحد ، فقد أورد للقتال الكلابي أربع قصائد ، ولعوف بن الأحوص قصيدتين .

جـ - كتب الأدب :

١ - يأتي في مقدمتها كتاب " البيان والتبيين " الذي ألفه الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥هـ وأراد منه أن يُبين أصول البيان ومصادر البلاغة ، وذلك من خلال النصوص الدينية أو الشعرية أو كلام المفوَّهين من الفصحاء ، ولذا فإن الشعر الذي ورد لكلابيين ، يُفصح اختيارُ الجاحظ له عن أنه من جواهر البيان العربي ، وتلك ناحية جعلته في بعض الأحيان لا يحرص على إيراد اسم الشاعر فمراده النص دون قائله ، ومع هذا فلم نر الجاحظ أغفل اسم أحد من الشعراء الكلابيين كما فعل مع غيرهم ، وهذا دليل على شهرة هؤلاء الكلابيين ، فقد ورد اسم الشاعر يزيد بن الصعق وزرارة بن جزء الكلابيان وابنه عبد العزيز ، وزفر بن الحارث ، والحكم بن ريحان الكلابي ، وعامر بن مالك وشاعر معروف هو لبيد وشاعر عباسي هو أبو زياد الكلابي ، وأبو هؤلاء كلهم كلاب بن ربيعة ساق له الجاحظ بيتي شعر[١] ، وذلك منهجه إذ هدفه الاستدلال ، فغالب ما يورد من أبيات لا يجاوز الثلاثة ، لكن حصيلتنا في جمع هذه الأبيات ليست بهينة من حيث المصدر والرِّواية .

٢ - و كتاب آخر للجاحظ ألَّفه قبل " البيان والتبيين " زودنا ببعض شعر بني كلاب هو كتاب الحيوان ، إذ جاء فيه من شعر خالد بن عجرة الكلابي ويزيد بن الصَّعق ، وذي الأهدام الكلابي وعبيد بن العرندس الكلابي[٢] ، ممّا فقد في غيره ، أو كان مُؤيداً لسابقه ، ولا تخلو كتب الجاحظ الأخرى من أشعار القبيلة ، كما لا تبخل علينا بشيء من ترجمتهم .

٣ - والكتاب الثاني هو كتاب تلميذ الجاحظ محمد بن يزيد المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ ، إذ ألف كتاب " **الكامل** " فملأه بالنصوص الشعرية والنثرية من أجل بيان الأوجه النحويه واللغوية من خلال شرح تلك النصوص وهذا ما صرح به حين قال : " هذا كتاب ألَّفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور ، وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة ، واختيار من خُطبةٍ شريفة ، ورسالة بليغة ، والنية فيه أن نفسِّر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى مُسْتغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً

---

(١) البيان والتبيين ١٦/٤ .

(٢) الحيوان ٢٧٢/١، ٣٠/٥ ، ٢١٥/٤ ، ٨٩/٢ .

شافياً ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً ..."[١] ومن هنا كان سبب تسميته " بالكامل " .

تميز كتاب " الكامل " بإيراده قصيدة عبيد بن العرندس الكلابي[٢] أتم من بقية المصادر، حيث جاءت عدة أبياتها أربعة عشر بيتا ، كما وردت أبيات ليزيد بن الصعق ، غير ما ورد من شعر لعامر بن الطفيل ولبيد والقتال ، وعادة ما ينسب المبرد الأبيات لقائليها إلا في القليل.

٤ - وكتاب آخر لا يستطيع أن يتجاهله باحث ، إذ حوى من الشعر والتراجم ما فيه غناء ، وهو كتاب " **الأغاني** " **الذي ألفه أبو الفرج الأصبهاني** المتوفى عام ٣٥٧ هـ ، وتلقفه الأدباء لمنهجه الاستطرادي في أسلوب شيق ، ومادة غزيرة متنوعة ، جعلته أحد مصادر الأدب ، حتى ليقول عنه ابنُ خلدون : " ولعمري إنّه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها ، وأنى له بها "[٣] .

وقد كان كتاب الأغاني مصدراً أساسياً لبعض شعر بني كلاب ، إذ أورد فيه من شعرهم ما انفرد به دون بقية المصادر لأكثر من ٢٥ شاعر ، ساق أخبارهم وبيَّن عصورهم، ووثّق ما روى لهم عن طريق الأسانيد ، منهم الجاهلي والاسلامي والأموي والعباسي فقد أورد للشاعر العباسي ناهض بن ثومة الكلابي أخباراً وأشعاراً .

والأصبهاني ينقل عن نفر من بني كلاب أشهرهم أبو زياد الكلابي[٤] ، أحد الرواة الحفّاظ لأخبار وأشعار القبيلة ، كما ينقل عن أبي عمرو الشيباني[٥] الذي ألف في أشعار القبائل .

٥ - ومن الكتب الأدبية كتاب فيه الكثير عن قبيلة بني كلاب ، أنسابهم وأخبارهم ، لغتهم وديارهم والجمّ الغزيز من أشعارهم ، وشعراء كثيرين ، فيهم النّابه والمغمور ، غير أنَّ معظمهم من شعراء العصر العباسي ، هذا الكتاب هو : " **كتاب التعليقات والنّوادر** " لأبي

---

(١) الكامل ١/١ .

(٢) السابق ٧٨/١ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ١٢٦٨/٤ . .

(٤) الأغاني ١٦٦/٨ .

(٥) السابق ٣٥٤/١٥ .

علي هارون بن زكريا الهَجَري الذي عاش في آخر القرن الثالث الهجري وأوائل الرابع[1] ، وطاف عوالي نجد ، وقابل بعض الكلابيين ونقل عنهم ، وسمَّى رواته منهم ، وكانت طريقته في إيراد الشعر أن يقول : وأنشدني فلان ، فيذكر الأبيات ، ثم يبين بعض معاني الألفاظ ، وقد تتتالى الأبيات بلا تعقيب ، وليس الكتاب مصنفاً على نمط معين ، فهو بلا منهج مُرتَّب ، فالشعر يعقبه النسب ، ثم ذكر للديار ، ثم شعر في المديح يتلوه آخر في الهجاء مما يبين لنا أنَّ الكتاب إملاء من كل ما يعن للشيخ ، بلا تنسيق ، على طريقة الأوائل في تآلفيهم .

---

(١) أبو علي الهجري ، لحمد الجاسر ص ١٧ .

د - كتب التراجم :

وهي على قسمين : تراجم للرجال ، وتراجم للدّيار ، ويخصنا من تراجم الرجال التراجم التي عنيت بالشُّعراء وهي كثيرة ، غير أنَّ أجلَّها إفادة لموضوعنا هي ثلاثة كتب :

١ - الأول منها كتاب طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي المتوفى عام ٢٣١ هـ ، الذي امتاز بذكر الشاعر الكلابي أبي دُؤآد الرُّؤاسي[١] حين جعله ضمن الطبقة العاشرة مع مُزاحم بن الحارث العُقيلي ، ويزيد بن الطّثرية والقحيف العقيلي ، ثم أورد له مقطوعة في حرب بين عُقيل بن كعب ونمير بن عامر ، ثم قصيدة في يوم فيف الريح ، ثم قصيدة أخرى في الفخر بدأها بالغزل ، نقل رواياتها عن يونس بن حبيب ، كما ذكر ليزيد ابن الصَّعق شعرا وللبيد أيضاً ، وجَعْلُ أبي دُؤَاد في تلك المرتبة حُكْمٌ يُحتفى به ، لأن الجمحي صنّف طبقاته على أساس فني وموضوعي وكمي ، وإن كان خالف حيناً .

٢ - والثاني كتاب : " من اسمه عمرو من الشعراء " لأبي عبد الله محمد بن داؤد بن الجراح المتوفى سنة ٢٩٦هـ الذي أراد به استقصاء من سُمِّي عَمْراً من الشعراء ، المقل فيهم والمكثر، إذ قال : " وأنا متتبعٌ كلَّ من انتهى إلىَّ أنَّه قال شيئاً سار له من الشعر من العَمْريين ، وذاكر في باب كلٍّ واحد منهم ما يدل على معرفته من أخباره ونسبه وشعره على اختصار "[٢] وقد حثَّه على هذا الصنيع ابن قتيبة الدَّينوري وأبو العباس ثعلب ، حتى جمع " أكثر من مئتي اسم ليس فيهم من حَدُث بعد الأصمعي إلا نيف وعشرون رجلاً ، وفيهم من قد رآه الأصمعي .. "[٣] .

وقد بلغ شعراء بني كلاب الذين ذكرهم ابن الجراح ستة شعراء ، هم عمرو بن الأحوص ، وعمرو بن سلمة ، أبو طهمان الشاعر ، وعمرو بن قُريط وعمرو بن البراء ، وعمرو بن حسّان ، وعمرو بن الصَّعق[٤] وقد جعلهم ضمن شعراء مضر الجاهليين ، إلا عمرو بن الصَّعق نسبه لخثعم اليمن ، والذي أراه أنَّ ثلاثة منهم اسلاميّون ، وذلك واضح من

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧٦٩، ٧٨٢ .

(٢) من اسمه عمرو من الشعراء ص ٣ .

(٣) السابق ص ٥ .

(٤) من اسمه عمرو من الشعراء ص ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٩٢ .

شعرهم ، هم عمرو بن قريط وعمرو بن البراء وعمرو بن حسان ، أما عمرو بن سلمة فيبدو أنه مخضرم .

٣ - ومعجمان ضمَّا شعراء العربية ، وترجما لهم ، هما **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء** للآمدي المتوفى عام ٣٧٠هـ . **ومعجم الشعراء** للمرزباني المتوفى عام ٣٧٨هـ ، لهما فضل لا ينكر في إيراد أسماء الشعراء الكلابيين ومشهور شعرهم ، الذي قد يكون الحصول عليه متعذّراً ، لفقدان الكتب التي ضمتّه ، التي قد تكون من مصادر الآمدي أو المرزباني ، حيث إن الأول قد اطلع على كتاب بني كلاب ، إذ يقول وهو يترجم لعامر بن مالك الكلابي (أبو براء) : " وله في كتاب بني كلاب اشعار "(١) كما اطلع الآخر على كتاب لعمر ابن شبّة ، فهو يقول عن عقيل بن العرندس(٢) الكلابي : " ذكره عمر بن شبة ولم ينسبه .. "(٣) .

وقد ورد في الكتابين من شعراء بني كلاب خمسة وعشرون شاعراً ، منهم من يُذكر له شعر كعوف بن الأحوص(٤) ، ومنهم من لا يُوردُ له المؤلف من الشعر شيئاً ، كقوله عن عروة الرحال الكلابي : " .. ولا أعرف له شعراً "(٥) .

٤ - ومن كتب تراجم الديار كتابا **بلاد العرب للأصفهاني ومعجم البلدان لياقوت** ، فالحسن بن عبد الله الأصفهاني الذي عاش في القرن الثالث كان جُلُّ كتابه عن بني كلاب: عشائرها وديارها ، وبما أنَّ لبني كلاب مساحة واسعةً من الديار ، تتبَّعها الأصفهاني ووصفها، فقد اشتمل هذا على طائفة من شعرهم جاءت دليلاً على المسمَّيات ، مما يوضِّح لنا أنَّ كثيراً من شعر بني كلاب قد ضاع ، ولم يبق منه إلا نتف حفظتها كتب الدِّيار ، إذ لا يرد إلا موضع الشاهد من الأبيات ، ومع أنَّها نُزَع ، غير أنَّ حصولنا عليها يشكل دفقاً جديداً في حوض الشعر الكلابي ، وبالأخصّ حين يكون المصدر متفرداً بمضمونه ككتاب بلاد العرب الذي لا نجد مادته مكرورة في كتب أخرى ، فقد زوَّدنا بشعراء جدد ، لم يردوا

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ١٨٧ .

(٢) من أسماء عبيد بن العرندس الكلابي المختلف فيها .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٠٢ .

(٤) السابق ص ٢٧٥ .

(٥) المؤتلف والمختلف ص ١٢٥ .

من قبل ، لكنا لا نعرف عن عصورهم شيئاً ، إلا ما يهدينا إليه ظاهر شعرهم ، من هؤلاء الشعراء مطير الكلابي ، وابن حفص الكلابي ، ودآؤد بن الأغضف ، والخنجر الجعفري ، وأبو جابر الكلابي ، وثعلبة الوبري ، ومعقل الكلابي ، غير المشهورين من شعراء بني كلاب، ومن يغفل اسمه وينسبه لقبيلته .

أمَّا ياقوت الحموي الذي وفَّى في ذكره الديار والبلاد فاشتهر كتابه " معجم البلدان " فقد كانت وقفته بنا على مصادره التي أخذ عنها ، باعثَ ولعٍ بهذا الكتاب ، إذ عدَّ كثيراً من كتب العمران والممالك ، والبلدان والمسالك ، ومنازل العرب وديارهم المقفرة[1] ، مما نُدهش له ، إذ غالبها نادر الوجود في عصر الطِّباعة أو مفقود ، وهذا ما يزيدنا شغفاً بمعجم ياقوت لنقله من كتب نفتقدها اليوم بل إنّها عُنيت عناية خاصة بموضوع بحثنا من ذكر للقبائل وديارها ومياهها ، ككتاب أبي سعيد السيرافي عن جزيرة العرب وكتاب أبي محمد الأسود الغندجاني الذي تحدث فيه عن مياه العرب ، كما وقف ياقوت على كتاب محمد بن إدريس ابن أبي حفصة المسمى : " مناهل العرب " وأخصُّ ما يخص قبيلة بني كلاب كتاب النوادر لأبي زياد الكلابي الذي أكثر ياقوت من النقل عنه في معجم البلدان ، حتى صرّح فقال : " وأبو زياد الكلابي ذكر في نوادره من ذلك[2] صدراً صالحاً وقفت على أكثره "[3].

---

(١) معجم البلدان ١١/١ .

(٢) أي من ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية .

(٣) معجم البلدان ١١/١ .

هـ - كتب اللغة :

١ - **يأتي في مقدمتها كتاب النوادر** لأبي زيد الأنصاري المتوفى عام ٢١٥هـ ، وهو كتاب اهتم به الأقدمون لنفاسة مادته والثقة بمؤلفه ، فقد كان الرياشي يحفظ الشعر الذي فيه كما يحفظ السورة من القرآن ، كما أنَّ أبا علي شيخ ابن جني " يكاد يُصلّي بنوادر أبي زيد إعظاماً لها "[١] إذ " أوصل إلينا مجموعة من الشعر والرجز لشعراء مشهورين لا نجدها في دواوينهم المطبوعة التي بين أيدينا ، واحتفظ الكتاب بمجموعة من أسماء الشعراء المغمورين وأشعارهم ، وهذه الأشعار لا نجدها في غيره من المصادر الأخرى ، وقد حدد العصور التي عاش فيها بعض هؤلاء الشعراء "[٢] وفائدة هذا الكتاب تتمثل في أنّه المصدر المباشر لقبيلة بني كلاب فهو ينقل عنها[٣] ، وعن أفراد من هذه القبيلة مُعَيَّنِيْن بأسمائهم ، كأبي المضاء الكلابي[٣] ، وشمّاء الكلابية[٤] .

وقد ورد من شعراء بني كلاب في النوادر اثنا عشر شاعراً ، احتج أبو زيد بشعرهم في نوادر اللغة ، مما يُبين قِدم هؤلاء الشعراء ، وأهليتهم للأخذ عنهم ، رغم أنَّ منهم من ليس معروفا ، كالحبال الكلابي[٥] ، والنمر الكلابي ، وقد نص أبو زيد على أنَّ الأول جاهلي ، وترك بيان عصر الثاني .

٢ - **ويدخل في كتب اللغة كتاب " مجالس ثعلب "** لأبي العباس أحمد بن يحيى ، المعروف بثعلب ، المتوفى عام ٢٩١ هـ ، فقد ضَمَّت أماليه أبياتاً لبني كلاب ، منها ما انفرد ثعلب بروايتها كقصيدة عبد الرحمن بن منصور الكلابي[٦] المكنى بأبي حجّار ، التي تبلغ ٣٢ بيتا ، ومنها ما هو متداول بين المصادر ، كأبيات لغلام كلابي[٧] وثقها ثعلب بسندها .

---

(١) النوادر لأبي زيد ص ٣٦ .

(٢) السابق ، المقدمة ز .

(٣) النوادر ص ٣٠٥ .

(٤) السابق ص ٥٧٤ .

(٥) أبو حبال الكلابي : مجالس ثعلب ٩٥/١ .

(٦) السابق ١١٠/١ .

(٧) مجالس ثعلب ٩٣/١ .

٣ - ومن كتب اللغة معاجمها ، وأغزرها مادة " لسان العرب " لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ حيث جمع فيه ما تفرق من موادِّ خمسةِ معاجمَ هي : التهذيب للأزهري ، والمحكم لابن سيده ، والصَّحاح للجوهري ، وتصحيحه لابن برّي ، والنهاية لأبي السعادات الجزري[١] ، وهذا ما جعل اللسان يضمُّ أكبر مجموعة من شعراء بني كلاب ، إذ يبلغ عددهم ما يقارب الخمسين شاعراً ، استُدلَّ بالبيت أو البيتين من أشعارهم في معنىً معيَّن لولاه لضاعت تلك البيوتات مع ما ضاع من شعر القبيلة ، وما كان لبعض الشعراء الكلابيين أن يُعرفُوا إلا عن طريق هذا المعجم ، فمحمودة الكلابية ، وأبو العارم الكلابي مثلاً برزا من خلال اللسان دون سواه .

١ - وتذكر كتب المؤلفات مصادر أخرى لشعر قبيلة بني كلاب ، ففي الفهرست لابن النديم[٢] يذكر أنَّ أبا سعيد السكري كان من عمله في أشعار القبائل أن صنع أشعار الضِّباب ، غير أنا لم نر هذا الكتاب الذي تتناقله كتب فهارس المصادر[٣] ، وفي حديث الآمدي عن أبي براء عامر بن مالك الكلابي قال : " وله في كتاب بني كلاب أشعار "[٤] لكنه لم يُعَرِّفنا بهذا الكتاب ، ولا نَصَّ على مؤلفه ، غير أنَّ فؤاد سزكين ينسبه في فهارس كتابه[٥] لمجهول ، كما يشتمل كتاب المفيد للمرزباني على تراجم وأشعار لبعض الشعراء الكلابيين إذ يقول المرزباني " باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين ممن لم يقع إلينا اسمه ، وقد أثبتُ أخبارهم وأشعارهم في الكتاب المفيد فاقتصرت في هذا الموضع على ذكر كناهم وقبائلهم ... "[٦] ثم يورد من شعراء بني كلاب كلاً من أبي حبال الكلابي ، وأبي الدكناء الكلابي ، وأبي سلمة الكلابي وأبي العرندس الكلابي ، يتلوهم أبو عمران الكلابي ، وأبو الوليد الكلابي .

---

(١) لسان العرب ، مقدمة ابن منظور ٣/١ .

(٢) الفهرست ص ١٨٠ .

(٣) تاريخ التراث العربي لسزكين ٥٦/١ .

(٤) المؤتلف والمختلف ص ١٨٧ .

(٥) تاريخ التراث العربي لسزكين ٢٦٢/٥ .

(٦) معجم الشعراء للمرزباني ص ٥١١ .

٢ ـ ويعتبر كتاب النوادر لأبـي زيـاد الكلابـي مـن المصـادر الموثوقـة في أخبـار وأشـعار القبيلة، إذ مؤلفه ألصق بقومه وأحفظ لأخبـارهم وأشـعارهم ، ولـذا سـاق مواطنهـم وعـرّف بعشائرهم ، ويتضح هذا من خلال النقولات عن هذا الكتاب الذي قال عنـه علـي بـن حمـزة وهو ينقل عنه " وإنما بدأنا بهـا لشـرف قدرهـا وسمـوّ ذكرهـا ونباهـة صيتهـا "[١] وقـد رأى القيرواني صاحب العمدة[٢] كتاب النوادر ، مما يدل على أهميـة الكتـاب وتداولـه إلى عهـد قريب ، حتى لقد وصفه البغدادي[٣] بأنّه " كتاب كبير فيه فوائـد كثـيرة " وهـذا مـا يجعلـه مظنّة أشعار الكلابيين ، ويكاد يصدق هذا الظن حين ننظر في معجم البلـدان فنجـد نقـولات ياقوت من ذلك الكتاب زاخرة بنصوص من الشعر ووصف الديار ، بل إنّه ليصرح بأنّ نوادر أبي زياد كانت من مصادر معجمه[٤] .

٣ ـ كما أنّ بعض مؤلفات الكلابيين هي مظنّة شعر وأخبـار للقبيلـة ، مـن مثـل كتـاب النسيب لابن عثام الكلابي[٥] ، وصنف علاقة بن كرشم الكلابي في عهـد يزيـد بـن معاويـة كتاب الأمثال ، الذي لن يخلو من شعر قبيلته ، وهو العارف بأيام العرب وأحاديثهـا ، وأحـد من أُخذت عنه المآثر .

٤ ـ وهناك كتب أُخرى هي حَرِيَّةٌ بتناثر شـعر بـني كـلاب بـين صفحاتهـا ، تلـك هـي كتب شعراء القبائل وأشعارهم ، مثل أشعار القبائل لأبي عبيدة[٦] والشيبابي[٧] ، والإختيـار من أشعار[٨] القبائل لأبي تمام ، وشعراء القبائل لابن[٩] حبيب ، وهما من مصـادر الآمـدي في مؤلفاته ، وغير ذلك من المصادر التي تحفل بها فهارس الكتب .

---

(١) التنبيهات على أخطاء الرواة ص ٦١، ٢٦٨ .

(٢) العمدة ٢/٢١٣ .

(٣) خزانة الأدب ٦/٤٦٦ .

(٤) معجم البلدان ١/١١ .

(٥) الفهرست ١٠٢، ١٢٢ .

(٦) تاريخ التراث العربي لسزكين ١/٦٢ .

(٧) الوافي بالوفيات ٨/٤٢٥ .

(٨) الموازنة ص ٥١ ، الفهرست ص ١٩٠ .

(٩) المؤتلف والمختلف ص ٧٢ .

٥ ـ ويأتي كتاب " أشعار بني عامر بن صعصعه " من أهم الكتب التي لن يُعدم فيها شعر الكلابيين ، وهو كتاب مفقود ، ذكره الآمدي ونقل عنه في مؤتلفه حين تحدث عن أحد الشعراء العامريين التي تنضوي كلاب فيها ، فقال[١]: " ومنهم طرفة أخو بني عامر بن ربيعة، كذا وجدته في أشعار بني عامر بن صعصعة ، شاعر ، ولم أجد له ما يصلح للمذاكرة .. " .

رواة القبيلة :

وكان لأبناء القبيلة الرُّواة دور هام في حفظ تراث آبائهم ومآثر قومهم ، فقد اشتهر منهم :

١ ـ أبو زياد الكلابي ، وهو يزيد بن عبد الله بن الحُرِّ بن هَمّام بن دهر بن ربيعة بن عمرو بن نُفاثة بن عبد الله بن كلاب[٢] أعرابي شاعر ، سكن بادية العراق ، ثم دخل بغداد في أيام المهدي العباسي ، فأقام بها نحو أربعين سنة إلى أن توفي عام ٢٠٠هـ تقريباً .

له من المؤلفات كتاب " النوادر " و " الإبل " و " الفروق " و" خلق الإنسان "[٣] .

يعتبر كتاب " النوادر " المصدر الرَّئيسي لمادة كتاب " الجيم " لأبي عمرو الشيباني[٤] ، رآه صاحب العمدة[٥] ، ونقل عنه علي بن حمزة في تنبيهاته[٦] .

جلُّ مقَطَّعات الشعر الكلابي مروي عن أبي زياد الكلابي وحده ، الذي انبثّت مروياته في كتب اللغة والبلدان ، لانفراده بالماده المنقولة ، من مثل ما أنشده لريسبان الكلابي[٧] .

وأولُ كأسٍ من طَعامٍ تذُوقُهُ ذرا قُضُب يَجْلُو نقيّاً مُفَلَّجَا

٢ ـ ناهض بن ثومة الكلابي ، جدُّه الشاعر نصيح بن نَهِيك ، من بني كعب بن بكر ابن كلاب . شاعر مجوِّد ، من شعراء الدولة العباسية ، معاصر لعُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير .

فارس فصيح ، وبدوي جافٍ كأنه من الوحش ، معروف بطيب حديثه .

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ١٤٧ .

(٢) خزانة الأدب ٤٦٦/٦ .

(٣) الفهرست ص ٥٠ .

(٤) تاريخ التراث لسزكين ١٣٨/١ .

(٥) العمدة ٢١٣/٢ .

(٦) التنبيهات على أخطاء الرواة ص ٢٦٨ .

(٧) خزانة الأدب ٤٧/٣ .

كان يَقْدَم البصرة فَيُكتَب عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة ، روى عنه الرِّياشي وأبو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة .

اتصل بأيوب بن سليمان بن علي ، كما وفد على قثم بن جعفر بن سليمان ومدحه .

له شعر كان يُستنسخ من كتابٍ لعلي بن محمد الكوفي ، أورد الأصفهاني بعضاً منه(١).

٣ ـ أبو ضمضم الكلابي ، ويقال أبو عثمان ، وهو سعيد بن ضمضم بن الصلت بن المثنّى بن المحلق الكلابي .

وفد على الحسن بن سهل ، ومدحه بقصائد وُصِفت بأنّها جياد ، منها قصيدة لم يُسبق إلى قافيتها ، وهي(٢) :

سُقْياً لحَيٍّ باللِّوى عَهِدْتُهُم مُنْذُ زَمَانٍ ثُمَّ هذا عَهْدُهُم

ولده محمد (أبو مهدي الكلابي) كان شاعرا فصيحاً ، مدح محمد بن عبد الله بن طاهر ورثاه بعد وفاته(٣) له شعر كان في خمسين ورقة .

عُرف أبو ضمضم بحافظته القوية رغم كبر سنه ، فقد روى الأصمعي أنّه كان يُنشِد في الليلة الواحدة لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو(٤) .

وهناك رُواة آخرون كثر ، من مثل أم الهيثم الكلابية ، من ولد المحلّق ، كانت رواية أهل الكوفة(٥) ، وأبي مهدي الكلابي الذي يروي عنه البصريُّون(٦) .

ومع هذه الكثرة من الرُّواة ، واحتفالهم بأخبار وأشعار قبيلتهم فقد اعتورها شيءٌ من الضَّياع تكاد أن تكون نسبته كبيرة كأي شعر لقبيلة أخرى ، وقد تكون مقولة ابن سلام الجمحي تفسيراً لذلك ، فهو يقول(٧) : " فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارسٍ والرُّوم ، ولَهَت عن الشعر وروايته ، فلمَّا كَثُر الإسلام ، وجاءت الفتوح، واطمأنَّت العربُ بالأمصار راجعوا الشِّعر ، فلم يَؤُولوا إلى ديوانٍ مُدَوَّنٍ ولا كتاب

---

(١) الأغاني ١٣/١٧٥ ، تاريخ التراث لسزكين ٤/٥٧ .

(٢) الفهرست ص ٥٢، ١٨٨ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٥٨ .

(٤) العقد الفريد ٥/٣٠٨ .

(٥) الكامل للمبرد ١/٦ .

(٦) الفهرست ص ٥٢ ، الأصمعية ٣٥ .

(٧) طبقات فحول الشعراء ص ٢٥ .

مكتوبٍ ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير . "

وبالنظر إلى كمية الشعر الكلابي المتوفرة لدينا نجد أنَّ أكثره كان شعر الفترة الجاهلية يليه الشعر الأموي ثمَّ شعر صدر الإسلام الذي كان أقلَّ الموجود ، وأوثقه .

الباب الثاني

الدراسة الموضوعية

الفصل الأول : شعر الغزل .

الفصل الثاني : شعر الطبيعة .

الفصل الثالث : شعر الفخر .

الفصل الرابع : شعر المدح .

الفصل الخامس : شعر الهجاء .

الفصل السادس : شعر الرثاء .

الفصل الأول

شـــعر الغـزل

١ ـ الأطلال .
٢ ـ الآثار .
٣ ـ الدموع على الآثار .
٤ ـ السقيا للديار .
٥ ـ الظعائن .
٦ ـ حادي الإبل .
٧ ـ الحال بعد الفراق .
٨ ـ تذكر الماضي .
٩ ـ أمراض الحب .
١٠ ـ محاسن المرأة (حسية) (معنوية) .
١١ ـ الحديث مع المرأة .
١٢ ـ طيفُ المحبوب .
١٣ ـ ذِكر الحبيب .
١٤ ـ معالم غزل الكلابيين .

مقدمة :

قد يكون لمسمَّى الشَّاعر دليلٌ على غَلَبَةِ ذلك الشُّعور الذي لا يَسْتكنُّ حتى يتجلَّى مُنبثاً في غناءٍ يحدو به قائله وهو يحثُّ ناقته أو يُسَرِّي عن نفسه ، إنّه الشعور الذي ينوط بالقلوب ولا يكاد يفارقها إلا في زفراتٍ تُخَفِّفُ الوطءَ ، وتُعلن الشكوى في ألفاظ رقيقة عن زمن عَصَفَ بالأفئدة وديارٍ كانت معاهد للأحبة ، حين كانت الجيرة سعادة والجيران أخلاء ، حتى إذا ما شتَّتهم الرِّزق غدوا يبكون ولعاً استعر وحُبّاً تمادى ، ماله من مُسَيْطر ، حتى لَيتبدَّى كُل آونَةٍ ما يحبسه حابس ، فيسبق إلى مقدمةِ القصيدة إنْ لم يحزها كلَّها ، إن هذا ليمثل شعر الغزل الذي يعتبر أغزر إرثٍ شعري بين الأغراض الشِّعرية ، لأنه تسجيلٌ لمساحةٍ عريضةٍ من حياة الإنسان عاشها بكل قواه النَّشِطة فبقيت محفورةً في مخيلته ، تستعيدها الذَّاكرة كُلَّما سنحت الفرصة .

إذ تجاورُ القبيلةُ القبيلةَ ، ويتلاقى أفراد الحيِّ في المرعى ، ويتزاحمون على الماء ، وحين الظَّعن تدبّ الحركة ، ويباشر كلٌّ عملَه ، وأكثر الأعمال منوطة بالمرأة ، فهي تطوي بيتها ، وتحمل على بعيرها ، وحين تَحِلُّ ، تُقيم البيت ، وتجمع الحطب ، ومع الغروب تُشعل النار ، وتحلب الغنم .

وزمن الإقامة يندسُّ العذارى في خدورهن ، فلا يُلمحن إلّا في المرعى حييَّات ، وإذا ما رآهن أحدٌ من الشعراء ، لم يستطع أن يصرِّح بالأسماءِ ، خوفاً على نفسه ، وشفقة بخلِّه .

وما إن بدأ الغزل مُعَبِّراً عن حقيقةٍ حتى استمرأته الأنفس فجعلته تقليداً تفْتَتِحُ به أغراضها الأخرى ، ويرى ابن قتيبة أن النسيب جاء من أجل لفت الأنظار إلى ما بعده وليس غايةً في حدِّ ذاته[١] ، وعند ابن رشيق أن الغزل مفتاح للشعر ، وبابٌ يُولج منه لغيره[٢] ، فلا يستقيم له موضوعه حتى يستهلَّه بالغزل ، وهو في هذا لا يخالف رأي ابن قتيبة ، بل إنّه ليجعل النسيب منطلق الشاعر النفسي الذي يُهيِّءُ له تملك ناصية القصيدة ، فأوصاف كثير

---

(١) الشعر والشعراء ص ٧٤ .

(٢) العمدة ص ٣٧٤ .

من الشعراء ترويحٌ للنفس ، وسقيها سراب التمنّي ، لذلك كان الشّعر العذريُّ أصدقَ شعر الغزل ، لأنه يدلُّ على لوعة الحرمان ، ويشكو أسى القطيعة .

والذي يظهر أنَّ المقدّمات الغزلية هدف منها الشاعر الإبانة عن براعته الفنية ، وأنّه غير قاصر عن غيره في هذا الفن الذي يرتبط بجزئيات الطّلل .

وإذا نظرنا إلى شعر الغزل الكلابي نظرة عامة وجدنا فيه ملامح شعر العذريين ، فقد لجّوا بالبكاء ، الذي سرعان ما يجلبُه عليهم الطلل ، مُذكّراً بالخلِّ وبُعد الأهل .

وما ارتباط شعر العزل بالطلل لدى الكلابيين إلا دليل رهافة الحسِّ ، وصدق الشُّعور ، لقد بدأ الشعراء الكلابيون غزلَهم بالطلل ، وذلك مبدأ الألم .

١ ـ الأطلال :

حين يلمع البرق ، ويتراخى هدب المزن ، تتحرك لواعج الشوق في قلب العربي في صحرائه فيمد ناظريه ، ويستمد أنظار رفاقه ، يشيم السحاب ، ويلاحق مسيره ، ويعيّنُ مواقعه ، ثم يطوي خيمته ، ويسابق المطر نزوله ، فيُرعي النفسَ مشتهاها ، من منظر النبات السامق ، وعبق الزهر الزاهي وتجد أنعامه كلأها ، فتسمن ويحتلب ، ويطعمُ ويرفد .

وحين يتصرم النّبات ، وتيبس الأشجار ، تعج به الأحزان ، فيرحل منكسر النفس .

تمر به سنون ، فيسوقه القدر إلى باعث الأشجان ، إلى منزلٍ تشع من كل صغيرة فيه حكايات وتنطق أخبار : أثافي كانت موقد نار ، ومجمع أصحاب ، ووتد خيمة كانت تلوح منها صبية شغفته حبّاً ، وأسهرته ليالي .

يمضّه ذلك الماضي الراحل ، ويلجّ به وجدانه الراهف ، فتنطق الحروف على لسانه ، ويشدو بلحن تسمعه الركبان فيغدو سميرها .

ذلكم هو حال نفر من شعراء بني كلاب بعثوا الحيوية في بيئتهم فأحسّ بهم الجماد وشعروا به متأثرين .

فهذا الشاعر الكلابي : معاوية بن مالك يأمر مطاياه بالوقوف على ديار محبوبته سلمى، يرى ديارا قد خلت من أهلها وطُمست معالُمها ، فلا يبين منها إلا ما كان ضئيلاً ، كشفت عنه الرِّياح حين تتردَّد متعاقبة ، كترجيع الكاتب الماهر خطاً قد خفي ، يحاول أن يظهرَه حَسَناً ، حَذَر العيب .

لقد أوقف بتلك الديار ناقته الشابة القوية ، يستطلع ، هل من أثر ؟ ويُصيخ السمع ، هل من أحد ؟ فلا شيء يظهر ، ولا خبر يبدر ، ويخيِّم المساء ، ديار صمّاء ، خالية بكماء ، لم توطأ منذ آماد ، موحشة ، لم يدركُ الليل بها إنساناً ، وما أُثِرَ فيها لعابر أَثَرٌ .

يُصيبه القنوط من الجواب ، وتقنعه النفس اليائسة أن الدار خاوية ، لا حيَّ بها ينطق : إنه يقول[١] :

فَإنَّ لَهَا مَنَازِلَ خَاوِيَاتٍ عَلَى نَمْلَى وَقَفْتُ بها الرِّكَابَا
مِنَ الأَجْزَاعِ أَسْفَلَ مِنْ نُمَيلٍ كما رَجَّعْتَ بالقَلَمِ الكِتَابَا
كتابَ مُحَبِّرٍ هَاجٍ بَصِيرٍ يُنمِّقُهُ وَحَاذَرَ أَنْ يُعَابَا
وقَفْتُ بِهَا القَلُوْصَ فلم تُجِبْنِي وَلَو أَمْسَى بِها حَيٌّ أَجَابَا

لقد حدّد المكان ، وسمى المواضع ، وذلك دليل تعلق القلب بالأطلال ، ومع أنّ الشاعر جاهليٌّ فقد استخدم صورة حضارية .

والشاعر أربد بن قيس الكلابي يرى الديار الخالية قد مرّت عليها شهور عديدة لا أنيس بها ، تطرقها الرِّياح الهوج ليلاً ، تصطفق عليها مترددة ، وتموج بها متعاقبة مدوِّية والأمطار تسري مساءً ، وتهطل باستمرار .

يتلبث بها قليلاً ، ويقف عندها ممعناً النظر ، فلا يجد أثرا ، فقد اتخذتها الرياح ملعبا والأمطار مسيلا ، فطُمست المعالم ، وغابت الآثار تحت وطأة الرمال التي تسفيها الرياح والأمطار التي تغيِّر وتمحو ما تمرُّ عليه .

لقد بخلت الديار بالأخبار ، ولم تفصح عما كان يبتغيه السائل من جواب ، فلا آثار في الدّيار تظهر للعيان ، ولا ما يدل على من كان يعمر المكان ، وتلك لوعة النفس يتفصّد عنها اللفظ .

إنّ عجمة الدّيار عن البيان خيَّبت أمله ، وأمضَّه صمتها ، إذ يقول أربد[٢] :

---

(١) المفضلية ١٠٥ . نملى : جبال كثيرة وسط ديار بني قريط من كلاب (بلاد العرب ص ١٢٩). الأجزاع : جمع جزع : وهو منعطف الوادي . نميل : تصغير نملى على حذف الزيادة (معجم ما استعجم ص ١٣٣٥) . محبر : منمِّق . هاج : قارىء . القلوص : الشابة من الإبل . والطويلة القوائم .

(٢) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٢٥ ، صَفْق : ضَرْبُ بعضِها بعضاً حين تعاقُبِها مُحْدِثَةً صوتاً (أساس البلاغة ، صفق) . سوار : هي الرِّياح والأمطار تسري ليلاً .

وَكَائِن أَتَى للدّار بَعْدَكَ مِنْ شَهْرٍ وَصَفْقِ سَوَارٍ مِنْ رِياحٍ ومِنْ قَطْرِ
فَأَمْسَكْتُ فِيْها أَبْتَغِي العِلْمَ عِنْدَهَا فَضَنَّتْ عَلَيْنَا بِالجَوابِ وَبِالخُبْرِ

ويذكر القتّال الكلابي[1] أنه وقف بالديار ، يجيل النظر ، حتى عَلَت الشّمس وأضحى النّهار ، وهو حزين على ما آل إليه ربع محبوبته الذي خفيت معالمه ، بفعل الرياح التي غطّت الآثار ، وطمست المعالم .

لقد أطال الوقوف يتفحص المكان ، حتى أصاب الضّجر ناقته القوية الصّلبة ، فما ظهر له من علامات الدار شيء ولا عرف من آثار القوم ما يدل عليهم ، حتى إذا أدركه اللّيل ، وغطّى الظّلام الكون أصابه اليأس ، وأعياه البحث ، فليس معه رفيق يساعده ، يجلب له السّعادة ، ويزيل عنه الهمّ ، وملاسة الأرض تزيده مضّاً وحرقة .

وبعد أن كَلّ ومَلّ ويأس وقَنِط قنعت عيناه على ما أجهد نفسه في البحث عنه ، فرأى بعض الآثار :

لِطَيْبَةَ رَبْعٌ بِالكُلَيْبَيْنِ دَارِسُ فَبَرْقٌ نِعَاجٍ غَيَّرَتْهُ الرَّوامِسُ
وَقَفْتُ به حتى تَعَالَتْ إلى الضُّحَى أَسِيًّا وَحَتَّى مَلَّ فُتْلٌ عَرَامِسُ
وَمَا إِنْ تُبِيْنُ الدَّارُ شيئاً لِسَائلٍ ولا أَنا حَتَّى جَنَّنِي اللَّيلُ آيِسُ
على آلةٍ ما يَنْبَرِي لي مُسَاعِدٌ فَيُسْعِدَني إلا البِلادُ الأَمالِسُ
تَجُوْبُ على وُرْقٍ لَهُنَّ حَمَامَةٌ وَمُنْثَلِمٌ تَجْرِيْ عَلَيْهِ الأَدَاهِسُ

ومع أن الشاعر أموي فإنّه ، لا يختلف عن سابقيه في شيء ، إلا في الإطالة والتفصيل لما اتُّفِق عليه من معانٍ ، كما أن ألفاظ القافية مُجْتَرَّة من بيئتها الجاهلية ، وذلك تقليد واحتذاء.

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص ٦٥ ، الكليبين ونعاج : موضعان لم يُحَدَّدا . الروامس : الرياح تطمس المكان بالتراب . أسيّاً : حزيناً . فتل : ناقة قوية . عرامس : صلبة ، آلة : هي الناقة ، شبهها بعمود الخيمة . أو أن الآلة بمعنى الحالة . ورق : صغار الحمامة . منثلم : نؤي تكسرت أطرافه . الأداهس: الرمال .

٢ ـ الآثار :

لطالما لفتت الآثارُ التي خلفها الراحلون أنظارَ الشعراء ، فتجلّت عبرها أيامهم الماضية ، ذكرتهم بأحبة كانوا ، وليالٍ فيها مُتّعوا .

يرى عوف بن الأحوص الكلابي من الآثار حياضاً هُدِّمت ، وحطباً كان بقيةَ نارٍ اصطلاها القوم وغادروا ، فيذكر الحبيبة والأهل ، أيام كان المغنى والمرتع ، والجيرة والمَجْمَع، لقد أبقوا فتاتاً يُشعل اللَّظى ، ويكوي الجوى ، يقول عوف[١] :

هُدِّمَتِ الحِيَاضُ فَلَمْ يُغَادَرْ ... لِحَوضٍ مِنْ نَصَائِبِهِ إِزَاءُ
لِخَوْلَةَ إِذْ هُمُ مَغْنىً وَأَهْلِي ... وَأَهْلُكِ سَاكِنُونَ مَعَاً رِئَاءُ
فَلأْياً مَا تَبِينُ رُسُومُ دَارٍ ... وَمَا أَبْقى مِنَ الحَطَبِ الصِّلاءُ

ويذكر عمرو بن براء الكلابي[٢] أن مبارك الإبل في معاطنها حول الماء قد طُمست ، وأن الماء ذاته قد تغيّر ، ونباح الكلب لم يعد يُسمع ، وكأنّ هذا المكان ما كان حيّاً بالجيرة والجيران ، ولا التأم فيه شمل الأهل والخلان :

عَفَا عَطَنُ العَوْجَاءِ، والماءُ آجِنٌ ... سُدَامٌ ، فَحَلَّ الماءَ مُغْرَوْرِقٌ صَعْبُ
كَأَنْ لم يَرَ الحَيَّيْنِ يُمْسُوْنَ جِيْرَةً ... جَمِيْعَاً ، وَلَمْ يَنْبَحْ بِقَفْيَانِهَا الكَلْبُ

واستبان للقتال الكلابي كثير من الآثار ، ووجد الديار قد عاث فيها الحيوان ، إذ خلا له المكان ، فصار يجول حرّاً ، ويمرح طليقاً ، متخذاً من آثار القوم ملهى ومأوى .

حمامة تحوم على صغارها ، ونعام أربد اللون ، تمد أعناقها متباهية ، كرجال تباهت بما على أكتافها من أوشحة ، لا أحد يضايقها في الديار .

وذاك محبس سيل تثلّم ، طمسته الرِّياح ، وداسته العواصف ، حتّى تغيَّبَ .

---

(١) المفضلية ٣٥ . إزاء : حافّة .

(٢) معجم البلدان (العوجاء) . عطن : مناخ الإبل حول الماء . العوجاء : ماء لبني الصمّوت ، ببطن تُربة (معجم البلدان . العوجاء) . آجن : متغير . سُدام : متغير لطول عهده . القفيان : جمع قفا : وهو الرمل .

وتلك أثافي القدر ، سُوْدٌ قد تشتّتت هنا وهنـاك ، كأنهـا إبـلٌ سُحمٌ لرجـل مـن هجـر تفرقت في مرعاها ، والثعالب قد حفرت لها أوكاراً تحت تلك الحجارة ، يقول القتال[١] :

وَمَا إِنْ تُبِيْنُ الدَّارُ شَيئاً لِسَائلٍ ... وَلا أَنَا حَتَّى جَنَّنِي اللَّيلُ آيِسُ
تَجُوْبُ عَلَى وُرْقٍ لَهُنَّ حَمَامَةٌ ... وَمُنْشَلِمٌ تَجْرِي عَلَيْهِ الأَدَاهِسُ
وَسُفْعٌ كَذَوْدِ الهَاجِرِيِّ بِجَعْجَعٍ ... تُحَفِّرُ فِي أَعْقَارِهِنَّ الهَجَارِسُ
مَوَاثِلُ مَادَامَتْ خَزَازٌ مَكَانَهَا ... بَجَبَّانَةٍ كَانَتْ إِلَيْهَا المَجَالِسُ
تَمَشَّى بِهَا رُبدُ النَّعَامِ كَأَنَّها ... رِجَالُ القُرَى تَجْرِي عَلَيْها الطَّيَالِسُ

وطهمان بن عمرو الكلابي[٢] يتحدث عن المكان الذي كان مقاماً للأحباب فعصفت به بعدهم العواصف ، واتّخذت منه الرياح مسرحاً ، فما عاد يُرى من أثر القوم ما يذكر ، غيرُ أوتادِ خيمة ثبتت حتى تصدّعت ، وأصابها البلى فضعضعها وأضعفها فهي كعشِّ الطائر واهٍ :

سَقياً لمرتَبَعٍ توارثَهُ البِلى ... بين الأَغرِّ وبين سُود العَاقِرِ
لَعِبَتْ به عُصْفُ الرِّياحِ فلم تَدَعْ ... إلا رَوَاسِيَ مِثْل عُشِّ الطائِرِ

والملاحظ تعاقبهم على معانٍ واحدة ، وإنما الاختلاف في طريقة تناولها .

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص ٦٥ . الأداهس : الرمال . سفع : أثافٍ سود . جعجع : أرض لا أحد بها (اللسان) . الهجارس : الثعالب . خزاز : جبل بإزاء حمى ضرية (معجم البلدان) . جبانة : صحراء .

(٢) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص ٣١ . الأغر : واد بشقِّ العالية (معجم ما استعجم ١/١٧٣). العاقر : عاقر الثريا ... من جبال حمى ضريَّة (معجم البلدان) .

٣ ـ الدموع على الآثار :

وحين تختفي تلك الآثار ، وتغيب معالم الديار تصاب النفس بالأسى ، وتبلغ بها رهافة الحس أن تفرط منها مشاعرها ، فتريق الدمع ، وذلك أحرُّ مظاهر الجزع .

أبو دوآد الرؤاسي الكلابي ، عجمت عليه الديار ، فما أبانت له من معالم الخلان ما تطيب به النفس لقد تداولتها الرياح والأمطار ، تطمس على مرِّ الأزمان ، حتى أخفت كلَّ شيء ، من أجل ذلك انهمرت دموعه مدرارا ، وانفرطت الذكريات تُمِضّه فهو يقول[١] :

يَا دَارَ عَبْلَـةَ بالعَلْـيَاءِ مِـنْ ظَـلَمِ ... مَا إنْ تَبِيْنُ مَغَانِيْـهَا مِنَ القِـدَمِ
هَاجَتْ عَلَيْكَ شُؤُونَاً غَيْرَ واحِدَةٍ ... وَذَكَّرَتْكَ بِـذُحْلٍ غَـيْرِ مُنْتَـقم
أَمْسَتْ رَهِيْنَةَ دَهْرٍ لا فِكَـاكَ لَـهَا ... بَيْنَ الرِّيَاحِ وَبَيْنَ الدَّبل والدَّيَمِ

لكن بشر بن الهذيل الكلابي يُعاب حين انفرط بالبكاء ، وأخذت عيونه تَكِـف دمعاً ، إن زميله يرى أنه أهدر دمعه في غير ما شيء ، بل يـرى أنّ الديـار لا تستحق هـذا البكـاء ، وأن الدموع حرام سفكها من أجل دارٍ تركها أهلُها .

ويُظهر الشاعر حقيقة مشاعره ، فيُبين أنّ هـذا شـأنه مـع الدمـوع منـذ أمـد ، وأنهـا لا تنقطع طالما أنَّ هناك أحبة وطللا ، لذا أصاب عيونه المرض ، فالدمع دائم ومثيره ماثل ، يقول بشر[٢] :

يَقُولُ زَمِيْلي يَوْمَ سَـابِقَةِ النَّـقـى ... وَعَيْنايَ مِنْ فَرْطِ الأسَى تَكِفَانِ
أَمِنْ أَجْلِ دَارٍ بَيْنَ لَوْذَانَ فَالنَّقى ... غَـدَاةَ الـنَّـوى عَيْـنَاكَ تَبْـتَدِرَانِ
فقُلتُ له : لا بل قـذيت وإنمـا ... قَذَى العَينِ مما هَـيَّـجَ الطَّـلـلانِ

---

(١) منتهى الطلب ١٤٦/٥ . ظلم : جبل أسود لعمرو بن عبد بن كلاب (معجم البلدان) . شـؤون : مجاري الدمع . ذحل : ثأر . الدّبل : الجدول .

(٢) المنازل والديار ص ١١٠ . النقى : كثيب الرمل . لوذان : موضع ذكره الراعي .

٤ ـ السقيا للديار :

ولم يكن نصيب الديار المقفرة تلك الدموع المنهمرة فحسب ، بل كان الشعراء الكلابيّون يمدّون يد الضراعة إلى الله أن يرحم ما أجدب من الأرض ، وأن يسقيَها المطر المبارك ، ليكون به العوض عن محو الأثر إلى نموِّ الزّرع ، ويعود الأحباب بعد التشتّت في طلب المرعى .

إنّ عُبَيْد بن العَرندس الكِلابي ليدعو ربه أن يسقي دار أحبته التي **عيّن** مكانها ، ومرّ عليها زمن منذ أن غادروها ، وأعقبهم عليها الريح والمطر ، لكنه يرجو أن يكون مطراً مغيثاً يُحي الأرض بعد موات ليعود إليها أهلها فيعمروها كما كانوا عمروها ، إنه يقول[١] :

يا دَارُ بَيْنَ كُلَيَّاتٍ وأَظْفَارِ ... والحَمَّتَيْنِ ، سَقَاكِ اللهُ مِنْ دَارِ
عَلَى تَقَادُمِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عُصُرٍ ... مَعَ الَّذِي مَرَّ مِنْ رِيْحٍ وَأَمْطَارِ
عَنَّا غَنِيْتِ بَذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ أَجَلَى ... والعَهْدُ مِنْكِ قَدِيْمٌ مُنْذُ أَعْصَارِ
وَقَدْ نَرَى بِكِ والأَيَّامُ جَامِعَةٌ ... بِيْضاً عَقَائِلَ مِنْ عِيْنٍ وَأَبْكَارِ

وجامع بن عمرو الكلابي يستسقي للمنازل التي امّحت آثارها ، لعل سحاباً يسري عليها بالمطر ليلاً ويعقب الساري منه سحاب يأتي غدوّا ، إنه يَتَمَنَّاها مطراً لا ينقطع بل يتتابع، حتى تخضّر بعده الأرض ، ويحيا منه رميم النبت ، فهو يقول[٢] :

أسقى منازل من دهماء قد درست ... بالرمل ساريةٌ خضرٌ تواريها
خضراء تحيي رميم الأرض قد بليت ... يقصّ ساريَها بالدجن غاديها

---

(١) الكامل للمبرد ٧٨/١ ، الحماسة لابن الشجري ص ٣٥٨ . كُلَيَّات : كُلَيَّة : آبار في وادٍ يأتي من شمنصير المتصل بحرة سليم (معجم البلدان) . أظفار : أبيرقات حمر في ديار فزارة (معجم البلدان) . الحمّتين : حمّتا الثوير : أبيرق أبيض في ديار بني أبي بكر بن كلاب (بلاد العرب ١١٤،١١٧) . أجلى : هضبة في فلاة ماءٍ يقال له الثعل (السابق ١٠٠) . عقائل : جمع عقيلة : المرأة الكريمة . عين : جمع عيناء : وهي واسعة العين .

(٢) فرحة الأديب للغندجاني ص ١٠٣ . تاوَرْتُه : عاودته (أساس البلاغة) ، الدجن : الظلمة يحدثها الغيم والديم .

والقتال الكلابي[١] يستسقي الله مطراً غزيراً يسّاقط ما بين الرِّجام وغمرة وذريّات ، مطر يُهِلّ به نوء الثريا وأنواء تعقبه لعل بها الكثرة والبركة ، تطبق فيه الظلمة ، ويسحّ منه الماء ، دَيمٌ لا ينقطع ، وغَيمٌ لا ينقشع :

سَقى اللهُ ما بينَ الرِّجَامِ وغَمْرَةٍ ... وبِئْرَ ذُرَيّاتٍ بِهِنَّ جَنِينُ

نِجَاءَ الثُّرَيَّا كُلَّما نَاءَ كَوْكَبٌ ... أَهَلَّ يَسُحُّ الماءَ فِيهِ دُجُونُ

ويدعو طهما بن عمرو الكلابي[٢] لدار ليلى التي وهت بالمطر الذي تداني سحابُه وتكاثف ، سحابٌ يسوق بعضُه بعضاً ، كأنما هو الإبل المتتابعة عليها أحمالُها يتدفق منه الماءُ، ويتشقّق فينهلُّ مطراً غزيراً :

سَقَى دَارَ لَيْلَى بالرَّقَاشَيْنِ مُسْبِلٌ ... مُهِيْبٌ بِأَعْنَاقِ الغَمامِ دَفُوْقُ

أَغَرُّ سِمَاكِيٌّ كَأَنَّ رَبَابَهُ ... بَخَاتِيٌّ صُفَّتْ فَوقَهُنَّ وسُوْقُ

سَقاكِ، وإنْ أَصْبَحْتِ واهيةَ القُوى ... شَقَائِقُ عُرْضٍ مَالَهُنَّ فُتُوقُ

إنه يطلب مطراً مُعَيَّناً كأنّما هو يراه ، أو قد خبره ، فهو ينقل وصفاً طالما تردَّد .

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص ٩١ ، الرِّجام : جبال بحمى ضرية (بلاد العرب ص ١٠٥) . غمرة : منهل يحرم منه أهل الكوفة قريب من ذات عرق (السابق ٣٧٦) . ذُريَّات : اسم موضع . جنين : خافية على العين . نجاء : سحاب . دجون : مطر كثير . والدّجنة : ظلمة الغيم .

(٢) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص ١٩ . الرقاشان : جبلان بأعلى الشُريف في ملتقى دار كعب وكلاب (السابق) . مهيب : مُستلحق لأوئل الغمام ، سماكي : نسبة لنجم السماك . رَرَابُه : سحابُه المتراكب بخاتي : جمع بختية : وهي الإبل الخراسانية . شقائق : جمع شقيقة : وهي المطرة الغزيرة يَنشقُّ عنها الغيم .

٥ ـ الظّعائن :

كان تعلّق الشعراء بالأرض وأطلالها مرتبطاً بما وجدوا فيها من كامن الذكريات وباعث الأحاسيس ، وما كان ذلك إلا ليزيدهم ولعاً بالأحبة والمضي خلفهم يمتّعون نظرهم بالرحل المحمّلة والظعائن السائرة يلاغون الأحبة ويودّعون الرّفقة فإن عز عليهم ذلك تبعوهم بخيالهم يسيرون مسارهم ويخيّمون مكانهم ، ففي ذلك بعض الشفاء للنفس .

حين ذكر شعراء بني كلاب الأطلال ، أتبعوها بذكر الظعائن التي تغادر الديار ، فيغادر معها القلب وتتذكر النفس ما كان بالأمس ، حين عُمر المكان بالأحباب ، وجال السوام وحام ، فإذا الأرض خلاء ، والكبد حرّى ، فما للفؤاد إلا أن يسترعيَ الماضي . لعل فيه سلوة ويستعيد الذكريات لعل بها راحة .

هذا السري بن حاتم الكلابي يرى الظعائن تغادر ، بعد أن عزمت على الرحيل فيتبعها ببصره فإذا هي تسير منحى اليمين حتى غيّبتها الجبال السود فحجزت بينه وبين الأحبة فحرمته المتعة ، ورفقةً كانت مبلغَ اللّذة .

وقد يكون السببُ في حرمانه متعة المرافقة ذلك القائد الصلب الخشن الذي أسرع بالحمول ، فأعجلها عن أنْ تُمتّع الأنظار بلحظات الوداع ، وتتلامح الأعين حين يتماهل المطيّ .

وبعد أن فقد منظراً كان مرعى ناظريه وريَّ قلبه يكويه اللّظى ، فيلجّ به الظمأ إلى مرعىً آخر فيعود إلى الذكريات يجترُّها .

يتذكر هؤلاء الذين تحمّلوا ورحلوا ، وتركوا الدِّيار خاوية بعد أن كانت بهم عامرة ، فكأنهم ما كانوا بها حلولا ، ولا رتعت أنعامهم فيها ورعت[1] :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ عَلْيَاءَ بِاللّوى حُلُولٌ ، ولم يُصْبِحْ سَوَامٌ مُبَرِّحُ

---

(١) معجم البلدان (الأحاسن) . الخرجاء : من ديار بني عامر ، ذكرها ابن مقبل (معجم ما استعجم).
تُشَب : تزيدهم عزماً على الرحيل . الأحاسن : من جبال بني عمرو بن كلاب (معجم البلدان) .
مبتذل : باذل نفسه في الأسفار والمتاعب . شحشح : ماضٍ .

لِـوَى بُـرْقَـةِ الخَـرْجَـاءِ ثُـمَّ تَيَامَـنَـتْ بِـهِـمْ نِـيَّـةٌ عَـنَّـا تُـشَـبُّ فـتُـنـزَحُ
تَـبَـصَّـرْتُـهُـمْ ، حَـتَّى إذا حَـالَ دَوْنَـهُـمْ يَـحَـامِـيْـمُ مِن سُـوْدِ الأَحَـاسِـنِ جُـنَّـحُ
يَـسُـوْقُ بِـهِـمْ رَأْدَ الضُّـحَـى مُـتَـبَـذِّلٌ بَـعِـيْـدُ المَـدَى، عَـارِي الذِّرَاعَيْنِ، شَـحْـشَـحُ

ويذكر عبد الرحمن بن منصور الكلابي[1] كيف خرجن ضحى ، عليهن ثياب الحرير الملونة ، بنات آباء موسرين أعزّة ، فامتطين الإبل قبل الظهر ، ثم سارت بهن الظعائن مدبرة، كأنّها ــ وهي تنوء مُحملة ، تتمايل بهن يمنة ويسرة ــ نخل كثُرت عذوقه ، وامتلأت رُطباً ، حتى لتوشك الجذوع أن تتصرم من ثقل ما تحمل :

..... [2] ثِـيـابُـهُـنَّ الخَـزُّ والمُـعَـصْـفَـرُ
بَـنَـاتُ آبـاءٍ كِـرَامٍ أَيْـسَـرُوا فَـقَـدْ تَـبَـاهَـوا كُـلُّـهم فَأَكْـثَـرُوا
فَـفِـيْـهِـمُ زِيٌّ وفِـيـهِمْ مَـنْـظَـرُ حَـتَّى إذا أَضْـحَـوْا وَلَّـا يُـظْـهِـرُوا
وَلَّوا على أَظْـعَانِـهِمْ فَـأَدْبَـرُوا كَـأَنَّـهـا لَّـا تَـوَلَّـتْ تُـذْمَـرُ
نَخْلٌ مِنَ الصُّفْرِيِّ دَوْحٌ مُـوْقَـرُ يَـكَـادُ مِـنْ إِيْـقَـارِهِ يُـهَـصَّـرُ
فـدَرَّت العَيْنُ فَظَلَّتْ تُـمْـطِـرُ وفي حُـمُـولِ الحَـيِّ رِيْـمٌ عَبْـهَرُ

لقد كان الشاعر معلق البصر بالمنظر يتابعه ، ويذكر تفاصيله ، حتى غـدا غـير مُتمـالكٍ نفسه ، حين انفرط دمع العين يسيل مدراراً ، وهو يودِّع في الظعائن شبه الرِّيم جمالاً ، طويل الجسم ، ريّان الخلق .

وتَعْلُقُ بذهن القتال الكلابي صورةُ الظَّعن ، فلن ينس ما حييَ رحلـة أولئـك النِّسـوة اللائـى غادرن الديار عصرا ، وهو واقف يرصدها بنظره ، إلى أن غربت الشمس ، وأخفاها الظلام .

كـأنّ تلـك الظعـائن ــ وهـي تسـير متثاقلـة متهاديـة ــ نخـلُ مـرّان أثقلـه ثمـرُه ، يقـول القتال[3]:

---

(١) مجالس ثعلب ١/١١١ .

(٢) فراغ في الأصل . تذمر : تحضّ . موقر : مُحمَّل عذوقا . عبهر : جامعة للحسن .

(٣) ديوانه ص ٤٩ . حوضى : ماء لبني طهمان بن عمرو من كلاب (معجم البلدان) . العرج : قريـة في واد قرب الطائف ، ووادٍ يفيض من الحرة بين مكة والمدينة (بلاد العرب ٣٣٧) . الرِّداه : جمـع ردهة وهي قلة الربوة . مرّان : قرية عامرة تابعة للمويه .

ومَا أَنْسَ مِ الأَشْياءِ لا أَنْسَ نِسْوَةً طَوَالِعَ من حَوْضَى وقد جَنَحَ العَصْرُ
ولا مَوْقِفِي بالعَرْجِ حَتّى أَجَنَّها عَليَّ مِن العَرْجَيْنِ أَسْتِرَةٌ حُمْرُ
طَوَالِعَ مِنْ حَوْضَى الرِّدَاهِ كَأَنَّها نَوَاعِمُ مِنْ مَرَّانَ أَوْ قَرَهَا البُسْرُ

وكان أقسى ما مرّ على القتال أن رأى المحبوبة تقرِّب جمالها ، تهمُّ بالرحيل ، فأخذته الدهشة ، واستبدت به الحيرة ، لا يدري ما يصنع ، مُقْعِياً شاكياً ، قد غدا الفؤاد مِزَقا وتصدَّع قِددا ، إذ لا حيلة له في ردِّ ما كان ، غير الحسرة وتجرُّع ألم الفرق[١] :

ظَعَنَتْ قَطَاةُ فَمَا تَقُوْلُكَ صَانِعَاً وَقَعَدْتَ تَشْكُو في الفُؤَادِ صَوَادِعَا
وكَأَنَّها إِذْ قَرَّبَتْ أَجْمَالَهَا أَدْمَاءُ لم تُرْشِحْ غَزَالاً خَاضِعَا

وفي قصيدة أخرى للقتال ينادي ابنه (عبد السلام) بعد أن كبر سنُّه : هل لاح لك ما لاح لي ؟ هل تراءت لك أظعانٌ تجوز هذا المكان ، وتُقْبِل على ذاك ؟ أم أنّه من وهم بصري ؟

إنّه يدعوه أَنْ يتأملها ، ويعطيَه الخبر اليقين عنها ، فقد ضعف بصره ، ولم يضعف هوى قلبه ويريد أن يجعل ابنه على جادة دربه[٢] :

عَبْدَ السَّلامِ تَأَمَّلْ هَلْ تَرَى ظُعُناً إِنِّي كَبُرْتُ وَأَنْتَ اليومَ ذُو بَصَرِ
يَا هَلْ تَرَاءى بَأَعْلَى عَاسِمٍ ظُعُنٌ نَكَّبْنَ فَحْلَيْنِ واسْتَقْبَلْنَ ذا بَقَرِ

---

(١) ديوان القتال ص ٦٨ . ترشح : تعوده المشي . خاضع : مُرخٍ رأسه .

(٢) السابق ص ٥٣ . عاسم : رمل لبني سعد (معجم البلدان) . فحلين : موضع في جبل أحد (السابق) . ذو بقر : وادٍ بين أَخيلة حمى الربذة (معجم البلدان) .

٦ ـ حادي الإبل :

هو قائد الظعينة ، يسوقها ، ويدفع السأم عنها بالحُدَاء .

وَصَفَهُ السَّريُّ بن حاتم الكلابي[١] بأنه رجل باذل لنفسه في المتاعب ، لا يرأف بها في الأسفار ، مشرئب النفس ، مستعد لأي عمل ، ذو عزيمة :

يَسُوق بهم رَأد الضُّحى مُتَبَذِّلٌ بَعِيْدُ المدَى ، عَارِي الذِّراعينِ شَحْشَحْ

لكنهما ـ في أبيات أخرى للسَّري ـ حاديان ، وقد دعا عليهما إن لم يُعرِّجا بالمحبوبة عليه إذ يقول[٢] :

فَيَا حَادِيَيْها بالعَوْقَبينِ عَرِّجا أَصَابَكُمَا من حَادِيينِ مُصِيْبُ

أَظَاعِنَةٌ غدواً غَضُوبُ ولم تَزُرْ وبائنةٌ بعد الجِوَارِ غَضُوْبُ

ويصف القتّال الكلابي[٣] هذا الحادي بالشِّدة والقسوة ، ويذكر أنه حال بين الظعائن والمتعلقين بها :

فَصَدَّتْ حَيَاءً والمودَّةُ بينَنا وأَبْيَضُ بَلٌّ بالظعائن حَابِسُ

وما سَبَقَ من وصف السّري لحادي الإبل الذي يقودها هو ردٌّ على قول وهب رومية[٤]: " ولست أعرف أحداً من شعراء الجاهلية وَصَف حامي الظعينة خلا عبيد بن الأبرص الذي وقف يصوره شكلاً وطباعاً :

يجتاب مهمهةً يهماء صَمْلقةً سَكْن الخلائق حاذي اللحم معتبط

مشمر خَلَق سرباله مَشِقٌ قاذورةٌ قائل مُغذمرٌ قَطَطُ

يُكَلِّف العول منها كُلَّ ناجيةٍ بعد الهجير بإرقالٍ ويَلْتَبِطُ

---

(١) معجم البلدان (الأحاسن) . شحشح : ماضٍ .

(٢) السابق (العوقبان) . العوقبان : موضع في ديار بني أبي بكر بن كلاب (معجم البلدان) .

(٣) ديوان القتال الكلابي ص ٦٧ . بلٌّ : شديد ممتنع على ما عنده .

(٤) الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ٣١ .

٧ ـ الحال بعد الفراق :

بعد أن يرحل الأحبة ، وتُولّي الظّعائن ، تظهر أحوال المحبين ، بين انكسار على أنفسهم وتجلّد على فراق أحبتهم .

أحد الكلابيين[١] يباهي بنفسه يوم فراق أحبته ، ويعلن أنه أصبر من الجماد على ما يلاقي من عوادي الزمان :

لأَنَا يومَ البَيْنِ أَصبرُ مِنْ أَجَا ومن هَضْبتيْ سَلْمى ومن أَسْود الجفر

وأربد بن قيس الكلابي[٢] لا يؤثر فيه فراق ذي الدَّلال ، فهو يظهر جلده على بُعده ، ويُبيِّن أنّه غير آبه برحيله :

فلا تُوعِدَاني بالفِراق فإنَّني على بَيْن ذِي القفد المرافق ذو صبر

لكنَّ كلابياً[٣] آخر ترتجف كبده وتضطرب لمجرد الهمِّ بالرحيل وقربه ، فكيف إذا غادروا :

إذا كبدانا خافتا وَشْك نِيَّةٍ وعاجلَ بينٍ ظلَّتا تجبان

وزرٌّ بن أربد الكلابي[٤] يُمِضُّه فراق الأحباب ، ويصيب قلبه الوجع ، فيمتطي ظهر ناقته ، يحثُّها النَّهار كله ليلحق بهم :

بانَ الخليطُ لِنيَّةٍ فتَصدَّعوا ورَمَوا فؤادكَ بالفِراقِ فأوجَعُوا

وطلبتهم مدّ النَّهار فلم تكد بالحيِّ يُلحقني الجنوبُ الميلعُ

وقد يستبدُّ بالمشوق حزنه ووله ، ويصيبُه القنوط في لقاء المحبوب ، أو الاقتراب من دياره ، غير أنّه لن ينساه ، وإن تبدّل به آخرين ، وسيذكُره إذا ما البرق لمع ، وماله من

---

(١) التعليقات والنوادر ١٣٩/١ . الجعفر : موضع بناحية ضريّة ... ، وجفر البعر : ماء لبني أبي بكر بن كلاب (معجم البلدان) .

(٢) المؤتلف والمختلف ص ٢٥ . القفد : الأقفد : من يمشي على صدور قدميه من قبل الأصابع ، ولا تبلغ عَقِباه الأرض (القاموس المحيط) .

(٣) الكامل للمبرد ٣٢/١ هامش نقلاً عن نسخة أخرى . تجبان : تخفق وتضطرب .

(٤) المؤتلف والمختلف ص ١٣٢ . الجنوب : التي تجنب في مشيها أي تميل . الميلع : المسرعة .

سبيل في تخفيف ما به إلا البكاء يقول دآؤد بن بشر الكلابي[١] :

أَتبكِي عَلى نَجْدٍ وَرَيَّا ولَنْ تَرى ... بِعَينَيْك رَيَّا ما حَيِيتَ ولا نَجْدَا
ولا مُشْرِفاً ما عِشْتَ أَنْقَاءَ وَجْرَة ... ولا وَاطِئاً مِنْ تُرْبِهِنَّ ثَرَى جَعْدا
ولا وَاجِداً رِيْحَ الخُزَامى تَسُوفُها ... رِياحُ الصَّبَا تَعْلُو دَكَادِكَ أَوْ وَهْدَا
تَبَدَّلْتُ مِنْ رَيَّا وَجَارَاتِ بَيْتِها ... قُرَىً نَبَطِيَّاتٍ يُسَمِّينَنِي مَرْدَا
أَلا أَيُّها البَرْقُ الذي بَاتَ يَرْتَقي ... وَيَجْلُو دُجَى الظَّلماء ذَكَّرْتَنِي نَجْدَا
وَهَيَّجْتَنِي مِنْ أَذْرِعَاتٍ وما أَرَى ... بِنَجْدٍ عَلى ذِي حَاجةٍ طَرَباً بُعْدَا

وربما كتم المحبُّ حنينه ، وأخفى أساه ، غير أن صاحبه من الحيوان يكفيه الإعلان ، فيحِنُّ ويئن مشوقاً ، وهو شوق يسري من الإنسان إلى الحيوان الملازم له ، لطول العشرة ، وتعلقهما بالأرض التي درجا عليها ، يقول أعرابيٌّ من بني كلاب[٢] :

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فإِنِّي وَنَاقَتِي ... بِحَجْرٍ إِلى أَهْلِ الحِمى غَرِضَانِ
تَحِنُّ فَتُبْدِي مَا بِها مِنْ صَبَابَةٍ ... وَأُخْفِي الذي لَوْلا الأَسَى لَقَضَانِي

وبلغت شدة شوقهم وحنينهم إلى أحبتهم وماضيهم حنين الحيوان إلى ما ألف ، بل أكثر.

ثعلبة بن أوس الكلابي[٣] أشدُّ شوقاً وعطشاً إلى اجتماع الشمل من جمل هزيل غريب، أوجعته شدة راعيه ، وأضرّ به قيد رجليه ، تسمع له أنيناً وحنيناً إذا رأى البرق لاح من نحو موطنه الذي نزح عنه ، فهو لَهِفٌ على العودة إليه ، والنجاءَ مما هو فيه :

وما ذُو مِشْفَرٍ نِقْضٍ يَمَانٍ ... بِنَجْدٍ كَانَ مُغْتَرِباً نَزِيْعَا

---

(١) الحماسة البصرية ١٧٥/٢ ، معجم البلدان (وجرة) (أذرعات) . أنقاء وجرة : كثبانها ، ووجرة : فلاة بين مرّان وذات عرق (معجم ما استعجم) . دكادك : رمال متلبدة . وهد : أرض منخفضة. أذرعات : بلد في أطراف الشام (معجم البلدان) .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٩٥/١ . يغرض : يشتاق . حجر : موضع في ديار بني عقيل ، وواد بين بلاد عذرة وغطفان ، وقرية لبني سليم (معجم البلدان) .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٩٧/١ . مشفر : شفة غليظة . نِقض : هزيل من السير .

يُمَارِسُ رَاعِياً لا لِيْنَ فِيهِ وَقَيْدَاً قَدْ أَضَرَّ بِهِ وَجِيْعَا
إِذَا ما البَرْقُ لاحَ لَهُ سَنَاهُ حِجَازِيّاً سَمِعْتَ لَهُ سَجِيْعَا
بِأَكْثَرَ غُلَّةً مِنّي وَوَجْدَاً لَوَانَّ الشَّمْلَ كَانَ بِنَا جَمِيْعَا

ويكرر ثعلبة[1] هذا المعنى في أبيات أخرى ، فهو في شوقه ومعاناته كذلك الجملِ ، يعلو حنينُه دوماً ، ويخفت آونة لوادٍ رعاه فصيلا ونُزِع عنه كبيرا ، فُبدِّل بالحلو أُجاجا ، وبالحرية قيدا ، يتذكره صُبحاً وعَشِيّا ، حين تمر به الإبل الطليقة سارحة وآيبة :

وما عَوْدٌ يَحِنُّ بِبَطْنِ نَجْدٍ مُعَالِي الشَّوْقِ مُضْطَمِرٌ قَلِيلا
إِلى وَادٍ تَذَكَّرَ عَدْوَتَيْهِ أَسَنَّ بِهِ وكانَ بِهِ فَصِيلا
فَبُدِّلَ مَشْرَبَاً مِنْ ذَاكَ مِلْحَاً وَظِمْئاً بَعْدَ قِصْرَتِهِ طَوِيلا
يَحِنُّ إِذَا الجَنَائبُ[2] هَيَّجَتْهُ ضُحَيّاً أَوْ هَبَبْنَ لَهُ أَصِيْلا
بِأَكْثَرَ غُلَّةً مِنّي وَوَجْدَاً عَلَى إِضْمَارِيَ الهَجْرَ الطَّوِيْلا

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٩٦/١ . عود : بعير مُسن ، عدوتيه : جانبيه . قصريه :في رواية الزَّهرة ص ٣٤٨ "قِصْرَته" وأراها أصح ، إذ هي بمعنى : حبسه .

(٢) الجنائب : النياق .

٨ ـ تذكر الماضي :

حين يبلغ الشوق بالمحب ، لا يجد في الحاضر إلا ما يُمضّـه ، فيعـود للمـاضي يتذكـره ، فتجد النفس ما ترتعي من عيش قد تهشم ، وأيامٍ قد تصرّمت ، وماضٍ لن يعـود إلا حلمـا ، وفي ذلك اشدّ العناء .

هذا كلابي[١] يستسقي للماضي ، الذي ولّت لياليه ، وكانت خُلـواً مـن كـلّ كـدر ، وامتلأت لهواً وسعادة .

إنه يود تجدد الصِّبا ، وعودة الشباب ، غير أنه يعترف بالونى والكِبر ، فقد كلَّ ومـلّ ، والدهر فيّ لا يرأف بعاجز ، مَاضِيَةٌ أيامُه ، يمتطيها هذا عن هذا :

سَقَى اللهُ دَهْرَاً قد تَوَلَّتْ غَيَاطِلُهْ ... وَفَـارَقَنَا إلا الحُشَـاشَـةَ بَـاطِـلُـه
وفي دَهْرِنَا والعيشُ إِذْ ذَاكَ غِـرَّةٌ ... أَلا لَيْتَ ذَاكَ الدَّهْر تُثْنَى أَوَائِلُهْ
بِمَا قَدْ غَنِينا والصِّبا جُلُّ هَمِّنـا ... يُـمَـايِـلُـنَـا رَيْعَـانُـهُ ونُـمَـايِـلُـهْ
وَجَـرَّ لـنا أَذْيَـالَـه الـدَّهْـرُ حِقْـبَةً ... يُطَـاوِلُـنَـا في غَـيِّـهِ وَنُطَـاوِلُـهْ
فَسَقْياً له من صَاحبٍ خَذَلَتْ بِنَا ... مَطِيَّتُنا عـنه وَوَلَّـتْ رَوَاحِـلُـهْ

ويذكر كلابيٌّ آخر أنّ الأيام السعيدة قد مرّت سريعة ، لم يشعر بها للذتها ، وهو يرى أن من المحال عودة تلك الأيام ، ويؤكد أن النسيم الذي يأتي من قبل تلك المعاهد التي درجوا عليها ، ومرّ على ديارهم بالحِمى شافٍ لقلب المحـب ، ومبريـه مـن عللـه ، ومنشِّـط لـه بعـد فتور، يقول[٢] :

كَـأَنْ لم تُجَـاوِرْنَـا أُمَـامُ ولم نُـقِـمْ ... بِفَيْضِ الحِمى إِذْ أَنْتَ بِالعَيْشِ قَانِعُ
فَهَلْ مِثْلُ أَيَّـامٍ تَسَـلَّفْـنَ بِالحِـمـى ... عَوَائِـدُ أَوْ غَيْـثُ السِّـتَارِيـن وَاقِـعُ

---

(١) الأمالي للقالي ١٠٧/١ . غياطله : نعمه المترادفة . الحشاشة : بقية الشيء . ريعانه : جوده وأوله.

(٢) السابق ١٥٨/١ ، سمط اللآلي ص ٣٦٤ ، مصارع العشاق ٢٩٥/١ ، الحماسة البصرية ١٣٩/٢. الستارين : مثنّى ستار ، وهي جبال وماء في ديار بني كلاب (بلاد العرب ١١٦) . أوراب : وَرِب : فسد ، واسترخى (القاموس المحيط) .

فَإِنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ من مَدْرَجِ الصَّبا لأَوْراب قَلْبٍ شَفَّه الحُبُّ نَافِعُ

إنه يتذكر جوار المحبوبة ، وحلو العيش ، ويتحسر على غيابهما ، ويتمنى لو يهبّ عليه الريح من تلك الديار التي احتضنت أعز الذكريات ، لعل بما تسفيه من تربها ما يشفي القلب، ويبرىء الجرح .

٩ - أمراض الحب :

للحبِّ على المحبِّ آثار ، بل أدواء ، منها يئن ، ويشتكي ، وينْحَلُ ويمرض ، كل هذا جلبه الهوى ، ولم يفد فيه الإغماض على ما مضى .

كبد أبي الغمر الكلابي[١] تصيبها الجروح الكثيرة ، ويحسّ أنّها تشقّقت ، لِمَا أصابه من هوى ، وما كابد من معاناة ، وإنّه ليرجو من يشفي هذه الكبد ، أياً كان مُعَالِجُها ، وكيفما كان العلاج ، مُرّاً كان أو غير مُرٍّ :

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوْحَةٌ قَدْ بَدَا بِهـا صُدُوعُ الهَوَى لَوْ أَنَّ قَيْناً يَقِيْنُها

لكنّ كبد جهم بن سبل الكلابي[٢] تتطاير ثلاثين قطعة ، وهو يتوجع أشدَّ الوجع من حالٍ لا يُرثى له ، وأُناسٍ لا تُبالي به ، وطالما لجّ بالبُكاءِ خالياً لشعوره بآلام الهوى تترى ، وسخرية البعداء ، وغفلة القريب :

فَيَا كَبِداً طَارَتْ ثَلاثِيْنَ صِدْعَةً وَيَا وَيْحَمَا لاقَتْ مُلَيكة حَالِيا

فَتَضْحَكُ وَسْطَ القَوْمِ أَنْ يَسْخَرُوا بِنَا وَأَبْكِي إِذَا مَا كُنْتُ في الأَرْضِ خَالِيا

وجامع بن عمرو[٣] يُصيبُه الأرق آخر الليل ، وتنقضُّ عليه همومه وآلامه التي طالما اعتادته ، وتنتابه أمراض تَقِضُّ مضجعه ، وتنغّص عليه نومه ، لقد استعبده الهوى ، وقيّده في محرابه :

أَرِقْتُ بِذِي الآرَامِ وَهْناً وَعَادَنِي عِدَادُ الهَوَى بَيْنَ العُنَابِ وَخَنْثَلِ

فَقُلتُ : أَلا تَبْكِي البِلادَ الَّتِي بِها أُمَيْمَةُ ؟ يا شَوْقَ الأَسِيْرِ المُكَبَّلِ

---

(١) ديوان المفضليات بشرح الأنباري ص ٢٧٠، ٧٩٣ .

(٢) معجم البلدان (أذن) .

(٣) السابق (عساقيل) . الآرام : إرام الكِناس : بالكسر رمل في بلاد عبد الله بن كلاب ، وقيل : الصحيح أرام (معجم البلدان ، إرام الكناس) ، وفي (بلاد العرب ١٢٩) ذكر ذات آرام ولم يحددها ، وانظر (معجم ما استعجم ١٤٢/١) ، العناب : أُبيرق لبني أبي بكر بن كلاب (بلاد العرب ١٦٣) . خنثل : برث في ديار بني كلاب (معجم البلدان) .

ويصيح نصيح بن نهيك[١] ، لأنّ قلبه صار مُقَسّماً بين حبيب صادّ وجسمٍ أسقمه البعاد ، فهو دائماً يئن ويشتكي بُعْدَ حبيبٍ فارقه ، وطول ألمٍ لا يُبَارِحُه ، كألم من لدغته حيّة ، فهو يتلوّى ليله ، فلا يجد للراحة طعماً ، ولا تدفع عنه الضُّرَّ تمائم أو رُقى :

أَلا مَنْ لِقَلْبٍ في الحِجَازِ قَسِيْمُهُ وَمِنْهُ بِأَكْنَافِ الحِجَازِ قَسِيْمُ
مُعَاوِدُ شَكوى إِنْ نَأَتْ أُمُّ سالِمٍ كَمَا يَشْتَكِي جُنْحَ الظَّلامِ سَلِيْمُ
سَلِيْمٌ لِضِلٍّ أَسْلَمَتْهُ لِما بِهِ رُقَىً قَلَّ عَنْهُ دَفْعُهَا وَتَمِيْمُ

وعقبه الكلابيُّ[٢] منفرد لوحده ، يُفكّر في خِلّه ، لا يُحدِّث أحداً ، ولا يُحدِّثُه أحد ، قد انتحى عن الناس جانباً يمسح الدمع تلو الدمع ، متقلباً على فراشه ، يتلوى ، لا يدْري به إلا إلاهُه ، الناس عنه لاهية ، وهو عن لهوهم لاهٍ ، قد صار حديثهم ، ولو أصابهم ما أصابه، وعناهم ما عناه لأشفقوا لحاله ، غير أنه يُحذِّرُهم من بلواه :

إِذَا اقْتَسَمَ النَّاسُ الأَحَادِيْثَ وانْتَحَوا خَلا بِفُؤادِي حُبُّها وانْتَحَانِيَا
فَكَفْكَفْتُ دَمْعي ثُمَّ حَوَّلْتُ مَضْجَعِي فَلَمْ يَدْرِ إلا اللهُ لَوْعَةَ مَا بِيَا
وقَالُوا : نَرَى هَذَا عَنِ اللَّهوِ مُعْرِضَاً فَقُلْتُ لَهُمْ : لا يَعْنِكُمْ مَا عَنَانِيَا

وينادي ثعلبة بن أوس خليليه ، يطلب عندهما سلوى ، ويبثهما شكوى : فقد أصابه مرض الحب ، وأضناه داء العشق ، فما إن يلمع البرق ولو لمحاً حتى يُهيِّج أحزانه ويَصِلَه بخلانه ، فيمنعه النوم ، ويجلب له السّهر .

ويعترف ثعلبة بأن مرض الحب أشدُّ الأمراض ، وقيده أعتى القيود . إنه يقول[٣] :

خَلِيْلَيَّ إِنِّي قَدْ أَرِقْتُ ، وَشَاقَنِي بُرَيْقٌ كَنَبْضِ العِرْقِ بِتُّ أُرَاقِبُهْ
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الحُبِّ دَاءً لِمُسْلِمٍ وَلا مِثْلَ مَا بِي لا يُقَيِّدُ صَاحِبُهْ

وقعد القتال الكلابي[٤] كئيباً ، يناجي النفس مُحْتاراً وحيداً ، قد سُقط في يده ، بعد مغادرة إلفه ، لا يدري ما يصنع ، يقبض على فؤاد تصدَّع ، ويشكو ألماً في الفؤاد تفيّح :

---

(١) الأغاني ١٣/١٧٧ . سليم : يعني لديغ ، من باب التفاؤل . صِلّ : حيّة .
(٢) مصارع العشاق ٢/٩ .
(٣) التذكرة السعدية ص ٣٦٠ .
(٤) ديوان القتال الكلابي ص ٦٨ .

ظَعَنَتْ قَطَاةُ فَمَا تَقُولُكَ صَانِعَاً وَقَعَدْتَ تَشْكُو فِي الفُؤَادِ صَوَادِعَا

وليس المرض مقصوراً على الرجال المحبين ، فللنساء منه نصيب ، إذ يُصيبُهن العنت ، وينتابهن الداء ، فلهن كما لهم قلوبٌ تحسّ وتتألم ، وأجسام لا تقوى على تحمل الهوى .

ها هنَّ قد أيقظهن من لذة نومهنّ نشيدُ شاعرٍ ، بعث فيهن شوقاً وأحدث لهن قلقاً ، فهنَّ يتقلّبن على فرشهن من وجع أثاره نغم تشربته القلوب ، يقول أبو دوآد الرّؤآسي[١] :

سَمِعْنَ غِنَائي بَعْدَ مَا نِمْنَ نَوْمَةً مِنَ الَّليل فَاقْلَوْلَيْنَ فَوْقَ المَضَاجِعِ

ويذكر أبو دوآد في قصيدة أخرى : أن الشّعر كان مُحرِّك وجدانهن ، يخرجهن عن طورهن ، ويُعَدِّيهن طبيعتهن التي جُبِلْن عليها من حياءٍ وانطواء ، وينعكس الأمر ، فبعد أن كن مُعْجِبات يَصِرن مُعْجَبَات بفتاهن ، وهذا ما يبين أن هذه الظاهرة لم يبدأها عمر بن أبي ربيعة ، بل سُبق إليها .

لقد تباهى الشاعر بإعجاب النّساء به ، وتساؤلهن عنه فهو يقول[٢] :

وَسِرْبُ نِسَاءٍ مِنْ عَقِيْلٍ وَجَدْنَنِي وَرَاءَ بُيُوتِ الحَيِّ مُرْتَجِزاً أَشْدُو
وفِيهِنَّ هِنْدٌ وهيَ خَوْدٌ غَرِيْرَةٌ وَمُنْيَةُ قَلْبِي دُوْنَ أَتْرَابِهَا هِنْدُ
فَسَدَدْنَ أَخْصَاصَ البُيوتِ بِأَعْيُنٍ حَكَتْ قُضُبَاً فِي كُلِّ قَلْبٍ لَهَا غِمْدُ
وَقُلْنَ ألا مِنْ أَيْنَ أَقْبَلَ ذا الفَتى وَمَنْشَأُهُ إِمَّا تِهَامَةُ أَو نَجْدُ
وفي لَفْظِهِ عُلْوِيَّةٌ مِنْ فَصَاحَةٍ وَقَدْ كَادَ مِنْ أَعْطَافِهِ يَقْطُرُ المَجْدُ

ويبين القتال الكلابي مرض فتياتٍ صغيرات قد اشتدّ بهن الدّاء ، وابتلين بما ابتلي به الشاعر من وجد ، يقول[٣] :

وإنّي ليدعوني إلى طاعة الهوى كواعب أترابٍ مِرَاضٌ قلوبها
بهن من الداءِ الذي أنا عارفٌ وما يعرفُ الأدواءَ إلا طبيبُها

---

(١) الحماسة البصرية ١١٨/٢ ، ولاتفاق الأسماء نُسِبت للخليفة يزيد بن معاوية (شعره ص ١٥، ٢٠) والذي أراه أن الأبيات والتي تليها للكلابي يزيد بن معاوية المعروف بأبي دُوآد الرُّؤآسي لأن الشعر ينطق بذلك .

(٢) السابق . عقيل : ابن كعب بن ربيعة ، وكعب وكلاب أخوان . خود : شابة ناعمة . أخصاص: فتحات ضيّقة . علوية : لغة عالية نجد (ديار بني كلاب) .

(٣) ديوان القتال الكلابي ص ٣٠ . كواعب : الكاعب : التي نهد ثديُها .

١٠ ـ محاسن المرأة :

تعرَّض شعراء بني كلاب لذكر محاسن المرأة ، وأبانوا صفاتها الحسِّية ، غير أنّ ذلك الذكر كان لمما ، وتلك الإبانة كانت على استحياء .

يصف عبد الرحمن بن منصور الكلابي من شغفته حباً ، فيشبهها بالريم ، لاكتمال جمالها : جسم ممتلىء طويل ، ساق مكتنزة ، خصر دقيق ، بطن ضامر .

ويقف عند رائحتها ، فينفي تعطّرها ، إذ كفتها رائحتها الزّكية الفوّاحة ، المماثلة لرائحة نبت الخزامى الذي عطّر فيافي نجد ، وكأنّه استقل ذلك التشبيه ، فأتبعه بتشبيه آخر ، وهو ريح عود الجمر يتطيَّب به الأكابر ، لقد قال(١) :

..... وفي حُمُولِ الحَيِّ رِيْمٌ عَبْهَرٌ
أُفْعِمَ حِجْلاهَا وَضَاقَ المِئزَرُ والبَطْنُ مَطْوِيٌّ الحَشَا مُخَصَّرُ
كَأنَّ رِيَّاهَا وَلا تَعَطَّرُ رِيَّا خُزَامى نَفَحَتْ أَوْ مُجَمَّرُ

والسَّريُّ بن حاتم تأسره بخدٍّ ناعم ، وشعرٍ أسود ، يتدلى على نحرٍ مشرق ، فيتَّضِح الضِّد بالضدِّ يقول(٢) :

سَبَتْكَ بِمَصْقُولٍ تَرِقُّ غُرُوبُه وَأَسْحَمَ زَانَتْهُ تَرَائبُ وُضَّحُ

ويشبه أبو دوآد الرُّؤاسي الكلابي فتياتٍ صغيرات ببقر الوحش ، لقد لفته حَوَرُ عيونهن، وتجَمُّلِهِنَّ بالزَّعفران ، ورأى لمع أسنانهنَّ البيضاء في ابتساماتهن ، كأنما ومض البرقُ في أفواههنَّ ، قال(٣) :

---

(١) مجالس ثعلب ١/١١٠ . وصدر البيت مطموس في المخطوطة . عبهر : ممتلى الجسم ، طويل ، جامع للحسن (القاموس المحيط) . أُفعم حجلاها : امتلأ ساقها. ضاق المئزر : دق الخصر . ريّاها: ريحها الطيِّب . مُجَمّر : العود على الجمر يُتَطيب به (أساس البلاغة) .

(٢) معجم البلدان (الأحاسن) . مصقول : يريد : الخدّ مُشبهاً إياه بالسيف . غروبه : جوانبه ، وقد يكون أراد الفم وريقه . ترائب : جمع تريبة : وهي أعلى الصدر .

(٣) الحماسة البصرية ٢/١١٨ . عِين : بقر الوحش . روادع بالجاديّ : متلطِّخات بالزعفران .

وَسِرْبٍ كَعِيْنِ الرَّملِ ميل إلى الصِّبا رَوادِعُ بِالجَادِيِّ ، حُوْرُ المدّامِعِ
إِذَا ما تَنَازَعْنَ الحَدِيثَ عَنِ الصِّبا تَبَسَّمْنَ إِيْمَاضَ البُرُوقِ اللَّوامِعِ

وفي أبيات لأبي دوآد أُخرى يُشبِّه محبوبته بأم الغزال من الظِّباء لما يرى فيها من صورة حبيبته ولطفها ، سواد عيون ، وامتلاء جسم ، وطول ، ونعيم تعيشه ، إذ يقول[١] :

وَعَهْدِي بِهَا والدَّارُ تَجْمَعُ أَهْلَهَا لَهَا مُقْلَتَا رِيْمٍ وَخَلْقٌ خَدَلَّجُ
كَأَنَّا تُوَافِيْنَا مَعَ اللَّيلِ مُغْزِلٌ مِنَ الأُدْمِ جَمَّاءُ المَدامِعِ عَوْهَجُ
تَظَلُّ بِأَجْزَاعِ المُرَيْرِ مُرِبَّةً وَسَالَ عَلَيْها مِنْ فُجَيْرَةَ أَشْرُجُ

وهذه الصِّفات هي مثال الجمال عند العرب ، لا يكادون يجاوزونها .

وأيُّ وجه هذا الذي إذا رآه السحاب خرَّ صَعِقاً ؟

إنَّ وجهاً لا يتمالك أمامه السَّحابُ نفسه حتى يتهالك عليه لهو وجهٌ بلغ من الجمال حدّاً يفوق الوصف ، ويتأبّى على التبيين ، وينتفي معه النِّد ، يقول أحد الكلابيين[٢] :

ولو سَأَلَتْ ظَمْيَاءُ يَوْمَاً بِوَجْهِهَا سَحَابَ الثُّرَيَّا لاسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُه

وكلابيٌّ آخر ، مشرفٌ على الموت ، لن يُشفى حتى يراها ، ويُسقى بما لامس فاها ، ويجد من كفِّها ربتاً ولمساً يعود عليه بالنفع ، إنَّه يقول[٣] :

وَمَا عَلَيْكِ إِذَا أُخْبِرْتِنِي دَنِفَاً رَهْنَ المَنِيَّةِ يَوماً أَنْ تَعُودِيني
وَتَأخُذِي نُطْفَةً فِي القَعْبِ بَارِدَةً فَتَغْمِسِي فَاكِ فِيْها ثُمَّ تَسْقِيْنِي
وتَجْعَلِي كَفَّكِ الرَّيَّا عَلَى كَبِدِي فَإِنَّ ذَاكَ وَعَهْدِ ا لله يَشْفِيْنِي

وعامر بن الطفيل يؤخذ بفم كثير الرِّيق ، ذي رائحة زكية كرائحة البشام ، وعيون

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٧ . خَدلج : ممتلئة الذِّراعين والساقين . حَمَّاء : سوداء وهي بالجيم في المخطوطة وخطأه المحقق ، وأراه صحيحاً . عوهج : طويلة . المرير : ماء لبني قشير (بلاد العرب ٢٣٤) . مُربّة : مقيمة ، فجيرة : هو الموضع ينفجر منه السيل . أَشْرُج : مسايل .

(٢) الزَّهرة للأصبهاني ص ٣٦٢ .

(٣) الحماسة البصرية ١٥٩/٢ . دَنِف : ثقيلٌ من المرض ، ودانٍ من الموت . القعب : قدح ضخم غليظ.

كعيون ولد البقرة الوحشية فيها حور واتساع إذ قال[١] :

لَيَالِيَ تَسْتَبِيْكَ بِذِي غَرُوبٍ وَمُقْلَةِ جُؤذَرٍ يَرْعَى بَشَامَا

وأربد بن قيس الكلابي[٢] يعجبُه في المرأة مشيها على صدري قدميها ، فما يبلغ عقباها الأرض ، وهذا منبيء عن خفة الجسم ، ودلال النفس ، وتناغم الإيقاع ، كأنما تُراقِصُ ظِلَّها :

فَلا تُوْعِدَاني بِالفِراقِ فَإِنَّني عَلَى بَيْنِ ذِي القَفْدِ المُفَارِقِ ذُو صَبْرِ

وتتلاعب محبوبة القتّال[٣] المشبهةُ للظَّبية بظفائرها السُّود ، التي غذتها الشمس ، كأنّها وقد تمدَّدت على متنيها ثعابين سود :

تُرَدِّدُ أَمْثَالَ الأَسَاوِدِ أُرسِلَتْ بِمَتْنَيْ خَذُوْلٍ يَغْتَذِيْهَا أَشَامِسُ

والشّفاه سمر ، والرِّيق ماء البرد ، وفعله فعل الخمر ، ورائحتها حين تقوم من نومها كرائحة الرّوضة الفوّاحة عطراً أو أحسن ، يقول القتال[٤] :

كَأَنّ الشَّفَاهَ الحُوَّ مِنْهُنَّ حُمِّلَتْ ذَرَى بَرَدٍ يَنْهَلُّ عَنْهَا غُرُوبُها

ومَا رَوْضَةٌ بِالحَزْنِ قَفْرٌ مجودةٌ يَمُجُّ النَّدى رَيْحَانُها وَصَبِيْبُها

بِأَطْيَبَ بَعْدَ النَّومِ مِنْ أُمِّ طَارِقٍ وَلا طَعْمُ عُنْقُودٍ عُقَارٍ زَبِيْبُها

ويشبهها القتال بالظبية التي طاب أكلها فطابت رائحة فمها ، حين يقول[٥] :

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٠٦ . غروب : جمع غرب : وهو كثرة الرِّيق . بشام شجر يُستاك بأعواده ، لطيب رائحته .

(٢) المؤتلف والمختلف ص ٢٥ . القفد ، الأقفد : من يمشي على صدور قدميه من قبل الأصابع ، ولا تبلغ عقباه الأرض (القاموس المحيط) .

(٣) ديوان القتال الكلابي ص ٦٧ .

(٤) السابق ص ٣٠، ٣١ . الحو : السود . غروبها : ماء الأسنان . الحزن : من ديار بني يربوع وهو أطيب المراعي (معجم ما استعجم) . قفر : منفردة بنبتها (أساس البلاغة) . الصبيب : شجر يُختضب به .

(٥) ديوان القتال الكلابي ص ٥١ . نوار : نور الأُقحوان المشرق . مدفع : مكان اندفاع الماء . ذو سدير : وادي سدير لغطفان (القاموس المحيط) . الضَّال : شجر السدر .

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لأُحِبُّ أَرْضَاً بِهَا خَرْقَاءُ لَوْ كَانَتْ تُزَارُ
كَأَنَّ لِثَاتِها عَلَقَتْ عَلَيْهَا فُرُوعَ السِّدْرِ ، عَاطِيَةً نَوَارُ
أَطَاعَ لها بِمَدْفَعِ ذِي سُدَيْرٍ فُرُوْعُ الضَّالِ والسَّلَمُ القِصَارُ

وأما صفات المرأة المعنوية فقد قلَّ ذكرها في شعر الكلابيين ، وذلك راجع إلى كون المحمود من تلك الصفات عامٌ في نساء القبيلة ، فليس هناك ما يدعو إلى تخصيص بعضهن .

من هذه الصفات المعنوية التي أعجبَتهم في المرأة أُنسَ النساء بها ، وعدم الملل منها ، لطيب معشرها ، وكَتْمِها للأسرار ، يقول عبيد بن العرندس الكلابي[١] :

فِيْهِنَّ عَثْمةُ لا يَمْلَلْنَ عِشْرَتَها ولا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمَاً بِأَسْرارِ

وتظهر المرأة عند السَّري بن حاتم شديدة الحياء ، ذات شرف ونسب ، قد علت في القوم ، فما لدنيءٍ أَو هجين طمع في زواجها إذ يقول[٢] :

مِنَ الخَفِرَاتِ البِيْضِ لا يَسْتَفِيدُهَا دَنِيٌّ ، ولا ذَاكَ الهَجِيْنُ المُطَرَّحُ

ويذكر الأعور بن براء الكلابي ملاحة زوجته ، وإغراءَها له ، بل حبّها له ، فهي لا تطيق مفارقته ولا ترغب مغادرته ، حتى لقد صرفته عن همم الرجال ومجالستهم ، إنه يقول[٣] :

وأَدْمَاء مِنْ أُدْمِ الظِّباءِ تَعَرَّضَتْ لأَلْبَثَ شَهْراً بَلْ أُقِيْم لَيَالِيَا
فَقُلْتُ لَهَا يَا عَنْزُ أَنْتِ مَلِيْحَةٌ مِنَ المُغْزِلاتِ النَّافِضَات المَدَارِيَا
لَقَدْ طَالَ مَا ثَبَّطْتِنِي عن صِحَابَتِي وَعَنْ حِوَجٍ قِضَّاؤُها مِنْ شِفَائِيَا

---

(١) الكامل للمبرد ٧٨/١ .

(٢) معجم البلدان (الأحاسن) .

(٣) تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٥٦٦ .

١١ ـ الحديث مع المرأة :

والحديث مع المرأة مما ألحَّ عليه شعراء بني كلاب ، وأبانوا شغفهم به .

يذكر الحكم بن ريحان الكلابي[١] أنَّ محبوبته تحسن الجدل ، وتبين الحجة ، وأنَّ حديثَا تعيده كالعسل الحلو شافياً :

يا أَجْدَلَ النَّاسِ إِنْ جَادَلْتَهُ جَدَلاً ... وأَكْثَرَ النَّاسِ إِن عَاتَبْتَه عِلَلا

كأَنَّما عَسَلٌ رُجْعَان مَنْطِقِها ... إِنْ كَانَ رَجْعُ كَلامٍ يُشْبِهُ العَسَلا

والغصص في تحادث المحبين ، وفيض الدموع استشعاراً للفراق ، ومحاولة ختم اللقاء بالكلام ، غير أن في الختام السقام يُبينُه أحد الكلابيين في قوله[٢] :

فَلَمَّا قَضَيْنَا غُصَّةً مِنْ حَدِيْثِنَا ... وَقَدْ فَاضَ مِنْ بَعْدِ الحَدِيثِ المَدَامِعُ

جَرَى بَيْنَنَا مِنَّا رَسِيْسٌ يَزِيْدُنَا ... سَقَامَاً إِذَا مَا اسْتَيْقَنَتْهُ المَسَامِعُ

ويرجو الفأفاء الكلابي[٣] أَنْ يجمعه بالحبيبة ، طريق نخلة الضَّيق ، وهما متوجهان للحج ، لاقتراب الإبل من بعضها ، كل هذا من أجل أن يلغوا بالحديث ، ويفضي كلٌّ منهما إلى الآخر بما تحت الضلوع :

عَسَى إِنْ حَجَجْنا نَلْتَقِي أُمَّ وَاهبِ ... وَتَجْمَعُنَا مِنْ نَخْلَتَيْنِ طَرِيْقُ

وَتَنْضَمُّ أَعْضَاءُ المَطِيِّ وَبَيْنَنَا ... لَغَاً فِي حَدِيثٍ دُوْنَ كُلِّ رَفِيْقِ

ويجد أبو دوآد الرؤاسي[٤] لذةً في الحديث معها ، كأنّما هو غذاؤه ، الذي ينتفع به جسمه ، بينما لا يجاوز حديث سواها الآذان :

وَتَلْتَذُّ مِنْها بِالحَدِيثِ وَقَدْ جَرَى ... حَدِيْثُ سِوَاهَا فِي خُرُوتِ المَسَامِعِ

---

(١) البيان والتبيين ٢٧٩/١ .

(٢) الأمالي للقالي ١٥٨/١ . رسيس : بقية .

(٣) معجم البلدان (نخلتان) ، ويظهر الإقواء . نخلتان : نخلة الشامية ونخلة اليمانية في ديار هذيل (بلاد العرب ٢٤) .

(٤) الحماسة البصرية ١١٨/٢ . خروت : منافذ .

وزفر بن الحارث الكلابي[1] لم ينس حديثها ، فقد حواه قلبه ، وحفظته ذاكرته :

فَمَا تُنْسِنِي الأَشْيَاءُ لا أَنْسَ قَوْلَها وَقَدْ قُرِّبَ المهْرِيُّ : أَيْنَ يُرِيدُ

---

(١) ديوان زفر بن الحارث الكلابي المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٣٣ ص ٢٣٤ .
المهري : واحد المهرية : وهي إبل تسبق الخيل ، منسوبة لقبيلة مهرة بن حيدان .

١٢ ـ طيف المحبوب :

وخيال المحبوبة مما طرقه الكلابيون في شعرهم ، فمعاوية بن مالك الكلابي يزوره خيال محبوبته في ساعة من الليل ، بعد أن نام الناس ، فيُدهش لذلك ، إذ كيف اهتدى إليه خيالها رغم البعد ، وكيف طرقه من بين نُوَّمٍ رُحّل إنه يقول[١] :

طَرَقَتْ أُمَامَةُ والمَزَارُ بَعِيْدُ وَهْناً وأَصْحَابُ الرِّحالِ هُجُودُ
أَنَّى اهْتَدَيْتِ وكنتِ غَيْرَ رَجِيْلَةٍ والقَوْمُ مِنْهُمْ نُبَّهٌ وَرُقُوْدُ

وطيف محبوبة أبي دوآد لا يأتي إلا قليلاً ، وإذا أتى فإنه يثير الكثير من الأحزان ، فيؤجج نفس المحب ، ويمنعها نومها ، ويقضّ مضاجع من حوله من الرِّفاق الذين يساهرونه لينفوا عنه قلقه ، ويخففوا ألمه ، يقول أبو دوآد[٢] :

لِلَيْلَى خَيَالٌ قَلَّ مَا يَتَعرَّجُ يُهيِّجُ مِنْ أَحْزَانِنا مَا يُهيِّجُ
يُؤَرِّقُ أَصْحَابِي وَبَيْنِي وَبَيْنَها مَنَاكِبُ رُعْمٍ فَالنِّبَاجُ فَأَخَرَجُ

وطهمان بن عمرو الكلابي[٣] يصرعه النوم ، بعد مسير مُنْهِك ، ورحلة مضنية ، فيوقظه من حلو نومه خيالُ أُميمة ، وصحبه حوله هُجَّع ، قد القوا بأجسامهم ، وتوسَّدوا أيديَ إبلهم ، ممسكين بخُطُمها ، سيهبُّون بها على عجل ، ويطيرون عليها بلا تريُّث :

طَرَقَتْ أُمَيْمةُ أَيْنُقاً وَرِحَالا وَمُصَرَّعِيْنَ مِنَ الكَرَى أَزْوَالا
مُتَوَسِّدِينَ إِلى أَزِمَّةِ ضُمَّرٍ فَالرَّيْثُ مَا طَارُوا بِهِنَّ عِجَالا

ويتمنّى طهمان[٤] وهو في سجنه أن يطرقه خيال محبوبته ، ليؤنسَ له وحدته ويخفف عنه كربته :

---

(١) المفضلية رقم ١٠٤ . وهن : بعد ساعة من الليل (أساس البلاغة) . رجيلة : قوية على المشي .

(٢) طبقات فحول الشعراء ٧٨٧/٢ . رعم : جبل في ديار بجيلة (معجم البلدان) . النباج : نباج بني عامر بحذاء فيد (السابق) . أخرج : جبل لبني كعب بن أبي بكر بن كلاب (بلاد العرب ٢١٩) .

(٣) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص ٢٨ . أينق : يريد النياق . أزوال : جمع زول : وهو الشخص .

(٤) السابق ص ٢٣ . شحط : بُعد .

أَلا طَرَقَتْ لَيْلَى عَلَى نَأي دَارِهَا وَلَيْلَى على شَحْطِ المَزَارِ طَرُوقُ

أَسِيْراً يَعَضُّ القَيْدُ سَاقَيهِ فيهـما مِنَ الخَلَقِ السُّمْرِ اللِّطافِ وَثِيْقُ

إنّه يطلب من يخترق إليه الأسوار ، ويناجيه والناس نيام .

١٣ ـ ذِكر الحبيب :

وذكر الحبيبة والسؤال عنها ، والتلذذ بذكرها كان أحد جوانب الغزل لدى الكلابيين.

ابن هرم الكلابي[١] دائم السؤال عن خلّه ، يتعرّض الركبان يسألهم . إنّ كلَّ ما يأتيه من نحو أَرضها يهمُّه ، غير أنّ ما يمضُّه ارتداد سؤاله ، فما في الأخبار جِدَّة ، وما زادوه على ما عَهِد إلا لوعة ، وإن ذُكرت له انفرط في البكاء فتناثر الدمع على لحيته تناثر اللؤلؤ من عقده :

وأَسْتَخْبِرُ الأَخْبَارَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا ... وأَسْأَلُ عَنْها الرَّكْبَ ، عَهْدُهُمُ عَهْدِي

فَإِنْ ذُكِرَتْ فَاضَتْ مِنَ العَيْنِ عَبْرةٌ ... عَلَى لِحْيَتِي نَثْرَ الجُمَانِ مِنَ العِقْدِ

والقتّال الكلابي كأنما هو في سُكر حين يَذْكُرُ محبوبته ، إنه يقول[٢] :

وإِنّي وَذِكْرِي أُمَّ حَيَّانَ كَالفَتَى ... مَتَى مَا يَذُقْ طَعْمَ المُدَامةِ يَجْهَلِ

لكنّه يعاتب نفسه على ذكره امرأة بعد أن بلغا من العمر عتيّا ، وتجاوزا عهد الصِّبا ، إذ يقول[٣] :

وما ذِكْرُه بَعْدَ الصِّبَا عَامِرِيَّةً ... عَلَى دُبُرٍ وَلَّتْ وَوَلَّى وِصَالُهَا

---

(١) الحماسة لأبي تمام ٢/١٥٠ .

(٢) ديوان القتال الكلابي ص ٧٣ .

(٣) السابق ص ٧٩ .

١٤ ـ معالم غزل الكلابيين :

ومِمَّا سبق أَخْلُصُ إلى الآتي :

١) لم يُفرد شعراءُ بني كلاب قصائد خالصة للغزل ، إذ شُغِلوا عنه بغيره .

٢) لم يقصد الكلابيّون إلى الغزل ذاته ، بل كان تمهيداً لغيره من الأغراض .

٣) كان شعر الغزل لدى الكلابيين قليلاً بالمقارنة إلى شعر الفخر .

٤) توقف الكلابيون طويلاً أمام الأطلال ، وذلك مُنْبِئٌ عن تعلقهم بالدِّيار .

٥) وُصِفَ حادي الإبل في شعر الكلابيين بالشِّدَّة .

٦) ظَهر حنينُ الكلابيين مقروناً بحنين دوابهم .

٧) وُجد من بين شعراء الكلابيين من يتباهى بإعجاب النساءِ به .

٨) لم يسفَّ شعراء بني كلاب في ذكرهم صفات المرأة الحسِّية .

٩) أقلُّوا من المحاسن المعنوية للمرأة .

١٠) كان وصفهم للنساء وصفاً تقليديّاً .

١١) صون مجتمعهم للمرأة ، إذ كان مجرد الحديث معها أُمنية قلّما تحصل .

وحين ننظر إلى هذا الشعر الذي نهض بمعالم الغزل الكلابي نجد أنّه يُمَثِّل فترتي الجاهلية وعهد بني أُميَّة ، وأَنَّ شعر الفترة الأموية كان احتذاءً للجاهليين مع طول نفسٍ جعلهم يتئدُون في تصويرهم ، أمّا الشِّعر الذي كان في صدر الإسلام فإنَّ عامَّته قليل ، وما كان منه خاصَّاً بالغزل فإنَّ « الحياة الإسلامية ـ بما أفاضت من الحياء ونشرت من التعفف ـ قد قضت على كثيرٍ منه ، وحالت بينه وبين أن يكون قصيداً يُصْنع أو شعراً يُروى »[١] .

لقد كان أثر الإسلام واضحاً في غزل الكلابيين ، حتى لم يعد التصريح شائعاً ، واستبدل بالرمز ، وهو رمز لا يُجاوز الزَّوجة ، من مثل قول الأعور بن براء الكلابي[٢] يذكر امرأته :

وأَدمَاء من أُدم الظِّباءِ تعرَّضت ... لألبثَ شهراً بل أُقيم لياليا

---

(١) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ص ٢٥٩ .

(٢) تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٥٦٦ .

فقلت لها يا عنزُ أنت مليحةٌ من المغزلات النّافضات المداريا

إنّه حبٌّ مهذب لا يُذيع مُنكراً ، ولا يدعو إلى فجور ، كقول عقبة الكلابي[١] :

إذا اقتسم الناسُ الأحاديث وانتحوا خلا بفُؤادي حبُّها وانتحانيا

فكفكفت دمعي ثمَّ حَوَّلت مضْجعي فلم يدر إلا اللهُ لوعة ما بيا

يقول الدكتور شكري فيصل عن هذا الأثر : « إنَّ الإسلام هذب الغزل في هذه الفترة ، وسلك إلى تهذيبه هذين الطَّريقين : هَذَّبَ النفوس التي كان يصدر عنها ، وهَذَّب الصُّورة التي كان يُقال فيها »[٢] .

مما جعل أولئك الذين استلجَّ بهم الحب يوارونه من وراء ستارٍ ، وكان هذا السِّتار ستاراً حضارياً يدرأ عنهم عقاب مجتمعهم ، فكان للرمز والكناية عبء نقلِ ما يمور من هوى، وأبيين دليلٍ على ذلك ما كنّى به حميد بن ثور عن المرأة بالسَّرحة ، حيث يقول[٣] :

أبى الله إلا أنَّ سَرْحةَ مَالِكٍ على كلِّ أفنان العَضَاه تَرُوقُ

فَهَلْ أَنَا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ من السَّرْح مَسْدُودٌ عليَّ طَرِيقُ

وما إن انتهى عصر صدر الإسلام حتى انكفأ الشعراء على تقاليد القصيدةِ القديمةِ ، يتمثَّلُوْنَها في إبداعهم ، الذي بدت فيه ملامح المزج بين قديم مؤثر وجديدٍ مُحَسّ ، « إذ ليس من اليسير أن يتخلّى الشاعر عن تقاليد فنية جرى عليه الشعراء قبله منذ زمن بعيد ، وأن يبتكر لنفسه أسلوباً جديداً كلَّ الجدَّة دون أن يتخبّط بين قديمٍ امتزج امتزاجاً تاماً بموهبته وحسه اللغوي ، وجديد لم ينضج أو تتضح معالمه بعد »[٤] .

---

(١) مصارع العشاق ٩/٢ .

(٢) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ٢٦٩ .

(٣) ديوان حميد بن ثور ص ٤١ .

(٤) في الشعر الإسلامي والأموي ص ٦٨ .

الفصل الثاني

شعر الطبيعة

١ ـ الإبل .
٢ ـ الخيل .
٣ ـ الذئب .
٤ ـ المطر .
٥ ـ الشجر والنبات .

تمهيد :

أحب العرب الطبيعة ، فكانت مبتغاهم ، رَعوا خُضرتها ، ورافقوا حيوانها ، ونشدوا المطر ، وترآءوا برقه ، وطربوا لرعده .

خبَت بهم الإبل إلى الحبيب ، وأمْلى عليهم الهديل نغم القصيد ، وشفى عِلَلهم نسيمُ الصَّبا ، وذكَّرهم عبقُ الزهر عهداً مضى ، وخلاً هجر .

إنّ تلك الطبيعة التي عاش في كنفها محبُّوها قد تأثروا بطباعها ، فجُبلوا على الوضوح وحبِّ الصدق ..

ولقد عادت تلك الطبيعة على بني كلاب بالنفع ، فقد كانت ديارهم من أخصب الأراضي وأطيبها كلأً ، فما إن تمطر السماء حتى يسمق النبات في عالية نجد ، فتجتمع الحُسنيان نسيم عليل ، ونبت عميم .

ظهر ولع الكلابيين بالطبيعة من خلال تغنّي شعرائهم بها ، فبرزت مظاهر الطبيعة جلية حين قرنوا بين مرأى عيونهم ، وخلجات نفوسهم .

وأكثر ما حفل به شعرهم ذكر الحيوان ، وكانت الإبل ذات النصيب الأوفى في الذكر، تتلوها الخيل فعلى ظهورها يظهرون ، وبها يسودون ، يعقبهما المطر ، إذ يتفيأون ظلال نبته، ويسَّاقط عليهم خيره بعد أن كلحت الأرض من الجدب .

١ - الإبل :

كانت الإبل فخر الغني ، وقِرى الكريم ، وعصَى الفقير ، لذا احتلت مساحة عريضة من شعر الكلابيين ، فذكروها واقفة على الأطلال ، وامتدحوها مسرعة إلى الأحباب ، ووصفوها هزيلة من إياب .

إن وصف شعراء بني كلاب للناقة وهي متحركة ، قد جدَّ بها المسير يأتي متميِّزاً ، فمعاوية بن مالك الكلابي يكشف عن صفة تكاد تنفرد بها ناقته ، التي لا يلحقها أحد ، فإبط تلك الناقة يشذُّ عطراً ، إذا ماعرقت بعد رحلتها ، يقول[1] بعد ذكره وقوف ناقته

---

(١) المفضلية ١٠٥ . القلوص : الفتيَّة من الإبل . مغابن : جمع مغبن : وهو الإبط والرفغ (القاموس المحيط) . ملاب : عطر أو زعفران (السابق) .

الفتية على الطلل :

وَقَفْتُ بِهَا القَلُوْصَ فَلَمْ تُجِبْنِي وَلَوْ أَمْسَى بِهَا حَيٌّ أَجَابَا
وَنَاجِيَةٍ بَعَثْتُ عَلَى سَبِيْلٍ كَأَنَّ عَلَى مَغَابِنِهَا مَلابَا

وأوقف نصيحُ بن نهيك ناقتَه الفتية على الديار التي أجدبت ، ووصفها بأنها ناقة مُعوّدة على الرَّحيل مُهتدية للدُّروب ، إذا اشتدَّ عدوُها لم تلامس قوائمها الأرض ، فكأنما هي سابحة، غير أنَّ ردعَها بالزِّمام يُهدِّيء من سرعتها ، وهي ناقة قد اكتنز لحمها ، وكَبُر جرمُها، واشتدَّ عظمها ، لذا تأهَّلت للوقوف ، يقول[١] :

فَلَمْ تَرِمِ الدَّارُ البُرَيْصَاءُ فَالصَّفَا صَفَاهَا فَخَلاهَا فَأَيْنَ تَرِيْمُ
وَقَفْتُ عَلَيْهَا بَازِلاً نَاهِجِيَّةً إذا لم أَزُعْهَا بالزِّمام تَعُوْمُ
كِنازاً من اللاتي كَأَنَّ عِظَامَهَا جُبِرْنَ عَلَى كَسْرٍ فَهُنَّ عُثُوْمُ

ويصف أبو دوآد الكلابي[٢] الإبل أوان الجدب ، فقد غدت النياق الجامحة قرَباً يابسة ، فهي ضامرة ، غير طيِّعة ، قد أصابها الجرب ، فلا لين فيها لأحد ، ولا رأفة بها لولد :

وراح الشَّول كالشَّنَّات شَاسِفةً لا يَرْتَجِي رِسْلَها رَاعٍ ولا رَبَعَهْ
واعْرَوْرَتِ العُلُط العرضيّ تركُضُه أم الفوارس بالدِّئداء والرَّبعة

والملاحظ في البيتين توفيق الشاعر بين المعنى وصوته ، فالغلظة في الموصوف كما هي في الوصف الذي لا يخلو من حركة واستقصاء ، وذلك ما يبْرز كثيراً عندهم .

لقد رأوا في حركة الجمل ما يسرهم ، وفي سَيْره ما يثير فرحهم ، فحين يخبّ بهم نشطاً فذلك يوم عيدهم ، يطربون لإيقاع حركاته ، ويتفاعلون مع رقصات مشيه ، وهذا دليل تآلفٍ نفسي بين الحيوان والإنسان .

إنّ جوَّاباً الكلابي[٣] قد ألهبت مشاعره حركة المطايا ، فما عاد يثيره إلا ما كان قوياً متناغماً ، لقد ارتسم في ذهنه ذلك الرقص ، فأراد مثيله في كل شيء :

---

(١) الأغاني ١٣/١٧٨ . ترِم : تنبُت . البريصاء : تصغير برصاء : وهي الأرض التي رُعي نبتها . الصفا: موضع بجبلة (شرح ديوان لبيد ١٣٥) . بازل : ما خرج نابه . ناهجيّة : تسلك الدروب دوما . عثوم : العثم : إساءة الجبر ، وجمل عيثوم : ضخم شديد .

(٢) لسان العرب (دأدأ) ، (ربع) . الشول : النياق . الشَّنّات : القرب اليابسة . شاسفة : يابسة من الضّمور والهزال . العُلُط : من لا خطام لها . العرضي : الصَّعب . الدِّئداء والربعة : شدة عدو البعير .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٦٢ .

لا تَسْقِني بِيَدَيْكَ إنْ لَمْ تَأتِني رَقْصَ المطِيَّةِ إنَّني جَـــوَّابُ

ومطية زر بن أربد الكلابي[١] التي يكدُّها النهار كله لتلحق بالأحباب ، لم تُقصِّر بها صفاتها ، فهي خفيفة ضامرة ، تميل على أحد جانبيها حين تسرع ، كأنَّها حرف السيف في هزالها ومضائها ، طويلة ، ممتدة الأعضاء ، من يراها يهال لطولها ، فيظنُّها قد وُصلت بعظام ناقة أخرى ، كأنَّ هذه العظام أعواد خشب حزم بعضه ببعض :

بَانَ الخَلِيْطُ لِنِيَّةٍ فَتَصَدَّعُوا وَرَمَوا فُؤَادَكَ بِالفِرَاقِ فَأَوْجَعُوا
وَطَلَبْتَهُمْ مدَّ النَّهارِ فَلَمْ تَكَدْ بِالحيِّ يُلْحِقُنِي الجَنُوبُ المَيْلَعُ
حَرَجٌ كَأنَّ عِظَامَهَا مَوْصُوْلَةٌ بِعِظَامِ أُخْرَى فَهُوَ حَرْفٌ شَرْجَعُ

إنَّها أوصاف ظاهرة ، لا تَبين عمَّا وراءها من نفسية الحيوان ، وذلك ما يفرِّق بين الوصف الجاهلي والوصف الإسلامي ، فالمشاعر في الأخير أثرى وألطف ، فقد بثّ الإسلام جوانب العطف لكلِّ ذي روح .

وهم إذا ما طلبوا الظعائن التي تعلَّق بها الفؤاد فإنما يطلبونها على ما يثقون به من مطاياهم ، إذ يمتطون أقوى رواحلهم إلى ما تطيب به قلوبهم ، وما يقْدِر على إلحاقهم بأحبابهم غيرُ الناقة السريعة في حركتها ، المطواع في قيادتها ، التي تتحمل الركوب ، لقوة ظهرها ، والقادرة على مواصلة السير بلا ونى لفتوتها ، وذلك ما كان من أمر ناقة طهمان بن عمرو الكلابي[٢] إذ قال :

وسيرة أظعان طَلَبْتُ عَلَى هَوَى بِمَائِرَةِ الضَّبْعَين غَيْرَ نَـزُوْرِ
عُذَافِرَةٍ ، لم تَغْذ سقباً ، ونابها يرد سديسيها أذبّ قَصِيْر

وحين يُرفدون فإنهم لا يُعْطُوْن من الإبل إلا خيارها ، فناقة الأعور بن براء الكلابي التي أعطاها لابن أخته حين جاءه يسترفد ، كانت ناقة بيضاء ، وهذا أحسن ألوان الإبل . ثم هي قوية الظهر ، طويلة العنق ، سهلة السير ، سريعة ، وعلى الرغم من كل هذا فقد عابها ابن

---

(١) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٣٢ . الميلع : المسرعة . حرج : ضامرة . شرجع : أعواد خشب يُشدُّ بعضها إلى بعض ليحمل عليها الميت (لسان العرب) .

(٢) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص ٤٧ . مائرة الضبعين : سريعة . عذافرة : وثيقة الظهر. سقب : ولد الناقة . السديس : الناقة تجاوزت السنة السادسة من عمرها . أذبّ : نابٌ حادٌ.

أخته ، وهجاه من أجلها ، وكان في بداية الأمر قد تعاظم هذا العطاء ، فردَّ عليه خاله بقصيدة فيها البيتان الآتيان ، معدِّداً صفات ناقته التي دُهش لها ابن أخته ، إذ كيف تُعْطَى من هذه نعوتها ؟! ، لكنّ الكريم يزهو بذلك ، يقول الأعور[١] :

لَمَّا أَتَاني ابنُ صُبَيْحٍ رَاغِبَاً أَعْطَيْتُهُ عَيْسَاءَ مِنْهَا فَبَرَقْ
أَعْطَيْتُهُ مَبْنِيَّةً دَايَاتُهَا مَائرةَ الضَّبْعَيْنِ سَطْعَاءَ العُنُقْ

وناقة الأجلح بن قاسط الضِّبابي يُباهي بها لأنها تتقدم الإبل ، فلا يقدر الحادي على اللّحاق بها لسرعتها ، فتتلقاها الغربان تطعَمُ من الميرة التي على ظهرها . إنّ تلك الناقة التي سبقت بالزاد إلى الأهل ، ليست سريعة بالحمل الثقيل فحسب ، بل هي بشرى خير لمنتظري الفرج ، كما أنها تسرُّ الناظرين ، قد علت غيرها من الإبل ، فهي حمراء اللون ، طويلة جسيمة .

يقول الشاعر[٢] : يَقْدُمُهَا كُلُّ عَلاةٍ عِلْيَانْ
حمراء من مُعَرِّضات الغِرْبَانْ

والإبل التي تتجَّه للممدوح لا بدَّ أن تجدَّ السير إليه وتسرع خلوصاً من الضنك ، ووصولاً إلى الفرج ، وهي في لونها بيضاء ، وذلك مُوح بالتفاؤل ، ثم هي ضامرة ، قد غيَّرها كدَّ السفر ، فتحنت عظامها ، وصارت كأنها الأقواس ، وونت من حثِّ راكبها ، غير أنها أدت مهمتها وليكن بعد ذلك ما يكون فسيُجْبر الكسر ، وما ونى الناقة إلا شعورها بونى صاحبها ، يقول أعرابي[٣] من بني كلاب أجدت بهم الرواحل ، تقطع المفاوز ، يطلبون خالدًا القسري ، أمير العراقين ، يشكون إليه جدب الديار الذي أضرَّهم :

إليك ابنَ عبدِ اللهِ بالحمدِ أَرْقلتْ بِنَا البِيْدَ عِيْسٌ كالقِسِيِّ سَوَاهِمُ

---

(١) تهذيب إصلاح المنطق ص ١٢٦ . ابن صبيح : من بني هلال بن عامر ، والأعور خاله . عيساء : بيضاء . برق : تحيَّر . دایاتها : فقرات ظهرها . مائرة الضبعين : سريعة ، والضبع: مابين الإبط إلى أعلى العضد . السطعاء : الطويلة العنق .

(٢) لسان العرب (عرض) . عِلْيان : طويلة جسيمة . مُعرِّضات : العُراضة : الهدية يتحف بها المائر أصحابه .

(٣) الأخبار الموفقيات ص ٧٩ . ابن عبد الله : هو خالد بن عبد الله القَسْري ، ولي لبني أمية وقُتِل عام ١٢٦ هـ (الأعلام) . العوارم : الشديدة .

عَلَيْها كِرَامٌ مِنْ ذُؤَابَةِ عَامِرْ أَضَرَّ بِهِمْ جَدْبُ السِّنِينِ العَوارِمُ

وناقة جهم بن شبل الكلابي تشبه الفتاة المغاضب في غنجها ، فهي ناقة ما إن يلامسها السوط حتى تهتز من النشاط وتتمايل بجسمها اللين ، ويقول الجوهري هذا أحسن ماوُصفت به الناقة ، يقول جهم(١) :

تَدَلَّلُ تَحْتَ السَّوْطِ حَتَّى كَأَنَّمَا تَدَلَّلُ تَحْتَ السَّوْطِ خَوْدٌ مُغَاضِبُ

إنها الرقة الإنسانية التي عمرت قلوب الجيل المسلم ، فكان أن رأوها في كل شيء حولهم حتى في الحيوان الذي عرف بصلابته ، وذلك عائد لإحساسهم الذي صاروا يستشفونه من حيواناتهم .

ويصف جامع بن عمرو الكلابي الإبل في رحلتها ، فيذكر أنها إذا ما اشتدَّ سيرها ، ترفع قوائمها ثم ترمي بها ، كسير النَّعام ، وشبهها كذلك بسعالي الليل ، لعدم هيبتها وحشته، ثم هي قادرة على تحمل ماكلفت به ، فهي تسير أوان الحر المحرق ، وفي غبش الليل المظلم ، فتسبق القطا على الورد قبل أن ينهض ، لا يردعها خطام ، ولا يني بها زمام ، حتى حُطَّ عنها على ماء آجن ، وقد نال منها العطش مانال وغيّرها السفر ، يقول(٢) :

تعالى بأيدٍ ذارعات وأرجلٍ مُنكِّبَة روْحاً يخدن بنا وخدا
سَعالِيَ ليل ما تنام وكُلِّفتْ عَشِيَّةَ خِمْسِ القوم هاجرةً صخْدا
فجئن بأغباش ، وما نزل القطا قراميص مأواه ، وكان لها وِرْدا
وجِئْنَ ينازعن الأزمَّة مُقْدِما محاويق قد لا قت ملاويحها جهدا
إلى طاميات فوقها الدِّمن ، لم نجد لهن بأوراد ولا حاضر عهدا(٢)

---

(١) لسان العرب (دلل) . خود : فتاة ناعمة .

(٢) شرح شافية ابن الحاجب ص ٣٥٠ . تعالى بأيد : إي الإبل ترفع أيديها وأرجلها من سرعتها. ذارعات : مادَّةٌ أذرعتها . روح : قد يكون تخفيف روحان الكائن في ديار بني سعد (م . ماستعجم) ، وروح : اسم (ق . المحيط) ، ورواية شرح الشافية (مُنكبةٍ رُوْحٍ) . يخدن : الوخد : رمي القوائم حين المشي . سعالي : جمع سعلاة : وهي أنثى الغول ، والغول : اسم خرافي يعني كل ما يخيف ويهلك . صخداً : محرقة . أغباش : بقايا الليل . قراميص : القرموص : حفرة واسعة الجوف ، ضيّقة الرأس . مُقدم : هو قائد الراحلة الذي يتقدمها ماسكاً لزمامها . محاويق : قد أهلكها السفر . ملاويح : عطشى قد غيرها طول الطريق . طاميات : المياه الطافية . اوراد : جمع ورد : وهم القوم يردون الماء .

إن إلمامهم بصفات نياقهم دليل على معايشتهم لها كل أوان ، حتى كانت هذه الإبل هي المعبِّر عن أحاسيسهم ، وهي أحاسيس تختلف باختلاف العصر ، فإذا كانت في الجاهلية تحمل شوقهم للممدوح فإنها في العصر الإسلامي تحمل أحاسيسهم وسط المعارك وخوفهم العار عند النكوص ، ولولا هذه العقيدة التي هي أهم من الناقة لما مُسَّت ناقة الأشعث الكلابي بضرر فهو يقول(١) :

وما عُقِرَتْ بالسَّيْلحيْن مطيَّتي وبالقصرْ إلا خِشْيةً أنْ تُعَيَّرَا

٢ - الخيل :

جاء وصف الخيل في شعر الكلابيين من خلال فخرهم ، فقرنوها بانتصاراتهم ، ورأوها السند القوي في غاراتهم كما تباهوا بها في سلمهم ، فكانت من لوازم كبريائهم .

فهذا " دَعْلج " فرس عبد عمرو بن شريح الكلابي يصول ويجول في أرض المعركة ، يسابق الرماح كأنما هو يصارعها وهي تطعنه في صدره ، فما يخرُّ من كثرتها ، ولكن حمحمة جزعه ظاهرة ، يقول عبد عمرو(٢) :

ويوم لقينا جمع ذُبيانَ والقنا عطاشٌ فروَّينا أسنَّتها دَما
أُقدِّمُ فيهم دعْلجاً وأكرُّهُ إذا أُكرِهَتْ فيه الرماحُ تحمحما
يُوافِدُ أطرافَ الرِّماح شككْنَه كَشكَّكَ بالشعْبِ الإناء المُثلَّما

ومعاوية بن مالك الكلابي(٣) يصف الخيل التي يغتصبون عليها مراعي القوم ، ويذكر الفرس الذي يُنْتدب لتلك الشدة ، بأنه كل فرس عالي القامة ، غليظ القوائم ، يعاود الجري حين يتعب غيره ، وإذا ما أسرع مدَّ مرفقيه فاندفع حزامه للخلف :

إذا نزل السحابُ بأرضِ قومٍ رعيناه وإن كانوا غِضابا
بكل مُقَلِّصٍ عَبْلٍ شَوَاهُ إذا وُضِعتْ أعِنَّتُهُنَّ ثابا
ودافِعَةِ الحزام بمرْفقيها كشاةِ الرَّبْلِ آنست الكلابا

---

(١) جمهرة النسب ٣١٦ . السَّيلحين : هي سيلحون : وهي من مواضع الفتوحات بين الكوفة والقادسية . (معجم البلدان) . القصر : قصر العَدَسِيِّين أول ما فتح المسلمون في غزوهم العراق (معجم البلدان) .

(٢) أسماء خيل العرب ص ١٣٧ . يوافد :يسابق . الشعْب : المِشْعب : المثقب .

(٣) المفضلية رقم ١٠٥ . مقلص : مرتفع . عبل شواه : غليظة قوائمه . الرَّبل : شجر يتفطر في آخر القيظ .

وفي يوم رحرحان يقاتل القوم من بني كلاب ، ومعهم الشاعر ، على خيل سابقة ، تثب في عدوها ، وتبادل بين يديها ورجليها ، قد لان طبعها ، وسهل عطفها ، يقول عامر بن مالك الكلابي[١] :

لعمري لقد دافعتُ عن حيِّ مالكٍ شآبيبَ منْ حربٍ تلقَّحَ حائلِ
على كلِّ جرداء السراةِ طِمِرَّةٍ وأجردَ خوَّار العِنانِ مُناقِلِ

وأبو دوآد الكلابي يذكر امتطاءهم ظهور الخيل الأصيلة حين يدهمهم الأمر ، تلك الخيل التي تندفع اندفاع الحيوان المفترس ، لا يأبه بشيء ، وتنطلق لا تحذر ، مما يضطر ممتطيها إلى كبح جماحها ، إنه يقول[٢] :

وكان مَفْزَعُنَا جُرْداً مُسَوَّمَةً كأنَّهن عَجِيْمٌ بُزَّ عنْ جُرُمِ
يَخْرُجْنَ من كلِّ أوْبٍ تحتَ ألويَةٍ يُكبَحْنَ من حَذَرِ الأَضْغَانِ باللُّجُمِ

وإذا كان بيتاه السابقان يُظهران حركات الفرس المثالية ، فإنه في بيتيه الآيتين يُبيّن شكل الجواد الأصيل ، الذي نتج من خيل جياد عُرِف نسبها ، فهو بارز الورك ، قصير الشعر ، متين المتنين ، يُكوِّم نفسه إذا انطلق ، ها هو يقول[٣] :

نُقاذِفُ بالأسياف عبْساً وطيِّئاً وقد أحجمت عنا تميم ومُذْحِجُ
بِكُلِّ جواد مُشْرفٍ حَجَبَاتُهَا تشارَكَتِ الرَّعْشاءُ فيها وأعوجُ
وأَجْرَدَ خاظي المتنتين كأنَّه إذا اقْوَرَّ حِمْلاجٌ مِنَ اللِّيفِ مُدْمَجُ

وخيل الحرب معودة على الإقدام ، عطشى للنزال ، شُعْث النَّواصي من أثر ما تخوض من المآسي ، تنازع أصحابها الإنطلاق إلى المعمعة ، كما تنازع الإبل الظِّماء ذُوَّادها نحو الماء،

---

(١) الأغاني ١٠١/١١ . شآبيب : دفعات . تلقح حائل : أي أشعلها بلا سبب . جرداء السراة: يعني : فرساً سابقة . خوّار العنان : ليّن العطف . مناقل : يضع رجليه مكان يديه ، وهو مسرع .

(٢) منتهى الطلب ١٤٦/٥ . مسومة : لها علامات تميزها . عجيم : من العجماوات . جُرُم : جناية .

(٣) النوادر لأبي زيد ٤٤٥ ، طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٧ . حجباتها : جمع حجبة : وهي حرف الورك . الرعشاء : فرس مالك بن جعفر جدّ لبيد (شرح ديوانه ٣٩) . أعوج : منسوب إلى فرس بني هلال (أعوج) . خاظي المتنتين : مكتنز لحم المتنين . أقور : أدبر . حملاج : حبل شديد الفتل . مدمج : محكم الفتل .

لا تطمع أن يستحثها راكبها حتى تجود بالعدو السريع ، تلك هي الخيل المقربة لا تبرح طنب البيت ، يقول عامر بن الطفيل الكلابي[١] :

وَجيـاداً لـنا نُعَـوِّدهـا الإقْـ ـدام إنْ غـارةٌ بدت وازبـأرّتْ
مُقْرباتٍ كالهَيْم شُعْثَ النواصي قَد رفعنا من حُضرِها فاستدرَّت

وفي بيته الآتي يصف عامر[٢] شكل فرسه ، الذي يتطيه لإدراك ثاراته لثقته فيه ، إنه فرس قصير الشعر ضامر ، طويل ، كجريدة النخل :

فما أدرك الأوتار مثلُ مُحقِّقٍ بأجرد طاوٍ كالعسيب المُشَذَّبِ

وحين السِّلم يكون الفرس لدى الكلابيين مركوباً للزينة والتباهي ، هذا شريح بن الأحوص الكلابي يتطي ظهر جواده ، أمام القوم ، قد أعجب به أيما إعجاب ، إذا عدى عام فمدّ عنقه ، ونهض بجسمه ، وإذا مشى تمايل على شقيه ، كأنما هو في نشاطه شارب خمر ، وهو في عدم توانيه عن الحركة كالطفل لا يكفُّ عن اللعب ، وحين يقف ترى طول عنقه ، وتتبين شدَّة ضموره ، وانحناء ظهره كأنّه العرجون ، يشبه الوَعِل في شكله ، ويختال اختيال المعجب بنفسه ، يقول شريح[٣] :

قد أطرقُ الحي على سابحٍ أسطعَ مثلِ الصدعِ الأجردِ
لما أتيتُ الحي في متنهِ كأن عرجوناً بيمنى يدي
أقبل يختال على ظِلَّةٍ كأنما يعلو إلى فَدْفدِ
يضربُ عطفيه إلى شأوِه يذهبُ في الأقرب والأبعد
كأنه سكرانُ أو عابثٌ أو ابن ربٍّ حدثُ المولدِ

تلك إبانة مفصلة لكل حركات الفرس ، أداها الشاعر عن طريق الصورة ، التي نُوِّعت ليطمئن بمسِّمُهَا إلى وفائها بحق جواده .

وعامر بن الطفيل الكلابي يعتز بفرس يحمل سلاحه وثيابه ، فإن فغرت فاها الحرب

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٣٢ . ازبأرّت : ظهر شرُّها . مُقربات: مشدودة إلى البيوت لا تُسَرَّح . الهيم : العطاش . حُضْرها : سرعتها .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ٢٧ . طاو : ضامر . المشذّب : المنقح من الزوائد .

(٣) الوحشيات ص ٩٩ . اسطع : طويل العنق . الصَّدع : الفتي من الظِّباء والوعول . فدفد : أرض مرتفعة ، ذات حصى . عطفيه : جانبيه . شأوه : أمده .

امتشق ، وإن كان السلم لبس وتباهى ، فهو فرس صالح للحالين ، ذلك أنه إذا جرى قصد هدفه في سرعة ، فهو كثور ، قوائم سود دقيقة ، منفرجة ، له عيون كحل ، تراه في عدوه كسابح في ماء ، وحين يجري خلف الظِّباء يُرخي رأسه ، كأنما هو سينطحها ، قد انفرد في صحرائه ، فرآه قُنّاصٌ ، فأشلوا عليه كلابهم المدربة ، فهرب عنها مُشيحاً بوجهه ، حَذِراً ، قد ساعدته قوائمه الدقيقة على النجاة ، حين أطلق لها العنان ، فجنّبته الهلاك .

إنَّ كلَّ صفات هذا الثور كائنة في جواد عامر بن الطفيل إذ يقول[١] :

ويحـــملُ بَـزِّي ذو جراءٍ كـأنَّـهُ ... أحـمُّ الشَّـوى والمقلـتينِ سَبُوحُ
فَـرُودٌ بصـحـراءِ اليَـفَـاعِ كَـأنَّـه ... إذا ما مشى خلف الظباء نطيحُ
فـعـايـنه قُـنَّـاصُ أرض فأرسَـلُوا ... ضِـراءَ بكُـلِّ الطَّاردات مُشِيحُ
إذا خَافَ مِنْهُنَّ اللِّحاقَ ارتمى بـه ... عـن الهَوْلِ حَمْشَاتُ القَوائمِ رُوحُ

إن تلك الخيل التي هي عدّتهم في الحرب ، وزينتهم في السلام تستحق منهم كل إكرام ، لذا بلغ من اهتمامهم بها أن جعلوها مساوية للجار والولد في الإحتفاء .

هذا خالد بن جعفر الكلابي يؤثر فرسه على نفسه بنزع رداءه في شدة البرد ليلحفها إياه ويخصها بأطايب الحليب دون الأهل ، ويوصي الرعاة بحسن رعايتها ، فلا تبيت حتى تُغْبق ، إن نام توسد الزمام ، وإن قام أرخاه إلى العُداة ، معه في عسره ويسره ، فهو يقول[٢]:

أَدِيْرُوني إدارتَـكـم فَـإنِّـي ... وحَذْفَةَ كالشَّجَا تَحْتَ الوَرِيْدِ
مُـقَـرَّبـةٌ أُسَـوِّيـهـا بِـجَـزْءٍ ... وأُلْحِـفُـهَا ردَائي في الجَـلِـيـد
وأُوصِـي الرَّاعِـيـين لِيُؤثراها ... لَهـا لَـبَنُ الخَـلِـيَّـةِ والصَّـعُـودِ

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٤٠ . جراء : مصدر جرى بمعنى : القصد والسرعة . الشوى : القوائم. اليفاع : في معجم البلدان (اليقاع) بالقاف ، نقلها عن كتاب أبي محمد الأسود الغندجاني وقال : صحراء اليقاع : من فرع دجوج ودجوج رمل وجرع ومنابت حمض بفلاة من الأرض في ديار كلب ، ثم أورد الأبيات السابقة ، ولم يشر مخرج الديوان كرم البستاني إلى هذا ، حمشات : دقيقات . روح : مُنْفرِج ما بينهما .

(٢) الأغاني ٨٣/١١ . حذفة : اسم فرس الشاعر (نسب الخيل لابن الكلبي ٤٥) . جزء : ابن الشاعر . الخلية : الناقة التي خُلِّيت للحلب من كرمها . الصَّعود : الناقة الملقية ولدها لغير تمام تُعطف على ولد غيرها . قُلْب العاج : السِّوار منه . الرسغ : موصل الكف إلى الساعد.

تَراها في الغُزَاة وهُنَّ شُعْثٌ كقُلْبِ العاج في الرُّسْغ الجَدِيدِ
يَبِيْتُ رِباطُها باللَّيلِ كَفِّي على عُوْدِ الحَشِيْشِ وغَيْرِ عُوْدِ

ويؤثر عمرو بن مالك الكلابي فرسه الذي يشبه العقاب على عياله فيقول(١) :

وسابحٍ كعُقاب الدَّجنِ أُجْمِلُه دُوْنَ العِيالِ لَهُ الإيثارُ واللُّطَفُ

إنّ هذا التعلق بالحيوان دليل على الصلة النفسية القوية التي بانت آثارها .

وكان من إكرام ربيعة بن عامر الكلابي لفرسه " نائل " أن قدمه على أهله ، فما ترك لهم ما يطعمون ، وأجَلَّه فيما يُقدم له من اللطائف ، وآثره بلبن النياق ذات الولد ، وحَرم فصائل تلك الإبل من حليب أمهاتها حتى غدت هزالى ، يقول(٢) :

أذِنْتُ لكم أنْ تَشْتَرُوا بفُضُولها وأعْدَدْتُ للأعداءِ والحرب نائلا
حَفَوْتُ له أَهْلِي وألْطَفْتُ جُلَّه وأفْصِلَتِي حَتَّى شَتَوْن حَسَاكِلا

وما كان للأجلح أن يُقدِّم لفرسه اللبن والحليب لولا ثقته في اكتمال صفاته ، ألا يستحق الفرس العدّاء ذو الحدة والنشاط الإكرام ؟ ، إنه يطوي الأرض في سرعة خاطفة ، كأنما هو يلتهمها ، فيغدو الحصى من شدة جريه مُتصاقعا والغبار خلفه قائماً ، كأنه اللهب الساطع ، يسابق الشمس قبل مغيبها ليلحق بالقوم قبل طمس الظلام آثارهم ، كأنه الذئب يعدو على فريسته ، فما يأبه بشيء ، يقول الأجلح بن قاسط الضَّبابي(٣) :

لا تَسْقه حَزْراً ولا حَلِيباَ إنْ لَمْ تجدْهُ سَابحاً يَعْبُوبا
ذا مَيْعةٍ يَلْتَهِمُ الجَبُوبَا يَتْرُكُ صَوَّانَ الحصى رَكوبا
يَتْرُكُ في آثارِه أُلْهُوبَا يُبَادِرُ الآثارَ أنْ تَؤُوبَا
وحَاجِبَ الجَوْنةِ أنْ يَغِيْبَا كَالذِّئبِ يَتْلُو طَمَعاً قَرِيبا

ولم لا تلقى الخيلُ الإكرام والخير معقود في نواصيها إلى يوم القيامة(٤) .

---

(١) الخيل لأبي عبيدة ص ١٠٨ ، الدجن : إظلال الغيم . أجمله : اوثره بالجميل . اللُّطف : ما يُتودد به من طعام وغيره .

(٢) أسماء خيل العرب ص ١٣٨ . حفوت أهلي: لم أترك لهم شيئاً . حساكل : مهازيل ، صغار.

(٣) النقائض ٩٢٩/٢ . حزر : لبن حامض . يعبوب : عدّاء . ميعة : حدة ونشاط . الجبوب : الأرض . أُلهوب : غبار ساطع . الجونة : الشمس .

(٤) نص الحديث الذي رواه جرير بن عبد الله قال : " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم =

لقد كانت خيلُ بني كلاب فرَجَهم عندما يضيق بهم الكرب ، فحين يدهمهم الأمر يمتطون ظهورها ، ويطلبون الخلاص .

هذا عامر بن الطفيل قد اتخذ من الفرس السَّبوح الوثابة منجاة له لو كان يريد الفرار ، غير أنه يخاف العار . إنها قادرة على النجاء به فهي فرس وثابة ، متحفِّزة للإنطلاق ، تشعر بضيق العنان ، فهي تحكُّه بخدَّيها ، فإذا تخلصت منه انطلقت مسرعة ، ومرت مراً خاطفاً ، كأنما هي ستطير ، يقول(١) :

وَأَمْكَنَ مني القوْمَ يوم لقيتُهُمْ نوافذُ قَدْ خَالَطْنَ جسميَ أَرْبَعُ
فَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْني سَبُوحٌ طِمِرَّةٌ تُحُكُّ بخديها العِنَانَ وتَمْزَعُ

لكن زُفَر بن الحارث الكلابي حقق النَّجاء على الفرس ، فقد امتدح جواده الذي جاد عليه بخلاصه من أعدائه يوم مرج راهط ، وأدى ذلك الفرس المهمة على خيروجه ، إذ كان شديد العدو حين انطلق ، يصعد الآكام من جبال سلمى بأقصى سرعته ، فلا تعوقه ، كأنما هو منطلق في صحراء مستوية ، يقول زفر(٢) :

ونَجَّاكَ شدَّاتُ الأَغَرِّ كأنَّما يَرى الأُكْمَ مِنْ أَجْبَالِ سَلْمَى صَحَارِيا
فَلَمَّا أَمِنْتُ القومَ وامتدَّتِ الضُّحَى بِسِنْجَارَ أَذْرَيْتُ الدُّموعَ الدَّوارِيا

٣ ـ الذئب :

كان الذئب من الحيوانات التي تجوب صحراء بني كلاب يَعْدو على غنمهم ، وتنبحه كلابهم ، يهزمهم مرة ويفوزون عليه مرة فهم في صراعهم معه في سجال مما جعلهم يعرفون الذئب عن قرب ومعايشة ، ويعجبون بصفاته .

لقد رأوا فيه الإصرار على مراده ، والدأب في حركته ، فقارن بعضهم بين مكسبه لجرائه ، ومكسبه لأولاده ، هذا أبو العارم الكلابي يُظهر تفوقه على الذئب ، وأنه استطاع

= يلوي ناصية فرس بإصبعه وهو يقول : الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة " . صحيح مسلم ١٤٩٣/٣ .

(١) ديوان عامر بن الطّفيل ص ٨٢ . نوافذ : طعنات نافذة . تمزع : تمرُّ مسرعة ، وتمزَّع : تطاير مُتشقِّقاً .

(٢) ديوان زفر بن الحارث الكلابي ص ٢٦٠ . الأغر : الأبيض . سنجار : سنجار هي برِّية الثرثار ، والثرثار : قُرْب تكريت. (معجم ما استعجم) .

أن يشوي لأولاده وزوجه لحم الصيد ، بينما عجز الذئب عن هذا ، بل مات في سبيل ذلك ، وترك جروه لا عائل له ، يقول أبو العارم[١] :

فَبِتُّ أُشَوِّي صِبْيَتِي وَحَلِيْلَتِي طَرِيّاً وَجِرْو الذئبِ يَتْمَانُ جَائِعُ

وتُظهر الأبيات أن أبا العارم صاد الذئب الذي كان يتربص به وببنيه ، ومع أن الذئب كان في حال من الجوع ، يجعله لا يبالي بمن يُقدم عليه ، والشاعر في حال من الوحشة يجعله خائفاً ، فقد تغلب الشاعر على الذئب وأرداه قتيلاً .

يقول الشاعر[٢] :

تَسَدَّى بلَيْلٍ يبتغِيني وصِبْيَتي لِيَأْكُلَنِيْ والأَرْضُ قَفْرٌ بَلاقِعُ

لَقَدْ عَلِمَ الذئبُ الذي كانَ عَادِياً عَلَى النَّاسِ أَنِّي مَائرُ السَّهْمِ نَازِعُ

وكان الذئب مثار خوف وفزع ، فشبهوا به عدوهم ، حين يباغتهم على غِرَّة ، ويمكر بهم ، بعد اطمئنان ، يقول عوف بن الأحوص الكلابي[٣] :

أتتْنا قريشٌ حافلين بجمعهمْ وكان لها قِدْماً من ا لله ناصِرُ

فلمَّا دنونا لِلْقِبابِ وأَهلِها أُتيحَ لنا ذيبٌ مع اللَّيل فَاجِرُ

وذكروا شُربه للماء متتابعاً ، على نسق واحد ، وهو ما يعرف بالولغ ، فشبهوا غزواتهم المتتابعة بهذا الولغ من ذلك قول أبي دوآد الرُّؤاسي[٤] :

بغزْوٍ كوَلْغِ الذئب غادٍ ورائحٍ وسيْر كصدْر السيف لا يَتعرَّجُ

ورأوا في الذئب الذكاء ، والتَّرصُّد ، وسرعة الانقضاض ، فشبهوا به اللِّص ، يقول عطية بن القليح الضِّبابي[٥] :

يَقِرُّ لِعيْني أن أُرى بين رِفْقَةٍ مُصَعِدَّةٍ في السِّي تَهْفُو قِبابُها

---

(١) لسان العرب (يتم) .

(٢) السابق (بلقع) (عدى) (مور) . تسدّى : المراد تخفّى . مائر : خفيف ، نافذ .

(٣) الأصمعية ٧٩ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٧ .

(٥) المناسك للحربي ص ٦١٣ . السِّي : مابين ذات عِرق إلى وجرة .. دون ركبة (معجم ما استعجم) . جسر : من محارب بن خصفة بن قيس عيلان ، وبنو جسر حلفاء بني عامر بن صعصعة (المعارف ص ٨٥) .

ذيابٌ تلاقت من سُليمٍ وعامرٍ وجَسْرٍ ، وقد تُلْفَى هُنَاكَ ذِئابُها

ووصفوه بالطمع إذ يقول الأجلح بن قاسط الضِّبابي[١] في وصفه لفرسه :

كالذئب يتلو طمعاً قريباً

وكان إعجابهم بصفات الذئب متمثلاً في إطلاق هذه الصفات على أحب حيواناتهم إليهم ، وآلَفِها لديهم ، لقد كان من إعجابهم بالذئب في سرعته ونشاطه ودأبه على الكر والفر ، أن شبهوا به خيولهم ، فهذا خالد بن جعفر الكلابي يشبِّه فرسَه بالذئب فيقول[٢] :

وأَجْرَدَ كالسِّرْحَانِ خَاظٍ بَضِيْعُهُ مُحَرَّم أنْساءٍ مُفِجُّ الدَّوابِرِ

ويشبه عامر بن الطفيل العتاقَ من الخيل بالذئاب ، ويُبين أنَّها لا تهاب ، فهي تُقْدم على الأعداء ، مُستقبلةً رماحهم ، كأنَّها تطرد صيداً ، إذ يقول[٣] :

يَقُودون جُرْداً كالسَّراحينِ تَسْتمي صُدُوْرَ العَوالي من كُمَيْتٍ وأَدْهَمَا

وإذا كان الذئب موحشاً مُسْتوحِشاً ، فقد ذكره بعضهم آلفاً مألوفاً ، مُقْرَىً الطعام ، مُقرّباً المجلس .

إنَّ هَمَّاماً الكلابي قد ضافه ذئب مقدام ، في ليل شديد الظلام ، فأشركه معه في طعامه، وقد كانت العداوة بينهما أبدية ، ولكن على الرغم من ذلك فقد كان للضيافة حرمة ، وللضيف جوار ، يقول همام واصفاً ضيفه[٤] (الذئب) :

يـارُبَّ ذِئـبٍ باسـلٍ مِقْـدَامِ مُنْـجَرِدٍ في اللَّيـلِ والإظْـلامِ
عـاودَ أكـلَ الشَّـاءِ والأَنْعَامِ قد ضَافني في اللَّيل ذي التَّمـامِ
في لَيْـلَـةٍ دَانِـيَـةِ الإرْزامِ يَقْـرِشُ ما أُلْـقِـي من العِظَـامِ

إنه ذئب لا يهاب ، ماض لوحده ، تعوّد أكل ما يجد من النعم ، ولكن على الرغم من ذلك يضيف غريمَه من البشر ، الذي أحسن ضيافته ، فصار يرمي إليه العظام ، والذئب نهِمٌ

---

(١) النقائض ٩٢٧/٢ .

(٢) التذكرة السعدية ص ١١٩ . خاظ بضيعة : كثير لحمه . محرم أنساء : لا يُزاد في ظمئها ، أو لا تزجر (لسان العرب) . مُفجُّ الدوابر : مُفرِّجٌ بين رجليه .

(٣) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٣٠ . تستمي : تصيد .

(٤) البيزرة للحسن الفاطمي ص ٣٨ . منجرد : منفرد لوحده ، سبّاق لهدفه . الإرزام : الرعد . يقرش : يجمع ويكسر ويحدث صوتاً كصوت تصاقع الرماح .

في أكله ، يمزع اللحم ، ويسلخ العظم ، ماضٍ لا يكف ، وصوت صقع العظام بأسنانه جَلِيٌّ مسموع .

تلك أهم الحيوانات التي جاء ذكرها في شعر بين كلاب ، وهناك غيرها من طيور وحشرات كانت مرأى عيون الشعراء الكلابيين في أرضهم ، نقلوها إلى معانيهم فكانت شاهد إثبات لهم ولعصرهم .

٤ - المطر :

أُوْلِع العربُ بالمطر ولعاً تبدّى في شعرهم ، وذلك أن حياتهم كانت قائمة عليه ، وطبيعة صحرائهم الحارة لا يلطّفُها غير المطر ، ونباته كان مرعى الأعين وقُرَّتها .

لذا طلبوا المطر أياً كان موقعه ، وأرخصوا الروح دونه ، يقول الأحوص بن جعفر الكلابي(١) :

إذا وقع الربيعُ بأرضِ قَوْمٍ وإن عَجُّوا انْتجعْناه نَرِيْفُ

وقد سمى المطر ربيعاً، لوقوعه أوان فصل الربيع الذي تكثر فيه الأمطار في جزيرة العرب.

وقاتل بنو كلاب الناس من أجل المطر ، ليختصوا بنبته ، ويرتعوا روضه ، فالعزُّ في السيطرة على المراعي الخصبة يقول معاوية بن مالك الكلابي(٢) :

إذَا سَقَطَ السَّماءُ بأرضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإنْ كَانُوا غِضَابَـــا

وكم تمنوا شربة من ماء المطر ، لإحساسهم بأنه أصفى وأطهر ، يقول عبد السلام بن القتّال الكلابي(٣) :

وَهَلْ أَشْرَبَنَّ الدَّهرَ مُزْنَ سَحَابةٍ على ثَمَدِ الأفْعَاةِ حَاضِرُه أَهْلِي

ولم تكن الأمنية عامة ، فقد قرنها الشاعر بماء دياره القليل ، فامتزاج الماءين أشفى للنفس .

ولما كان المطر أعظم هبة دعوا به لسُقيا ديارهم ، ورجوا دوام هطوله عليها ، إذا يقول عامر بن العضْب الكلابي(٤) :

---

(١) الأشباه والنظائر للخالديّين ٢٨٧/٢. عجّوا : ثاروا . نريف : نطلب الرِّيف وهو : الخصب.

(٢) ديوان الأدب للفارابي ٤٧/٤ . السماء : يريد المطر .

(٣) الأغاني ٣١١/٢ . ثمد : ماء قليل . الأفعاة : الأفعى : هضبة لبني كلاب (القاموس المحيط) .

(٤) معجم البلدان (روضة الشَّهلاء) . الشهلاء : من مياه بني عمرو بن كلاب (السابق) . الودق : المطر . وابل : ضخم القطر .

سقى جانب الشَّهلاء فالروضةَ التي　　به كلَّ يومٍ هَاطِلُ الـــوَدْقِ وَابِـلُ

ويستسقي طُهمان بن عمرو الكلابي مطراً ينصبُّ بغزارة ، يأخذ الغمامُ برقاب الغمام ، فلا ينقطع انهماره ، يجود به نوءُ السِّماك ، كأن سحابه الأبيض وهو يتدلّى قريباً من الأرض إبلٌ عظيمة حُمِّلت متاعاً ، وكأن برقه وهو يلمع نار حريق تزيدها الريح لهباً آونة ، وتشتته آونة ، حتى تغدو الأرض في تلك الديار ، وقد غطاها السحاب كأنما هي مغطّاةٌ بقماش تُصَفِّقُه الرياح ، يقول طُهمان[١] :

سقَى دَارَ لَيْلَى بالرِّقاشَيْن مُسْبِلٌ　　مُهِيْبٌ بأَعْنَاقِ الغَمامِ دَفُوقُ
أغـرُّ سِـمـاكِيٌّ كـأنَّ رَبـابَـهُ　　بَخاتيٌّ صُفَّتْ فَوْقَهنَّ وسُوقُ
كـأنَّ سـناه حين تَقْدَعُه الصَّبا　　وتُلْحَقُ أُخْـرَاهُ الجنوبُ حَرِيقُ
وباتَ بحوضى والسِّبال كأنَّمـا　　يُنَشَّرُ رَيْطٌ بينَهُنَّ ، صَفِـيـقُ

لقد أكد الشاعر على المطر وسحابه والبرق ولمعه بما ساق من وصف ألمَّ بجوانبه ، إذ مثُل لنا شكل الغمام في شكل الإبل وشكل العباءة تخفق ، وتراءى شكل البرق في الحريق ، وبدا لون الغمام أبيض ، وهذا أدل على غزارة المطر .

وكانت متابعتهم للسحاب ، ودقة نظرتهم إليه وهو يسير قد جعلت له أشكالاً نابعة من طبيعة أرضهم فعامر بن الكاهن الكلابي يرى السحاب يسير فكأنه يرى الهضاب التي تحفُّ به قد تحركت ، إنه يقول في سياق وصفه للفرس[٢] :

مُحَالِفَةً للهَضْبِ صَقْعاءَ لَفَّهَا　　بِطُخْفَةَ يومٌ ذو أَهاضيبَ مَاطِرُ

وشاقهم البرق وأولعوا به ، فما إن ينبض حتى تلحظه عيونهم ، وتترصده حواسهم ، وتلين له قلوبهم فيسهرون الليل مُسمّرة أبصارهم في السماء ، فإذا ما البرق اشتعل ، التهب الشوق ، واتقدت المشاعر فكان في الومض ما يدعو للظعن ، وفي تقادح البرق ما يوري زند الشعر .

---

(١) ديوان طهمان بن عمرو ص ١٩ . الرقاشان : جبلان في ملتقى دار كعب وكلاب (السابق). سماك : نجم ينسب إليه المطر . رباب : سحاب أبيض . بَخاتي وبُخت : جمع : بُخْتِيّ ، وبُختية ، وهي: الإبل . حوضى : ماء لعبد الله بن كلاب (الديوان ص ٢١) . السبال: من الفعل أسبل : أي أمطر ، وعلى هذا يقصد الغُدْران أو أنه عنى ارتخاء السحاب حتى كاد يُلامس الأرض .

(٢) معجم البلدان (سحامة) . أهاضيب : سحاب كالهضاب .

هذا ثعلبة بن أوس الكلابي[١] يدعو خليليه ، يُعْلمهما ببرق أخذ ينبض ، وقد يكون النبض خفياً وبعيداً لكن القلب يؤخذ بهذا ، فما يستكنُّ صاحبُه الليلَ إلا شاخص البصر ، قائماً وقاعداً ، يرقب البرق الذي يبعث الشوق ، ويُحيي الأملَ ويردُّ الروح للبدن :

خليليَّ إنّي قَدْ أَرِقْتُ وشَاقَنِي بُرَيْقٌ كَنَبْضِ العِرْق بِتُّ أُرَاقِبُهُ

وجامع الكلابي يطلب العون على تحمل ما يعاني ، فهو يقاسي وطأة برق يوقظ الأحاسيسَ ومضُه ويضيء الظلماتِ لمعُه ، لقوة وَقْده وهو يسطع ، فما يرى ذلك البرق محبٌّ إلا ذاق الأرق ، وجفا المضجع .

إنَّ جامعاً ينادي صاحبه ليشاركه أحاسيسه ، ثم لا يكتفي بإشراكه في الرؤية ، بل إنّه يطلب منه العون ، ويُظْهرُ الولعُ بالبرق ودوام النظر إليه ، من خلال صورة اكتحال العين به ، كما يظهر أثر خفق البرق في المحب . إنّه يقول[٢] :

أعنّي على برْقٍ أُريك وميْضَهُ يُضيءُ دُجُنّاتِ الظلام لوامِعُه
إذا اكتحلت عينا مُحِبٍّ بِضوئه تَجَافتْ به حتّى الصَّباحِ مَضَاجِعُه

ولشدة تعلقهم بالبرق لم يغب عن خواطرهم ، حتى أوان الشدة ، فشبهوا به سيوفهم الصارمة ، فهي تلمع لمعه ، وتبهر الأبصار ببريقها كما يبهر البرق بقبس ضوئه ، يقول مُقاعِس الكلابي[٣] :

وأترُكُ الأمر في قلبي بَلابِلُهُ حِيناً وأضحك عنه غيرَ مسرورِ
حتى أرى عورةً منه فأفرِسُها بصارمٍ مِثْلِ لمْعِ البرقِ مَطْرور

وكلابي آخر يصنع صُنع سابقيه ، فيسمي المكان الذي يلمع برقه ، ويرينا شكل ذلك البرق ، إنه يرى البرق في لمعه مُشْبِهاً النيران في اشتعالها ، حين يقبس ضوؤها ويخفت ، إن ذلك قد أخذ بشغاف القلب وأشعل الشوق فما للجفن في الإغماض نصيبٌ . يقول الأعور ابن براء الكلابي[٤] :

ظلَّتْ على الشَّوزنِ الأعلى وأرَّقَها برقٌ بِعَرْدةَ أمثالُ المقابيسِ

---

(١) التذكرة السعدية ص ٣٦٠ .
(٢) الحماسة البصرية ٢/٩٣ . دُجنّات : جمع دُجنّة : وهي الظلمة .
(٣) الحماسة للبحتري ص ١٨ . بلابله : همُّه ، ووسواسه . مطرور : محدّد .
(٤) معجم البلدان (شوزن) . الشوزن : الجانب (القاموس المحيط) . عردة : من بلاد بني بكر ابن كلاب (بلاد العرب ١٦٣) .

وارتسم منظر البرق حين لمعانه ببريق أسنان المرأة وهي تبتسم ، إذ يقول أبو دوآد الرُّؤاسي الكلابي[١] :

إذا ما تنازعن الحديثَ عن الصِّبا تبسَّمنَ إيْماضَ البُرُوق اللوامعِ

وظهر لهم صوت الفرس كأنَّه الرعد المدوي، فقد قال عامر بن الطفيل الكلابي متحدثاً عن الخيل[٢]:

وأثارتْ عجَاجةً بعدَ نَقْعٍ وصهيل مُسْتَرْعَدٍ فَاكْفَهرَّتْ

وقد ذكَّرهم البرق ديارهم ، وأخذ الحنين بهم يزداد حين يزداد لمع البرق ، مما هيّج الذكريات ، وأعاد للخواطر قصصاً مضت ، وسعادة انقضت ، يقول دآود بن بشر الكلابي مخاطباً البرق بكل شغف[٣] :

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي ويجلو دُجى الظلماء ذكَّرتني نجدا
وهيَّجْتني من أذرعاتٍ وما أرى بنجدٍ على ذي حاجَةٍ طرباً بُعدا
ألم ترَ أن الليلَ يَقْصُرُ طُولُهُ بنجدٍ وتزدادُ الرياح به بَردا

وإذا ذكروا القبر ووحشته ، ذكروا المطر وتعاقبه ، فالشاعر أبو العارم الكلابي يبكي انفراده في لحده ، وأن ليس من يزوره غيرُ الريح تَهُبّ والقطر يَصُبّ[٤] :

وغُودِرَ أَعْظُمِي في لحد قَبْرٍ تَراوَحُهُ الجَنائبُ والقِطَارُ

لقد كان المطر هو الوفي الوحيد بعد انقطاع الخلان ، وإذا كان للأحياء دليل أُنس فإنه للأموات دليل وحشة .

ويلفتُ أبو نباتة الكلابي نظر صاحبه إلى المطر الشديد الذي سقط على نجد وحرَّته في العالية ، المطر قد عاود الديار مراراً ، وألح عليها تِكراراً ، حتى عاد نبات الأرض مخضراً ، زاهي الألوان ، تتمايل به الرياح فيغدو كلباس مُلون يضطرب ، إذ يقول[٥] :

---

(١) الحماسة البصرية ١١٨/٢ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ٣٤ ، عجاجة : غَبَرة . مسترعد : كأنه صوت رعد . اكفهرت: غَلُظت وتغيَّرت .

(٣) معجم البلدان (وجرة) . الحماسة البصرية ١٧٥/٢ . أذرعات : بلد في أطرف الشام (معجم البلدان) .

(٤) ربيع الأبرار للزمخشري ١٩٤/٤ . الجنائب : جمع جنوب : وهي الريح مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا (القاموس المحيط) . القطار : المطر المتعاقب .

(٥) لباب الآداب ص ٤١٤ . الرواجس : الشديدة ، أو ذات الرعد شديد القصف . الطيالس : جمع طيلسان : وهي ضروب من الالبسة .

أرَيْتُكَ إنْ نَجْدَاً أَلَظَّ بأَرْضِهِ وحرَّته العليا الغُيوثُ الرَّواجِسُ
وعاد نباتُ الأرضِ رطباً كأنه - إذا اطَّرَدَتْ فيه الرياحُ - الطيالسُ

لم يكتف الشاعر بالإلماح ، بل حدّد المكان الذي مُطر ، وبيَّن مقدار المطر ثم أظهر أثره المتمثل في النبات الرطب وصوّر شكل هذا النبات ، وفي البدء ، بثَّ الفرح فيمن حوله حين خاطب غيره ، ليزيد من مساحة السعادة .

ونسبوا المطر إلى النجوم ومنازلها ، ورأوا في النَّوء ومطره قُدْرةً غيبيّةً مُرْسلة ، إذ يقول الفأفاء بن حبيب الكلابي[١] :

وإنّي لأستسقي لِوَشْجَى وهضبها إذا هضْبُ وشجى واجهَتني مخارِمُهْ
ذِهَابُ الثُّريّا مُرْسَلاتٍ تُصِيْبُهُ ومِن خَير أَنْوَاءِ الرَّبيعِ قَوادِمُهْ

وقد رأى الشاعر أن أفضل المطر أوله ، وخير أنوائه نوءُ الربيع .

ويذكرساعد بن سُويد بن مسلم الكلابي الكواكب التي يرى أنها سقت الأرض ، مُسَمِّياً إياها بأسمائها إذ يقول[٢] :

مِنَ الأَشْرَاطِ أو نَوْءِ الثُّرَيَّا ومِلْجَوزاءِ والشِّعْرى سَقَاهَا .

ويَقرِن أحدُ الكلابيين نزول مطر الثُّريا بالوجه الحسن ، فيرى أن " ظمياء " المرأة الحسناء لو بدت للسحاب - ويُخص - سحاب الثُّريا - لانثرَّ مطراً ، ولركع لوجهها ، وانصبَّ غيثاً ، إنه يقول[٣] :

ولو سألَتْ ظمياء يوماً بِوجهها سحابَ الثريا لاسْتَهَلَّتْ مواطِرُه

وكان انقطاع المطر ، وإجداب الأرض ويبس النبات واصفرار العيدان يخلق جوّاً يتباين فيه الناس ، وتنجلي فيه معادنهم ، فيكون مجالاً للسبق والتمايز ، يقول عامر بن الطفيل الكلابي[٤] :

---

(١) معجم البلدان (هضب وشجى) . وشجى : في ديار عمرو بن كلاب (السابق) . مخارم: جمع مَخْرِم : الطريق في الجبل أو الرمل .
(٢) تذكرة النُّحاة ص ٦٠ . الأشراط : نجمان من الحمل ومعهما كوكب ثالث صغير (القاموس المحيط) .
(٣) الزَّهرة للأصبهاني ص ٣٦٢ .
(٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ٤٦ . عزّت : غلبت بشدتها . المنزلات : المراد المنازل والديار . جليد: صقيع البرَدَ.

إذا سَـنَةٌ عـزَّتْ وطـال طِـوالُهَـا وأَقْحَطَ عنها القَطْرُ واصفرَّ عُودها
وُجِدْنا كِراماً لا يُحَوَّلُ ضـيـفُـنـا إذا جَـفَّ فـوقَ المُـنْـزلات جليدُها

لقد وجدوا في الجدب مجالاً للفخر ، ومناسبة للجود ، فهذا أوانه حين تستحكم الأمور، والملاحظ أن الحديث عن المطر كان حديثاً عن النفس ، وإيحاءً بخباياها .

٥ ـ الشجر والنبات :

جاء ذكـر أنـواع مـن الشـجر في شـعر بـني كـلاب ، فقـد ورد عندهـم ذكـر الأراك ، والغضا، والنخل ، والبان ، والسرح ، والصَّاب ، والأرطى ، وغيرها .

ذكروا تلـك الأشـجار في حديثهـم عـن حنينهـم للديـار ، والولـع بالأحبـاب ، ورحيـل الأصحاب ، ووصف الحيوان ، كما ذكروها في معرض التنويه بقوتهم ، وعتادهم .

وقد تعدَّد ذكر النخل في الشعر الكلابي وتباين ، فذكروه في شـوقهم للديـار ، وقراهـم للضيفان ، وظعن الخلان ، والإبانة عن الحيوان .

والملاحظ أنهم لم يتعمقوا في وصف النخلة ، وإنما جاءت في شعرهم عرضاً ، لقد تمنوها ولكنهم يريدون الأهل ، ووصفوها غير أنهم تجاوزوها إلى الظعائن .

والظاهرة الجلية في ذكرهم النخل أنهم استخدموا النداء في مخاطبتهم النخل ، كمـا كـثر نداؤهم للنخل مثنى ، ينادي أبو جابر الكلابي نخلـتيْ وادي كتيفـة ، مُتمنيـاً ظلهمـا وماءهمـا العذب ، فيقول[1] :

أيا نخـلـتيْ وادي كَتيْـفةَ حـبـذا ظلالكـما لو كُـنـت يومـاً أنـالُـها
وماؤكما العذْب الذي لو شربْتُه شفى غُلَّ نفْسٍ كان طال اغتلالُـها
مُعنّى على طُـوْل الهُـيَـامِ غَلِيْـلُـهُ بـذكـرِ مِيـاهٍ مـا يُـنـالُ زُلالُـها

إن النخلتين أبرز ما في ذلك المكـان وأنفعـه ، فكـل مـا يتصـل بهمـا تطيـب بـه النفـس وتتمناه، وإن منظر تلك النخلتين مرتسم في مُخيِّلة المحب رغم بعده عنهما ، وقد يكون كنّى بالنخلتين عَمَّا حولهما من الأهل والديار .

وقد دأب الشاعر أبو جابر على مخاطبة النخلتين ، ويبـدو أن لـه نخـلاً ، فقـد كـان لبـني كلاب زروع وقُرى .

---

(١) معجم البلدان (كتيفة) . كتيفة : من مياه عمرو بن كلاب (السابق) .

إن النخلتين هذه المرة تُجيران ، وتُصبحان ملجأً للخائف الطريد من الكرام ، فإذا ما أمّنت لئيماً أُبْغِضت ، يقول أبو جابر الكلابي[١] :

أَيا نَخْلَتَيْ أَوسٍ عفا الله عنكما أجيراً طريداً خائفاً في ذُراكما

ويا نخلتيْ أوسٍ حرامٌ ذُراكُمَا عَلَيَّ إذا لافَ اللّئامُ جناكما

إن تلك النخلتين قد أُعِدَّتا قِرىً للضيفان جَنَى وظلاً ، وقد حُرِّمتا على لئام الخلق ، وأُبيحتا لكرامهم ، فالنخل هنا قد صار البديل للإبل .

وكثرت مناداتهم للنخلة مُثناةً ، وكرروا تلك المناداة ، وذلك لأن المحبوب تبترد باسمه الجوانح ، وتلتذُّ بذكره الأسماع حين تكويها الحقيقة ، كما تمنّوا ظل النخل وثمره ، وكان رجاؤهم أن لا يفارقوا نخلهم ، وذلك دليل تعلقهم بديارهم ، يقول أحد الكلابيين[٢] :

أَيا نَخْلَتَيْ حِسْيِّ المُرَيرةِ هلْ لنا سَبِيْلٌ إلى ظِلَّيْكُما وجَناكُما

أيا نَخْلَتَيْ حِسْيِّ المُرَيرةِ لَيْتَني أَكُونُ طِوَالَ الدَّهرِ حَيْثُ أَراكُمَا

ويظهر أن النخلتين ليستا مقصودتين عددا ، فالأقرب أن تكون التثنية مُراداً بها التقليل ، فهي نُخيلاتٌ على مُويهات من أحساء وغيرها ، لا تلبث أن تنضب ، وقد عُرف من ديار بني كلاب ما هو قليل الماء .

وتراءت لهم الأظعان المغادرة نخلاً يتمايل من ثقل عذوقه ، فعبد الرحمن بن منصور الكلابي يقول[٣] :

ولَّوا على أظعانهمْ فأدبروا كأنها لما تولَّتْ تُذْمَرُ

نخلٌ من الصُّفْريِّ دوْحٌ مُوْقَرُ يكادُ من إيْقاره يُهَصَّرُ

إن منظر الظعائن وهي مدبرة ، تهتزُّ حمولها فوقها كمنظر النخل يتمايل يمنة ويسرة ، وتكاد تنكسر جذوعه من ثقل ما تحمل من عذوق امتلأت تمراً ، إنه نخل من جيِّد الأنواع ، من نوع (الصفري) عظيم كالدوح ، قد أثمر ثمراً كثيراً .

ورأوا عذق النخلة المزدحم تمره كثرةً كخروف طال صوفُه ، وكثر لحمه ، واسترخى

---

(١) السابق (أوس) . أوس : موضع أو رجُل (السابق) . لاف : أكل .

(٢) معجم البلدان (المريرة) . حسي : الحسي : الماء المتجمّع حين حفر الرمل . المريرة : تصغير المرّة: ماء لبني عمرو بن كلاب (معجم البلدان) .

(٣) مجالس ثعلب ١/١١٠ . تُذمر : تحضّ . موقر : مُحمَّل .

بطنه ، يقول أبو عارم الكلابي[١] :

فالعِذْقُ مِثلُ الساجِسِيِّ الحِفضاج

وقد يدل هذا على أن في بني كلاب من كان شاوياً ، والشاويُّ أدنى من صاحب الإبل، ولذلك قرنوا الخروف بالنخل فالنخل لا يعتمدون عليه ، إذ إن طلعه لا يأتي إلا مرة واحدة ، وهم أناس يحضُرهم ضيفهم كل آونةٍ ، فليس أحبَّ إليهم من نعمهم التي لا تفارقهم .

وفي وصفهم لخيلهم شبهوا الفرس بعرجون النخلة ، لضموره ، وانحنائه ، إذ يقول شُريح ابن الأحوص الكلابي[٢] :

لما أتيتُ الحيَّ في مـتْنِـهِ كأنَّ عُرْجُوناً بيُمنى يدي

وجاء ذكر الغضا في معرض فخرهم ، كما ذكروه في وصف الحيوان ، وسمّوا به كثيراً من ديارهم لنبته فيها ، إذ عُرف عندهم وقوداً لنارهم ، لقوة اشتعاله ، ولهيب جمره، وطول وقده، ولوجوده في الدِّيار نسبوا إليه المكان الذي يكثر فيه ، فقد قال الأعور بن براء الكلابي[٣] :

فمنْ مُبْلِغٌ عني كُـرَيزاً وناشـئاً بذات الغضى أن لا أبا لكما بيا ؟

وعرف شجر الغضا بحب الإبل له ، كما أحبت غيره من الشجر والنبات ، كالصِّلِّيان والحمض ، فلقد اعتادت الإبل تلك الطعوم ، فما تكاد تفارقها ، إذ كان أكثر مأكلها ، يقول جهم بن سبل الكلابي[٤] :

ولو أنَّ لُؤمَ ابنيْ سليمان في الغضا أو الصِّـلِّـيان لم تَـذُقـه الأبـاعِـرُ

أو الحمض لاقْورَّت أو الماءِ أَقْهَمَتْ عـن المـاء حَمْـضِـيَّـاتُـهُـنَّ الكَناعِرُ

وعرف شجر العضاه لديهم برسوخ الجذح ، وضخامة الهيكل ، فشبَّهوا به قوة أصالتهم، إذ يقول معاوية بن مالك الكلابي مفتخراً[٥] :

---

(١) لسان العرب (سجس) ، السَّاجسي : الخروف الكثير الصوف ، وفي لسان العرب : الساجسية: ضأن حمر . الحفضاج : كثير اللحم ، مسترخي البطن .

(٢) الوحشيات ص ٩٩ .

(٣) لسان العرب (أبي) .

(٤) السابق (قهم) . اقورّت : المقوَّرة : الضامرة (الأفعال ٢/٥٤) . أقهمت : كفّت (أساس البلاغة) . الكناعر : الكنعرة : العظيمة السَّنام والخلق (الأفعال ٢/٥٤) .

(٥) المفضلية ١٠٤ . الأرومة : الأصل . كسيد : عالة على غيره .

إني امْرؤٌ من عُصبةٍ مشهورةٍ حُشُدٍ ، لهم مجدٌ أشمُّ تليدُ
ألْفوا أباهم سيداً وأعانهم كرمٌ وأعمامٌ لهم وجُدُودُ
إذ كُلُّ حيٍّ نابتٌ بأرُوْمةٍ نبْتَ العِضَاهِ فما جِدٌ وكَسيْدُ

ومن الأشجار التي وردت في شعرهم الشثُ ، والبان ، والعرعر ، إذ يقول عامر بن الطفيل الكلابي[١] :

أفْرَاسُنَا بالسَّهلِ بدَّلْنَ مَذْحِجاً ذُرَى شَعَفٍ شَثّاً وبَاناً وعَرْعَراً

لقد ألجأوهم إلى تلٍّ " شعف " فصاروا بين تلك الأشجار منعَّمين بظلها وجمالها ، بعد أن كانوا في عراء من الأرض وهذا من باب الاستهزاء ، والفخر بفعلهم في الأعداء .

ومن النباتات جاء ذكر البشام في شعر بني كلاب ، كما ذكروا العوسج والثَّغام ، والخزامى .

في وصفهم للمحبوبة شبهوها بولد البقرة الوحشية ، الذي يرعى البشام الطيب الرائحة والطعم ، يقول عامر بن الطفيل[٢] :

ليالِيَ تَسْتَبيك بذي غُرُوبٍ ومُقْلَةِ جُؤذَرٍ يرعى بشَاما

لقد ازدهى ذلك الحيوان كمالاً بأكله نباتاً مُطيِّباً للفم .

ونبات العوسج كرَّه عبد بني كلاب في أرض سَجَا كلّها ، لأنها لا تُنبت إلا هو ، إذ يقول قيعل عبد بني كلاب[٣] :

لا سلَّم ا لله على حزْميْ سجا مَنْ ينجُ مِنْ حزْمَي سجا فقد نجا
أنكدُ لا يُنبتُ إلا العوسجا

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٠ . مذحج : مالك بن أدد بن زيد ، (جمهرة ابن حزم ٤٧٦) ، شعف : تلٌّ بالسِّي قرب وجرة (معجم البلدان) . شثّ : الشث : شجر طيب الريح يُدبغ به ، من شجر الجبال (لسان العرب) . البان : شجر يطول في استواء كالأثل (السابق) . عرعر : شجر السرو .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٠٦ . ذو غروب : هو الثغر ، والغروب : تكاثر الريق . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية .

(٣) بلاد العرب ١٥٧ . حزمي سجا : الحزم : الغليظ من الأرض في مرتفع ، وسجا : ماءه لبني الأضبط بن كلاب في شعب جبل شِعْر (السابق ١٥٥) . العوسج : نبات كله شوك له زهر أحمر.

إنه يهجو الديار وما كان ذلك معروفاً .

لكن عبداً آخر لبني قريط ، اسمه مُطير ، يتشوق لواد نبته العوسج والرِّمث إذ يقول[١] :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة وصدَّاء مني والبياضُ بعيدُ

بوادٍ من اللعباء أعلاه عوسجٌ وأسفلُه رِمْثٌ أحمُّ جهيدُ

ويحدِّد عبيد بن العرندس الكلابي الموضع الذي تقيم فيه محبوبته بذكر نباته الذي يكثر فيه " الرمث "[٢] :

عنَّا غَنِيتِ بذات الرِّمث مِن أجلى والعهدُ منك قديم مِنْذُ أعصارِ

وشبهوا المشيب وبياض الشعر بالثغام ذي الثمر والزهر الأبيض ، والذي يزداد بياضاً حين ييبس ، يقول عامر بن الطفيل[٣] :

رَهِبْتُ وما مِن رهبةِ الموت أجزعُ وعالجتُ همَّاً كنتُ بالهمِّ أُولَعُ

وليداً إلى أن خالطَ الشيبُ مَفْرِقي وأَلْبَسَنِي مِنْه الثَّغامُ المُنزَّعُ

كما شبهوا رائحة المحبوبة برائحة الخزامى الطيبة ، إذ يقول عبد الرحمن بن منصور الكلابي[٤] :

كأنَّ رَيَّاها ولا تَعَطَّرُ ريَّا خُزامى نفحتْ أو مُجمَّرُ

وذكروا الخزامى الذي اشتهر بطيب الرائحة فقال دوآد بن بشر الكلابي[٥] :

أتبكي على ريّا ونجْدٍ ولن ترى بعينيك ريا ماحييتَ ولا نجدا

ولا واجداً ريحَ الخُزامى تَسُوفُها رياحُ الصَّبا تعلو دكادكَ أو وَهْدا

وورد لدى الكلابيين ذكر الرّبل ، والزعفران ، والعرار ، والحوذان ، وغيرها .

---

(١) بلاد العرب ١٦٧ . صدّاء والبياض : موضعان بين سعد بن زيد مناة وكعب بن ربيعة (السابق) . اللعباء : أرض تنبت العِضاه وهي لبني أبي بكر بن كلاب بين العبلاء وأسافل تربة (معجم ما استعجم) . رمث : نوع من الحمض تأكله الإبل .

(٢) الكامل للمبرد ٧٨/١ . أجلى : هضبة بأعلى نجد (معجم البلدان) .

(٣) ديوان عامر بن الطفيل ص ٨١ .

(٤) مجالس ثعلب ١١٠/١ . مجمر : عود الجمر .

(٥) الحماسة البصرية ١٧٥/٢ . تسوفها : تشمُّها . دكادك : رمال متلبدة بالأرض . وهد : منخفض الأرض .

ملامح شعر الطبيعة :

إن كل ذلك يوضح تأثرهم ببيئتهم الطبيعية ، إذ لم يخل جانب من جوانب حياتهم من ظهور أعلام الطبيعة شاخصة حية فيه .

وإن مظاهر الطبيعة لتتجلى حين يفخرون بحرب ، أو يتباهون بكرم ، وحين ترقُّ عواطفهم في سلم أو تغلظ في قتال ، فما لهم عما ترى أعينهم من محيص .

ذلك دالٌ على صدق نفسي ، ووضوح تعبيري .

إن ذكرهم صفات الحيوان كان قائماً في غالبه على حركاته ، وهذا دالٌ على قربهم من هذا الحيوان من ناحية ودال على أن مرادهم من الحيوان هي تلك الحركات التي يؤديها من سرعة ونشاط ، من ناحية أخرى .

ولقد أكثروا من وصف الحيوان الذي عاش في ديارهم ، وعايشوه في حياتهم ، ولذا لم نرهم تعرضوا لذكر الثور الذي كثر في شعر الجاهليين ، إننا لا نجد ما يدل على أن هذا الحيوان كان في ديارهم ، غير أن هناك أبياتاً ورد فيها ذكر الثور كما عند عامر بن الطفيل[1] ضمن وصفٍ لفرسه ، وتلك لا تنهض دليلاً على أن المراد ذلك الحيوان إذ أنه لم يُصرح باسم الثور ، فقد يقصد حيواناً آخر .

كما ذكروا الإبل حين وقفوا على الأطلال ، وفي شكواهم للزمان ، ورحيل الأحباب ، وذكروها في فخرهم ، وجاء وصفهم للإبل كذلك ضِمْنَ أغراض أخرى ، فلم تستقل الإبل بقصائد ، بل لم تكثر الأبيات التي وصفتها وذلك نابع من نهجهم القائم على الإلماح ، وتعدد المعاني في القصيدة الواحدة .

وجاء ذكر الخيل في حربهم وكُثُر هذا ، كما تطرقوا لها في سِلمهم ، وزهوا عليها ، وأبرزُ شيء ظهر في وصفهم للخيل هو إكرامها والعطف عليها ، بل إيثارها على الولد .

وكان الذئب أسد الحيوانات لديهم ، لذلك ذكروه قريناً لكل مُمتدَح لديهم ، كما ذكروه ضيفاً مُكرّماً .

وحين وصفوا المطر وبرقه ورعده لاحظنا أن ذلك كان أحب الأشياء إلى نفوسهم ولذلك كثر هذا الوصف عندهم ، وما ذلك إلا لقيام حياتهم على المطر ، فقاتلوا من أجله ، واستسقوا به لأحبتهم وديارهم ، وملأ ذكره معظم معانيهم وأغراضهم ، حتى أحاسيس

---

(١) ديوان عامر بن الطُّفيل ص ٤٠ .

الواحد منهم لم تتحمله فنادوا من يشاركهم ذلكم الإحساس ، وحين الموت يذكرون المطر أيضاً .

ولما ذكروا النخل ما كانوا يبتغونه لذاته ، وإنما حنّوا إلى مكانه ، ورأوه مثمراً كظعن أحبابهم ، وممثّلاً في عراجينه ضمور خيولهم .

وكان ذكرهم للأشجار والنباتات الأخرى دليل ملاحظتهم الدقيقة ، وعشقهم للطبيعة.

الفصل الثالث

شعر الفخر

أ ـ الفخر الجماعي .

ب ـ الفخر الذاتي .

تمهيد :

الفخر شعر حماسيٌّ ، يُصوِّر مُثُـلَ الحـرب والفروسيَّة ، وينقـل تجـارب حقيقيـة عاشـها الأبطال والفرسان في أتون المعارك ، فهو شعر صادق مؤثر(١) .

كما يتغنّى بمثل السِّلم من سجايا فرديَّة وجماعيّة ، فيرضي غروراً نفسياً تزهو له النفـس، وإذا كان الإطراء مذموماً فإنّه في الشعر مُسْتَمْلَح ، ذلك أنّ الشـاعر يُحـرِّك في النفـوس حِسّـاً كامناً فيها نحو الخير ، ويُلْهِب مشاعر تسمو لكل رفعة ، فتجـد بغيتهـا تلـك في مبالغـة ذلـك الشاعر الذي أرضى طبعها الإنساني .

وقد علت نغمـة الفخـر في الجاهليـة ، إذ أنّـه الوسـيلة الوحيـدة في الإعـلام عـن الـذات والقبيلة ، والسبيل إلى إثبات الحقوق وسط أمواج القهر والظلم المسـيطرة ، افتخـر الجـاهليون بمقوِّمات حياتهم آنذاك من قتل وغنـم وسبي ، فتلـك دلائـل عزَّتهـم، كمـا افتخـروا بصفـات الزَّعامة من أصالة و نسب وجوار وكرم ، يقول الدكتور نجيـب البهبيـتي وهـو يتحـدث عـن الشعر الجاهلي : " كل الشعراء الذين قالوا هذا الشعر من أولئك القادة الذين شاركوا في هذه الحروب ، وحملوا عبء الزَّعامة فيها قولاً وعملاً "(٢) .

وافتخر المسلمون في عصر صدر الإسلام بدينهم وبكل ما يدل على الإعتزاز به وبقيمه، وصارت جماعة المسلمين مقدّمة على قبيلة الفرد(٣) .

وكان فخر الأمويين مُشاعاً ، فقد ذكروا ماضي أجدادهم ، ونبشوا عن غابر أيامهم إلا أنّ تأثرهم بالإسلام كان أقوى وافتخارهم بالجهاد كان كثيراً(٤)

---

(١) الشعر الجاهلي ليحيى الجبوري ص ٢٩٣ .

(٢) تاريخ الشعر العربي ص ٤٥ .

(٣) دراسات في الأدب الإسلامي ص ٥٩ .

(٤) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (العصر الإسلامي) ص ١٨٠ .

أ- الفخر الجماعي

لما كانت الحرب شأن الكلابيين في جاهليتهم ، كغيرهم من القبائل فقد تباهوا بأيامهم ، وذكروا فعائلهم في أعدائهم ، وماضي سلاحهم ، وجرأة خيلهم ، وتفاني شبابهم ، إذ إن ذلك كلّه مُظهِرٌ تفوقهم على خصومهم ، وسيادتهم على من حولهم .

إن أكبر دليل على أنهم أهل حرب وطلاب عزه هو ذكرهم لأيامهم التي خاضوها مع أندادهم ، ففيها برزت شجاعة فتيانهم وحكمة شيوخهم .

وقد كثر فخرهم بايامهم ، ولذا سموها بأسمائها ، مُعلنين عمن شارك فيها من القبائل ، يقول عامر بن الطُّفيل الكلابي[١] :

ونَعُدُّ أَيّاماً لَنَا ومَآثِراً ... قِدْمَاً نَبُذُّ البَدْوَ والأمصارا

مِنها خُوَيٌّ والذِّهابُ وبالصَّفا ... يَوْمٌ تمهَّد مَجْدُ ذاك فَسَارا

ويقول من قصيدة[٢] أخرى :

تركْنَا مَذْحِجَا كَحَدِيْثِ أَمسٍ ... وَأَرْحَبَ إِذْ تُكفِّنُهُم فِئَامَا

وَبِعْنَا شَاكِراً بِتِلاَدِعَكٍّ ... وَلاقَى مَنْسِرٌ منا جُذَامَا

وَطَحْطَحْنَا شَنُوءَةَ كلَّ أَوْبٍ ... ولاقَتْ حِمْيَرٌ مِنَّا غَرَامَا

وَهَمْدَانٌ هُنَالِكَ مَا أُبَالِي ... أَحَرْباً أَصْبَحُوا لِي أَمْ سَلامَا

وَلاقَيْنَا بِأَبْطَحِ ذِي زَرُودٍ ... بَنِي شَيبَانَ فالتُهِمُوا التِهَامَا

وَحَيّاً مِن بَنِي أَسَدٍ تَرَكْنَا ... نِسَاءَهُمُ مُسَلَّبَةً أَيَامَى

وَقَتَّلنَا سَرَاتَهُمْ جِهَاراً ... وَأَشْبَعْنَا الضِّباعَ خُصَىً عِظَامَا

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٨ . خُويّ : يوم بين تميم وبكر بن وائل ، وخوّان : موضع في بلاد بني كلاب أغار عليهم فيه الحارث اليربوعي (معجم ما استعجم ص ٥١٩) . الذّهاب : يوم لبني عامر (مجمع الأمثال ٤٤٢/٢) . الصَّفا : يوم جبلة (النقائض ص ٩٣٩) .

(٢) السابق ص ١٠٨ . مذحج : قبيلة من كهلان من اليمن ، إخوان طيء . أرحب من بكيل من اليمن . شاكر وعك وجذام : قبائل يمنية . منسر : الخيل ما بين الستين إلى السبعين . طحطحنا : فرقنا . شنوءة : هم الأزد . غرام : هلاك . ذو زرود : قديريد يوم زرود ، وهو بين بني تغلب وبني يربوع (معجم البلدان) . لجب : جيش كثير الصوت . اللهام : الضخم الملتهم كلَّ شيء .

وقَتَّلْنَا حَنِيفة في قُرَاهَا ... وَأَفْنَى غَزْوُنَا حَكَماً وحَامَا
وبَيَّتنَا زُبَيْدَاً بَعْدَ هَدْءٍ ... فَصَبَّحَ دَارَهُمْ لَجِباً لُهَامَا
وَقَدْ نِلْنَا لِعَبْدِ القَيْسِ سَبْياً ... مِن البَحْرَيْن يُقْتَسَم اقْتِسَامَا

ويقول أبو دوآد الرُّؤاسي الكلابي[١] :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بَطْن مَجٍّ وَحَائِلٍ ... وأُبلَى مِنَ الأَعْدَاء حَتَّى تَفَرَّجُوا
بِحَيٍّ حِلالٍ لا تَكَادُ تُجِيْرُهُمْ ... وُضَاخٌ ونَفْوٌ والبُطَاحُ فَمَنْعِجُ
نُقَاذِفُ بِالأَسِّيافِ عَبساً وطَيِّئاً ... وَقَدْ أَحْجَمَتْ عَنَّا تَمِيْمٌ ومَذْحِجُ

إن اطِّراد هذه الأسماء بكثرة يدعونا للوقوف على ايامهم التي افتخروا بها ، فهي تُمثِّل أجل وأكثر موضوعات فخرهم ، إذ حقيقة الفخر تأريخ " وسواء في معنى التاريخ فضيلة الفرد وفضيلة الجماعة ، لأنه كما يكون ظفر الجيش في الحرب نتيجة حوادث كثيرة ، كذلك تكون فضيلة الكرم عن حوادث معروفة أنتجت هذه التسمية ،.. وعلى هذا التأويل نرى الفخر فطرة في العرب ، فلا يكاد السيد منهم يأتي عملاً إلا تناوله شاعر قبيلته وفخر به ، لأنه لسان القبيلة ومؤرخ أحسابها[٢] .

١ - يوم فيف الريح :

إنه أهم أيام بني كلاب التي افتخروا بها ، فقد كان بين قبائل مذحج وبني عامر ، وعلى مذحج يومئذٍ الحصين بن يزيد الحارثي المكنى بأبي عمير ، ويسوس العامريين بنو كلاب ، ورأسهم عامر بن مالك الكلابي (ملاعب الأسنة) ، وقد كثر القوم على بني عامر ، فانتحى عن القتال بعض من كان معهم ، وصبرت بنو نمير ، وامتنّت بذلك على بني كلاب ، فقال عامر[٣] :

تَمُنُّونَ بالنُّعْمَى وَلَوْلا مَكَرُّنَا ... بِمُنْعَرِجِ الفَيْفَا لَكُنْتُم مَوَالِيْا
وَنَحْنُ تَدَارَكْنَا فَوَارِسَ وَحْوحٍ ... عَشِيَّةَ لاقِينَا الحُصَيْنَ اليَمَانِيَا

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٨ . مج : أظنه وج : الوادي القريب من الطائف . تفرجوا : تكشفوا منهزمين . حلال : نازلون . وضاخ : تنطق أُضاخ : وهي تقع شرق شمال نفي . نفء : هو نفي الواقعة شمال الدوادمي . البطاح : منزل لبني يربوع (معجم البلدان) منعج : واد بجنب حمى ضرية ، ويوم لبني يربوع على بني كلاب (معجم البلدان) .

(٢) تاريخ آداب العرب ١٠٢/٣ .

(٣) العقد الفريد ٢٣٦/٥ ، وليسا في الديوان . وحوح : من بني نُمير .

وكان عامر بن الطفيل اشهر الفرسان يومئذ ، يجول بين الفتيان ، ويقول :

يا معشر الفتيان ، من ضرب ضربةً أو طعن طعنة فليُشهدني ، والقوم يُرونه فعائلهم ، حتى أتاه مسهر بن يزيد الحارثي فطعنه بالرمح في عينه ، فوثب عامر عن فرسه ونجا ، وفي ذلك يقول عامر[١] معترفاً بما صار مُظهراً تأله وخجله ، غير أنه يستدرك لنفسه ما كان من فعله ثم يبين سبب انعطافه عن عدوه :

لَعَمْري وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ... لَقَدْ شَانَ حُرَّ الوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرِ

فَبِئْسَ الفَتَى إِنْ كُنْتُ اَعْوَرَ عَاقِراً ... جَبَاناً فَمَا عُذري لَدَى كُلِّ مَحْضَرِ

وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي أَكُرُّ عَلَيْهِمُ ... عَشِيَّةَ فَيْفِ الرِّيْحِ كَرَّ المُدَوِّرِ

وَمَا رِمْتُ حَتّى بَلَّ صَدْرِي وَنَحْرَهُ ... نَجِيْعٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُسَيَّرِ

وكان يوم فيف الريح عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمي بيوم (الأجشر) ويوم (بضيع) ويوم (أبي عمير) ، ويبدو أنها أسماء لمواقع دارت عليها رحى الحرب .

وشهد هذا اليوم الشاعر أبو دؤآد الرُّؤاسي ، فكان خير شاهد عليه ، إذ سمى من قبائل مذحج ، قنان وصداء ، وبني الدَّيان ، وذكر أنهم قد غزواالقوم في موضع أسمه الخرماء ، بفرسان أشداء مجربين منهياً القصيدة بتعداد أشخاص من العدو ، منهم من طُعن ومنهم من أسر ، ومنهم من أُنعم عليه بإطلاق سراحه ، فقد طُعن معاوية بن حزن الحارثي المذحجي ، وهو المحجل ذو البرص[٢] ، وصُرِّع بنو الديان وتركت رؤوسهم في الميدان ، كأنها الغثاء وأُسر ذو الرمحين ، وأُطلق شريك بلا فداء ، يقول أبو دؤآد الكلابي[٣] :

---

(١) ديون عامر بن الطفيل ص ٦٤ . المدوِّر : الذي يطوف بصنم دُوار . الدِّمقس المسير : الحرير المخطط .

(٢) المحبر ص ٣٠١ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٤ . قنان : جد الحصين الحارثي ، والمراد بنو عمومته (المحبر ٢٥٢). صداء : هو ابن يزيد ، قبيلة من مذحج (جمهرة أنساب العرب ص ٤١٣) . بنو الديان: هم بنو يزيد بن قطن من مذحج (السابق ٤١٦) .

الخبر : جمع خبراء : وهي القاع . الثناء : جمع ثني والثنية من الإبل ما أتم الخامسة . الخرماء: كل رابية تنهبط في وهدة ، والخرماء : أرض لبني عبس العدوانين (معجم البلدان) . الفيف : كل أرض واسعة ، وفيف الريح : بين ديار عامر بن صعصعة وديار مذحج وخثعم (معجم ما استعجم) . قراضبة : صعاليك ولصوص . غساس : لئام ، ضعاف . المحجَّل : لقب معاوية بن حزن الحارثي لبرصه (المحبر ٣٠١) .

=

أَلا هَلْ أَتَاكَ مَا لَقِيَتْ قَنَانُ ... وَمَا لَقِيَتْ بِبِلْدَتِهَا صُدَاءُ
وَمَا لاقَتْ بَنُو الدَّيَّانِ مِنَّا ... غَدَاةَ تَضِجُّ بَالخَبَرِ الثَّنَاءُ
أَتَانَا أَنَّ بِالخَرْمَاءِ مِنْهُمْ ... سَوَامَهُمُ وَدُوْنَ الفَيْفِ شَاءُ
وَأَنَّ بِهَا قَرَاضِبَةً غِسَاساً ... يُدَبِّرُ أَمْرَ سَادَتِهَا النِّسَاءُ
فَوَجَّهْنَا كَتَائِبَ غَيْرَ مَيْلٍ ... وَلا كُشُفٍ إِذَا كُرِهَ اللِّقَاءُ
وَأَفْلَتْنَا المُحَجَّلُ فِي صَلاه ... طَرِيْرُ الخَدِّ يَنْهَاهُ اللِّوَاءُ
وَغَادَرْنَا بَنِي الدَّيَّانِ صَرْعَى ... كَأَنَّ رُؤُوسَ سَادَتِهَا الغُثَاءُ
فَغُودِرَ مِنْهُمُ لَمَّا الْتَقَيْنَا ... بِمُعْتَرَكٍ تَمُورُ بِهِ الدِّمَاءُ
أبو خَلَفٍ وصاحبه ووهب ... وردّادٌ وفارسهم عَدَاء
وَذُو الرِّمْحَيْنِ أَحْمَرُ قَدْ أَتَاهُ ... فَدَاءٌ ثَمَّ ، إِن نَفَعَ الفِدَاءُ
تَنَادَوا نَحْوَنَا وَدَعَوْتُ قَوْمِي ... كِلاباً وَالأُمُوْرُ لَهَا بَدَاءُ
فَآبَ لَنَا شَرِيْكٌ حَيْثُ أُبْنَا ... جَنِيباً لا يُرَادُ بِهِ الغَلاءُ
فَأَنْعَمْنَا هُنَاكَ عَلَى شَرِيْكٍ ... وَكُنَّا مِنْ سَجِيَّتِنَا الحِبَاءُ

إن تفصيلة هذا هو سوق للحجج ، وإدلاء للبراهين ، التي تُبيِّن تفوقهم في تلك المعركة، وما كان لغير المعتز بقبيلته ، المباهي بأفعالها ، وفقاً لمعتقداتهم الجاهلية ، أن يُشقِّق الحديث مُفنِّدا ، فذلك نزوع عن ثقة .

وفي ذلك اليوم يقول عبد عَمرو بن شُريح بن الأحوص الكِلابي ، منوِّها بفروسيته أمام زوجته ، متخذاً من هذا الفخر الذاتي مدخلاً للفخر القبلي ، الذي تجاوزه مُسرعاً للحديث عن فرسه (دعلَج) الذي شارك به مع القبيلة في لقاء الأعداء ، فهو يغير به على صفوفهم ، حتى إذا أصابته رماحهم ، وأحس بتوجعه من طعناتها بادلَهُ الإحساس فرفق به عائداً ليعود به ثانية ، يصارع الرِّماح كأنما هو يراقصها ، إلى أن ثقَّبتها من كل جانب ، فغدت كالإناء المثلم، إنها الصورة الإيجابية للواجب القبلي الذي يمثله عبد عمرو بن شريح الكلابي ويُشهد عليه المرأة ليفصح عن أنه واحد من صُنّاع مجد القبيلة المُضحِّين لها بأغلى نفيس من نفس

= صلاه : الصَّلا : موضع اتصال الفخذين بالظهر . طرير الحد : يعني الرمح الحاد . تمور : تتصبب مترددة على وجه الأرض . جنيب : إلى جانبنا . الغلاء : المغالاة في الفداء .

وفرس، إذ يقول[١] :

طُلِّقْتِ إِنْ لَمْ تَسْأَلِي أَيَّ فَارِسٍ ... حَلِيْلُكِ إِذْ لاقَى صُدَاءً وَخَثْعَمَا
وَيَوْمَ لَقِيْنَا جَمْعَ ذُبْيَانَ وَالقَنَا ... عِطَاشٌ فَرَوَّيْنَا أَسِنَّتَهَا دَمَا
أُقَدِّمُ فِيْهِمْ دَعْلَجاً وَأَكُرُّهُ ... إِذَا أُكْرِهَتْ فِيْهِ الرِّمَاحُ تَحَمْحَمَا
يُوَافِدُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ شَكَكْنَه ... كَشَكِّكِ بِالشعْبِ الإِنَاءَ المُثَلَّمَا

لقد فعلوا الأفاعيل في يوم فيف الريح ، حتى إن بقرهم بطون الحبالي من النساء جعلوه مزية يفتخرون بها ، ويبدو أنهم لا قوا من عدُوِّهم المثل ، وإلا لما كان هذا التشفي على لسان عامر بن الطُّفيل الكلابي الذي يقول[٢] :

بَقَرنَا الحَبَالَي مِنْ شَنُوءَةَ بَعْدَمَا ... خَبَطْنَ بِفَيْفِ الرِّيْحِ نَهْداً وَخَثْعَمَا
مُجَنَّبَةً قَدْ لاحَهَا الغَزْوُ بَعْدَمَا ... تُبارِي مَرَاخِيْهَا الوَشِيجَ المُقَوَّمَا
وَنَحْنُ صَبَحْنَا حَيَّ نَجْرانَ غَارَةً ... تُبِيْلُ حَبَالاهَا مَخَافَتَنَا دَمَا

وهذا هو المعهود في فخرهم الحربي ، فقد قرنوا خيولهم بأفعالهم ، لما رأوا من أنها دليل السيادة والقوة ، فأحب الشاعر أن يبرز أمام عدوه بما يصمه ، إذ كان الحصين بن يزيد الحارثي قد ألَّب قبائل اليمن من مذحج وغيرها ، وساق معها ذراريها وأنعامها لغزو بني كلاب ومن معها من بني عامر وهم حلول في منتجعهم بفيف الريح[٣] ، وصبروا مدافعين دون أعراضهم ، وخرج الطرفان بلا انتصار ، بعد أن كَثُر القتلى وقد أفاد عن هذا بتفصيل واف شاعر بني كلاب ، حين ذكر في قصيدته الميمية كل جوانب ذلك اليوم ، فنسب قومه ليوم بضيع" وهو اليوم الذي جاء عقب يوم فيف الريح ، ويبدو من هذا أنهم أبلو في ذلك اليوم بلاء حسناً حق لهم بعده أن يكونوا أهله دون غيرهم ، وقد فوجئوا بجيش الحصين الذي

---

(١) أسماء خيل العرب ص ١٣٧ . صداء : قبيلة من مذحج . خثعم : ابن عمرو بن الغوث ، من القبائل التي كانت ضد بني كلاب أيام فيف الريح ، وقد قتلوا الصُّميل بن الأعور حينئذٍ . (جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٩) . الشِّعب : المِشعب : المثقب .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ١١٨ . شنوءة : هم شنوءة الأزد . خبطن : يقصد الخيل التي هم راكبوها ، فقد ذكرها في بيت سابق . نهد وخثعم : من قبائل اليمن . مُجَنَّبَة : هي الخيل تترك جانباً لوقت الحرب . مراخيها : السريع منها . الوشيج المقوم : يريد أنها تسبق طعن الرماح .

(٣) النقائض ص ٤٦٩ .

بدأ خائفاً هيّاباً ، يضم أشتاتاً من الخلق من عدنان وقحطان ، فيهم من قبائل عنز بن وائل بن عدنان ، وفيهم من خثعم ومن بينها شهران أعتاها قوة ، فتوافدت تلك الحشود طلباً لأمنية كاذبة من مغنم ومظهر غير أنّهم جُوبهوا بكتيبة متسلحة فولوا الأدبار ، آخرهم شهران ، قد خرقتهم السهام والرماح ، يقول أبو دؤآد الرُّؤاسي الكلابي[1] من قصيدة عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً بدأها بقوله :

يا دارَ عَبْلَةَ بالعلياء من ظلم ... ما إن تَبِينُ مَغَانيها من القدم

إلى أن قال :

وَنَحْنُ أَهْلُ بُضَيْعٍ يَوْمَ طَالَعْنَا ... جَيْشُ الحُصَيْنِ طِلاعَ الخَائِفِ الكَزِمِ
سَاقُوا شُعُوبَاً وَعَنْزَاً مِنْ دِيَارِهِمُ ... وَرَجْل خَثْعَمَ مِنْ سَهلٍ ومن عَلَمِ
مَنَّاهُمُ مُنْيَةً كَانَتْ لَهُمُ كَذِبَاً ... إنَّ المُنَى إنَّمَا يُوْجَدنَ كَالحُلُمِ
وَلَّتْ رِجَالُ بَنِي شَهْرَانَ تَتْبَعُهَا ... خُضْرُكُم يَرْمُونَهَا بِالنَّبْلِ عَنْ شَمَمَ
والزَّاعِبِيَّةُ تُحْفِيْهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ ... فِيْهِمْ نَوَافِذَ لا يُرْقَعْنَ بِالدُّسُمِ
ظَلَّتْ يَحَابِرُ تُدْعى وَسْطَ أَرْحُلِنَا ... والمُسْتَمِيْتُونَ مِن حَاءٍ وَمِنْ حَكَمِ
حَتَّى تَولَّوا وَقَدْ كَانَتْ غَنِيْمَتُهُمْ ... طَعْنَاً وَضَرْبَاً غَيْرَ مُعْتَسَمِ

إن أهم مميزات فخرهم من خلال ما سبق هو تحديدهم للأعيان سواء أكانوا أشخاصاً أو مواضع ، وهذا يُعطي معانيهم حجة وزاداً للباحثين .

لقد كان مجال الفخر لا يخرج عمَّا دار في المعركة وما أفضت إليه من نتائج ، وهو فخر ممتزج بتعال وكبرياء ، تبين منه الآثار النفسية على كلا الطَّرفين ، مع سُمُوٍّ عن التافه ، وتعالٍ في الإبانة عن الرفعة .

---

(١) منتهى الطلب ١٤٦/٥ (مخطوطة) . بضيع : هو اليوم الذي أعقب فيف الريح (معجم ما استعجم ١٠٣٨) . الكزم : الخائف المتهيب . عنز : قبيلة من عدنان . خثعم : بطن من كهلان. شهران : من قبائل كهلان . خضركم : جمع أخضر ، وهو ابن السوداء ، طعن في نسبهم ، أو أنها الكتيبة الكثيرة الحديد ، أو عامة القوم . الزاعبية : رماح منسوبة لرجل من الخزرج . الدسم: جمع دسام : وهوالسِّداد . يحابر : هو مراد بن مالك من كهلان (جمهرة ابن حزم ص ٤٠٥) . حاء : حام : من خثعم (السابق ص ٤٧٥) ، وقيل حاء بطن من حكم (النقائض ص ٤٧٢) حكم : ابن سعد العشيرة بن مذحج (جمهرة ابن حزم ص ٤٧٧) معتسم : مغلوب .

كما أنه فخر يُشيد فيه الشاعر بقبيلته ، وتختفي فيه ذاتيته ، فما نكاد نلمحها عند هذا الشاعر ، إذ جعل كلَّ همِّه قبيلتَه ينافح دونها ، وينوه بأفعالها مُتخذاً من شعره لساناً للقبيلة التي آمن بأن ما تتميز به عائد على أبنائها بالعزة ، ومن ثَمَّ انتشت نفوسهم بانتصارات القبيلة فعبروا عن ذلك ، وقد تمثل هذا في الشاعر أبي دُوآد الذي يعتبر شاعر قبيلة بني كلاب حقاً وهذا ما ينقض قول الرافعي وهو يخصُّ طرفه بن العبد ، بقوله[١] :" ليس فيما وقع إلينا من شعر الجاهلية ما ينطق بأن صاحبه شاعر قبيلة بمجموع هذا المعنى ، غير شعر طرفه .." .

٢ - يوم ساق :

أغار فيه خالد بن جعفر بن كلاب على رهط الحارث بن ظالم المُرِّي الذُّبياني وهم من يربوع بن غيظ بن مُرة من ذبيان ، فأودى برجالهم ، ويتَّم أطفالهم ، ورمَّل نساءهم ، فكان ذلك اليوم مذلة لبني يربوع ، إذ غدوا كالنساء لا حول لهم ، ولا قوة .

وقتل حينئذٍ ظالم بن جذيمة المرِّي اليربوعي ، وكان زعيم القوم ، وابنه الحارث آنذاك صغير ، قد التف حوله النائحات يُولولن ، قد بلغت بهن المصيبة مبلغاً أغفلهن أولادهن ، واشتد بهن الألم ، يبكين أباه ، ويندبن مصيره ، ينادين أن سوِّدوه ، مكان أبيه ، عوضاً يسد خلته . وقد افتخر خالد بن جعفر ببطولته في ذلك اليوم ، وفعائله في القوم إذ يقول[٢] ، متخذاً من آلام الآخرين مجالاً لفخره :

ويربوع بن غَيظ يوم ساقٍ ... تركناهم كجارية وبيدِ
تركت بها نساء بني عُصيم ... أرامل ما تحن إلى وليدِ
يلذن بحارثٍ جزعاً عليه ... يقلن لحارثٍ لولا تسودُ

وقد نشأ الحارث بن ظالم كارها لخالد مترصداً له المراصد حتى ظفر به نائماً في قُبة النُّعمان بن المنذر فشقها عليه وطعنه .

وهنا يختلط الفخر بالهجاء ، ففي الوقت الذي يتباهي فيه بأفعال القبيلة فإنه يُعَيِّر أعداءه بهذا التباهي الذي يحسُّونه إذلالا لَمَّا شُبِّهوا بالنساء ، ولسن ذوات المكانه منهن بل الجواري في أتعس حالاتهن .

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢٣١/٣ .

(٢) الأغاني ٨٤/١١ . يربوع بن غيظ : قبيلة من ذبيان . ساق : هضبة شامخة لبني وهب ، ذكرها زهير في شعره (معجم البلدان) . وبيد : سيئة الحال .

٣ - يوم سويقة :

كانت للضباب وقعة على هذه الماءة في ديارها[١] ، عرفت بيوم سويقة وهو من الأيام التي أوقعوا فيها بأعدائهم وشفت غُل أكبادهم ، حتى صار هذا اليوم مضرب المثل ، ومفخر الأبناء ، فإذا ما ابتغوا مجداً أرادوه كمجد يوم سويقة ، الذي أراح نفوسهم أبد الدهر ، تقول جمل بنت الأسود الضبابية[٢] ، متمنية الإنتصاف من نفر من بني سعد بن زيد مناة نهبوا خيار إبلها ، ناعتةً إيّاهم بلقبهم " الفزر " :

بني الفزر ماذا تأمُرُون بهجمةٍ ... قلائد لم تُخلط بحيث نِصَابُها
تظلُّ لأبناءِ السبيل مُناخة ... على الماء يُعطي دَرُّها ورقابُها
أقول وقد ولّوا بنهبٍ كأنه ... قداميسُ حوضى رملُها وهضابُها
أهفي على يوم كيوم سُويقة ... شفى غُل أكبادٍ فساغ شرابها

وقد جاء الفخر هنا من وراء حجاب التوعد والتهديد ، فالشاعرة تُضمن معانيها المباشرة فخرها بالإبل التي جُعلت للضُّيوف تُحلب لهم ، وتذبح ، وتلك إشارة لأجل صفةٍ طالما افتخر بها العرب وهي الكرم ، وتأتي الصِّفة الثانية من خلال التَّلهف على عودة ما مضى من أيامهم، في إيماء لانتصارهم آنذاك ، وضعفهم الآن وتلك صفتان تولدتا عن بعض ، فلم يكن إلا الإتكاء على أقواهما .

٤ - يوم النفراوات :

كان خالد بن جعفر الكلابي يتعهد فرسه " حذفة " بالرعاية ، حتى إنه ليقدمُها على أولاده ، ذلك أنه أعدَّها لأعدائه وأعداء قبيلته .

لقد أعد تلك الفرس لقتل زهير بن جذيمة العبسي أو أخيه أسيد ، وكانا قد أذلا هوازن بالإتاوة يؤدونها لهما .

---

(١) معجم ما استعجم ص ٨٧٥ ، وسويقة : قال أبو زياد في موضع من كتابه : ومما يُسمى من الجبال في بلاد بني جعفر سويقة وهي هضبة طويلة دقيقة ، وكانت بكر بن وائل وتغلب اقتتلوا عندها (معجم البلدان) .

(٢) معجم البلدان (منعج) . الفزر : لقب سعد بن زيد مناه وافى الموسم بمعزىً فأنهبها وقال : من أخذ منها واحدة فهي له ولا يؤخذ منها فِزْر وهو الأثنان فأكثر (القاموس المحيط) . قداميس حوضى : صخورها العظيمة ، وحوضى في ديار طهمان بن عمرو الكلابي (معجم البلدان) .

وحين أتت عجوز من بني نصر بن مُعاوية بسمنٍ في نحي ، وشكت الجدب ، دفعها زهير بقوسه في صدرها ، فانكشفت عورتها ، فتألى خالد بن جعفر ، وقال : والله لأجعلن ذراعي في عُنُقه حتى يُقتل أو أُقتل[١] وقال[٢] من أبيات يذكر فرسه التي أعدَّها لذلك :

يَبِيْتُ رِبَاطُها بِاللَّيْلِ كَفِّي ... عَلَى عُودِ الحَشِيْشِ وغَيْرِ عُودِ
لعلَّ الله يُمكنُني عليها ... جِهَاراً مِنْ زُهيرٍ أو أسيدِ
فإما تثقفوني فاقتلوني ... فمن أثقف فليس إلى خُلُودِ

ثم ركب خالد بن جعفر وستة فوارس من بني عامر خيولهم ، يطلبون زهيراً أو أُسيدا ، فهرب أسيد وبقي زهير وابناه ورقاء والحارث ، وفوارس آخرون ، وما إن أحس زهير بالقوم حتى وثب على فرسه " القعساء " فلحقه خالد ومعاوية الأخيل ، فطعن معاوية الفرس فقلبت زهيراً وخر عليه خالد فأخذا يتصارعان كل يريد السيف ، فتنحّى خالد عن ضربة معاوية لراس زهير ، وأقبل ورقاء فضرب خالداً على درعية فوقته ، واحتمل ابنا زهير أباهما بعد أن نحّوا القوم عنه ، غير أن الضَّربة قد أثخنته فمات بعد ثلاثة أيام[٣] .

وقد افتخر خالد بقتله زهيراً ، ومنَّ على هوازن قتل من استعبدهم ، وذكَّرهم بأنهم كانوا عبيداً حتى حرَّرهم من سلطته وأعاد لهم عزتهم إذ يقول[٤] :

بَلْ كَيْفَ تكفُرُني هُوَازِنُ بعدما ... أَعْتَقْتهم فَتَوالَدوا أَحْرارا
وَقَتَلْتُ رَبَّهُمُ زُهيراً بَعْدَمَا ... جَدَعَ الأُنوف وأكثر الأَوْتَارا
وَجَعلتُ حَزنَ بِلادَهُمْ وجبالهم ... أَرْضَاً فَضَاءً سَهْلَةً وعِشَارا
وَجَعَلْتُ مَهْرَ بَنَاتِهِم ودِمَائِهِم ... عقل الملوك هجائنا أبكارا

إنه فخر الفرد أمام قبيلته بإنه صانع أمجادها ، وجاعلٌ لها بين القبائل ما تفاخر به ، غير انه فخر مشوب بهجاء ، ابتغى منه الشاعر إظهار نفسه والإفتخار بفعله ، متخذاً من رفع القبيلة وخفضها سبيلاً لذلك ، مُقدِّماً الذات على الجماعة ، وذلك مُوحٍ بكبرياء تعالت حين أحسَّت بأنها مهضومة من قِبَلِ من كان يُنتظر منه الوفاء .

---

(١) العقد الفريد ٥/١٣٥ .
(٢) الأغاني ١١/٨٣ .
(٣) العقد الفريد ٥/١٣٥ .
(٤) الأغاني ١١/٩٠ .

٥ - يوم السُّحامة :

وقع هذا اليوم على ماءٍ لبني عمرو بن كلاب اسمه " سحامة رمح " وقد أغار فيه الكلابيون على آل حنثر التميميين ، فاستاقوا أذواد الإبل تتبعها أولادها .

وقد أخذ الشاعر يستهزى بالخصوم ، ويرى أن لا معرفة لهم بالحرب ، فليسوا من أهلها، ويدعوهم لترك مالا يعرفون ، فالحرب تقطيع لحم ، وتجازر أبطال.

ويفتخر ببني عمه الحماة ، المقدِمون على الحروب ، المكثرون منها ، الممتطون جياد الخيل.

هذا ما أفادت به أبيات الشاعر : عامر بن الكاهن بن عوف بن الصموت الكلابي[١] :

ومن يرنا يوم السُّحامةِ فوقنا ... عجاجةُ أذوادٍ لهنَّ حوائرُ

إذا خرجت من محضر سد فرجها ... خفافٌ مُنيفاتٌ وجذع بهازرُ

دعوا الحرب لا تشجوا بها آل حنثر ... شجا الحلقِ إنَّ الحرب فيها تَهَابرُ

ولا تُواعِدُونا بالغِوار فإنَّنا ... بنو عَمِّنا فيها حُماة مغاور

على كلِّ جرداء السَّراة كأنَّها ... عُقاب إذا ما حثها الحربُ كاسِرُ

مُحالفةً للهضب صقعاء لفها ... بطخفَةَ يوم ذُو أَهاضيب ماطِرُ

وقد ذكر الشاعر من العتاد الذي يتباهون به الإبل والخيل ، مظهرهما في أتم صورة .

٦ - يوم رَحْرحان :

بعد أن قتل الحارث بن ظالم المري خالد بن جعفر الكلابي هرب ، وأخذ يتنقل بين القبائل حتى لجأ إلى ابني زُرارة التميمي ، حاجب ومعبد ، فبلغ الأحوص بن جعفر الكلابي مكمن قاتل أخيه ، فجهز الجموع لغزو تميم ، فالتقوا برحرحان ، ودارت بينهم الحرب ، فانهزم بنو تميم ، وأسر معبد[٢] .

---

(١) معجم البلدان (سحامة) . بهازر : نخل بهازر طويل . خنثر : في تميم (ق المحيط) الهِضَبّ : كثرة العرق . صعقاء : في رأسها بياض . طخفة : جبل لبني كلاب ، لهم عنده يوم (م البلدان) أهاضيب : سحاب كالهضاب .

(٢) العقد الفريد ١٣٩/٥ ، الأغاني ١٠١/١١ . الكني : كن رسولي إليه . شآبيب : دفعات . تلقح حائل : الفعل تلقح حال من حرب ، وحائل صفة . جرداء السراة : يعني الفرس السابقة . خوار العنان : الفرس اللَّين العطف (أساس البلاغة) . مُناقل : يضع رجليه مكان يديه وهو مسرع .
=

وقد أرسل عامر بن مالك الكلابي ابياتاً لحاجب بن زرارة ، يفخر فيها بفعلهم ذلك اليوم حيث شبت الحرب لظاها ، ويذكر خيلهم الأصيلة ، ثم يهزأ من إيواء تميم لحارث ، وأنهم ليسوا أهلاً لذلك ، وأنهم لو منعوه لطال بينهم الشر ولندمت تميم ، ويذكر أن قومه سيقاتلون من يُلجِيء عدوهم ولو كان أعتى القبائل ، وقد أسف بعض تميم خوضهم تلك الحرب حين أفضت إلى خسارتهم يقول عامر[1] بن مالك :

أَلِكني إلى المرء الزُّرارِيِّ حاجبِ ... رئيس تميمٍ في الخُطُوبِ الأوائلِ
وفارسُها في كلِّ يومٍ كريهةٍ ... وخير تميمٍ بين حافٍ وناعل
لعمري لقد دافعت عن حي مالكٍ ... شآبيب من حربٍ تلقَّحُ حائل
على كل جرداء السراة طمرة ... وأجرد خوار العِنان مُناقِلِ
نصحتُ له إذ قلت إن كُنت لاحقاً ... بقوم فلا تعدل بأبناء وائل
ولو ألجأته عُصبةٌ تغلبية ... لسرنا إليهم بالقنا والقنابلِ
ولو رُمتُم أن تمنعوه رأيتم ... هُناك أموراً غيها غَيْرُ طائل
لشاب وليدُ الحيِّ قبل مشيبه ... وعضَّت تميمٌ كلُّها بالأناملِ
وقامت رجالٌ منكُمُ خِنْدفِيَّةٌ ... يُنَادُون جهراً ليتنا لم نُقاتل

إنه فخر تعقل وإنصاف

ويعير شريحُ بن الأحوص الكلابي لَقيطَ بن زُرارة التميمي بترك أخيه معبد أسيراً عند عامر والطُّفيل ابني مالك بن جعفر الكلابي ، بعد أن طلبا منه دية ملك في فداء أخيه ، فامتنع فقال معبد : لا تدعني يا لقيط فإنك لن تراني بعدها ، قال : فأين وصاة أبينا ألا توكلوا العرب أنفسكم ، ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم .

ورحل لقيط عن الكلابيين وترك أخاه ، فامتنع عن الطعام والشراب فمات هزالاً[1] ، وفي هذا يقول شريح[2] :

لقيطُ وأنت امرؤٌ مَاجدٌ ... ولكنَّ حلْمَكَ لا يهتدي

= قنابل : جمع قنبلة : وهي الطائفة من الناس والخيل . خندف : امرأة إلياس بن مضر ، نسب إليها ولدها ، ومن ولدها تميم .

(١) العقد الفريد ٥/١٤٠ .

(٢) اختيار الممتع ٢/٥٠١ .

أَلَّما أَمِـنْـتَ وسـاغَ الشَّـرا ... بُ واحتُلَّ بيتُك في ثهـمـدِ
رفعت برجليك فوق الفـرا ... ش تُهدي القصائد في معبـدِ
وأسلمته عـند جِـدِّ القـتـال ... وتـبخـل بالمـالِ أن تفـتـدي

ويقول عامر بن الطفيل الكلابي[1] فيما بعد مفتخراً :

قضينا الجون عن عبسٍ وكانت ... مَنِيَّةُ مَعْـبَـدٍ فـينا هُـــزالا

لقد صارت ايامهم تاريخاً لأجيالهم يزهون بها .

٧- يوم جَبَلة[2] :

أراد لقيط بن زرارة التميمي أن يثأر لهزيمة قومه في يوم رحرحان ، ومقتل أخيـه معبـد ، فاستنجد بالقبائل ، فأتته على الحول غطفان ، كبيرها سِنان بن أبي حارثـة المُـري ، وحلفاؤهـا بنو أسد ومعاوية وعمر ابنا الجون الكلبي ملك هجر ، وحسّان بن وبرة الكلـبي أخـو النعمـان ابن المنذر .

ومع بني عامر عبس وغنيّ وباهلة ورهط من بارق ، وقبائل بجيلة .

وقد اشار قيس بن زهير العبسي على سيد هوازن آنذاك " الأحوص بن جعفر الكلابي " أن يجعلو الذراري خلف ظهورهم في أعلى شعب جبلـة ، والإبـل بينهـم وبـين القـوم في فـم الشعب لا تُسقى ولا تُرعى ، حتى إذا اقتحم العدو عليهم الشعب ، فكُّوا عُقُل الإبل ، وأخذ الرجّالة بأَذنابها يدفعونها هابطة ، فإنها ستحطّم ما أمامها ، فـلا يبقـى للفرسـان إلا الصـبر ، واللحاق بالهارب ، وأُخذ بذلك الرأي فحين سدَّ لقيط ومن معه فم الشـعب انحـدرت عليهـم الإبل ، إذ حنّت إلى مرعاها بعد اثنتي عشرة ليلة ، لا تلوي على شيء ، تدق ما تطأ ، ترغـي وتزبد ، ما طمعت بالإنطلاق ، فغدا الناس تحتها جُثثا ، فيهم لقيـط قـائد القـوم ومعاويـة بـن الجون ، وأُسِر أَخوه حاجب وسِنان المريّ .

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٠٣ . وكانت ولادة عامر يوم جبلة غـير أنـه افتخـر بـه بعـد ذلـك ، (النقائض ٢٢٩) ، ويروى البيت لنافع بن الخنجر الكلابي (الأغاني ١٤٨/١١) . وقضينا : بمعنـى أديناه لعبس في يوم جبلة ، والجون : هو حسّان بن عمرو بن الجون ، وكان قد أسره الطفيـل بـن مالك (الأغاني ١٤٨/١١) .

(٢) جبلة : جبل ضخم بين الشُّريف ماءِ بني نمير والشرفِ مـاء بـني كـلاب (معجـم مـا استعجم ص ٣٦٥).

وكان يوم جبلة عام مولد النبي ﷺ[١] .

وكان يزيد بن عمرو (الصعق) الكلابي قد افتخر بيوم جبلة وأبان أنهم رؤوس القوم في ذلك اليوم ، وأن القبائل قد تكالبت عليهم : (أسد وحنظلة وغطفان) حتى الملوك جميعهم قاموا ضدهم ، غير أنهم تفوقوا عليهم بسيوفهم المختارة التي صُقلت حديثاً ، يقول[٢] :

نحنُ رؤوس القوم يوم جبله يوم أتتنا أَسَدٌ وحنظلهْ

وغطفانُ والمُلُوك الأزفِلَهْ نعلُوهمُ بِقُضُبٍ مُنتَخلهْ

لم تعدُ أن أفرش عنها الصقله

لقد حدد مكانتهم آنذاك ، وسمى من غزاهم من الأعداء ، مُظهراً دور السيف من بين العتاد في نغم هازج يدل على الفرح ، الذي يجمع بالنفس في خفة .

وممن شارك في ذلك اليوم شريح بن الأحوص الكلابي حيث[٣] يقول للقيط بن زرارة في تحدٍّ وتعالٍ :

إن كنتَ ذا صِدقٍ فأَقْحِمْهُ الجُرُف وقَرِّب الأشقر حتى تعْترف

وُجُوهنا إنّا بنو البيضِ العُطُف

فكان لهذا الكلام وقعه مما أثار لقيط حتى تجاوز الجرف بفرسه إلى شريح الذي طعنه فسقط ، فغدت مقتلة هذا الزعيم مفخرة لبني كلاب ، يذكرها شعراؤها كلما أرادوا تسطير مآثر القبيلة ، فقد ذكر عامر بن الطفيل الكلابي[٤] مقتل لقيط بالسيف الصارم الصقيل ، وخيبة ظنّه في القبائل التي جَمَّعها ، كما يذكر رجوع قومه غانمين بالفيء والنساء السبايا وهن يصحن مولولات بعد أن صرن ثكالى :

ويوم الشِّعب غادرنا لقيطاً بأبيض صارم عَضْبٍ صقيلِ

غداة أراد أن يَسمُوْ إلينا بأُسرته وأخلفه القبيلُ

---

(١) العقد الفريد ١٤١/٥ ، معجم ما استعجم ص ٣٦٥ .

(٢) تهذيب إصلاح المنطق ص ٥٢٧ . حنظلة : من زيد مناة من تميم (جمهرة ابن حزم ص ٢٢٢) . الازفلة : الجماعة . أفرش : أقلع .

(٣) الأغاني ١٤٤/١١ . العطف : جمع عاطف وهو الكارُّ على عدوه .

(٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ٩٦ . وفي الأبيات إقواء . الشعب : شعب جبلة . استفأنا : أخذنا من الفيء . الأليل : الأنين والثكل .

فأُبنا غانمين بما استفأنا نسُوق البيض دعواها الأليلُ

وفي قصيدة عامر الأخرى يذكر مقتل لقيط وأسر أخيه حاجب ، وغُنم سوامهم ، ثم يبين شناعة فعلهم في القوم فقد فصلوا سواعد تميم ، ورؤوسهم عن أجسادهم ، كما أظهر أن ذلك اليوم كان يوماً شديد الهول نحساً على الأعداء ، كأنما سُقوا سُماً حين قدموا ، ويتوعدهم بالذلة والصغار ودفع الخراج ، ثم يمتدح بني سعد التميميين ، فإنهم لم ينضمُّوا إلى قبيلتهم في الحرب وكان غيابهم رشداً ، فلهم الأمن منا ، ولو أعانوا عدوهم وانضمُّوا إلى ابن الجون الكلبي والجموع الأخرى فإنهم مُلقُون بأنفسهم إلى التهلكة ، وملامون على فعلهم ولكنهم كانوا كراما ، إذ يقول[1] :

ويوم الشِّعب لاقينا لقيطاً كسوناَ رأسه غَضباً حُساماَ
أسرنا حاجباً فثوى أسيراً ولم نترك لأُسرته سَوَاماَ
وجمع بني تَمِيمٍ قد تركنا نُبينُ سواعداً منهم وهاما
وكان لهم بها يومٌ طويلٌ كما أجَّجت باللهب الضِّراما
بدارهمُ تركنا يوم نحسٍ لدى أوطانهم تُسقى السِّماما
فإن لا يُرهق الحدثانِ نفسي يُؤَدُّوا الخرج لي عاماً فعاما
يُودُّوه على رغمٍ صغاراً ويُعطونا المقادة والزِّماما
فأبلغ إن عرضت جميع سعدٍ فبيتوا لن نَهيْجَكُمُ نِياما
نصحتم بالمغيب ولم تُعينُوا علينا إنكُم كُنتُم كراما
فلو كُنتم مع ابن الجون كنتم كمن أودى وأصبح قد ألاما

إنه يشير إلى زعامة كانت للأعداء فأزالوهم عنها ، وحلوا مكانهم فيها ، فهم يدينون بما أُدينوا ، ويعيدون الكأس التي تجرعوها مليئة .

ويتخذ عامر بن الطفيل ضمير الجماعة في التعبير عن حماسه لقبيلته ، ومع أنه لا ينسى ذاته في الإشادة بها ، إلا أن تلك الشخصية الفردية تتوارى أحياناً كثيرة في ثوب القبيلة فتذكر أيامها الماضية وأمجادها الغابرة ، في نشيد جماعي تصطخب فيه الأصوات وتستلج به الأسماع من زخم تلك المفاخر الكثيرة التي تنزولها الجموع في اتحادٍ عاطفي .

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ١١٣ .

٨ - أيام أخرى :

وافتخر الكلابيون بأيامٍ كانت لهم مشاركةٌ فيها ، منها : يوم غول ، إذ يقول عامر بن الطفيل الكلابي[١] :

كأنك لم ترينا يوم غولٍ ولم يُخبرك بالخبر الجُنُودُ

بما لاقت سراةُ بني لُجيمٍ تعض سراتهُم فينا القيود

ويوم عكاظ[٢] وقد ذكره عامر[٣] أيضاً في قوله :

ويوم عكاظ أنتم تَعلمونه شهدنا فاقدمنا بها الحي مُقدما

ويوم قِراص ، الذي أشاد بسيادتهم فيه أبو دؤآد الرؤاسي إذ يقول[٤] :

وكان الرَّأسُ يوم قِرَاصَ منا ومنا الرَّأسُ يوم أبي عمير

ويوم خُوّ[٥] ، وغيرها .

٩ - أيامهم في الأسلام :

لما جاء الإسلام صار الناس أمة واحدة يقاتلون أعداء العقيدة ، وينكرون على القرابة إن هم خالفوها ، فلم يعد لبني كلاب في العصر الإسلامي أيام خاصة بهم ، وإنما شاركوا غيرهم في الفتوحات ، وحينما كان الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، انقسموا بينهما ، واشتهر منهم شمر بن ذي الجوشن الكلابي بمشاركته في محاربة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ولم يكن فخرهم بأيامهم الاسلامية مُنبَتاً عن معتقدهم الديني ، بل إن الرُّوح الاسلامية لتغلب على التنويه بجهادهم ، إذ يبرز الشعور الإيماني فيما يأتون وما يدعون ، ولذا فإنهم لا يبالغون أو يكثرون من إظهار تلك الأعمال التي أرادوها خالصة لله ، خائفين مما يحبطها ،

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٤٨ ، غول : جبل وماء للضِّباب (بلاد العرب ص٩٥) .

(٢) عكاظ : من أيام حرب الفجار .

(٣) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٢٩ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٣ . قِراص : ماء لبني عمرو بن كلاب (معجم البلدان) . أبو عمير : الحصين بن يزيد الحارثي المذحجي (النقائض ص ٤٦٩ ، المحبَّر ص ٢٥٢) ويريد بيومه يوم فيف الريح.

(٥) العقد الفريد ٢٤٩/٥ ، معجم البلدان .

وهذا ما يزيل استغرابنا إذا ما رأيناهم قد أوجزوا مفاخرهم في هذا الباب يقول الدكتور محمود حسن زيني[١] إبانة عن مهمة أولئك الشعراء السامية في تلك الفترة :" أدرك شعراء المسلمين من الأنصار والمهاجرين أن مهمتهم هي الإعتقاد الكلي في أن مهمتهم في تلك الحياة الدفاع عن الاسلام والمسلمين ، ومناصرة الحق ضد قوى الشر والظلم والبغي " . إن ذلك الاعتقاد جعلهم يفاخرون بعقيدة التوكل على الله ، ذلك المعتقد الذي تنضوي فيه كل أعمالهم و الذي سما بهم على كل شيء ، وجعل ما دون الله أرخص من شراك نعلهم ، حتى أخذوا يجوبون البلاد فاتحين باسم الله ، مبتغين نشر دينه ، دون ما سواه ، فلا يأبهون بموت ، بل يطلبونه في معنىً جديد هو الشهادة في سبيل الله ، غير عابئين بقرابة تحول بينهم وبين نشر الاسلام ، يقول عبد الله بن حذف الكلابي[٢] :

توكّلنا على الرحمن إنّا ... وجدنا الفضل للمُتوكلينا
وقُلنا والأمور لها قَرَارٌ ... وقد سفهت حُلوم بني أبينا
نُقاتلكم على الاسلام حتى ... تكُونوا أو نكون الذّاهبينا
بكلِّ مُهنّدٍ عَضْب حُسَامٍ ... يَقُدُّ البَيْضَ والزَّرد الدَّفِيْنَا

وفي البيت الأخير إشارة إلى مضاء سُيوفهم ، وهو معنى يدل على رواسب تأثرهم بالشعر الجاهلي ، إنَّ هذا الذي يتباهون به سواء كان معتقداً أو فعلاً قد ملأ كيانهم وأشربته نفوسهم ، حتى لم تعد ترى الضَّنك إلا فرجا، فرغم حصار المشركين لهم ، والدماء تمور بينهم ، فإن الأمل والتفاؤل يَشِع في صدورهم كشُعاع الشمس ، إذ يقول الشاعر عبد الله ابن حذف الكلابي[٣] من رواية أخرى :

فَهَلْ لَكُمْ إلى قومٍ كِرَامٍ ... قُعُودٍ في جُوَاثَا مُحْصَرِيْنَا
كأنَّ دماءَهُمُ في كُلِّ فَجٍّ ... شُعَاعُ الشمس يُعْشِي النَّاظرينا

وكان المسلمون بقيادة العلاء بن الحضرمي قد لجأوا إلى حصن جوا ثى بالبحرين ، وهم يحاربون المرتدين من بكر بن وائل ، فلما اشتد عليهم الحصار ومُنعوا الطعام ، استنجدوا بأبي بكر الصديق رضي الله عنه[٤] .

---

(١) دراسات في أدب الدعوة الاسلامية ص ١٨١ .
(٢) الرِّدة للواقدي ص ١٥٤ . البيض : جمع بيضة : وهي الخوذة . الزَّرد : الدروع .
(٣) أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ١٥٣/٢) .
(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص ٩٤ ، تاريخ الطبري ٣٠٤/٣ .

ويشارك الأشعث الكلابي في معارك الحيرة والقادسية فتعقر ناقته ، فيدافع عن ذلك بما يفيد الفخر بثباته وتجنُّب عار الهزيمة ، ثم يُعقِّب على ذلك بذم من يتعالى عليه ، متناسياً مجده المتأصل ، وتلك مزية معادة يُكرِّرها الأشعث[١] بن عبد الحجر الكلابي فيقول :

وما عُقِرت بالسَّيلحين مطيتي وبالقصر إلا خِيفةً أن أُعيَّرا

فبئس أمرؤٌ ينأى عليَّ برهطه وقد ساد أشياخي مَعَدّاً و حميرا

ومن المعارك التي شارك فيها الكلابيون ، وذكروها في أشعارهم :

١٠ - مرج رَاهِط :

إذ بعد موت معاوية بن يزيد اختلف الناس على الخلافة ، واشتد الخلاف في الشام ، فدعى أمير حمص : النعمان بن بشير الأنصاري ، وصاحب قِنسرين : زُفر بن الحارث الكلابي ، وأمير دمشق الضَّحاك بن قيس إلى عبد الله بن الزبير ، وكان حسان بن مالك الكلبي أمير فلسطين يميل للأمويين ، فكتب إلى الضحاك مادحاً بني أمية وذامّاً لابن الزبير ، وقرأ الرَّسول الكتاب فتنازع الناس وصاروا فرقتين ، اليمانية مع بني أمية ، والقيسية مع ابن الزبير ، ثم اجتلدوا بالنعال ، ومشوا لبعضهم بالسيوف ، حتى حُجز بينهم .

وخرج الضحاك بن قيس إلى مرج راهط وعسكر فيه ، وأتاه مؤيدوه ، فجاءه زفر بن الحارث الكلابي ، وأمدّه النعمان بن بشير ، وخلفه على دمشق عباد بن يزيد في جمع من بني كلب فأخرج عامله عليها .

وسار مروان بن الحكم بعد أن بويع بالخلافة إلى مرج راهط لمقاتلة الضحاك ، فاقتتلوا عشرين يوماً ، صبر فيها الطرفان ، ثم طلب مروان من الضحاك الكف عن القتال للصلح ، فاغتر الضحاك ، وكر مروان بجنده فغشوا الناس بخيلهم ، وقاتلت قيس عن راياتها وصابرت، ومروان مترجل يحث أتباعه ، حتى كُتب له النصر ، وقتَل الضَّحاك ، وولّى زفر وقُتِل أبناه وقال[٢] حينئذٍ ، معترفاً بالهزيمة :

لَعَمْرِي لقد أبقت وَقِيعةُ راهطٍ بمروانَ صَدْعاً بيِّناً متنائيا

فلم يُرمنّي زَلّةٌ قبل هذه فِرَارِي وتَرْكِي صَاحِبَيَّ ورَائيا

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٦٠ . السيلحين : موضع بين الكوفة والقادسية ، كان أول ما فتح المسلمون في العراق .

(٢) العقد الفريد ٤/٣٩٥ .

أَيـذهـبُ يـومٌ واحِـدٌ إن أَسَـأتُـهُ بِـصـالـح أَيَّـامي وحُسْـنِ بَـلائـيـا
أنـتـرك كـلـبـاً لم تـنـلْـهَـا رمـاحُـنَـا وتذهبُ قتلى راهِطٍ وهي مـاهـيـا
فلا صُلْحَ حتّى نَدْعَسَ الخيلَ بالقنا وتَـشْـأَرَ مـن أبـنـاءِ كـلـبٍ نسـائيا

إنه ينوح على ما كان ، فهو يرثي يوماً أخلفه ظنونه ، فتحول موضع من مواضع الفخـر إلى بكاءٍ وأسىً على أن تضيعَ مفاخره الماضية .

ويفخر معبد بن عمروالكلابي بإحدى مواقعهـم في مـرج راهـط ، حـين انصبـت الخيـل المغيرة على بني كلب أتباع مروان يقاتلونهم من أول النهار إلى أن أسدل الليل لباسـه ، فولـوا منهزمين ، وتفرقوا ، كل يطلب النجاة لنفسه وقد أظهر الشاعر هول ذلك اليوم ، حين ذكـر تلاقي القوم ، واختلاف الرماح والسيوف وأنصف القوم في جلدهم ، غير أنه مـيزَّ قومـه عـن أعدائهم بأنَّهم يطلبون الموت ، فهم يرونه شرفاً وفخراً ، يقول معبد[1] :

لَـقِـيـنـا بـني كـلـبٍ بخيـلٍ مُغيرةٍ تُـثـير عَـجـاجـاً بالسَّـنابـك أكـدرا
فلما تلاقى القومُ واختـلـف القـنـا وقارع أطرافُ الـذُّكـور السَّـنَـوَّرا
سـمـوتُ إلى قـرمٍ ولم أبـغ غـيره فأحبوه عضب الشـفرتين مُـذكـرا
وقـلـت لعبـد الله دونـك لهـذمَاً ترى في سـنـاه طـالع الموتِ أَحْمَـرَا
فـأوجَـرْتُـهُ رُمحـي وأعـمـل رُمحـه فلم يُغن شيئاً غير أن قـد تكسَّـرا
وجـالـدهـم بـالمـرج مـنـا أعـزة يرون المـنـايا مكـرمـاتٍ ومـفـخـرا
لدُن غُدوة حتى أتى الليل دونهم ومُـزِّق جلـبـاب النـهـار فـأدبـرا
فولَّوا سِراعاً وابْـذَعَرُّوا وكُـلُّـهـم يحـثُ بـعـظم السـاق طِـرْفاً مضمَّرا

إِنَّهُ فخر يعطي كل ذي حقٍّ حقه ، فلا ادعاء مبالغ فيه ، ولا تحقير لند يقاتل ، وإنما هـو الصدق الشعوري بما كان على أرض المعركة ، بلا ميل مجحفٍ بالحقيقة ، ولذلك كان وصفه لنده المصارع له بأنه قرم ، وذكره اختلاف القنـا مـن الطرفـين ، وتصـادم سـلاح الفريقـين ، دليلاً على هذا الإنصاف الذي التزم به الشاعر ، مع أنه يُحاول الظهور أمام الأنداد مفتخراً .

ومع أنَّ هذا الفخر كان في عصر بني أُمية فإنه لا يختلـف عـن الفخـر الجـاهلي سـواء في المعـاني أو الأسـلوب ، وذلـك لأن الشـعراء في هـذا العصـر قـد عـادوا المـأثور شـعر آبـائهم

---

(١) نقائض جرير والأخطل ص ٢٠ . الذكور : السيوف . السنور : الدروع . لهذم : سـيف قـاطع . أوجرته: طعنته به في فيه .

يتذاكرونه وينهجون على منواله ، وكان إذكاءُ العصبيات ممَّا عاد بالقصيدة الأموية إلى نمطها القديم ، حيث كان المضمون مُهيئاً للشكل ، فذهب الشعراء في طريق قد مُهِّد لهم من قبل ، وذلل لهم .

١١ ـ التفاخر بين الكلابيين :

لم يكن نزاع بني كلاب مع القبائل المختلفة فحسب بل لقد نشأ النزاع بين الكلابيين أنفسهم وبخاصة بين بني جعفر وبني أبي بكر بن كلاب ، منه ما أفضى إلى ايام سالت فيها الدماء كيوم هراميت ويوم الخيال[١] ، ومنه ما أفضى إلى صلح وسلم ، كالنزاع حول قُنيع ، وهو ماء بين الطرفين كل ادعاه ، فاختصموا وكادوا يقتتلون ، غير أن سُفراء الصلح سعوا بينهم وانتهوا إلى تحكيم سلمة بن عمرو بن أنس ، وكان شريفاً قارئاً ، فلم يحكم بينهم حتى أخذ عليهم الأيمان والمواثيق ألا يردُّوا حكمه ، فلما اطمأنَّ إلى ذلك ، حكم بأنْ ليس لأحد المتنازعين حق في قنيع ، فرضوا وصوبوا رأيه[٢] .

وكانوا قبل الصلح قد أعدوا للحرب عدَّتها ، وتأهبوا لخوضها ، فقد جاء الجعفريون إلى مكان الخصومة بخيلهم الأصيلة ، وعتادهم المنيع ، ورابطوا هناك ، ليُميتوا في القوم الهمة على مناوئتهم أو أن يحملوا في صدورهم حنقاً عليهم ، كل ذلك كان مجال فخر الشاعر نافع بن الخنجر الجعفري الكلابي[٣] :

ومن يَرَنا ونحنُ على قنيع ... وجُرد الخيل والجُحف المدارا
تَمُت عنا حسيفته ويكره ... قديمات الضغائن أن تثارا
ونحن الحابِسُون على قُنيع ... عِرَاب الخيل يَنْبُذْنَ المهارا

لقد نوه بخيلهم الأصيلة في بيتين وأشار إلى تروسهم الوثيقة في بضع بيت ، وهذا أدل على أن الخيل أعز ما يفتخر به .

وكانت العداوة قديمة بين الجعفريين وبني بكر الكلابيين ، وأوضح مثال على ذلك

---

(١) النقائض ص ٩٢٦ .

(٢) معجم ما استعجم ص ٨٦٢ .

(٣) بلاد العرب ص ١٤٥ . قُنيع : ماء لبني جعفر بن كلاب بينهم وبين أبي بكر ، الجحف : جمع جحفة، وهي الترسة . حسيفته : ضغينته . المهارى : نجائب الخيل ، أو قد يكون جمع مُهر : وهو ولد الفرس .

حادثة ابن[١] ضبا التي اقتتلوا من أجلها ، ولذا كان فخر عامر بن الطفيل الجعفري الكلابي بإبادتهم إخوانهم (بني بكر بن كلاب) الملقبين بـ (البزَرَى) ، إذ قال[٢] :

أبدنا حيَّ ذِي البَزَرَى وكعباً ومالكها وأهلكنا بَشِيرا

ورسخت هذه العداوة وسار هذا التناحر والتفاخر إلى عهد القتال الكلابي[٣] فهو يعتز بقبيلته (بني بكر) ويفتخر بانتسابه إليها ، وذلك حين رأى تعصُّب إخوانهم (بني جعفر) عليهم :

إذا ما تجعفرتُم عَلَينا فإنّنا بَنُو البَزَرَى من عزةٍ نتبزَّرُ

وتفاخر الجعفريون بينهم فهذا قحافة بن عوف بن الأحوص[٤] يقول للبيد بن ربيعة الجعفري :

نهنه إليك الشِّعر يالبيدُ واصدُد فقد ينفعُك الصُّدُودُ

ساد أبُونا قَبلَ أن تَسُودوا سُؤددكم مُطَّرف زهيد

والمنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة مثال بين على تفاخرهم ، ومن ذلك ما قاله مروان بن سراقة الكلابي[٥] :

يالَ قريش بينُوا الكلاما إنا رضينا مِنكم الأحكامَا

فبيِّنوا إن كُنتُمُ حُكَّاما كان أبُونا لهُمُ إمامَا

وعبد عَمرو مَنَعَ الفِئاما في يوم فخر مُعلمٌ إعلاما

ودعلجٌ أقدمهُ إقداما لولا الذي أجشمهم إجشاما

لا تخذتهُمْ مذحجٌ نَعَاما

---

(١) النقائض ص ٥٣٢ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص٦٠ .

(٣) السابق ص٦٠ . والبيت ليس في ديوان القتال . نتبزَّر : نظهر انتسابنا لهذا اللقب .

(٤) الأغاني ٢٨٩/١٦ .

(٥) السابق ٢٨٧/١٦ . الفئام : الجماعة الكثيرة من الناس. دعلج : فرس عبد عمرو بن شريح بن الأحوص (أسماء خيل العرب ١٣٧) .

١٢ - يوم هراميت :

كان هذا اليوم بسبب قُلب بين الضِّباب " بني عمرو بن معاوية بن كلاب " وبني جعفر ابن كلاب ، نزل في بئر منها الجليحُ بن شديد الجعفري ليحتفرها ، فانصبَّ عليه الأسود بن شقيق الضِّبابي ، وضر به على أُذنه فحذمها وشجه ، ثم خلَّص بينهما الناس ، فدفعت الضِّبابُ الأسود بن شقيق لبني جعفر ليقتصوا منه فأبت بنو جعفر ، وأرادت أن تأخذ حقها بالقوة ، فالتقوا على هراميت فاقتتلوا ثم تحاجزوا ، وأخذ بنو جعفر يقتلون من لقوامن الضِّباب ، فما طابت لهم نفس .

واستشاطت الضِّباب فلحقت ببني جعفر فأعملوا فيهم القتل الشديد ، وقُتل من الطرفين الكثير وانهزمت بنو جعفر ، وطردتهم الضِّباب خمسة أميال من مكان الاقتتال ، فحجز بينهم الليل فاحتملت الضِّباب قتلاها ، وهابت بنو جعفر ، فأرسلوا النساء يحملن القتلى .

ثم سعى بين الطرفين المصلحون ، فَفَضَلَ لبني جعفر خمسة قتلى على الضِّباب[١] ، وقد نوه بهول ذلك اليوم أحد فرسانه وهو الأَجلح بن قاسط الضِّبابي فقال[٢] :

على هراميتَ تَرَى العجيبا أن تَدعُو الشَّيخ فلن يُجيبا

وطعن في ذلك اليوم معتر ، أصابته الطعنة في جنبه ، فاستغاث بقومه ، أن يشدوه بثوب فما لبث أن مات ، فقال في ذلك الأشتر بن عمارة الضِّبابي[٣] مُظهراً سعادته باعتزازهم وخذلان عدوهم :

عَشيَّة يدعو معتر يال جعفرٍ أخوكم أخُوكُم أجدلُ الشِّقِّ مائلُه

وحين قدم الحجاج المدينة بعد قتله ابن الزبير ، أرسل إليهم عثمان بن عبد الله القرشي فتوعد الفريقين إن هم عادوا لأمر الجاهلية ، فضمن الضِّابيون للجعفريين ما يطلبون .

وقد أُخذ درَّاج بن زرعة الضِّبابي صاحب الأفاعيل في هراميت إلى عبد الملك بن مروان فقتله .

ومما قاله درّاج[٤] وهو في حبسه :

---

(١) النقائض ص ٩٣٧ .

(٢) السابق ص ٩٢٩ .

(٣) النقائض ص ٩٣٠ . أجل الشِّق : مُتدلي الجانب .

(٤) النقائض ص ٩٣١ .

فلا تَخشَعُوا اللقومِ من خشية الردى لكُلٌّ امرىءٍ يوماً حِمَامٌ ومصرع
وإنّي لأخشى من رجالٍ تركتُهُم وراءِيَ أن يُعطوا الذي كُنتُ أمنع
فإن يك ظنّي بالحجازي صَادِقي يقاتلْهُمُ فرداً ولا يتخشعْ
ويَسقِهِمُ كَأساً من الموتِ مُرةً كما قد سقوه مِثلها فتضلع

إنَّ هذه الحمية القبلية جعلته لايتنازل عن أدنى شيء له شأن في تماسك القبيلة وجعلها قوية ، حتى وهو على شفا الموت ، فما كان له أن يُفرِّط في ولائه القبلي ، الذي كان سبب موته ، فهو يريد أن يشفي الغليل ممن زرعوا الغل ، ولو كان تحت الثرى موسداً .

ب ـ الفخر الذاتي :

افتخر الكلابيون بأخلاقهم أوان السلم ، وتباهوا بمظاهر بطولاتهم حين الحرب ، فلقد أظهروا حبهم للكرم ، وكان إكرام الضيف أظهر منا حي كرمهم ، فهذا النَّمر الكلابي يتحمل الجوع من أجل ضيفه ويدخر له من طعامه ، إذ يقول[١] :

وإنّي لأطوي البطن من دُون مَلئه لِمستنبح من سُدفة اللَّيل صائحُ
وإن امتلاءَ البطنِ في حسب الفتى قَليلُ الغنَاء وهو في الجسم صَالحُ

وأربد بن قيس الكلابي يعقر لأصحابه مطيته فيلام ، غير أنه يعتذر فليس أغلى من المطية إلا الصِّحاب فيقول[٢] :

وقد أشعرتنِي جارتاي ملامةً على اللَّهوِ يوماً في القِداحِ وفي الخمرِ
وَعَقْري لأصحابي الغداةَ مَطيتي إذا أرملُوا زاداً بأَبيض ذي أَثْرِ

ويفخر عوف بن الأحوص الكلابي بإيقاده النار بيِّنه ، ليفد إليها الضيف ، ويذكر زجره الكلاب عن القادم إليه احتفاء به كما يفخر بقدره البارزة للعيان ، وقد تحلق الناس حولها وكثروا أوَان الجدب والبرد ينتظرون طعامها ، فقد جُعلت مزاراً لكلِّ مُحتاج ، تديرها فتاة الحي ، وتشعل النيران تحتها ويفخر بذبح النياق إذا لم يكن فيها من الحليب ما يقدمه للضيفان، يقول[٣] :

---

(١) النوادر لابي زيد ص ٤٨٢ . سدفة : ظلمة .

(٢) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٢٥ . أَثْر : موج الضَّوء .

(٣) المفضلية رقم ٣٦ . القواء : خلاء الديار . عافي القدر : بقية الطعام فيها . ذو الفروة : السائل وفروته : جعبته يضع فيها ما يُعطى . الشول : الابل التي ارتفعت ألبانها .

ومُستنبحٍ يخشى القواءَ ودُونهُ ... من الليلِ بابا ظُلمةٍ وسُتُورها
رفعتُ له ناري فلمَّا اهتدى بها ... زجرتُ كلابي أن يهر عَقُورُها
فلا تسأليني واسألي عن خَليقتي ... إذا ردَّ عافي القِدر من يستعيرها
وكانُوا قُعوداً حَولها يُرقُبُونها ... وكانت فتاة الحيِّ ممَّن يُنيرها
تَرى أنَّ قِدري لا تزالُ كأنَّهَا ... لِذي الفروة المقرُور أُمٌّ يزورها
مُبرَّزة لا يُجْعَلُ السِّترُ دونها ... إذا أُخمِدَ النِّيرانُ لاح بَشيرُها
إذا الشَّول راحت ثُمَّ لم تَفد لحمها ... بِأَلبانها ذاق السِّنانَ عقيرها

إنه نُعت للكرم ولوازمه ، وتشقيق لمعانيه ، من أجل إظهار الذات متفردة ، ولو بخصوصية مُعينة في التعامل بخُلُقٍ طالما افتخر به المفتخرون ، ولذا يسوق الشاعر من الشواهد ما يُثبت قوله ، ويزيده حافزاً على الإبانة تلك المرأة التي اعتادوا أن يبرزوا أمامها ، وأن تكون دافعاً إلى الجليل من الأعمال .

ويبلغ الكرم بعبد العزيز بن زرارة الكلابي ، أن يدعوَ الفتية إلى جزر ناقته الوحيدة وتوزيع لحمها ، وهو في حال من السرور حين يقوم على خدمتهم وخدمة غيرهم من الصِّحاب ، وإدخال الأنس على نفوسهم بالهذر من الكلام الحسن ، يقول[1] :

دَعَوتُ إليها فِتيةً بأكفهم ... من الجزر في بردِ الشِّتاء كُلُومْ
إذا ما اشتهوا منها شِواءً سَعى لهم ... به هِذريانٌ للكِرامِ خَدُومُ

وهذا كرم خاص بالأصحاب ، له ما يليق به من مرح وبعد عن التكلف .

ولم يكن الكرم خاصاً بقرى الضيف ، بل يتجاوز ذلك إلى العطاء والرفد ، وترى زوجة معاوية بن مالك الكلابي ضَلال زوجها في إهداره ماله لكل من جاءه ، فهو يُرفد ويعطي ويمنح ويدي ، ويقري الضَّيف ، إنه يرى هذا حقاً واجباً عليه ، فإن وسَمت زوجته عمله هذا بالغوايه فإنها غواية لن يتركها ، وسيمضي في الإكثار منها ، يقول معاوية[2] :

قالت سُمَيَّة : قد غَويتَ بأن رَأت ... حَقاً تناوبَ مَالنا ووُفُودُ
غيٌّ لَعَمْرُكِ لا أزال أعُودُهُ ... ما دام مالٌ عندنا موجودُ

وهنا تكون المرأة داعية للبخل ، وحاثَّة على السيء من العمل .

---

(١) الحماسة لابي تمام ٣٢٨/٢ . هذريان : كثير الكلام فيما يحمد .
(٢) المفضلية رقم ١٠٤ .

وعوف بن الأحوص الكلابي يفخر برحابة ذراعة ، وسعة جوده ، فهو يُعطي ما غلى وضُنَّ به من الإبل ، ويرهن بنيه للإصلاح إذ يقول[١] :

فلولا أنّني رحُبت ذراعي ... بإعطاءِ المفَارِق والحِقَاقِ
وإبسَالي بنيَّ بغير جُرْمٍ ... بعوناهُ ولا بدمٍ مُراقِ
لَقيتُم من تَدَرُّئكم عليّنا ... وَقتل سَرَاتنا ذاتَ العَراقِ

ويتحمل معاوية بن مالك الدية ويسوق الغرامة ، إنّه بفعله هذا يُعَوِّد غيره المكارم ، ويسبق أنداده إلى المحامد ويورث قبيلته المجد يقول[٢] :

حَمَلتُ حَمَالَة القُرَشِيِّ عَنْهُم ... ولا ظُلْماً أَردتُ ولا اختلابا
أُعَوِّدُ مِثلَهاَ الحكماء بَعدي ... إذا ما الحقُّ في الأشياع نابا
سَبَقتُ بها قُدامةَ أو سَميراً ... ولو دُعياَ إلى مثلٍ أَجَابَا
سأَحْمِلُهَا وتَعْقِلُها غَنِيٌّ ... وأُورِثُ مجدها أبداً كِلابا

وكثر في شعرهم الفخر بالأب والأم ، والإعتداد بهما ، كما اعتزوا بأخوالهم ، وأظهروا أنهم نسل أخيار وأبناء أمجاد ، فاشادوا بنسبهم ، وتأصلهم في المجد ، وعدّدوا جوانب من شجاعتهم ، وذكروا ما يبرز جلدهم وتفانيهم .

إنَّ عوف بن الأحوص الكلابي يفاخر في الجاهلية بتأصله في المجد ، وأنه وريث معالٍ، ليست بطارئة عليه ، فمن حقه أن يُباهي بها ويرفع الرأس لها عالياً ، فقد استلم ما أسَّسه أبوه وخاله من مجد ، فهو عزيز الجانبين ، جانب الأب وجانب الأم ، فَحُقَّ له الفخر ، يقول[٣] :

ولكن نِلتُ مَجدَ أبٍ وخالٍ ... وكَانَ إليهماَ يُنمى العلاءُ

وهذا السندريُّ بن يزيد الكلابي يفتخر بآبائه الأحاوص ، وأخواله الغنويين ، ويعلي

---

(١) النوادر لابي زيد ص٤٣١ . المفارق : جمع مُفْرِق : وهي الناقة تفارق ولدها بذبح أو غيره . الحقاق : جمع حِقّ : وهو الذي بلغ أن يركب ، إبسالي : تسليمهم للهلاك ، بعوناه : اجترمناه . تدرئكم : تبغّيكم وظلمكم . ذات العراقي : من أسماء الدواهي .

(٢) المفضلية رقم ١٠٥ . ناب : لزم . قدامة وسمير : من بني سلمة الخير من قشير بن كعب . تعقلها : تؤدي الدية .

(٣) المفضلية رقم ٣٥ .

صوته بذلك ، إذ يقول[١] :

إنّي لمن أنكر صوتي السَّندرِي مَن وَلَدِ الأحوصِ أخوَالِي غَني

وفخر عوف بن الأحوص أيضاً بإخوانه وخيار قومه ، فقال[٢] :

أُولئك إخوتي وخيارُ رَهطي بهم نَهضِي خَشِيْتُ أو امتِناعي

ومن الكلابيين من فخر بالأب دون الأم ، فهذا ثعلبة بن أوس الكلابي يفخر بأبيه المعروف وقبيلته الظاهرة ويشرُف بإظهار اسمهما ، في حال أنَّ هناك من يخفي نسبه ، فهو يقول[٣] :

أَنَا ابنُ كلابٍ وابنُ أوسٍ فَمَن يَكُن قِنَاعُهُ مَغْطِيَّاً فإنّي مُجْتَلَى

وعامر بن الطفيل يفخر بأبيه وعمه ، فأبوه فارس (قرزل) وعمُّه ملاعب الأسنة ، عُرفا ببطولاتهما ، فإذا ما انتسب إليهما فإنما ينتسب لما يزينه ويعلي أسمه ، إذ يقول[٤] :

فأنا المُعظَّمُ وابن فارسِ قُرْزُلٍ وأبو براءٍ زانني ونمانـــي

وله كذلك أبيات ينفي فيها سيادته عن طريق الأب والجد[٥] .

ويُقر الهذيل بن زفر الكلابي بأن أُمَّه أَمَة ، غير أن هذا لا يعيبه ، مادام أبوه قد فضل آباء غيره ، وتميَّز هو على أنداده ، إذ يقول[٦] :

ما فخرُ فَخَارٍ عليَّ وإنما نشأنا وأُمَّانا معاً أَمَتَانِ

أبي كان خَيراً من أبيكَ وأَفضلت عليك قديماً جُرْأتي وبَيَاني

والفخر بالأم منفردة دون الأب جاء على اختلاف متنوع ، فجعفر بن عبد الله بن قبيصة ، أحد الكلابيين المعروف بأمه (عقاب) يُحوِّل المسبة بها فخراً ، فيباهي باسمها ولونها وسببها إذ يقول[٧] :

---

(١) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣١٧ .

(٢) النوادر لابي زيد ص ٤٣١ .

(٣) الانصاف لابن الأنباري ٥١٨/٢ .

(٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٣٩ .

(٥) السابق ص ١٣ .

(٦) جمهرة النسب لابن الكلبي ص٣٦٩ .

(٧) ألقاب الشعراء لابن حبيب (نوادر المخطوطات ٣١٣/٢) .

وضَمَّتني العُقابُ إلى حشاها وخَيرُ الطّير قد عَلِمُوا العُقابُ
فتاة من بني حَامِ بن نُوحٍ سَبَتها الخيلُ غصباً والرِّكابُ

وأكثر القتال الكلابي من أنتسابه للأم الحرة وباهى بها ، ومقت الأَمةَ ، ورآها أدنى يقول[١] :

ثُمَّ التفعتُ بِصَدرِ هَوجَاءِ السُّرَى في لاحبٍ أَقِصُ النِّعاف مُعَبَّدِ
تَعلُو النِّجادَ بِمضرحيٍّ لم يَذُقْ لَبَأ الإِماءِ غَداةَ غِبِّ المَوْلدِ

وفي قصيدة أخرى يقول[٢] :

أنا ابنُ أسماءَ أعمامي لها وأبي إذا تَرَامى بَنُوُ الإموان بالعارِ
أمَّا الإماءُ فَمَا يدعُونني ولداً إذا تُحُدِّثَ عن نقضي وإمراري
لا أرضعُ الدَّهر إلا ثديَ واضحةٍ لِواضح الخدّ يحمِي حَوزَةَ الجار
مِنْ آل سُفيانَ أو ورقاءَ يَمنعُها تحت العجاجة ضَرْبٌ غَيْرُ عُوَّارِ

ويفخر طهمان بن عمرو الكلابي[٣] بأُمه الحرَّة ، التي جمعت بينه وبين الخليفة ، إذ إن أمَّة كلابية :

وقد جَمَعتني وابنَ مَروَانَ حُرَّةٌ كلابيةٌ فَرْعُ كرامٍ غُصُونها

ومما سبق يَبِيْنُ أن فخرهم كان تقليدياً على الإجمال ، ومع هذا فإنه يرسم صورة واضحة لمنهجهم الحياتي ومعتقدهم الروحي ، الذي بدأ جلياً في العصر الراشد حين خفتت فيه مظاهر التباهي لمنزع قبلي ، وحلَّ بدله الفخر لمنزع الأُمَّةِ ، فكان شاهده عتادة وقائده من غير القبيلة، من مثل قول أحد الكلابيين[٤] :

الخيلُ تَشهدُ يومَ دَاهِرٍ والقنا ومُحَمَّدُ بنُ القاسم بن مُحَمَّدِ
أنّي فرجتُ الجمعَ غير مُعرِّدٍ حتى علوتُ عظيمهم بِمُهَنَّدِ
فتركْتُهُ تحت العجاج مُجدَّلاً مُتَعفِّر الخدَّين غير مُوسَّدِ

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص٤٢ . التفعت : تغطّيت . لاحب : طريق واضح . أَقِصُ النِّعاف : يكسر ما ارتفع من نتوءآت الطريق . مضرحي : نسبة إلى جده .

(٢) السابق ص ٥٤ .

(٣) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص٤١ .

(٤) فتوح البلدان ص ٤٢٦ . داهر : عظيم السند .

والملاحظ أن شعر الجهاد والفتوح عند بني كلاب لا يُكون كماً كبيراً ، فهو مُقطَّعات بعضها لا يُجاوز البيت ، غير أنه في عامته سجل وافٍ بتاريخ القبيلة ، وخاصة الحربي .

وإذا كان شعر الفخر لديهم مُواكباً للأحداث الدامية إبَّان العصر الجاهلي ، ومُصوِّراً لما كان من أيام ، فإنه في الإبانة عن أيام الاسلام غير موفٍ .

لكنَّ هذا لا يشي بأنّ بني كلاب لم يفصحوا عن تلك الفتوحات ، فقد كانت لهم مشاركة فيها ، فجاءت إبانتهم عنها من واقع عاشوه ، وحقائق جَرَّبوها ، فأحد أبناء عامر ابن خالد بن جعفر الكلابي يذكر فتح المسلمين لبلاد فارس ، وعقاب ملوكها المفسدين ، على يد الكتائب المؤمنة التي وحّدها الدين الذي جاء به نَبي الهداية محمد صلى الله عليه وسلم، فكان هدف هذه الجموع المجاهدة منع الظلم وإشاعة العدل ، فقد هبّت تلك الكتائب من كلِّ الإجناس ، لا يوحِّد بينها إلا العقيدة فهي تتدافع في نشوة ، يحدوها الشَّوق إلى ما وعدت به ، يقول هذا الكلابي[1] :

وَلَحَيْنَ كِسْرَى بَعْدَمَا وُهِبَتْ لَهُ ... ذِمَمُ المُلُوكِ وَعَاثَ أَمْرَ المُفْسِدِ

رَفَع الهُدَى لِسَمَائِه مَلْمُوْمَةً ... مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا لَمْ يَرْشُدِ

جَأْوَاءَ يَدْفَعُهَا الوَغَى عَنْ نَفْسِهِ ... وإِذَا تُحَدُّ كَتِيْبَةٌ لَمْ تُحْدَدِ

شَتَّى قَبَائِلُهَا لِكلِّ قَبِيْلَةٍ ... سِيْمَاهُمُ وَالدِّيْنُ دِيْنُ مُحَمَّدِ

فَسَلَبنَ نِعْمَتَهُ وَبَيْضَةَ مُلكِهِ ... وَأَرحْنَ دِجْلَةَ مِنْ مَلِيْكٍ مُفْسِدِ

حَتَّى أَرَاهُنَّ السَّوَادَ صَبَاحُهُ ... قُبّاً تَسِيْلُ مِنَ الحِجَازِ الأَسْوَدِ

---

(١) الوحشيات ص ٤٩ . لحين : من لحو العصا وهو تقشيرها . وفاعل لَحَين ربَّما كانت الجموع أو خيلهم التي قد تكون في أبيات سقطت . جأواء : كدراء اللون في حمرة . قُب : ضوامر البطون .

الفصل الرابع

شعر المدح

١ـ مدح الخلفاء

٢ ـ مدح الولاة

٣ ـ مدح القبائل

٤ ـ مدح الأشخاص

٥ ـ مدح رفيق الرحلة .

تمهيد :

كان المدح في العصر الجاهلي خافتاً أمام الفخر ، وقد ظهر على شكلين : شكل المدح التكسُّبي ومثّله النابغة الذبياني ، وشكل المدح الإعجابي ومثّله زُهير بن أبي سُلمى .

وقد كانت دوافع الفخر لدى بني كلاب أقوى من دوافع المدح ، لذا لا حظنا غزارة فخرهم الذي يكاد يكون الغرض الأساسي لشعرهم ، بينما كان المدح يغضُّ من كبريائهم، ويحني قاماتهم .

جاء شعر المديح عند الكلابيين لكل طوائف المجتمع ورجاله المشهورين والمغمورين ، مدحوا الخلفاء والولاة ، والزعماء ، والقبائل ، وكذلك اللُّصوص[١] مدحوهم ، ومن عُرِف بالقسوة من الولاة[٢] مُدِح .

ولم تكن ديار بني كلاب المنتحية عن عواصم الدولة الاسلامية مانعاً من الاتصال بمن أرادوا وأُعجبوا ، فقد تردَّدت أسماءُ الكلابيين في مجالس الملوك والخلفاء ، غير أنهم ندماء أكثر منهم طُلابُ رِفدٍ ، فقد عُرفُوا بعزة النفس والكبرياء[٣] .

وإذا كانت مدائحهم الجاهلية قليلة لدوافع نفسية واجتماعية فإن مدائح عصر صدر الاسلام قد هُذِّبت ، وانتفى عنها ما يخالف تعاليم الدين الحنيف وكانت ذات هدف سامٍ ، بينما تقتفي المدحة الأُموية أصول القصيدة العربية .

وسأحاول فيما يأتي أن أعرض نماذج من تلك المدائح .

١ ـ مدح الخلفاء :

أ ـ مدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لم يكن مدح الخلفاء الراشدين مُبالغاً فيه ، وإنما هو عين الحقيقة ، فقد كانوا يتحلَّون بصفاتٍ جعلتهم مفزع كلِّ مظلوم ونُصرة كل حقٍّ

حين أرسل يزيد بن قيس الكلابي أبياتاً للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو فيها العمال لم يكن يهدف إلى شيء غير الغيرة على المسليمن ، وحفظ أموالهم ، لقد أخذته

---

(١) المناسك للحربي ص ٦١٣ ، في قصيدة لعطية الضِّبابي مدحٌ للصوص وجرة .

(٢) أساس البلاغة (غرض) : مدح أبو الوليد الكلابي الحجاج بن يوسف .

(٣) الحيوان ٦/٧٠،٧٢ .

الحمية الدينية ، وشدَّ من عزمه على قول الحق معرفته بشدة عمر ، وورعه ، لذا قَدَّم لشكواه بأظهر ما يتميز به خليفة المسلمين من صفة ، وهي الأمانة ، إنّها الأمانة التي حملها عن الله لحفظ دينه ، ومن مقتضيات الأمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والشاعر واحد ممن تمثّل قول الخليفة الأول : " فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوّموني .." ، ووعى قول الخليفة الثاني : " ألا وإنّي أنزلتُ نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم .. "[1] لذا كان الشاعر متحمّساً حين قال[2] :

أَبْلِغْ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالةً ... فأنت أمِين الله في النَّهْي والأمرِ

وأنت أمينُ الله فينا ومن يَكُنْ ... أميناً لربِّ العرش يسلَم لهُ صدري

فلا تدَعنَّ أهل الرَّسَاتِيْقِ والقرى ... يُسيغون مال الله في الأُدُمِ الوَفرِ

إنَّ الخليفة ليس كأي شخص ، وإنما هو المؤتمن من الله في تنفيذ شرعة وإقامة حدوده ، ولذا تمكن حُبُّهُ في قُلوب العباد . لقد كان الهدف نبيلاً ، والمدحة واقعية ، ولذا انتفت الفوارق بين المادح والممدوح ، وجاء النهي من الأدنى للأعلى (فلا تدَعن ...) لأن طبيعة المجتمع الإسلامي جعلت منه جسداً واحدا .

ب ـ مدح عبد الملك بن مروان :

يستهل طُهمان بن عمرو الكلابي مدحه للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بذكر الديار وآثارها ، ثم يصف ناقته ويوضح صورة من كرمه ، عندئذٍ يلج إلى مدحته التي لا تُجَاوز أربعة أبيات ، يبدؤها بنداء الممدوح بأحب صفةٍ إلى إمام ، لقد وصفه بأنه خير من بويع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه خير من يزار وتشدّ إليه الرِّحال ، فهو أهل لكل مطلوب ، ثم يحاول أن يتقرب إلى الخليفة عن طريق النسب الواصل بينهما ، فأم الشاعر أختٌ لأُم أبي الخليفة[3] ، ثم بين الشاعر كيف أجهد نفسه وأَبا عره ، يسأل عن الخليفة ،

---

(١) عيون الأخبار ٢/٢٣٤ .

(٢) فتوح البلدان ص ٣٧٧ . الرساتيق : جمع رستاق : السواد والقرى . الأُدم : جمع أديم : وهو الجلد .

(٣) أم مروان بن الحكم هي : آمنة الكنانية (المحبر ص ٢٢) ، وأم ولده بشر بن مروان كلابية هي قُطَيَّة بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة (جمهرة ابن حزم ٨٧) ، وهو ما يدل عليه البيت الآخر للشاعر :

وقد جمعتني وابن مروان حرة ... كلابية فرع كرام غصونها (ديوانه ص ٤١) .

حتى بلغ به الجهد ، وخشي الموت في الفيافي ، والشاعر في كلِّ هذا يبتغي نجاح مسعاه ، فقد بذل ما عليه وعلى ربه تقدير المقادير ، يقول[١] :

يا خَيْرَ من بُسِطَتْ لهُ أيمانُنا ... بعد النبي وخير مأتى زائرِ
أُمِّي عُبيدةُ أُختُ أمِّ أَبِيْكُمُ ... بِنْتَا عُبيدٍ مِن ذُؤابةِ عامر
ما زالتُ أسألُ أين أنت وأنتحي ... عُرض الفلاةِ بصُحبتي وأبا عري
حتّى خشيتُ لأسهبنَّ من الذي ... ألقى ولستُ على المنونِ بقادرِ

لقد جعله ثاني الحكام بعد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، وتلك مغالاة ، ثم ذكر أنه أفضل مقصود لمسترفد وهذا ما يريده الشاعر ، ثم يلحُّ على النسب ، خوفاً من عدم تأثير ما قبله ، ويختم بالإبانة عن أنه أوشك على الهلاك ، ليحَّفز الخليفة على عطاءٍ يُقابل تلك المشقة .

ج ـ مدح الوليد بن عبد الملك :

ومدح طهمانُ بن عمرو الكلابي الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان بأبيات قد تكون منتزعة من قصيدة لم تصل إلينا ، ففي تلك الأبيات يمتدح الشاعر الخليفة بالأم الحرة الكريمة، ويُرجع السبب في شبهه بوالده إلى هؤلاء النسوة وفي هذا مدح للأب ، والمعروف أن أم الوليد عبسية وأم أبيه قرشية وأم جده كنانية[٢] ، وكان لهذه المدحة أثرها إذ كثر أمهات الولد من الإماء الفارسيات والروميات إبان الفتوحات ، وتأثر الناس بالهجنة .

وأكد الشاعر في البيت الثاني خلوص نسب الخليفة ، وفي البيت الثالث جعل بني أمية عامة خيار الناس ، ويبدو أن الشاعر كان مُتهالكاً على الخليفة لأمر كان يقض مضجعه ، ولذلك جاءت مدحته سريعة ، لا تجلي فيها لمعانٍ ، ولا تفرُّد ، إذ يقول[٣] :

لقد أَدَّى الوليدَ إلى أبيهِ ... نَجِيْباتٌ يَقُدْنَ إلى نَجيبِ
فَإماً يَغْلِبَ المقدارَ شيءٌ ... فقد أبليتَ ما يُبلي الصَّليبُ
فمُرْدُ بني أُميَّة خيرُ مُرْدٍ ... وَشِيبُ بني أُمية خير شيبِ

---

(١) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص ٣٢ . عُبيد : هو أبو بكر بن كلاب (جمهرة ابن الكلبي ص ٣٢٢) أُسْهِبَنَّ : أبلغ أقصاه .

(٢) المحبر ص٢٢ .

(٣) ديوان طهمان بن عمرو ص ٣٥، والبيت الثاني فيه إقواء . الصليب : خالص النسب ، أو القوي .

٢ ـ مدح الولاة :

أ ـ مدح الوليد بن عقبة :

كان لبيد بن ربيعة الكلابي قد آلى على نفسه أن يُطعم الناس كلّما هبت الصِّبا ، ولزم هذا في جاهليته وإسلامه ، وأتى عليه حين وهو بالكوفة كان فيه مقترا ، فشعر بهذا والي الكوفة لعثمان رضي ا لله عنه (الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط) فنادى في الناس أن أعينوا أبا عقيل ، ثم بعث إليه بمائة ناقة وأبيات منها[١] :

أَرى الجزَّارَ تُشحَذُ مُديتاهُ إذا هبَّت رياحُ أبي عَقَيلِ

طويلِ الباع أَبيضَ جَعْفَريٍّ كريمِ المجد كالسيف الصَّقيل

فلما سمعها دعا ابنته ـ وكان قد انصرف عن الشعر ـ أن تُجيبه ، فقالت أبياتاً تمتدح فيها إعانة الكرام على مكارمهم ، وتصف فيها الوليد بأنه سخي العطاء ، يعطي الجزل ، قد نماه إلى الكرم أَصالة معدنه ، وطبعه الذي تربى عليه .

غير أن اباها عابها لسؤالها ممدوحها ، فردَّت بأجود من شِعرها ، حين قالت : إنَّ الملوك ليسوا كالسوقة يُستَحى من سؤالهم ، تقول ابنةُ لبيد[٢] :

إذا هَبَّت رِيَاحُ أَبي عَقِيْلٍ دَعَونَا عِند هبَّتها الوليدا

طَوِيْلَ الباعِ أَبيضَ عَبشَمِيّاً أعان على مُرُوَّتِهِ لبيدا

بِأمثَالِ الهضابِ كأنَّ رَكْباً عليها من بني حامٍ قُعُودا

أبا وهبٍ جزاكَ ا لله خيراً نحرنَاهَا وأطعمنا الثَّريدا

فَعُد إنَّ الكريم لهُ مَعَادٌ وظَنِّي بابن أَرْوَى أن يَعُودا

ويظهر أثر الاسلام في جملة الدعاء (جزاك ا لله خيرا) .

لقد بينت أن الممدوح معوان لأبيها على كرمه ، وفي هذا فخر ، ثم أصفت المدح للوليد، الذي عُرف بعاداته الأصيلة ، كما وصفته بالبياض ، وهو معنى رمزي يفيد الوضوح والطهر ، ويضاده السَّواد في كلمة " حام " ، وهو ما يوحي بالجزالة في هذا اللون .

إن تلك الصِّفات معهودة ، غير أن ماجدَّ فيها هو الدُّعاء ، وقد غضّ من مدحها

---

(١) الكامل للمبرد٣/٦٢ .

(٢) السابق ٣/٦٣ . أبو عقيل : لبيد بن ربيعة (طبقات فحول الشعراء ١/١٣٥) . عبشمي : نسبة إلى عبد شمس بن عبد مناف . عدان : أصل الشيء وأوله . أروى : أم الوليد .

إشارتها إلى أن كرم والدها لا يتم إلا بمعونة ، ولذا كان الخطاب : " نحرناها ... " مُوحياً بأنهم أداة لتنفيذ مراد الآخرين ، إنّه الضعف بعد القوة .

ب ـ مدح خالد بن عبد الله القسري :

في هذا المدح لسان يشكو ، وحال يئن ، وعضٌّ سنين أحوج الكرام إلى طرق الباب ، وألجأهم إلى الاستجداء ، ها هم بنو كلاب يُرْقلون الرواحل ، وينيخون بباب خالد بن عبد الله القسري البجلي والي مكة والعراقين لبني أُمية[1] ، فيمتطي أحدهم لسانه ، قد أجدَّ رواحله بيضاً تشي بالبشرى إلى الممدوح ، واختصَّه بالقصد دون غيره ثقة في عطاه ، وقطع الفيافي لا يعبأ بكلل ولا يني لها من تعبٍ حتى غدت ضُمَّراً يُبَّسَا ، وحين أحسَّ بأنّ هذا المقام قد يعاب التفت إلى أُبهتهم على إبلهم فافتخر بمن عليها ، ناسباً إياهم إلى قمة بني عامر ، مبيناً ما حداهم إلى المجيء وطلب العطاء ، فذكر أن جدب السنين الذي ضرهم ألجأهم إلى ذلك ، ولولا الضرر الذي أصابهم لما وقفوا هذا الموقف وهم أكابر بني عامر .

أبيات الشاعر أربعة ، وصف الإبل في أولها ، واعتذر عن مجيئهم في ثانيها ، ومدح في ثالثها ، وقنع في آخرها ، وهذا مُظهرٌ عدم استمرائه للمديح ، ومُبينٌ أنه ليس من أهله ، وإنما الحاجة أحوجته ، يقول الكلابي[2] :

إليك ابن عبد الله بالحمدِ أرقَلَت ... بنا البيدَ عيسٌ كالقسيِّ سَوَاهمُ
عليها كرامٌ من ذُؤَابة عامرٍ ... أضر بهم جدبُ السنينِ العَوَارِمُ
يُرِدنَ امرءاً يُعطي على الحمد مالهُ ... وهانت عليه في الثناءِ الدَّرَاهمُ
فإن تُعطِ ما نهوى فهذا ثناؤُنا ... وإن تُكن الأُخرى فما لام لائِمُ

---

(١) عبد الله القسري واحد من خطباء العرب وأجوادهم ولي مكة سنة ٨٩هـ للوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥هـ ، قتل في أيام الوليد بن يزيد ، وقد هجاه الفرزدق (وفيات الأعيان ٢/٢٢٦) .

(٢) الأخبار الموفقيات ص ٧٩ . أرقلت : جَدَّت وأسرعت . عيس : بيض ، أو كريمة . سواهم : ضامرة. العوارم : الشديدة .

جـ - مدح الصّميل بن حاتم الكلابي[١] :

هـذا مـدحُ كلابـي لكلابـيٍّ رأس في الأندلـس ، وأصبـح مـن دهاتهـا ، ومـع أن المـادح والممدوح أندلسيان ، فقد جاءت معاني الشـاعر أبـي الأجـرب جعونـة بـن الصّمـة الكلابـي محتذية القديم ، على الرغم من أن الشاعر ترك دواعي تلك المعاني في جزيرة العرب ، وسكن الأندلس إبان العصر الأموي ، غير أن تلك البيئة الجديدة لم تُغير فيه شيئاً ، فهـو يُردِّد النمـط الجاهلي سواء في الألفاظ أو المعاني ، فقد مدح الصميل بأنه وريث عزٍّ شامخ بناه لـه أجـداده الماضون ، وهو كريم في نسـبه العدنـاني ، وتلـك معـاني مقلـدة ، تشـير إلى بقـاء أثـر الشـعر الجاهلي ، في اذهان راضعية ، مهما بعدوا عن موطنه ، إنه يقول[٢] :

بَنَـى لـك حـاتمٌ بيتـاً رفيـعاً ... رأيـنَـاهُ علـى عُمُـدٍ طِـوَالِ
وقد كان ابتنى شَمِرٌ وعمروٌ ... بُـيُـوتاً غـير ضاحيةِ الظِّـلالِ
فأنتَ ابنُ الأكـارم من مَعَدٍّ ... بمُعـتلـجِ الأبـاطح والـرِّمـال

ويتضح أثـر القصيـدة الجاهليـة بوضـوح في أبيـات جعونـة الأخـرى الـتي قالهـا في أميره السابق، فالشريعة والمورد ، والمجد والجود ، والفـارس والسيف ، كلهـا جزئيـات أساسـية في القصيدة الجاهلية ، طالما تداولها محبُّو المنهج العمودي للشعر العربي .

ونكاد نجزم بأن الأبيات التالية ، هي نبع القريحة الجاهلية ، لولا أنها نسبت لشاعر أموي إسمه جعونة الكلابي ، يحاكي أجداده في إبداعه ، فهو يقول[٣] :

دُون الصُّمـيل شـريعة مَـوْرُوْدَةٌ ... لا يسـتطيعُ لهـا العـدوُّ وُرُودا
فُتَّ الورى وجمعت أَشتات العُلاَ ... وحـويتَ مجَـداً لا يُنالُ وجـودا
فإذا هَـلَكتَ فـلا تَحَـمَّلَ فـارِسٌ ... سـيفاً ولا حَمَلَ النِّسـاءُ وليدا

وبإمكاننـا بعـد هـذا أن نسـتدل علـى أن الشـعر الكلابـي في الأندلـس لا يُشـكل تيـاراً مستقلاً، أو يبين بصفات مُغايرةٍ لأوصافه المشرقية ، إذ الاحساس يُوَحِّدُ الشتات .

---

(١) هو الصُّميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الضِّبابي ، نزل الأندلس أيـام بـني أميـة ، فكـان أحـد الأمراء بها (الحلّة السيراء ٦٧/١) .

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة ٣٤٧/٣ ، وفيه " تعتلج " .

(٣) السابق ٣٤٧/٣ .

٣ ـ مدح القبائل :

أ ـ مدح بني عمرو الغنويين :

يصف الشاعر في أبياته التالية قوماً نزل بهم ، وقيل إنه مديح لثلاثة إخوة من غني كانوا مُقلّين ، فجعلوا له في كل سنة ذودا[١] ، وذكر البكري أنه لما تنازع بنو جعفر وبنو أبي بكر الكلابيّون في قنيع ، كلٌّ ادعاه حكم بينهم سلمة بن عمرو بن أنس فقال : إنه مات لاحق للفريقين فيه فرضوا جميعاً ، فمدحه شعراؤهم ، فقال عقيل العرندس[٢] .. وفي السمط : " وإنما أنكر أبو عبيدة أن يكون كلابي يمدح غنوياً ، لأن فزارة كانت قد أوقعت ببني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ثم أدركتهم غنيٌّ فاستنقذتهم ، ففي ذلك يقول طفيل الغنوي :

وحَيَّ أبي بكرٍ تداركنَ بعدما أذاعت بِسَربِ الحيِّ عنقاءُ مُغرِبُ

.. فلما قتلت طيء قيس الندامى الغنوي ، وقتلت عبس هُريم بن سنان الغنوي ، استغاثت غنيٌّ ببني أبي بكر وبني محارب ، فقعدوا عنهم ، ولم يحلبوهم ، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين متغاورين "[٣] ، ومماسبق يظهر أن الممدوحين من بني عمرو الغنويين ، وأن سلمة ـ حكم قنيع ـ قد يكون منهم ، يقول عقيل بن العرندس أحد بني عمرو بن عبد بن أبي بكر بن كلاب[٤] :

يا دارُ بينَ كُلَيَّاتٍ وأظفارِ والحمَّتينِ ، سقاك اللهُ من دارِ

---

(١) الكامل للمبرد ٧٨/١ .

(٢) معجم ما استعجم ص ٨٦٢ ، وقد اختلف في اسم الشاعر فقيل عقيل ، وقيل عبيد ، وقيل العرندس .

(٣) سمط اللآلي ص ٥٤٦ .

(٤) الكامل للمبرد ٧٨/١ ، الحماسة الشجرية ص ٣٥٨ . كُليات : كُلية : آبار في واد يأتي من شمنصير بقرب الجحفة (معجم البلدان) . أظفار : أبيرقات حمر في ديار فزارة (السابق) . الحمّتين: حمتا الثوير ، والثوير : أبيرق أبيض في ديار بني أبي بكر بن كلاب (بلاد العرب ١١٤،١١٧) . الرمث : نبات تأكله الإبل . أجلى : هضبة في فلاة ماءٍ يقال له الثعل : بلاد العرب ١٠٠) . عقايل : جمع عقيلة : وهي الكريمة المخدرة ، عِيْن : جمع عيناء : وهي واسعة العين ، أو النصفة في سنّها . زارٍ : عائب . أنفال : عطايا . أخطار : أي يحذرهم عدوهم . هينون: متئدون نئا : ذكر . شُهموا : دُعوا للشهامة . أذمار : شجعان . غير أغمار : مجربون .

على تقادُمِ ماقد مرَّ من عُصُرِ ... مع الذي مرَّ من ريحٍ وأمطارِ
عنا غنيتِ بذاتِ الرِّمثِ من أجلى ... والعهدُ منك قديمٌ مُنذُ أعصارِ
وقد نرى بكِ والأيامُ جامعةٌ ... بيضَاً عقايل من عينٍ وأبكارِ
فيهن عَثْمَةٌ لا يمللن عشرتها ... ولا علمن لها يوماً بأسرارِ
إذ يحسبُ الناسُ أن قد نلتَ نائلهاَ ... قدماً وأنت عليها عاتب زارِ
بل أيها الراكبُ المفني شبيبتهُ ... يبكي على ذات خلخالٍ وإسوارِ
خبر ثناءَ بني عمروٍ فإنهمُ ... أولُو فُضُولٍ وأنفالٍ وأخطارِ
هينونَ ليِّنُونَ أيسارٌ ذوو كرمٍ ... سُوَّاسُ مكرمةٍ أبناءُ أيسارِ
فيهم ومنهم يعد المجدُ مُتَّلِدَاً ... ولا يُعَدُّ ثنا خزيٍ ولا عارِ
لا يظعنونَ على العمياء إن ظعنوا ... ولا يمارون إن ماروا بإكثارِ
وإن تلينتهمْ لانوا وإن شُهِمُوا ... كشفت أذمار حربٍ ، غير أغمارِ
إن يُسألوا العرف يُعْطُوْهُ وإن جُهِدوا ... فالجهد يَكشِفُ منهم طيبَ أخبارِ
من تلقَ منهُم تقل لاقيت سيِّدهم ... مثلَ النُّجومِ التي يَسريْ بها الساري

إن القصيدة قد بدأت بذكر الديار وما تداولها من ريح وأمطار ، ثم تذكّر عهداً مضى ، وحباً كان شُغل شبابه ، وتخلص من ذلك ، حينما عاب نفسه في البكاء على الخِلِّ ، والانصراف عن المهم ، وكان سبيله إلى مديحه بل الإضرابية ، التي فصلت بين المقدمة والغرض .

كان مديحه قائماً على وصفهم بالكرم والعطاء من يسر ، كما أنهم ذوو أخلاقٍ حميدة ، منها اللين والشهامة ، الأئمة إلى المكارم ، أولو عقول حكيمة ، عُرفوا بالشجاعة ، وجربوا الحروب ، مجدهم قديم ، وسيادتهم متأصلة ، لذا تبدت إمارتها في كل فرد منهم ، فمن لقيت حسبته السيد فيهم ، ثم يشبههم بالنجوم التي يُقتدى بها .

والملاحظ أن تلك الصفات قد تداولها الشعراء ، لكن شاعرنا أتى بها في حالٍ من الاعجاب والاكبار ، مُكثراً من صفات السلم لممدوحيه إذ المقام يقتضي ذلك ، فالممدوحون دُعاة سِلم ، وجانب التعقل واضح فيهم ، وصفات الرزانة والهدوء بادية عليهم ، وهذا دليل سيادتهم وأهليتهم للقيادة .

وإذا نظرنا إلى هذه الأخلاقيات التي أبرزها الشاعر فإنا نجدها أخلاقاً كريمة أيدها الاسلام وحض عليها ، وذلك مُنبيءٌ بالأثر الديني على الشاعر وممدوحية ، ولذا أتى الخطاب سلساً رقيقاً مظهراً ما وراءه من مشاعر لطيفة كانت ديدن المجتمع الاسلامي .

ب - مدح بني قيس بن جزء الكلابيين :

يتوجه الشاعر بمدحه لبني قيس بن جزء بن خالد بن جعفر الكلابي ، فيذكر أنهم يحمون الجار ويمنعون الضيم ، ويعزُّون الضيف ، فهو آمن في جوارهم ، وإبله تمشي مدلة بخيلائها في حماهم ، ثم يُعلنُ شهادة لامراء فيها أن ممدوحيه لا يردون لاجئاً حَلَّ في ديارهم ، فما من ظعينة وطئت أرضهم إلا أُمِّنَت ، يقول ابن حفص الكلابي[١] :

ولولا بنوقيسِ بن جزءٍ لما مشت ... بجنبي ذقانٍ صرمتي وأدلَّتِ

فأشهدُ ما حلَّت بهم من ظعينةٍ ... من الناس إلاّ أُومنت حيث حلتِ

إن عز أولئك القوم ليسري على الناس والحيوان ، فالناس تسكن آمنة ، والحيونات تمشي مُختالة ، وهذا مبلغ المدح .

ويظهر الشاعر صدق مدحه حين ذكر أن هذا المدح شهادةٌ معلنةٌ ، ليثبت معايشته الحقيقية لهؤلاء القوم .

إن مدح الشاعر الكلابي لكلابيين دليل صلة بينهم وحسن قربي ، بالرغم من أن النزاعات بين الكلابيين كانت قائمة .

جـ - مدح بني واهب الكلابيين :

قدم الشاعر لمديحه ببيتين تحدث فيهما عن الديار التي تسفو عليها الرياح ، ثم بدأ مدحه بفعل الأمر " تحمل فجاور بني واهب " وهذا دليل على أن ليس هناك أفضل من جوارهم ، فالشاعر يُعلن ذلك في اقتناع لا تردُّ فيه ، ثم يذكر أنهم ذوو مناقب وشرف ، وأنَّ فتيانهم أماجد ، قد اتسموا بجمال المحيا وكريم الأدب ، إنها صفاتُ الجار السوي ، يقول ثعلبة بن أوس الكلابي[٢] :

هل تعرِفُ الدَّارَ بوادٍ من ... أسودِ العينِ إلى جنبِ الخرب

---

(١) بلاد العرب ص١٤٧ . ذقان : هما ذقانان ، أحدهما لبني عمرو بن كلاب ، والآخر لبني أبي بكر بن كلاب ، (معجم ما استعجم ص ٦١٤) . صرمتي : الصرمة : القطعة من الابل .

(٢) بلاد العرب ص ٢٠٧ . أسود العين : جبل بنجد (معجم البلدان) .. في أرض بني وبر بن الأضبط (معجم ما استعجم ص٨٦٨) . الخرب : خرب العُقاب : أبرق بين سجا والثعل في ديار بني كلاب (السابق) بنو واهب : واهب بن وبر بن الأضبط ، وهو كعب بن كلاب (جمهرة النسب للكلبي ٣٣١) .

تَجُـرُّ بـه الـريـحُ أذيالهـاَ كجرِّ النسَـاء ذُيُول النُّـقـب
تحمل فجـاور بـني واهـبٍ هناك تُلاقي جسيم الحَسَبِ
فكـم فيهـمُ مـن فتىً ماجدٍ جميل المُحيَّا كـريـمِ الأدب

إن الاشارة بـ " هناك " تدل على عظمة الممدوحين وتفردهم في تلك الصفة ، التي تَعْتَـدُّ بها العرب ، وتأتي " كم " التي تدلُّ على التكثير ، لاظهار شبابهم الذين جمعوا بين صفتـين ، إحداهما في المظهر والأخرى في المخبر ، وهو ما يشي بكمال .

د ـ مدح بعض بني حنيفة :

كان رجل من بني نفيل بن عمرو بن كلاب قد أتى عمير بن سـلمى الحنفـي في اليمامـة مستجيراً به فكتب له على سهمه " إني جار لفلان " وكان للكلابي أخ صبيح الوجـه ، وقـد أنذره أخٌ لعمير اسمه قرين أن لا يقرب نساءهم ، فلما كان أحد الأيام رآه قريـن يُكلـم امـرأة فيهم ، فرماه بسهم قتله ، وكان عمير غائبـاً ، فـأتى أخـو القتيـل قـبر سُـلمي الحنفـي عـائذاً به[1]، وقال[2] :

وإذا استجرت من اليمامةِ فاستجرْ زيـدَ بن يـربُـوع وآل مُـجـمَّـعِ
وأتيـتُ سُـلميـاً فـعـذتُ بـقـبرهِ وأخُـو الـزمـانـةِ عـائذٌ بالأمنعِ
أقُـريـنُ إنـك لو رأيـتَ فـوارسـي بعـمايتينِ إلى جـوانـبِ ضـلفـعِ
حـدثـت نفسـكَ بالـوفـاءِ ولم تكن للـغـدر خـائـنـة مُغـل الإصـبـعِ
وعـلـمـتَ أنـك إذ لجأت إلـيـهمُ بَهَشَـت يـداك إلى وحاً لم يُصـقـعِ

وتتابع السفراء على الكلابي يرجونه العفو عن قاتل أخيه ، ويُضـاعفون لـه الديـة ، فمـا رضي فساق الحنفي أخاه إلى الكلابي ليقتص ، فَعُدَّ عمير الحنفي لذلك من الأوفياء .

---

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقي ص٣١٤ .

(٢) المحبر ص٣٥١ . زيد بن يربوع : من أجداد صاحب القبر (جمهرة ابن الكلبي ص٥٤٢) آل مجمع: مجمع بن زيد بن يربوع (السابق) الزمانـة : الضـرر يـدوم . عمايتـان : جبـلان : عمايـة العليـا ، اختلطت فيها الحريش وقشير والعجلان ، وعماية القصيا لنهم شرقيها ، ولباهلة جنوبيها وللعجلان غربيها ، وقال أبو زياد الكلابي : عمايـة جبـل بنجـد في بـلاد كعـب للحريـش وحـق والعجـلان وقشـير وعقيـل (معجـم البلـدان) ، وقـال محقـق بـلاد العـرب ص٢٣٤ : عمايتـان تعـرف الآن بالحصاتين . ضلفع : ماء لبني عبس (معحم ما استعجم ، لبنى) بهشت : امتدت . وحاً : صوتـاً لا يفهم . يصقع : يُرفع .

وقد أصَّل الشاعر لصفة الجوار التي يتمتع بها الممدوح ، ليحفزه على ضمان حقه ، وذلك حين أثبت ذلك الجوار للأجداد ، ثم جعل قبر الأب ملتجأً يحمي ، وممتنعا يقي الضرر ويبدو أن هذا في الجاهلية ، ولم يكتف الشاعر بالرفع من قدر الآباء ، ليقوي من عزم الابن على الوفاء ، وإنما هدد وتوعد مخاطباً القاتل ، ومريداً قومه ، ففي قوم الشاعر فوارس لا يستهان بهم ، وبهم يُلوِّح الشاعر ، ويشتد ظهره ، غير أنه ليس بواثق من النصرة وإلا لما التجأ للقبر .

لقد كان لهذا المديح المدبَّج وعيداً ثمرٌ ، منه المر ، ومنه الحلو ، فمراراته قتل الأخ ، وحلاوته الفخر بالوفاء أبد الدهر ، ولذا قال عمير أخو[1] المقتول :

قَتَلنا أخَانَا للوفاءِ بجارِنا وكانَ أبُونا قد تُجِيرُ مَقَابِرُهْ

فقالت أمه[2] لائمة :

تَعُدُّ معاذِرَاً لا عُذر فيها وَمَنْ يَقْتُلْ أخاه فقد ألا ما

هـ - مدح بني كليب بن يربوع :

هذا مدح اختلط بعتاب ، فالشاعر يمدح جيرانه ، ويذم قومه ، فهو يُقابل بين صنيعين ، إحسان أباعد ، وإساءة أقارب ، لقد جعله بنو كليب التَّمِيْمِيُّون ، واحداً منهم ، وامتطوا خيولهم إلى نصرته ، وألجموها في طُنبِ بيته ، على حين تركه قومه ومن والاهم يعاني المشقة، وقد دعا الشاعر لجيرانه المحسنين بالجزاء الخير من ربه ، وهذا المعنى مما عليه بنو كلاب ، وكان أثراً لما تشربوه من معانٍ إسلامية ، ولم يكتف الشاعر بذلك الدعاء ، وإنما طلب لهم المزيد من الحمد ، لأنهم - دون غيرهم - أحسنوا جواره وأعزوا جنابه ، فلهم الحمد مضاعفاً ، كما ضاعفوا إكرامه ، يقول مربع بن وعوعة الكلابي[3] :

جَزَىَ ا لله خيراً - والجزاءُ بكفهِ - كُليبَ بن يَربُوعٍ وزَادَهُمُ حَمْدَا

هُمُ خَلَطُوْنَا بالنُّفوسِ والجَمُوا إلى نَصر مَوْلاَهُمُ مُسَوَّمَةً جُرْدَا

على حين خَلَّتنا سُليمٌ وعامِرُ بجرداءَ زادتنا على جُهدنا جُهدا

إن المدحة هنا قائمةٌ على أجلِّ شيئين وجدهما الشاعر ، وهما رحابة صدر ، وبسطة يد.

---

(١) الاقتضاب ٢٨٣/٣ .

(٢) الديباج لأبي عبيدة ص٥٦ .

(٣) لباب الآداب ص ٢٦٨ .

٤ ـ مدح الأشخاص

أ ـ مدح أوس بن حارثة بن لام الطائي :

كان أوس بن حارثة بن لام الطائي قد أغار على هوازن في بلادهم فسبى منهم سبياً فقصده أبو براء : عامر بن مالك (بن جعفر الكلابي) فيهم فأطلقهم له وكساهم ، فامتدحه عامر بما يُنبيء عنه أوان سلمه وحين الحرب ، فهو جزل العطاء كريم ، عريق النسب في طيء، سريع إلى بذل المعروف ، وهو في الحروب صاحب تجارب لا يكل عنها ، ولا يتباطى إليها ، وإذا ما خاضها كان به الغناء .

وقد أفصح الشاعر عن سبب مديحه فقد كان فكُّ أسرى هوازن قبل أن يُتكلم فيهم مبادرة إلى المعروف أثرت في الشاعر فسجلها ، وهذا يوضِّحُ أنَّ المدح لم يكن مطمحاً مادياً ، وإنما هو شكر على معروف وقد أنصف الشاعر عدوه حين نعت رجالهم بالفروسية " أدركتهم فوارسُ طيء " وأرضى غرور زعيمهم واعترف بهزيمة قومه من خلال كلمة " أدركتهم " المنبئة عن فرارهم ، ويبدو أن الشاعر قد جاء منكسراً في حال من الضعف .

وقد قدم لمديحه بما يُظهر عناه إليه ، وعنى رواحله ، ليبلغ في نفس الممدوح حق الإكرام وواجب الوفادة وينال ما جاء من أجله ، يقول عامر[1] :

ألم تَرَني رحلتُ العِيْسَ يوماً ... إلى أوسِ بن حارثة بن لامِ
إلى ضخمِ الدسيعةِ مذحجيٍّ ... نَمَاهُ من جديلةَ خيرُ نامِ
وفي أسرى هَوَازنَ أدركتهم ... فوارسُ طيءٍ بلوى برامِ
تقربَ ما استطاعَ أبو بُجير ... وفكَّ القومَ من قبلِ الكلامِ
فما أوسُ بنُ حارثة بن لامِ ... بغُمرٍ في الحرُوب ولا كهَامِ

---

(١) معجم البلدان (برام) . أوس بن حارثة : سيد طيء وفد على عمرو بن هند والنعمان بن المنذر ، عابه بشر بن أبي خازم بأمه سعدى ثم مَنَّ عليه فعاد بشر مادحاً له (الكامل للمبرد ٢٣١/١ ، الشعر والشعراء ٢٧١/١) . ضخم الدسيعة : جزل العطاء . مذحجي : نسبة إلى مذحج : أكمة ولدت دلة عندها ابنها جُلهمة المعروف بطيء (أدب الخواص ص١٤١) . جديلة : من بطون طيء (جمهرة ابن حزم ص٤٧٦) . برام : في ديار بني عامر (معجم ما استعجم) ، وجبل في أسفل وادي الخرمة (المعجم الجغرافي ، عالية نجد) غمر : غير مجرب . كهام : كليل ، بطيء لا غناء عنده .

ب ـ مدح أُحيحة بن الجُلاح الأوسي :

هذا مدح لسيد المدر ، وكبير الأوس : أحيحة بن الجلاح ، من دهاة العرب وشجعانهم امتدحه خالدُ بن جعفر الكلابي بأربع خصال صارت لها حرزا ، فحين كان الشرُّ بين عبس وعامر عقب قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة ، خرج قيس بن زهير العبسي إلى المدينة ليتجهز للقتال ، فأتى أحيحة فطلب درعه بيعاً أو هبة ، فقال : ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه ، ولولا أني أكره أن استلئم إلى بني عامر لوهبتها لك ولحملتك على سوابق خيلي، ولكن اشترها بإبن لبون فإن البيع مرتخص وغال ، فقال قيس : وما تكره من استلآمك إلى بني عامر ، قال كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول[1] :

إذا ما أردتَ العزَّ في دار يثربِ ... فنادِ بصوتٍ يا أُحيحةُ تُمنعِ
رأينا أبا عمرو أُحيحة ، جارُهُ ... يبيتُ قرير العين غير مُروعِ
ومن يأته من خائفٍ ينس خوفهُ ... ومن يأته من جائع البطن يشبعِ
فضائل كانتِ للجُلاحِ قديمةً ... وأكرم بفخرٍ من خصالكَ أربعِ

فقال قيس : يا أبا عمرو ما بعد هذا عليك من لوم ..

إن رواية الممدوح لتلك الأبيات دليل على وقعها الحسن في نفسه ، ولذا فهو يرويها مفتخراً .

ولم لا يفتخر وقد جُمعت له أعظم الخصال : عزُّ ومنعة ، وكرم جوار ، وأمن خائف ، وإشباع جائع ، إنه عزيز يثرب كلها إبان الجاهلية ، وإن من ضيم فناداه كفاه ذلك منعة ، وإن العين لتقرُّ هنيةً بجواره وما خائف التجأ إليه إلا أحس بالطمأنينة ، وما أتاه جائع إلا شبع، فقد عُرف بالغنى وكثرة الأموال والبساتين وكل تلك الصفات كانت عماد الزعامة في الجاهلية ، وعليها مدار المدح والفخر عندهم .

جـ ـ مدح مالك بن حمار الفزاري :

بدأ عامر بن الطفيل مدحه مالكاً بمدح شخص اسمه خذام بن زيد ، لم يخلص المدح له ، بل دبَّجه ذماً ، فقد وصفه بأنه يجير ويمنع ، غير أن ذلك مشروط بقبوله جوار من يستجير به، فجواره خاص وليس عاماً ، وقد يكون لأُناس دون أناس .

---

(١) مجمع الأمثال ١/٢٠ .

ووصف ممدوحه مالكاً[١] بأن من أجاره فلن يضام ، لِعِزَّته في الناس ، وذكر أن له عليه يدا، فقد اهتز للندى وأجاب الدعوة حين اختص بها ، وشبهه بالسيف في ذلك ، كما شبهه بسنام الناقة ، لرفعته في فزارة ، ثم بين دافع المديح ، فقد دفع عنه خصومه الذين سددوا إليه رماحهم .

إن تلك المدحة سداد دين على الشاعر ، واعتراف بفضل ، ولذلك تبدى صدقها من خلال وصف الممدوح بالإهتزاز للندى ففي الحركة تجسيد لتأثر فاعلها ، وانبهار راصدها ، يقول عامر[٢] :

إذا شِئتَ أن تلقى المناعةَ فاستجِر ... خذامَ بن زيدٍ إن أجارَ خذامُ
دعوتُ أبا الجبَّارِ أختصُّ مالكاً ... ولم يكُ قدماً من اجرتَ يُضامُ
فقام أبو الجبَّارِ يهتزُّ للندى ... كما اهتز عضبُ الشفرتين حُسامُ
وكُنتَ سَنَاماً من فزارة تامكاً ... وفي كلِّ قومٍ ذِروةٌ وسنامُ
فنَكَّبتَ عنّي الشارعين ولم أكن ... مَخَافَةَ شرِّ الشارعين أنامُ

د ـ مدح محمد بن المنذر :

محمد بن المنذر من وجوه آل الزبير ، كان يقال له : سيد قريش ، وكان إذا مر في الطريق أُطفئت النيران تعظيماً له[٣] ، سكن المدينة في خلافة يزيد بن معاوية ، وضربه ولي شرطتها لأنه كان يهوى هوى ابن الزبير[٤] .

وكان الذبيب الضِّبابي قد حُبس في سجن المدينة هو وجماعة من الضباب ، ثم أخرجوا عراة حفاة ، فمروا ببقيع الزبير يستحملون ويشكون عريهم وانقطاعهم عن قومهم ، فحملهم وكساهم وزودهم[٥] ، فامتدحه الذُّبيب الكلابي بالجود والسخاء والتقوى ، كما ذكر أن

---

(١) مالك بن حمار : سيد شمخ بن فزارة قتله خفاف بن ندبة ثأراً لمقتل معاوية بن عمرو الشُّريد ، في يوم حوزة ، وكان لسليم على غطفان وفزارة (الديباج ص ٤٣، العقد ١٦٣/٥) .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٢٦ . عضب : قاطع . فزارة : قبيلة من ذبيان (جمهرة ابن الكلبي ص ٤٢٨) . تامك : عظيم . الشارعين : المسددِّين الرماح .

(٣) المعارف ص ٢٢٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٣٤٤/٥ .

(٥) نسب قريش للزبيري ص ٢٤٤ .

ممدوحه وريث النبي صلى ا لله عليه وسلم[١] ، إذ يقول[٢] :

ألا أيها الباغي النَّدى ووراثة النَّـ ـبيِّ وتقـواه عليك ابـنَ مُـنـذِرِ
طوى البُعدَ عنا حين حَطَّت رِحَالُنَا بقُرحِ العوادي كالأهـلـة ضُـمَّـرِ

وفي وصف الممدوح بوراثة النبي تذكير لنا بمدائح المتشيعة لعلي رضي ا لله عنه .

وفي البيت الأخير ذكر أثر العطاء ، وهو أثر نفسي جاء مؤثره سريعاً ، كمـا أن ضُمُـور إبل الرحلة وإنحنائها شاهد عناء ، وموجب عطاء ، والتشبيه بالأهلة موحٍ بتفاؤل ومنبيء عن أمل .

هـ ـ مدح عبد ا لله بن حنظلة الكلابي :

هذه المدحة أطول المدائح لدى شعراء بني كلاب ، إذ تبلغ أبياتها عشرين بيتا بدأها القتَّال الكلابي بذكر طعن الحبيبة التي شبهها بالظبية ، ومضى يصفها ، واستغرق ذلك أربعة أبيات ، ثم انتقل فجأة إلى مدح عبد ا لله الجعفري ، مستخدماً فعل الأمر " دع " واصفا الممدوح بالمعرفة ، والسخاء ، وكرم الطباع ، ومبيناً إمرته للقوم ، وحسن قيامه بذلك ، مشبِّها ناره التي تُضيء الليل ، ويتوارد عليها القوم بالثور الوحشي يصير هدفاً لكلِّ فقير ، قد ورث المجد عن فحول سبقوه ، ولم يكن له طارئاً ، يُقر له بالفضل كل من نازعه سباق إلى غايته بكل وقار ، وإن عُضّ كان سيفاً قاطعاً ، وُهِبَ قوة حدس يتبين بها الآتي قبل وقوعه .

يقول القتال الكلابي[٣] في مدحته مبتدئاً بالغزل شاكيا رحيلها ، مستطرداً إلى وصف الظبية شبيهتها :

ظعنت قَطَاةُ فما تقُولُك صانعاً وقعدتَ تشكُو في الفؤادِ صوادعا
وكأنَّـهـا إذ قَـرَّبـت أجمـالَـهَـا أدمَـاءُ لم تُرشِـحْ غـزالاً خـاضِـعـا
بغمت فلم يُصحب لها فاستقبلت من عاقلٍ شُـعباً يسلـنَ دوافِـعَـا

---

(١) الزبير بن العوام جد الممدوح ، حواري رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، وابن عمته (جمهرة ابن الكلبي ص ٦٩ ، الاعلام) .

(٢) نسب قريش ص ٢٤٤ .

(٣) ديوان القتال الكلابي ص ٦٨ . ترشح غزالاً : تدفعه أمامها برأسها . خاضع مرخ رأسه . بغمت: البغام : صوت الظبية ، يُصْحِب : ينقد . عـاقل : واد مـن دون بطـن الرمـة (معجـم البلـدان) . سوالف : جانبا العنق . عوهج طويلة . البرير : ثمر الأراك .

ظلّت تعجّبُ من سوالفِ عوهَجٍ أدمـاءَ تلتقـطُ البريـر اليـانِعَا

ثم نُحرم فجأة من هذه المقدمة الفنية ، حين انتقـل بنـا انتقـالاً سـريعاً ، لا تمهيـد لـه إلى غرضه المدحي ، إذ تصدِمُنا كلمة " دع " التي تعني الصرامة في الإنبتات ، وتُبادرنـا إثـر ذلـك صفات الممدوح ، وما عُرف عنه من ثناء :

دع ذا ولكن حَاجَتي من جعفرٍ رجُـلٌ تَطَـلَّعَ للأُمُـورِ مَطَـالِعَا

يَهنَا ابنُ حَنظَلَةَ الثناء يُتمِّـه قِـدماً ويُنبيـه بنـاءً رافـعـا[1]

ثم يذكر جزل العطاء وفيض السخاء لدى الممدوح ، وأن هموم ذوي الحاجات تنجلـي إذا ما حلوا فناء بيته ، وأنه يغرف من بحر ، ويبيت طوياناً لا عُدماً ولكـن تشـيما عمـا تُـرك لطارق ليل ، وتلك طبائع الكرام :

وإذا الرِّفاقُ مـع الرِّفـاق أهـمَّـها عُجَـرُ المتَاعِ أتـت فنـاءً واسـعَا

بحـراً تنـازَعُـه البُحُـورُ تُـمِـدُّه إن البـحـور ترى لهُـنَّ شـرائـعـا

ويبيتُ يستحيي الأُمُور وبطنُـهُ طيَّانُ ، طيَّ البُردِ ، يُحسبُ جائعا

من غير لا عدمٍ ولكن شِـيـمـةٌ إن الكـرامَ هُـمُ الكـرام طبائـعا[2]

ثم يبين إمرة الممدوح ومجده وأنه خير حافظٍ لأمر قومه ، وأنهم تبـع لـه ، ولم لا يكـون أميرهم ، وناره قد وضحت للعيان ومجده راسخ ، بجدود سلفوا ، خلفهم فكان نعم الوارث ، قد بز أندادهُ في المجد :

رُب أمرِ قومٍ قد حفِظتَ عليهمُ لولاَ الإلهُ وأنت أصبحَ ضـائعا

تبعُوك إذ ضـاقَ السـبيلُ عليهمُ وأبى بلاؤكَ أن تكونَ التَّابِعَا

وتبـيتُ نـاركَ باليـفـاعِ كـأنـها شاةُ الصِّوارِ علاَ مكاناً يافـعـا[3]

غَرضـاً لكـلِّ مُـدَفَّـعٍ يُـرمـى بـه رميَ السِّهامِ تَرَى لهُنَّ مَوَاقـعا

وورثتَ ستةَ أفحـلٍ مسـعاتـهم مجدُ الحياةِ وكُنتَ أنتَ السابعَا

وإذا تُـنازعُ قَـرْمَ قَـوْمٍ سُـوقةٍ في المجدِ سَمَّحَ كارهاً أو طائعاً

---

(١) جعفر : ابن كلاب . ينبيه : من النبو : وهو العلو ، وقد تكون يبنيه .

(٢) عجر : صفة لأكياس المتاع .

(٣) اليفاع : المرتفع . شاة الصِّوار : ثور الوحش .

ما ضاع مجدُ أبٍ ورثتَ تراثه إذ كان مجد أبٍ لآخر ضائعا[1]

وعرف بالسبق إلى الفضائل ، والقطع في الأمور العظائم ، واستكناه ما سيكون في الأيام القوادم :

سَبَق ابنُ حَنْظَلَة السُّعاة بسعيةٍ للغاية القُصوى سريعاً وادِعا

عضّتْ بعبد ا للهِ إذ عضت بهِ عضت بعبد ا لله سيفاً قاطعا

تُبدي الأمورُ له إذا ما أقبلت ما كن في إدبارهنَّ صوانِعا[2]

إنها نفس المعاني التي جعلها الجاهليون المثل الأعلى في المدح ، سبكها الشاعر بوقد من عواطفه التي تشي بطلبه العطاء ، فهو شاعر أُموي ، قد استمريءَ الرفدُ في عصره ، فما عاد الرحَّيل إلى طلب الرزق معابة ، والناس آنذاك قد تقسمتهم الأهواء بين مادح وهاجٍ .

وصفاته التي خلعها على الممدوح تبدو طبيعية ، لا تخرج عن حدود العقل ، فلا مبالغة ولا إسفاف ، وهي صفات فيها الحسيُّ والمعنوي ، ومنها ما هو معتقد ديني ، لولا تلك الإشارة إليه لَظُنَّ بأن الشاعر واحدٌ من المتقدمين ، إذ لا نجد في قصيدته ما يُنبيءُ عن أنها قيلت في العصر الاسلامي فكل الصفات التي امتدح بها الشاعر الممدوح ، هي صفاتٌ تداولها الجاهليون في أشعارهم ، وأطلقوها على زعمائهم .

وما تلك الصفات التي ضمنها الشاعر أبياته إلا صفات زعيم من بني كلاب أُعجب به الشاعر ، ووجد فيه كل ما يفخر به العربي من مزايا لا تتوفر إلا في خيار الناس ، وقادتهم .

إن صورة البحر تمدُّه أبحر ، والركبان تحمل على مطاياها العُجَر ، والنار شعَّ ضوؤها فتواردها أبناء السبيل ، لكتشف لنا عن معين لا ينضب ، وزعيم لا يُنافس .

لقد تأثر الشاعر بما كان سائداً في المجتمع الجاهلي ، حتى لكأنه يعيش فيه ، مُنبتاً عن المجتمع الاسلامي الذي تربى في عهده ، غير أن تبدي قوم الشاعر ، وبعدهم عن مواطن العلم، كان له أثره البارز على شعره ، كما أن فلوات الصحارى التي تقاذفت الشاعر ، وتتبع السلطة له بعد هروبه من السجن ومصاحبته الحيوان في الفيافي ، جعلت منه رجلاً خشناً بعيداً عن أهداب الدِّين ، ويتضح هذا من خلال تأثره بعقيدة الجاهليين ، وشركياتهم ، فقد قرن

---

(١) مدَّفع : فقير أو يتيم .

(٢) عضَّت : جرَّبت .

الممدوح مع الله عز وجل في القدرة حين قال في تولية أمر القوم " لولا الإله وأنت أصبح ضائعاً " .

٥ ـ مدح رفيق الرحلة :

يبدأ الشاعر جامع بن عمرو الكلابي مديحه لرفيق طريقه بذكر رحلة الإبل المسرعة في مشيها ، المشبهة للسعالي ، قد كُلفت سير الهاجرة بعد خِمسها ، تصل ليلها بنهارها ، إلى أن وردت الماء غُبشة من ليل ، والقطا في منامه والقوم تعابى ، فيبادر الأريحي الخدوم فيهم ، فيملأ للإبل الأحواض ، ويقوم بحقها إكراماً لأهلها ، إنه فتى ماجد يُذكر بالجميل ، تراه في القوم فتحسبه خادمهم لتوليه كل الأعمال وخفته في قضاء الحاجات ، وإذا أصابهم الفزعُ انبرى فيهم بطلاً كأنه الأسد ، أفضلهم رأيا ، وأحسنهم قائداً لركب ، سريع إلى الخير ، فما ولدته أمةٌ ، ولا عرف البخل ، ولا استزاد إلا توقد ذهن وزهدا ، مرح لا يضيق بمزاح ، ليس بأحمق ولا فيه من السماجة طعما ، إذا ما مات كان فقده على قومه أعظم المصاب يقول جامع[1] :

تعالى بأيدٍ ذارِعاتٍ وأرجُلٍ ... مُنَكِّبَةً رَوحَاً يخدنَ بنَا وَخدا

سَعالي ليلٍ ما تنامُ وكلفت ... عشيةَ خمس القوم هاجرةً صخدا

فجئن بأغباشٍ وما نزل القطا ... قراميصَ مَأْوَاهُ ، وكانَ لها وِرْدَا

وجئن يُنازعن الأزمةَ مُقدماً ... محاويقَ قد لاقَت ملاويحُهُا جهدا

إلى طامياتٍ فوقَها الدِّمنُ لم نجدْ ... لهُنَّ بأورادٍ ولا حاضرٍ عَهْدَا

فشنَّ عليها في الإزاءِ بِسُفرةٍ ... فتىً ماجدٌ تُثني صحاباتُهُ حَمدا

كأنهمُ أربابُهُ وهو خيرُهُم ... إذا فَزِعُوا يوماً وأوراهُمُ زَنْدَا

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب ص ٣٥٠ . يخدن الوخد : رمي القوائم كمشي النعام . صخد : محرق . أغباش : بقايا الليل . قراميص : الحفرة يضيق راسها ويتسع جوفها . مقدم : هو قائد الراحلة . محاويق : اسم مفعول : أي أهلكها السفر . ملاويح : متغيرة من السفر والعطش . طاميات : المياة الطافية . أوراد : جمع ورد ، القوم يردون الماء . شن : صب الماء متفرقا . الازاء : مصب الماء في الحوض . سفرة : وقت إسفار الصبح وظهوره . ورد : أحمر يميل إلى صفرة . رعشني : سريع يهتزُّ في مشيه . أحلاس : جمع حلس ، وهو أثاث البيت . مزود : الزاد في ماعونه . كَيْس : بالفتح الفطنة ، وبالكسر الوعاء. حزق : بخيل . هجرع : أحمق .

وأجدرُهُمْ أن يُعمِل العيسَ تشتكي مَنَاسِمُها في الحج أو قائداً وَفْدَا
خَفيفٌ لَهُم في حَاجِهم وكأنّما يُعِدُّوْنَ للأبطال ذا لِبدةٍ وردا
إذا ما دعوا للخيرِ أو لحقيقةٍ دعوا رعشنياً لم يكنْ خالهُ عبدا
وليس بحوّازٍ لأحلاسِ رَحْلِهِ وَمِزوَدِهِ ، كيساً من الرأي أو زُهدا
حُزُقٍ إذا ما القومُ أبدوا فُكاهةً تذكرَ أيَّاهُ يعنونَ أم قِردَا
ولا هجرعٍ سمجٍ إذا مات لم يجد به قَومُهُ في النّائبات لهُ فقدا

لقد أثبت له صفات ، ونفى عنه أخرى ، وجعل منه سيداً في شكل مسود ، ونفى عنه الهُجنَةَ ، وكلها صفات تدلُّ على مخايل الزعامة في شابٍ يعيش مُقتبل عُمُرِهِ ، ولذلك لم يتطرق الشاعر لكرمه لعدم استقراره ، وإنما ألحَّ على جوانب من صفات النفس المشرئبة لكلِّ فضيلة ، والسريعة إلى كُلِّ ندى ، تلك صفات صديق الرحلة الذي لا يستغنى عنه .

ويبدو مما سبق أن المدح عند بني كلاب لم يكن استجداء للممدوح ، وطلباً لنواله وإن ظهر ذلك عند بعضهم ، وإنما كان إعجاباً بصفات الممدوح ، أو شكراً له على صنيع ، أو إنصافاً لعدو .

كانت أنفةُ بني كلاب تحدوهم عن طرق أبواب الملوك ، وكان اعتدادهم بأنفسهم صارفاً لهم عن ذلك وإذا كان لبيد بن ربيعة ، وخالد بن جعفر الكلابيان ممن وفدوا على ملوك الحيرة ، فإن تلك الوفادة كانت سفارةً لقومهم ، ودفاعاً عن حقوقهم ، ولم تعرف لهم قصائد خالصة في مدح أولئك .

كانت المدحة عند شعراء بني كلاب تقوم على أسس فنية منها : إعمال الناقة نحو الممدوح ليظهر له مبلغ الجهد الذي أضنى الناقة وصاحبها ، فهذا أحد بني كلاب من الضِّباب يشدُّ على ناقته ،لا يمهلها حتى الليل تسيره مُسرعة ، يريد معاذاً القشيري وابنه الأقرع[1] ، فيقول[2] :

قُلْتُ لَهَا بالرَّملِ وهي تَضْبَعْ رَملِ عقَارٍ والعيُونُ هُجَّعْ

---

(١) الأقرع بن معاذ القشيري شاعر كان في أيام هشام بن عبد الملك (جمهرة النسب ص٣٥١ ، ومعجم المرزباني ص ٣٨٠) .

(٢) معجم البلدان (العقار) . تضبع : تسرع فتمد ما بين إبطها وعضدها . عقار : الملح : من مياه بني قشير (السابق) .

بالسَّلعِ ذات الحلقات الأربعْ ألمـعَاذ أنـت أم للأقـرَع؟

ومنها الإنصراف المفاجيء من إرضاء النفس إلى إرضاء الممدوح ، كما في قول القتال الكلابي[1] :

دَع ذا ولكن حاجتي من جعفرٍ رجُـلٌ تَطَـلَّـعَ للإمـور مَطَـالِـعَا

وقد اتضح لنا في شعر المديح لدى الكلابيين أن هدفهم من وراء المدح لم يكن مادياً ، وهذا يتجلّى بوضوح إبان العصر الراشد ، فالشاعر لم يقصد مَطمعا ، ولم تلح عليه مادة ، وإنما كان باعث مديحه الغيرة على مصالح المسلمين ، وحفظ حقوقهم ، كما رأينا ذلك في مدح عمر بن الخطاب .

وقد يكون الدافع الإعجاب ، وحب أخلاق الاسلام من لين ومعروف وإصلاح بين الناس.

وقد نتساءل لِمَ لَمْ تكثر مدائح الخلفاء ، ولم تطل ، والجواب على ذلك يتضح من خلال معرفتنا أن الاسلام لا يحض على المدح وينكر الملق ، كما نعرف بغض الصحابة لهذه المدائح ، وعدم تشجيعها ، لذا لم يكن للمدّاحين في ذلك العصر من يفتح لهم بابه ، ولذلك لا نكاد نجد المدحة الخالصة أو معالمها المعروفة .

وحين مُدِحوا فما جاوز مادحوهم ما هو متحقّق فيهم حقيقة ، بل يصح أن نقول إنها لم تكن مدائح ، وإنما هي نعوت للإمام وتذكير له بمسؤولياته تجاه ربه وأُمتّه ، وكأن الشاعر ينبه القائد بواجباته ، وهو في هذا يمارس واجب المرعي في النصح ، وهو واجب يمليه الدين .

وما الصفات التي مُدح بها رجال تلك الفترة إلا نابعة من الشرع الحنيف ، ومنبثة عن شخصية المسلم في كُلِّ أحوالها ، من تقى وعلم ، وأمانة وطلب شهادة ، وشجاعة .

ولم نجد في الشعراء الكلابيين من أنشأ مدحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مدح أصحابه نزراً ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن راغباً في أن يمتدحه الشعراء بما كان يمتدح به الملوك بل كان همه أن ينصرف الشعراء إلى تأكيد أُمور الدين الجديد ، والعمل على نشره بين الناس ، والتمكين له في الأرض ، وحين تولى الخلفاء الراشدون الأمر بعده لم يتغير موقفهم إزاء المديح عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يعرف عن أحد منهم أنه كان يتخذ مجلسه ندوة للشعراء .."[2] .

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص ٦٨ .

(٢) دراسات في الأدب الاسلامي ص ٧٦ .

وفي العصر الأموي عادت قصيدة المدح إلى منهجها الجاهلي ، فاحتفوا بالمقدمة الطَّللية ، ونصوا على إمضاء الراحلة ، وتمثلوا المعاني القديمة .

وكانت صفات ممدوحيهم لاتختلف عما كان سائداً في العصر الجاهلي ، إذ نجد في مدائحهم من الصفات أصالة النسب ، والإلحاح على خيرية الممدوح ، أو من يتعلق به ، وحُسن الجوار ، ومنع الضِّيم ، والمروءة والكرم والشجاعة .

وكان تمثلهم للقصيدة الجاهلية في هذا الغرض هو ما جعل قصائد المديح لدى الكلابيين تستقل إذ نجد القصيدة الخالصة للمدح ، كما عند جامع بن عمرو الكلابي ، وعند القتال الكلابي .

وظهرت المدحة لدى بني كلاب مُختلفة الباعث ، فكما أننا نجد مدحة باعثها الشكر علىمعروف كما في مديح محمد بن المنذر وأوس بن حارثة ، فإننا نجد مدحةً تستجدي ، كما في مدح خالد بن عبد الله القسري ، وليس هذا بمستغرب فقد كان الأمويون يحاولون ترسيخ إمامتهم في القلوب ، غير أن المدحة المستجدية ليست مما امتهن بنو كلاب كلهم وإنما الظروف الطارئة أحوجت بعضهم إلى ماليس من طبيعتهم ، وهذا ما يفسر لنا قلة الأبيات في ذلك .

واختلط مدحهم بوعيد كما في مدح بعض بني حنيفة ، وضُمِّن الفخر كما في مدح خالد القسري .

الفصل الخامس

شعر الهجاء

١ ـ المنافرة

٢ ـ هجاء الحكام

٣ ـ الهجاء الديني

٤ ـ الهجاء بين بني كلاب

٥ ـ الهجاء القبلي

٦ ـ المرأة هاجية ومهجوة

٧ ـ شعر النقائض

٨ ـ الهجاء الشخصي

تمهيد :

كانت الحروب التي تقع بين بني كلاب وغيرها من القبائل سبباً في الهجاء ، فقد يُدمي اللسان مالا يدمي السِّنان ، وكانت العداوات تمتطي مركب القول حين يعزُّ عليها الفعل ، أو تريد تثبيته وما بنو كلاب إلا في معمعة العداء والحسد ، فديارها عالية نجد أطيب المراعي ، تغري العزيز، وتغير صدر الضعيف ، مما جعلهم في صراعٍ ترافق فيه الهجاء والفخر .

وكما كان للمدح دواعيه فللهجاء مثيراته ، فقد كانت الخصومات قائمة ، والأحقاد كامنة ، وقد عرف الناس وهج الكلمة ، فما طبخت من طبخٍ فهي منضجتُه .

وقد راج الهجاء في بني كلاب وماج ، يقذفه الواحد منهم ، وهو مستلقٍ على فراشه ، يلاوح بين ساقيه ، فيشبها ناراً حامية ، يتلظى فيها القوم قاطبة .

وحين اصطلوا حرباً وقودها الهجاء ، لم يكن هذا مع البعداء ، بل مع الأشقاء أيضاً ، فتنافروا في الزعامة وتنازعوا على المياه .

لقد وَجِد في شعر بني كلاب من الهجاء ما كان قبلياً وشخصياً ، وما كان نقيضةً ، كما لحقها من الهجاء ما لحق غيرها من القبائل ، وقد روى المسعودي[1] أنَّه أُنشد في مجلس السَّفاح في ليلة واحدة أشعار هُجيت بها ثلاث وأربعون قبيلة ، وهذا ما يفصح عن أن غرض الهجاء من أوسع الأغراض ، لكن ما نصيب بني كلاب منه ، وكيف طرقوه ؟

١ ـ المنافرة :

تعتبر المنافرة أولى صور الهجاء ، وقد يكون الهجاء استقلّ عنها بعد أن كان هو والفخر فرسي رهان في ميدان المنافرة .

وقد اشتهرت المنافرة التي وقعت ، بين الكلابيين : عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ، وكانا قد تحاكما إلى بعض سادة العرب فيمن هو أولى بالزعامة بعد أبي براء : عامر بن مالك، وساقا خليطاً من الفخر والهجاء حين الإدلاء بحججهما ، وليست تلك الحجج تعنينا ، غير أن الذي يستوقفنا هو الشعر المساند لتلك المنافرة ، فقد انضم إلى كلٍّ من المتنافرين شعراء من بني كلاب وغيرها ، أخذوا يمدحون ذا ، ويهجون ذاك ، وقد كان من أولئك لبيد بن

---

(١) مروج الذهب ٢٨٦/٣ .

ربيعة الكلابي إذ قال أبياتاً[١] يبين فيها عدم انضمامه لأحد المتنافرين ، ويَظْهَرُ منها كرهه للهجاء، والبر بالآباء ، وهي :

لَّما دعاني عامرٌ لأسُبَّهُم ... أبيتُ وإن كان ابنُ عيساءَ ظالماَ
لِكَيْما يكون السَّنْدَرِيُّ نديدتي ... وأجعل أقواماً عُمُوماً عَمَاعِمَا
وأنبُشَ من تحتِ القُبورِ أُبُوَّةً ... كراماً هُمُ شدُّوا عليَّ التمائما
لعبتُ على أكتافهم وحُجُورِهم ... وليداً وسموني مُفيداً وعاصِمَا
بلى : أينا ما كان شراً لمالك ... فلا زالَ في الدُّنيا مَلُوْماً ولائما

وكأنَّ لبيداً يرد في بيته الأخير على قول قحافة بن عوف بن الأحوص الكلابي[٢] ، وكان في صفِّ علقمة :

أنْتُم هزلتُم عامربن مَالك ... في سنواتِ مُضَر الهوالك
يا شرَّنا حيّاً وشرَّ هالكْ

ويقول قحافة بن عوف[٣] أيضاً في أسلوب تحقيري مخاطباً لبيد بن ربيعة :

نهنه إليكَ الشِّعرَ يا لبيدُ ... واصدُد فقد ينفعُكَ الصُّدُودُ
ساد أبونا قبل أن تَسُودُوا ... سُؤدَدُكُم مُطْرَفٌ زهيدُ

إنه يماثل قول الحطيئة[٤] :

دع المكارمَ لا ترحل لبُغيتها ... واقعد فإنَّك أنتَ الطاعِمُ الكاسي

وقد انتقد عمرو بن شريح بن الأحوص الكلابي تحزُّب الفريقين ووفادتهم على الحكام، إذ قال[٥] :

لحى ا للهُ وفدينا وما ارتحلا بهِ ... من البُنُوةِ الباقي عليهمْ وَبَالها
ألا إنما تُرمى صفاةٌ متينةٌ ... أبى الضيم أعلاها وأثبت حالُها

---

(١) شرح ديوان لبيد ص ٢٨٧ . ابن عيساء : هو السندري بن يزيد بن شريح الكلابي (المؤتلف والمختلف ص ١٣٥) . عماعم : جماعات .

(٢) السابق ص ٢٨٧ .

(٣) الأغاني ٢٨٩/١٦ .

(٤) ديوان الحطيئة ص ٥٠ .

(٥) الأغاني ٢١٩/١٦ ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار الثقافة ، ويبدو تصحيف النُّبوة .

وكانوا يتنقلون بين السادة من العرب يطلبون حكمهم في أمرهم فَيُصَدَّون ، حتى إذا ما أبت قريش التحكيم ، هبَّ مروان بن سراقة من بني الأحوص فقال[١] :

يال قريش بيِّنوا الكلاما إنا رضينا منكم أحكاما

فبيِّنُوا إذ كنتم حُكَّامَا

وما المنافرة إلا هجاء استبطن فخراً ، كقول مروان بن سراقة[٢] أيضاً :

لولا الذي أجشَمهم إجشاماً لا تخذتهم مذحجٌ نعاما

فهو يباهي بأحد الأحاوص مُقابلاً ذلك بالحط من قوم عامر بن الطفيل ، وأنهم كادوا أن يُهزموا لولا الأحاوص ، وقد شارك في هذه المنافرة ـ التي أسفرت عن فخر كثير وهجاء يبين حينا ويتوارى أحيانا ـ شعراء من غير بني كلاب منهم الأعشى .

٢ ـ هجاء الحكام :

قد يكون هذا الهجاء شكوى ، غير أنها شكوى أظهر أنينها وجعٌ الأمراض التي أخذ يقع فيها من وكل بأمرٍ من أمور المسلمين .

وقد ظهر هذا النوع من الهجاء في عهد عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه ، وكان يهدف إلى المحافظة على المجتمع طاهراً ، واتخذ وسيلة التصريح بالعيوب منهجاً له .

ويظهر أن أول هجاء لهذه الفئة التي ائتمنت على أموال المسلمين فخانت أمانتها ورد في أبيات أبي المختار الكلابي ، التي افتتحها بتذكير أمير المؤمنين بمسؤوليته أمام ا لله ، وأنَّه أمينه في رعيته ، فهو يحثّه على الشدة في التعامل مع مخالفي نظام الاسلام ، إذ يقول مخاطباً[٣] الخليفة : عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه :

فأبلغ أمير المؤمنين رسالةً فأنت أمينُ ا لله في النهي والأمِرِ

وأنت أمينُ ا لله فينا ومن يكن أميناً لربِّ الناس يسلم له صدري

فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى يضيعون مال ا لله في الأُدمِ الوفرِ

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٩٥ ، وفي رواية الأغاني ٢٨٧/١٦ :

إنا رضينا منكم الأحكاما فبيِّنوا إن كنتمُ حكّاما

(٢) الأغاني ٢٨٧/١٦ .

(٣) الأوائل لأبي هلال ٢٤٧/١ . الرساتيق : جمع رستاق : وهو السواد والقرى (القاموس المحيط) . الأدم : جمع أديم : وهوالجلد .

ثم خص كلَّ عامل بذكر اسمه ، متهماً إياهم بوفرة الأموال من غير وجه حق ، وحَاثّاً الخليفة على محاسبتهم ، وتساءل كيف غنوا في حال أن من معهم يعملون عملهم لم يثروا ، وقد أشار إلى قبولهم الهدايا ، وهذا ما يريب :

فأرسل إلى الحجاج فاعرف حسابه ... وأرسل إلى جزءٍ وأرسل إلى بشر
ولا تنسينَّ النافعين كليهما ... ولا ابن غلاب من سراة بني نصرِ
وما عاصمٌ منها بصُفر عيابه[1] ... وذاك الذي في السوق مولى بني بدرِ
وأرسل إلى النُّعمانِ وابن مُغفلٍ ... وصهر بني غزوان إنّي لذو خُبْرِ
وشبلٍ هناك المالُ وابن محرشٍ ... وقد كان في أهل الرساتيقِ ذا ذكرِ
فأرسل إليهم يَصْدُقُوْك ويخبروا ... أحاديث هذا المالِ ذي العلم الدثرِ
فقاسمهم ، نفسي فداؤك إنهم ... سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطرِ[2]

ويؤكد الشاعر على أنه إنما يظهر عيوباً عجب من وجودها في مجتمع مسلم ، فهو يرى أنواعاً من الهدايا والأعطيات تنصب على ولاة الأمر دون غيرهم ، وذلك مبعث عجبه غير أنه يصرح أنها ليست شكوى ، فلن يشهد شهادة يُسْأل عنها ، ويقاضى بها ، لكنه يرى مالا يُرضي الله من عيوب يُجَاهَرُ بها ، ومصادِرَ للمال ليست حقّا ، تحزُّ في نفس المؤمن ، ولذا استشاط فأبانها :

ولا تدعُونّي للشهادة إنني ... أَعيبُ ولكنّي أَرى عجبَ الدهرِ
أرى الحورَ كالغزلانِ والبيضَ كالدُّمى ... ومالیس يُحصى من قرامٍ ومن سِترِ
ومن ريطة مكنونةٍ في صيانها ... ومن طيٍّ أستارٍ معصفرةٍ حُمْرِ
إذا التاجر الداريُّ جاء بفارةٍ ... من المسكِ راحتْ في مفارقهم تجري
نؤوبُ إذا آبُوا ونغزوا إذا غزوا ... فأنّى لهم وفرٌ ولسنا ذوي وفرِ[3]

إنّ ذلك الهجاء باعثه الغيرة على حقوق المسلمين ، وهدفه الحفاظ على المال العام ، ووسيلته الصراحة وتعيين الجاني بأُسلوب هادىء ، لا نلمس حدة وقعه ، لأنه ينحو منحى

---

(١) رواية فتوح البلدان ص ٣٧٧ .

(٢) الحجاج : ابن عتيك الثقفي (الأوائل ٢٤٩/١) . جزء : ابن معاوية عم الأحنف ، كان يلي السوق (السابق). بشر : ابن المحتفز المريّ ، كان على جنديسابور (الأوائل ٢٤٩/١) . النافعان : نافع بن الحارث كان على غنائم الأبلة ، وأخوه نفيع (السابق) . ابن غلاب خالد بن الحارث بن أوس .. كان على بيت المال بأصبهان (الأوائل ٢٤٩/١) . عاصم : ابن قيس بن الصّلت السلمي (السابق) . مولى بني بدر : سمرة بن جندب كان على سوق الأهواز (الأوائل ٢٤٩/١) . ابن مجرش : إياس بن صبيح ، كان على رامهرمز (السابق) . الدثر : الكثير .

(٣) قرام : ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش . ريطة : ملاءة ، أو ثوب رقيق . صيانها : ما يصونها من التلف . الداري : نسبة إلى دارين . فارة : وعاء الطيب .

الإخلاص في الهدف ، فلا يشتط ، ولا يغلظ ، وكذا كان الهجاء في صدر الإسلام ، فقد كان يبتغي الدفاع عن أمر عامٍّ ، يصبّ في صالح المسلمين قاطبة ، وانتفت البغضاء الفردية والمشاحنات القبلية ، وحل محلها الحب في الله والبغض من أجله ،حين يُمسُّ دينه .

وما إنكار المنكر ، وعدم السكوت على الباطل ، إلا صورة من صور الهجاء الديني ، الذي جاء بديلاً للهجاء الجاهلي ، غير أنه ما إن استقام عوده حتى ارتد الناس عنه إلى النهج الجاهلي في الهجاء .

وتلك أم خلف الكلابية تستغيث أمير المؤمنين على رفع البلاء الذي وقع على العباد ، بسبب العمال وقسوتهم باسم الجباية ، حتى صاروا أثرياء وغيرهم هلكى معدمون ، إذ تقول(١) :

أمير المؤمنينَ جُزيت خيراً ... ألم يَبلُغك خبرةَ مالقينا
أناخت حائلٌ جذباءَ نابٍ ... فلم تترُك لطلحتنا فُنُونَا
تَكْنُفُها فتأكل ما يليها ... ونكنُفُها فنأكُلُ ما يلينا
وصار المالُ في أيدي رجالٍ ... إذا ملكُوا أَذاقُوا الناسَ هُوْنَا
بكُلِّ رقاق مهْلكة هذيلا ... إذا ما قِيلَ قُمْ رَكِبَ الحنينا
إذا رام القيام أبت يداهُ ... ورجلاهُ القيامَ فلا تُعينا

ويبدو أنها معيلة في هذيل ، وقد ناءت بحملها ، وصعب عليها تحصيل رزقها .

وقام بهذا الأمر في العصر الأموي الخوارج ، فقد جاهروا بعدواتهم للحكام ، وكان أول من عُرِّض بأخطائه ، وأُنكرت أفعاله هو الخليفة : معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، إذ انتقدت طريقةُ حُكمه للدولة ، واشمأز الناس من قسوة تعامله مع مخالفيه ، حتى وصل بهم الأمر إلى ابتغاء قتله ، فهذا رجل كلابي من الخوارج يرى في معاوية القرشي ما عُرف عن كليب وائل فيقول(٢) :

قد سِرتَ سَيرَ كُليبٍ في عشيرته ... لو كان فيهم غُلاَمٌ مثلُ جَسَّاسِ
الطَّاعنِ الطعنَةَ النَّجلاءَ عانِدُها ... كَطُرَّةِ البُردِ أعيا فَتْقُهَا الآسي

إنه يشبِّهه بزعيمٍ جاهلي عُرف بكبريائه ، تلك الكبرياء التي جنت عليه .

---

(١) بلاغات النساء ص ٢٥٢ . جذباء : جذب لبنها : أي نَضَب . ناب : مسنة .

(٢) الحيوان ٣٢٣/١ ، ونسب لبُشير بن أُبي العبسي في النوادر لأبي زيد ص٤٣٢ .

٣ ـ الهجاء الديني :

ينحو الهجاء بعد مجيء رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، وتشرب الناس لدين الاسلام منحى مترفعاً بعيداً عن الاسفاف والسفه ، فتصبح غايته تكسير الاصنام من الحجارة والأشخاص ، ويتناول الجبابرة الذين يصدون دعوة التوحيد ، فيمحو صورتهم المهولة في أذهان الناس ، ويضع للمؤمنين منظار الإسلام الذي يبصرون به، فيكون الأكرم هو الأتقى .

لقد تحطمت الزعامات الكافرة ، وعُفر خدها بالتراب ووطئتها الأقدام ، فهذا أبو جهل يدوسه رويعي الغنم وذاك كسرى يغدو ملكه نهبا لذوي الإبل والشاء ، وذا عظيم السند " داهر "[١] يُعفَّر خداه على يدي أعرابي مجاهد من بني كلاب ، فيشدو بفوزه قائلا[٢] :

الخيلُ تشهدُ يومَ داهرَ والقنا ومُحمَّدُ بن القاسم بن مُحَمَّدِ
أني فرَجْتُ الجمعَ غيرَ مُعَرَّدِ حتى عَلَوْتُ عَظيمَهُمْ بِمُهَنَّدِ
فتركته تحتَ العجاجِ مُجَدّلاً مُتعفر الخدينِ غيرَ مُوسَّدِ

إن في هذا الشدو إهانة لتلك الزعامة ، وإبانه عن أنها لم تعد في تلك المكانة ، وإنما محلها الصحيح الرغام ، إذ لا شيء يرفعها سوى الدين الجديد ، وما خالفه فليس ذا شأن .

وقد عابوا كل جفاءٍ يواجه دعوة الإسلام ، فقد ذكر الواقدي أن النبي صلى ا لله عليه وسلم كتب إلى بني حارثة بن عمرو سنة تسع يدعوهم إلى الاسلام ، فأخذوا الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها دلوهم ، فقالت أم حبيب بنت عامر بن خالد بن عمر بن قريط الكلابي[٣] تعيب عليهم ذلك الصنيع :

إذا ما أتَتهُمْ آيةٌ مِن مُحَمد مَحَوها بماءِ البئرِ فهوَ عصيرُ

لقد تعلق الناس بأهداب الدين ، ووجدوا في تعاليم الاسلام السعادة ، وفي مخالفتها المذمة، فتغيرت مفاهيمهم عن ذي قبل ، ففي حروب الردة يُعيِّر معاذ بن يزيد بن الصعق قومه، وكان قد جمعهم وخطب فيهم (يحرضهم على الرُّجوع للإسلام ويقبح عليهم الردة فقال : معشر هوازن ، إنكم عثرتم في الاسلام خمس عثرات ، وا لله لترجعُنَّ إلى ما خرجتم

---

(١) (وكان الذي قتله في رواية المدائني رجلاً من بني كلاب ... وقال ابن الكلبي : كان الذي قتل داهر القاسم بن ثعلبة .. الطائي) فتوح البلدان ص٤٢٦ .

(٢) فتوح البلدان ص ٤٢٦ .

(٣) الإصابة ١٩٨/٨ .

منه أو لتؤخذن أخذة أهل بدر ، فلم يقبلوا فارتحل بأهله وبمن أطاعه وقال في ذلك[١] :

بني عامرٍ أين أين الفِرَارُ ... من ا للهِ وا للهِ لا يُغلبُ
مَنَعْتُم فرائض أموالِكُم ... وتركُ صلاتكم أعجَبُ
وكذبتمُ الحقَّ فيما أتى ... وإن المكذّبَ للأكذبُ

لقد انفرط عقد القبيلة ، وخرج عن طاعتها أحد أفرادها ، لاختلاف التوجهات ، وهذا ما كان غريباً في العصر الجاهلي ، ولم يشذ عنه إلا فئة الصعاليك .

ولم يكن معاذ هو وحده الذي عاب القبيلة لسبب ديني ، بل هنالك من القبيلة من نبذ العصبية القبلية وأخذته الحمية الدينية ، فهذا عمرو بن قريط يُوبخ قومه على ردتهم ، ويبين جنوحهم عن جادة الصواب فيقول[٢] :

ثَقُلت صلاةُ المسلمين عليكمُ ... بنيْ عامرٍ والحقُّ جِدُّ ثقيلِ
وأتبَعْتُمُوهَا بالزكاةِ وقُلتُمُ ... أَلا لا تَفِرُّوا منهما بفتيلِ
فلا يُبعد ا لله المهيمنُ غيركمْ ... سَبيلُكُمُ في كُلِّ شرٍّ سبيلِ

لقد هجيت القبيلة بدافع الغيرة على الدين ، وكان هذا بديلاً للهجاء بدافع كرامة القبيلة، وإخلاص إبنها لها في العصر الجاهلي ، والذي جاء على لسان خالد بن جعفر الكلابي وهو يمنُّ على قبيلته قتله زهير بن جذيمة العبسي ، ويشير من خلال ذلك إلى عيوب يعرفها في قبيلته ، ويشهد بها عليها ، وليس من رأى كمن سمع ، إنه يكشف في أبياته التالية عن عبوديتهم لزهير ، وإذلاله لهم بمختلف أساليب الإذلال ، فهو يقول[٣] :

بل كيفَ تَكْفُرُني هوازنُ بَعدمَا ... أعتَقْتُهُمْ فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربَّهُمُ زُهيراً بعدما ... جدع الأُنوفَ وأكثر الأوتارا
وجعلتُ حزن بلادهم وجبالهم ... أرضاً فضاءً سهلةً وعِشَارَا
وجعلتُ مَهرَ بناتهم ودمائهُم ... عقلَ الملوكِ هجائناً ابكارا

وكان للمشركين صوتٌ في تلك الفترة يحاول جاهداً أن يدافع عن وثنيته ، ويصم خصومها بعقوق الآباء والخروج على عقائدهم ، فقد هجا نفر من المشركين بعضاً من

---

(١) الإصابة ٣٠١/٦ .

(٢) الأغاني ٨٤/١١ . عشار : هي النوق ينتج بعضها ، وبعضها ينتظر . هجائن : بيض كرام ، وقد صُحِّفت تُقِرُّوا .

المسلمين ، رأوهم قد صبأوا ، فأتوا بدين مُغاير لدين الأجداد ، وعابوا عليهم مفاهيم جديدة تُنبئ عن آخرة وبعث ، ما كان لهم بها من عهد ، واستهزأوا بمرددي تلك المفاهيم ، يقول أبو الفرج الأصبهاني : (لما أصاب عامر بن الطفيل ما أصابه بعثت بنو عامر لبيداً وقالوا له : إِقْدَم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا علمه ، فقدم عليه فاسلم وأصابه وجع هناك شديد من حمى فرجع إلى قومه بفضل تلك الحمى ، وجاءهم بذكر البعث والجنة والنار ، فقال سراقة ابن عوف بن الأحوص)[1] :

لعَمرُ لبيدٍ إنهُ لابنُ أُمِّهِ ... ولكن أَبُوه مَسَّه قِدَمُ العهدِ
دفعناك في أرض الحجاز كأنما ... دفعناك فحلاً فوقه قَزَعُ اللبدِ
فعالجتَ حُماةُ وداءَ ضُلُوعِهِ ... وترنيقَ عيشٍ مسَّهُ طَرَفُ الجهدِ
وجئتَ بدينِ الصابئينَ تَشُوبُهُ ... بألواحِ نجدٍ بعد عهدكَ من عهدِ
وإن لنا داراً زعمتَ ومرجِعَا ... وثمَّ إيَابُ القارظين وذي البُردِ

وفي العصر الأموي لم تعد القبيلة هي الملجأ الوحيد لابنها ، فقد صار من الممكن أن تَضُمَّهُ مختلف الطوائف التي تحاول أن توجد لنفسها مكاناً وسط الساحة ، ولذا لم يعبأ القتال الكلابي بقومه حين هجاهم بقوله[2] :

ولكنَّمَا قَومِي قُمَاشَةُ حَاطِبٍ ... يُجَمِّعُهَا بالكَفِّ والليلُ مُظلِمُ

وقد هذب الاسلام طبائع الناس ونفى عنها ما يشينها ، وعلا بخلق الانسان ، إن رضي وإن غضب ، فظهر أثر ذلك في المجتمع ، وبرز من أناسه من يتورع حتى في هجائه ويسمو في غضبه ، وإذا كان للهجاء أخلاق تصونه عن الانحدار ، فإنا نجدها في أبيات يزيد بن الحكم الكلابي حين يقول[3] :

دَفَعْنَاكُمُ بالقولِ حتى بَطرتُمُ ... وبالراحِ حتى كان دفعُ الأصابعِ
فلمَّا رأينا جَهلكُم غيرَ مُنتهٍ ... وما غاب من أحلامكُم غير راجعِ
مسسنا من الآباءِ شيئاً وكُلنا ... إلى حسبٍ في قومه غيرُ واضعِ

---

(١) الأغاني ١٧/٥٩ . قزع : قطع ترنيق : صفاء . القارظان : رجلان خرجا يطلبان القرظ فلم يعودا. ذو البرد : هو عامر بن أحمر (النقائض ٧١٤) .

(٢) ديوان القتال الكلابي ص ٨٥ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص ٢٢٨ .

فلما بلغنا الأُمهاتِ وجدتمُ بني عَمِّكُم كانوا كرامَ المضاجعِ
بني عمنا لا تشتمونا ودافِعُوا على حسبٍ ما فات قيدَ الأكارعِ
وكنا بني عمٍّ نزا الجهلُ بيننا فَكُلٌّ يُوفي حقه غير وادع

ولم يكن الهجاء المترفع هو الوحيد في الساحة ، فقد ظهرت أنواع مختلفة من الهجاء فيه من السمات ما قد يكون مغايراً للنهج العام ، من ذلك أن يتبدى الهجاء من خلال المن ، وأن يُكشف العيب حين يُذكّر بالفضل ، إذ ورد أن ثقيفاً " أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدوسي وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذي تزعم به ثقيف أنها من قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس : خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقي أُبيَّ بن مالك القشيري ، فأخذه حتى بؤدوا إليه أهله ، فقام في ذلك الضحاك بن سفيان الكلابي ، فكلم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبي بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان في شيء كان بينه وبين أُبي بن مالك "(١) .

أتنسى بلائي يا أُبيَّ بن مالكِ غداةَ الرسولُ معرضٌ عنك أشوسُ
يقُودُك مروانُ بن قيسٍ بحبلهِ ذليلاً كما قيد الذلُولُ المخيسُ
فعادت عليك من ثقيفٍ عِصابةٌ متى يأتهم مستقبسُ الشرِّ يُقبسوا
فكانوا هُمُ المولى فعادت حُلُومُهُم عليك ، وقد كادت بك النفسُ تيأسُ

٤ ـ الهجاء بين بني كلاب :

تهاجى الكلابيون فيما بينهم ، وأثاروا دفائن قديمة ، فتبدى حنق لم تطفئه السنون ولم تنسه الأيام .

كان هجاؤهم لاذعاً ينكأ الجراح ، ويكوي الأكباد ، وإن نبش القديم لهو أمض الهجاء وآلمه .

تراهن بنو نفاثة بن عبد الله بن كلاب وبنو الأحوص بن جعفر بن كلاب في سباق على جارية وثلاثين من الابل فسبق بنو نفاثة عن فرس لهم اسمه " أهلوب " وأخذوا جارية بني جعفر ، واسمها " جهيرة " فولدت في بني الصموت من بني نفاثة ، وكان من ولدها سلام بن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤٨٥/٢ . أشوس : ينظر إليك بطرف عينه . المخيس : المحبوس .

حُبَيْش فلما تهاجا سلام والأعور بن براء الكلابي ، أخذ الأعور يعيره بأمه الجارية ، التي حُبست عند نهاية المدى جائزة لمن يأتي أولا ، إذيقول[١] :

ما ذنبنا إن كان أُهْلُوبٌ جرى بين وتيرٍ أو حزيم المنتصى
وأُمُكم جالسةٌ عند المدى

وليس الهجاء بين بني كلاب بمستغرب ، إذ جرته أيام بينهم وحروب ، كيوم قنيع ، ويوم هراميت وقد يكون الهجاء شحن العداوات وأوغر الصدور ، حتى بين الإخوان ، فكان النزاع ، ودب الخلاف ، حتى تعايروا وتناقل الملأ شتائم الإخوة لبعضهم ، فهؤلاء بنو ربيعة ، وبنو قريط ، وكلهم من بني أبي بكر بن كلاب ، دب بينهما الشقاق لما أقدم هانيء بن يزيد من بني ربيعة على رفع الغطاء عن يد طهمان بن عمرو ، من بني قريط ، حين كان على الماء ليرى الناس يده التي قطعها نجدة الحروري في سرقة ، فحلف طهمان ليضربنّ هانئاً بالسيف ، فما مضى وقت حتى ثأر طهمان لنفسه ، وبر بحلفه ، وقال في ذلك[٢] :

لقد سرني ما جَرَّفَ السيفُ هانئاً وما لقيتْ من حدِّ سيفي أناملُهْ
ومتركُهُ بالبرتينِ مُجدلاً تنُوحُ عليه أُمُهُ وحلائلُه
ظننتُ به ظناً فقصر دونه فلا زال رثاً غمدهُ وحمائله
ضربت به عبداً سميناً ففلهُ وما كنت أخشى أن يُفَلَّ كاهلُه
على ضربةٍ أبدت سناسن ظهره وأُخرى أمالت شِقَّه فهو عادِلُه
حبوت به الصهرالذي كان بيننا وذُو الصِّهرِ حَابٍ صِهْرَهُ ومُوَاصِلِه

وكان طهمان قد غضب لما سمع هانئاً يعيره بقوله[٣] :

ألست إذا أدررت منها خلية بجذمُورِ ما أبقى لك السيفُ تقضبُ

ومنذ ذلك الوقت تباغض الحيان وتهاجيا ، وتفاغرت أفواه الشعراء الكلابيين ، إذ قال

---

(١) أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ص ١٤٠ . وتير : اسم مكان (معجم البلدان) . حزيم : غليظ الأرض ، المنتضى : أعلى الواديين (القاموس المحيط) ، وحمّة المنتضى : جبل صغير كأنّه قُطع من حرة لبني كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب (معجم البلدان ، حمّة) .

(٢) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص ٥٠ . جرف : أخذ ما دون العظم . البرتان : جُبيلان بالمطلى أرض لبني أبي بكر بن كلاب، وهي مختلطة فيها ، (معجم البلدان) . سناسن : فقارات الظهر . الصهر : هو هانئ زوج سيارة بنت عمرو أخت طهمان (ديوانه ص ٤٩) .

(٣) ديوان طهمان ص ٥٢ . جذمور : أصلٌ متبقي .

طهمان هاجياً موزون بن عمير ، وأخوه هانئ من بني ربيعة وأهلهم في الثعل[١] :

لن تجدَ الأخرابَ أيمن من سجا ... إلى الثّعلِ إلا ألأمَ الناسِ عامِرُه
وقام إلى رحلي قبيلٌ كأنهم ... إماءٌ نفاها حضرةُ اللحمِ جازرُه
لحى الله أهل الثعلِ بعد ابن حاتمٍ ... ولا أُسقيت أعطانُهُ ومصادرُه

فرد عليه موزون بن عمير الكلابي بقوله[٢] :

يا باغي اللُّؤمِ إن اللُّؤمَ محتدهُ ... بنو قُريطٍ إذا شابت نواصيها
لا يسلمون ، ولا تلقى لهم سلماً ... ولا يعوجُّ من لُؤمٍ عذاريها
تبلى عظامُ بني سكنٍ إذا دُفنت ... تحتَ التراب ولا تَبلَى مَخَازيها
السارقونَ إذا ما لزبةٌ أزمَت ... وقُطِّعَت عند بابِ المُلكِ أيديها

وما كان لطهمان أن يسكت ، فقد عاد يقول[٣] :

إني تركتُ بني بدرٍ وحاميهُم ... أذلَّ للنّاسِ من جبانةِ السُّوقِ
لا تطلُعُ الشّمسُ إلا وهو يطلُبني ... ولا تغيبُ إلا وهو مسبُوقُ

وتمادى الهجاء بين بني كلاب حتى صار طعناً ولمزا ، إذ كان البيت الواحد يشفُّ عن حكاية كبيرة ، فحين قال أحد الضِّبابيين مُعيراً الجعفريين[٤] :

تُزاحِمُنَا عند المكارمِ جَعفَرٌ ... بأعجازِهَا إذ أسلمتها صُدُورُهَا
فإن الصُّدُورَ لا صُدُورَ لجعفرٍ ... ولكن أعجازاً شديداً ضريرُهَا

إنما يُشير إلى الحرب التي كانت بين الضباب وجعفر ، فأعانت فيها بنو أمية بني جعفر لصهر بينهم إذ إنّ قُطية بنت بشر بن عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) تزوجها مروان بن الحكم فولدت بشرا[٥] .

---

(١) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص ٤٣ . الأخراب : رؤوس جبال صغيرة متقارنة بين سجا والثعل (السابق) . سجا : بئر بعيدة القعر ، عذبة المياه ، لبني كلاب (معجم البلدان) . الثعل : ماء لبني قوالة من بني ربيعة الكلابيين (بلاد العرب ١٠١) . أعطانه : مبارك الإبل .

(٢) ديوان طهمان ص٤٤ . يعوج : أظنُّها مصحفة عن (يُزَوَّج) . بنو سكن : من بني قريط بن أبي بكر (جمهرة ابن الكلبي ص٣٢٤) . لزبة : شدة .

(٣) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص٤٥ ، ويبدو الإقواء .

(٤) التعليقات والنوادر ٢٨٧/٢ ، وفيه أن قطية بنت الحارث عند بشر بن الوليد .

(٥) جمهرة ابن الكلبي ص ٣١٩ ، وفي الخزانة ٣٦٥/١١ ، قطية بنت الحارث تزوجها بشر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان .

لقد أشار الشاعر إلى أن بني جعفر ضعفاء عن حربهم ، ولذلك استعانوا بنساء لهم في بني أمية فكفينهم المؤنة إذ حَمَّشن أزواجهن على عون أهلهن ، فنُبن عنهم في المقاومة والمدافعة، وجاء المدد بسببهن ، في حين استلقى الرجال على ظهورهم مطمئنين .

إن التعيير بالنساء أيا كان شكله مُهين عند العرب في جاهليتها وإسلامها ، ومن المعرة أن ينوب النساءُ عن رجالهن ، حتى كأن لا وجود لهم .

إنه هجاء قاسٍ بينهم ، يتجاوزهم إلى ديارهم ، ولا يسلم منه موتاهم ، فيه تحقير وتشنيع.

٥ ـ الهجاء القبلي :

كان تجاور القبائل في مراعي أنعامها يُحدث في العادة وشائج صلاتٍ ، كما ينشأ عنه في الغالب تنافر وتشاحن لأسباب مختلفة ، وذلك لتحكم العصبية القبلية فيهم .

لقد سَجَّل الشعر الصلات عن طريق المدح ، لكن الهجاء فاقه في فضح العداوات بين القبائل إذ تبين لنا من خلال هجاء يزيد بن الصعق الكلابي لبني تميم العداء بين القبيلتين ، مما جعل الشاعر يقتنص في أعدائه ما يعيبهم ، ويسوؤهم حين يُذاع في الناس ، واتخذ من طمع أحدهم وحرصه على طعام بطنه سُبة للقبيلة أبد الدهر ، تُعيِّرُ بها العرب تميما[١] ، فقد أقسم عمرو بن هند ليحرقن من بني دارم التميميين مائة رجلٍ في أخيه الذي قتلوه لعبثه ، " فأخذ تسعة وتسعين رجلاً فقذفهم في النار ، ثم أراد أن يُبر قسمه بعجوز منهم لتكمل بها العدة ، فلما أمر بها قالت العجوز : ألا فتى يفدي هذه العجوز بنفسه ! ثم قالت : " هيهات صارت الفتيان حُمماً " ومر وافد البراجم[٢] .. فاشتم رائحة اللحم ، فظن أن الملك يتخذ طعاماً ، فعرج إليه فأتى به إليه ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أبيت اللعن ! أنا وافد البراجم ، فقال عمرو : إن الشَّقيَّ وافد البراجم ، ثم أمر به فقذف في النار "[٣] .

فكان أول من عير تميماً بالطمع في الأكل يزيد بن عمرو بن الصعق ، إذ يريد أن يشفي غُلَّهُ من تميم لإساءة بني أسيد منهم ، فقد جاورهم بنو أبي عوف بن عمرو بن كلاب ، فما

---

(١) الإيناس ص ٢٠٩ .

(٢) البراجم : من قبائل تميم .

(٣) الكامل للمبرد ١/١٧٠ .

أحسنوا الجوار ، إذ أجلوهم عن موضعهم فقال يزيد بن عمرو الكلابي[١] متخذاً تلك الحادثة موجلاً :

ألا أَبْلِغْ لَدَيك بني تميمٍ بآية مابهم حُبُّ الطَّعامِ
أجارتها أُسيدٌ ثم أودت بذاتِ الضَّرعِ منها والسنامِ

وفي " أيام العرب لأبي عبيدة : نزل يزيد بن الصعق قريباً من بني أسيد بن عمرو بن تميم ، واستجارهم لإبله فأجاروه ، ثم أغار عليه ناس منهم فذهبوا بها فقال يزيد هذين البيتين[٢] ، وقد رد عليه أوس بن غلفاء الهجيمي بقصيدته التي منها[٣] :

أصبنا من أصبنا ثم فئنا على أهل الشُّريف إلى شمامِ
وجدنا من يقودُ يزيدُ منهم ضعاف الأمر غير ذوي نظامِ
فأجرِ يزيدُ مذموماً أو انزع على علبٍ بأنفِكَ كالخطامِ
كأنك عيرُ سالئةٍ ضَرُوطٍ كثير الجهلِ شتَّامُ الكرامِ
وإن الناس قد علموكَ شيخاً تُهَوَّكُ بالنَّواكَهِ كل عامِ
وإنك من هجاءِ بني تميمٍ كمُزدادِ الغرامِ إلى الغرامِ
هم منُّوا عليك فلم تثبهُم فتيلاً غير شتمٍ أو خصامِ
وهم تركُوك أسلحَ من حبارى رأت صقراً وأَشرد من نعامِ
وهم ضربوك ذات الرأس حتى بدت أُمُّ الدماغِ من العظَامِ
إذا يأسونها نشزت عليهم شرنبثةُ الأصابع أُمُّ هامِ
فمنَّ عليك أن الجلد وارى غثيثتها وإحرامُ الطعامِ

---

(١) القرط على الكامل ص ٤٤٠ .

(٢) شرح أبيات مغني اللبيب ٦/٢٨٥ .

(٣) المفضلية ١١٨ . الشريف : أرض لبني نمير بين حمى ضرية وبين سود شَمام ، ويوم الشريف من ايامهم (معجم البلدان) . شمام : جبل في بلاد قشير وتسميها العرب أبانَيْن (معجم ما استعجم) علب: أثر الضرب وسمته (لسان العرب) . تهوك : تسقَّط في الردى . النواكه : الحمق . الغرام : الشر الدائم . يأسونها : يعالجونها . نشزت : عاد داؤها . شرنبثة : شبه الشجة بالهامة الغليظة الأصابع المهولة . غثيثتها : ضرها . بنو عداء : من بني أسد . ناصل : سهم ذهب نصله . ضباء : من بني أسد ، جار بني جعفر (النقائض ٥٣٢) صمَّى صمام : زيدي يا داهية (ق . المحيط) .

وهـم أدوا إليـك بني عِـداءٍ بأفـوقَ ناصـلٍ وبـشـرٌ ذامِ
وحيي جعفـرٍ والحـي كـعـباً وحيَّ بني الوحيد بـلا سـوامِ
فـإنا لم يكُـن ضبـاءُ فـينـا ولا ثقفٌ ولا ابن أبي عصـامِ
ولا فضحُ الفُضُوحِ ولا شُيِمٌ ولا سُلماكُمُ صـمي صـمامِ
قتلتم جـاركـم وقـذفتـمـوه بـأمكُـمُ فما ذنبُ الـغُلامِ

والشاعر يشير بهذه الأبيات إلى يوم ذي نجب الذي انتصرت فيه بنو تميم على بني عامر، ويعير يزيد بن الصعق بما اصابه ذلك اليوم ، فقد ضرب على رأسه حتى بدا الدماغ ، وعير قومه بقتل جارهم ، وتهكم به في البداية وكان يزيد يلح على ذلك المعنى ، حتىأن أبياته الأخرى التي منها[١] :

إذا مـا مـات ميتٌ مـن تميمٍ فسركَ أن يَعيشَ فجيء بزادِ
بخُبزٍ أو بلـحـمٍ أو بـتـمـرٍ أو الـشيء المُلفَّـفِ في البجادِ
تراهُ يُنقِّبُ البطـحـاءَ حـولاً ليأكـلَ راسَ لقـمـانَ بن عـادِ

فاقت أبياته السابقة شهرة ، فتناقلها الناس ، ورواها الخلفاء في مجالسـهم ، وتنـدروا بهـا مع جلسائهم فقد دخل الأحنف بن قيس التّميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً فقـال : يـا أحنف ما الشيء الملفف في البجاد[٢] ؟ يُعرِّض له بالأبيات السابقة .

ويصب يزيد بن الصعق جام غضبه على قيس كلها فيهجوها بخفـة العقـول ، وعلـم ا لله بذلك ، وإبغاضهم من أجله ، إذ مردوا على أمرائهم ، فعـاقبهم ا لله بـأن تركهـم كالسـوام ، تحوم في مراعيها ، لا راعي لها يذودها ، ويقوم عليها يقول يزيد[٣] :

وإن ا لله ذاقَ حُلُومَ قيسٍ فلمـا ذاقَ خِفَّـتها قَلاهَا
رآها لا تُـطيـعُ لها أميراً فخـلاها تردَّدُ في خلاها

كل ذلك من أجل أميرٍ لبني سُليم ، نصبوه فنحوه ، لقلة رهطه ، اسمه : العباس بن أنس الرِّعلي ، تعصب الشاعر له ، وأظهر تأييد الرب لإمرته ، وغضبه على خصومه ، ومـا تـأكيد تأييد ا لله لهذا الأمير إلا ليقرر في النفـوس صـلةُ العـرش بسـلطة الأرض ، التي يتسـنم شـعفتها

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٩٤ . البجاد : الكساء المخطط .
(٢) بهجة المجالس ص ١٠٨ .
(٣) الحيوان ٥/٣٠ .

الأمير المنفي ، غير أن الفوضى سمة القوم ، والعصيان ديدنهم .

وكثيراً ما اقترن الهجاء بالفخر ، وكان باعثه العداء بين القبائل المتحاربة ، فأبو دوآد الرُّؤاسي يريد أن يسم خصوم القبيلة وأعداءها بأشنع الصفات ، سواء كانوا في حرب أو في سلم ، إنه يقول في وقعتهم بمذحج[1] :

أتانا أنَّ بالخرماءِ منهم ... سَوَامَهُمُ ودُونَ الفيفِ شاءُ

وأن بها قراضِبَةً غساساً ... يُدبِّرُ أمر سادتها النساءُ

لقد ذمهم إبان سلمهم ، فأبان أنهم صعاليك ، لصوص ، وضعاف ، لئام ، يسودهم النساء ، وذلك ما يأنف منه العربي ، ثم مضى يفخر بوقائع القبيلة في خصومها ، وما الوجه المقابل لذلك الفخر ، إلا هجاءٌ للقبائل المعادية .

وفي هجاء القبائل ما يكون مبعثه سامياً ، يُلجيء إليه حقُّ الجوار ، إذ تفصل أبيات زيد ابن عمرو الكلابي سبب هجائه للغنويين الذين رموا جاره الأسدي ، وعقروا جمله ، فتوعدهم لسوء فعلهم المشين ، في غدر الصديق ، وظلم البعيد ، فأخذ على نفسه أن يقتلهم مثنى وفرادى ، جهاراً ، لا غدر فيه كما غدروا ، ولا قائمة لعوين لهم ، إذ يقول زيد[2] :

أعقرتم جملي برحلي قائماً ... ورميتم جاري بسهمٍ ناقرِ

فإذا ركبتُم فالبسوا أدراعكم ... إن الرماحَ بصيرةٌ بالحاسِرِ

إذ تظلمون وتأكُلُونَ صديقكُم ... فالظلمُ تاركُكُم بجاثٍ عاثرِ

إني سأقتلكمُ ثُنَاءً وموحدا ... وتركتُ ناصرَكُم كأمس الدابرِ

ولأن حق الجوار عظيم عند العرب ، ومسه بأذى إهانة لكرامة المجير ، فقد أثار هذا حمية الشاعر ، وأقامها حرباً هوجاء هاجية .

وإن الاستفهام الذي جاء في أول الأبيات ليدل على شدة المنكر، الذي يستنكره الشاعر،

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٤ . الخرماء : كل رابية تنهبط في وهدة . الفيف : كل أرض واسعة ، وفيف الريح : بين ديار عامر وديار مذحج وخثعم . (معجم ما استعجم) . قراضبة : صعاليك ولصوص . غساس : لئام ، ضعاف .

(٢) شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٣٩٤ . ناقر : سهم يصيب القرطاس . ويتعلق به ، الحاسر : الذي لا درع عليه . الجاثي : البارك على ركبتيه . العاثر : الكابي .

إذ كانت العرب تتألم أشد الألم حين تهجى بالإساءة إلى الجار فحين سمع علقمة بن علاثة الكلابي قول الأعشى[١] :

تبيتونَ في المشتى مِلاءً بُطُونكُم وجاراتُكم غرثى يبتنَ خَمَائصَا
يُراقِبنَ من جوعٍ خلالَ مَخَافَةٍ نُجُومَ العِشاءِ القائماتِ القوامِصَا

بكى وقال : أنحن نفعل ذلك بجاراتنا ؟!

ولم يكن بنو كلاب بالمسارعين إلى الهجاء القبلي ، لما عرف عنهم من هدوء وتعقل ، وإنما سيقوا إلى ما كانوا عنه منصرفين ، ورأوا في تصرف العدو ما جعلهم يغدون فيما كرهوا، فما كان عوف بن الأحوص الكلابي ليهجو الغنويين (بني صريم) لولا أنهم دفعوه لذلك ، وماكان يريده ، ولقد جنوا على أنفسهم ، فهجاهم هجاءً مراً ، وهزأ بهم ، إذ كيف يكونون له أندادا ، وهم أصحاب غنم وشاء ، وليسوا أصحاب إبل وخيل وخيلاء[٢]، ويتهمهم بعدم البصيرة لعدم فطنتهم لما هو فيه من منعة المكان ، إذ يقول[٣] :

تسوق صُريمٌ شاءها من جلاجلٍ إليَّ ودوني ذات كَهفٍ وقورُها

وربما جهلوا في هجائهم لكنهم سرعان ما يعودون إلى عقولهم ويذكرون الصهر والقرابة، وما يحتمه عليهم صلة الرحم ، إذ يحدثنا القيرواني أن الأعور بن براء الكلابي قدهجا (بني كعب ، ومدح قومه بني كلاب ، فأتت بنو كعبٍ تميم بنأُبي بن مقبل ينتصرون عليه به ، فقال : لا أهجوه ، ولكني اقول فاروا ، فقد جاءكم الشعر ، وقال[٤] :

لستُ وإن شاجيتُ بعضَ عشيرتي لأذكُرَ ما الكهلُ الكلابيُّ ذاكرُ
فكم لي من أُمٍّ لَعِبتُ بثديها كلابيةٍ عادت عليها الأواصرُ

فأتت الأعور بن براء بنو كلابٍ ، فعنّفوه ورجعوا عليه ، فقال :

---

(١) ديوان المعاني ١/١٧٢ . غرثى : جوعى . خمائص : ضامرات البطون من الجوع . نجوم القوامص: تلمع ثم تختفي مؤذنة بالرحيل آخر الليل .

(٢) معجم ما استعجم (ذات كهف ١١٣٧) .

(٣) المفضلية ٣٦ . صريم : ابن سعد بن عوف بن كعب ، من غني (جمهرة ابن الكلبي ٤٦٣) جلاجل : جبل في الدهناء (معجم ما استعجم) . ذات كهف : جبل إذا قطعت طخفة بينها وبين ضريّة الطريق (السابق ٤٩٧ خزاز) . قور : جمع قارة : المكان المرتفع الصلب .

(٤) العمدة ١/٢٢٤ . شاجيب : أحزنت . الأواصر : روابط القربى .

ولستُ بشاتمٍ كعباً ولكن على كعبٍ وشاعرها السلامُ
ولستُ ببائعٍ قوماً بقومٍ هُمُ الأنفُ المُقدمُ والسنَامُ
وكائن في المعاشر من قبيلٍ اخُوهُم فوقَهُمُ وهُمُ كرامُ

فتسالما .."[1] .

٦ ـ المرأة هاجية ومهجوة :

لم يكن الهجاء مقصوراً على الرجال ، بل جاء على ألسنة النساء ، فقد عرفن بسلاطة الألسن، وقذف القول ، وسرعة التأثر .

وفي بني كلاب من لسانها أشد وأسم ، حين يمتشقنه على البعداء ، ويغرزنه في لحوم الأقرباء فتلك أم الضحاك الكلابية تورث قبيلة نصر عاراً لا ينمحي ، إذ أساء أحدهم إليها بخبث قراه ، وذلك مبعث هجائها الذي بدأته بذكر رحلتها التي أعقبت لها نصبا ، حداها على هذا النصري ، الذي نزلت ولم تحظ بحق الضيافة ، فما هو أهل للكرم ، فقد تباطأ في الاتيان بالطعام ، وبعد طول انتظار جاء قراه ضعيفاً ، ثم وصفت صاحب القرى بالفقر والشر والغدر ، وانتهت إلى التحذير منه ومن قومه ، تقول أم الضحاك الكلابية[2] :

سَرَت بي فتلاءُ الذراعينِ حُرَّةٌ إلى ضوءِ نارٍ بين أوقحَ والغَرِّ
سرت ما سرت من ليلها ثُمَّ عَرَّست إلى كَلَفِيٍّ لا يُضيفُ ولا يقري
قعدت طويلاً ثم جئت بمذقةٍ كماءِ السلا بعد التبرض والنَّزْرِ
فقلتُ : اهرقنها يا خبيثُ فإنها قرى مُفلسٍ بادي الشرارةِ والغدرِ
إذا بتَّ بالنصري ليلاً فقل له تأملْ أوِ انظُرْ ما قِراكَ الذي تقرِي
أَراسُ حِمَارٍ أَم فَراسِنُ مَيْتَةٍ وكل بزعمٍ أن غيرك لا يدري

لقد هجت الطعام ، والمطعم ، والقوم الأدنين (بني كلفة) والقوم الأقصين (بني نصر)

---

(١) العمدة ١/٢٢٥ . كعب : ابن ربيعة ، أخو كلاب .

(٢) معجم البلدان (أوقح) ، وفي (الجزر) نسبت لأسماء بنت مطرف الكلابية . فتلاء الذراعين : متباعدة عن الجنبين . أوقح : ماء بالشِّراج شراج بني جذيمة بن عوف بن نصر (معجم البلدان) . الغر : غَر : ماء لبني عقيل بنجد . كلفي : نسبة إلى بني كلفة من نصر بن معاوية (السابق ، الجزر) . مذقة : شربة من لبن ممزوج بماء .: السلا : جلدة المولود . التبرض : الترشّف أو أخذ الشيء قليلاً قليلا . فراسن : جمع فُرسن : وهو عظم دقيق قليل اللحم في منتهى قوائم الدابة .

فما تركت أحداً ، إلا ومسها سُم لسانها ، وفي هجاءٍ شديد اللذع ، واهج الشرر .

واستهزأت بنت أبي المختار بن يزيد بن الصعق الكلابي بصحب لأبيها غزو معهُ (مكران)[١] فأغير عليهم فقاتل أبو المختار حتى قتل ، ولجأ من معه إلى غيضة حمتهم ، فقالت[٢] :

لله درُّ عصابةٍ نُبِئتُهُمُ ... تركُوا وراءهُمُ أبا المخْتَارِ
وتعلقَّ النهديُّ ضلَّ ضلالُهُ ... بعناء مُنتخبَ الفُؤادِ مُطارِ
فكأنما ربض الأراكُ بمُهرةٍ ... حَوَّاءةٍ نبتت بصحنِ قُوارِ
والباهليُّ وعُصبةٌ من قومهِ ... دخلوا غلال الغاب كالأثوارِ

وما سلم من هجائهن ابن قبيلتهن ولا أقاربهن ، فلقد ساء سلمى بنت المحلق الكلابي فرار الطفيل بن مالك وجواب بن كعب الكلابيين في يوم النسار ، فعيرتهما ، إذ أسلما القبيلة للذل والهزيمة ، واستبيحت حرمة النساء ، فما كان لها أن تصبر على وضع مزرٍ ، ففاحت لظاً بقولها[٣] :

لحَى الإلهُ أبا ليلى بِفَرَّتِهِ ... يَومَ النِّسَارِ وقُنبَ العيرِ جواباَ
كيف الفخارُ وقد كانت بمُعترَكٍ ... يوم النِّسَارِ بنوُ ذُبيانَ أربابا
لم تمنعوا القوم إذ شلُّوا سوامكُمُ ... ولا النساءَ وكان القومُ أحزابا

لقد دعت على الأول ، وخصت الآخر بوصف مقذع ، وأفصحت عن دافع هجائها ، الذي ينبيء عن أن النساء كن مشاركاتٍ للرجال في هموم القبيلة .

حتى من عاشرنه الليالي ، وكان سكناً لهن ، هجينه ، فتلك أم الأسود الكلابية تهجو زوجها حين تقول[٤] :

---

(١) فتحت مكران في عهد عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ (تاريخ الطبري ١٨١/٤) .

(٢) بلاغات النساء ص ٢٥٩ ، حواءة : سوداء . قوار : جمع قارة : وهي المكان الصلب في ارتفاع . غلال الغاب : ما يستغل منها .

(٣) النقائض ٢٤٢/١ . أبو ليلى : الطفيل بن مالك بن جعفر . يوم النسار : لأسد وغطفان وتميم على بني عامر (الأنوار ١٤١/١) . قنب : جراب قضيب الدابة وبظر المرأة (القاموس المحيط) جواب: هو مالك بن كعب من ابي بكر بن كلاب .

(٤) بلاغات النساء ص ١٣٩ . خود : شابة . نجارها : طبعها ومنبتها . شملة : شقة من الثياب يُتَلفّع بها . صوار : طيب .

سأُنذِرُ بعدي كُلَّ بيضاءَ حُرَّةٍ مُنَعَّمةٍ خُودٍ كريمٍ نِجَارُها
قصير قبالِ النعل ، يُضحي ، وهَمُّهُ قريبٌ ويمسي حيثُ يُعشيه نارُها
إذا قال قد أشبعتني بات راضياً لهُ شملةٌ بيضاءُ ضاقَ خِمَارُها
يرى الطيب عاراً أن يمس ثيابهُ أو المسكَ يوماً إن علاهُ صُوارُها

ثم تمضي في قصيدتها التي أنكرت فيها من زوجها قصره ، ومهانته ، وبغضه الطيب ، وحبه للأكل ، وصنانه المنتن ، إلى غير ذلك من الصفات ، حتى ساقها ذلك إلى هجوِ من قرنها به وهو الأب الذي باعها بأبعرة كانت بديلاً لعشار ضيقت عليه .

ولم يخل الرجال من شدة عليهن ، لما عانوا منهن ، ورأوا فيهن مصدر قلق في حياتهم ، فلا الراحة يُحسونها بجوارهن ، وما من انتهاءٍ لحياتهن ، فيصح الجسم ، وينتفي السقم ، وهذا ما كشفت عنه أبيات عروة بن عتبة الرحال الكلابي[1] :

ثمانينَ حولاً لا أرى منكِ راحةً لهنَّكِ في الدنيا لباقيةُ العُمرِ
فإن أنقلب من عُمرِ صعبةَ سَالِماً تكُن من نساءِ الناسِ لي بيضة العُقرِ

ويهجو ذروة بن جحفة الصَّمُّوتي الكلابي زوجته " مسكة " التي يعيبها في خلقها ، ونفورها منه ، حتى وصل بهما الأمر إلى التشاكي أمام الأمير " ابن هشام السلمي " إذ يقول ذروة[2] :

يا ابن هشامِ عُصرَةَ المظلُومِ إليكَ أشكُو حَيفَةَ الخُصُومِ
ورهاءُ ذاتُ عطلٍ وسيمِ وخُلُقٍ ليس بمُستقيمِ
قد نفرت من شارفٍ مزكُومِ قد خَمَّ أو زادَ على الخمومِ
ليس بمعشوقٍ ولا مرءُوْمِ شممتُها فكرهت شميمي
فهي تمطّى تمطيَ المحمومِ وأعرضت كالفرسِ العذُومِ

كما هجيت الزوجة بسوء التدبير ، وإفساد المال وصرفة فيما لا خير فيه ، إذ يقول أحد

---

(١) الأمالي للقالي ٤١/١ . لهنك : اللام : لام الابتداء ، وهنك : أصلها إنك ، ابدلت همزتها هاء . صعبة : اسم زوجته أو تلقيبة لها . بيضة العقر : أي الوحيدة .

(٢) اختيار الممتع ٢٥٣/١ . المنقوص والممدود ص ٣٢ . عصرة : ملجأ . ورهاء : حمقاء . ذات عطل: فاقدة لحليِّها . شارف : أنف مرتفع . خم : صار ممايُكنس . مرءوم : معطوف عليه . العذوم : الغاضب حين يعض .

الكلابيين مخاطباً امرأته[١] :

لعمري لقدْ أمصَلْتِ مالِيَ كُلَّهُ وما سُستِ من شيءٍ فربُّكِ ما حِقَهْ

وهجا زرارة بن صعب الكلابي امرأة عامرية قدمت له طعاماً ضرَّه فقال[٢] :

قد أطعمتني دَقلاً حولِيًّا مُدَوِّداً مُسَوِّساً حجرياً

قد كُنتِ تفرينَ به الفريًّا

وكانت تلك المرأة قد هزئت من عظم كرشه ، وتخلُّفه خلف القوم حين يأخذه بطنه ، إذ قالت[٣] :

لقد رأيتُ رجُلاً دهريا يَمشي وراءَ القومِ سيتَهيّا

كأنه مُضطغنٌ صَبيًّا

وفزع مربع بن وعوعة الكلابي مع جيرانه اليربوعيين ، يُحذِّرون امرأة من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة اسمها " غضوب " مَغبَّة هجائها بني سبيع قوم زوجها الذي أشاطها حين تزوَّج عليها ، فأولعت بقومه ، تعيبهم ، فأوعدها رجال منهم مربع ، إن هي عادت لينتصفن منها ، فقالت[٤] تخصُّ مربعاً لأنه عدى عليها مع دخلائه :

يا مِربَعاً يا مربعَ الضَّلالِ يا فَاجِراً مُستقبلَ الشِّمَالِ

على بعيرٍ غيرِ ذي جِلالِ يا مربَعاً هل حانَ من إقبالِ

فلما سمع ذلك مربع مشى إليها ومعه آخرون فقتلها ، وقال يهجوها ويذكر شفاء نفسه في قتلها[٥] :

شفيتُ الغليلَ من غَضُوب فأصبحَت لها إرمٌ في رأسِ عبلاءَ عاقِلِ

سأنقُمُ منها جهلها وسفاهَهَا وإنصاعها في كُلِّ حَقٍّ وباطلِ

أَلا لا تُراعُوا إنّما هي لِصةٌ يُسارعُ فيها فتيةٌ بِتَنَاضُلِ

---

(١) لسان العرب (مصل) . مصل : أفسد و ضيَّع .

(٢) الاقتضاب ٢٣٦/٣ . دقل : الدقل : ردىء التمر . تفرين به الفريا : تأتين فيه بالعجب .

(٣) شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٨٩ . دهريّا : نسبة إلى بني دهر من كلاب . سيتهيّا : السيتهي الذي يتخلف خلف القوم فينظر في أستاههم (اللسان) . مضطغن: حامل الشيء في حجره.

(٤) النقائض ص ١٠٩٧ .

(٥) السابق ص ١٠٩٧ . إرم : علامة أو هو قبرها .

وقد عير جرير بني مالك بن زيد مناه بتركهم مربعاً دون قصاص ، وأخذ يذكرهم يوم عاقل ، وأعلى من شأن غضوب التي دافعت عنهم حين هاب رجالهم[١] .

ولم يكن شعر بني كلاب خالياً من الهجاء الفاحش ، الذي نجده واضحاً في العصر الأموي ، على ألسنة أُناس قد لا يكونون من صُلب القبيلة ، وهذا ما يجعلهم غير متحرزين عمّا يُسخط ، فقد تهاجى عبدان من بني عبد الله بن كلاب ، امرأة ورجل ، اعتادا فيما بينهما على المقاولات القبيحة ، فقال الرجل واسمه : الأعور بن براء الكلابي[٢] :

أنعتُ أعياراً وردنَ أَحمِرهْ وكُلُّ عيرٍ مُبْطَنٌ بعشره
في كُلِّ عيرٍ أربعُونَ كمَره لاقين أُمَّ زاجِر بالمزدرهْ
فكمنها مُقبلةً ومدبره حتى إذا مالاح ضوءُ الزُّهرة
جئنَ بغمرٍ مثلِ حزِّ الكركِرَه

فردت عليه المرأة وتدعى " أم زاجر الكلابية " بقولها[٣] :

يا بن التي تضُرُّ باللقاحِ ثم تُغَشِّيها إلى الصباحِ
ثُمَّ تُكامُ في حرٍّ قيَّاحِ يكُومُها الأزعرُ أو فلاحُ

٧ ـ شعر النقائض :

كان شعر النقائض قائماً في العصر الجاهلي[٤] ، وقد شارك بنو كلاب في إلهاب ناره ، وأمدّوه بوقود من شعرهم زاده ضراما ، وأكثر تلك النقائض كانت بين بني كلاب والقبائل المعادية لها ، فالأصمعي يروي عن أبي عمرو بن العلاء قوله : " سابَّ يزيد بن الصَّعق رجلاً من بني أسدٍ فقال يزيد في ذلك[٥] :

---

(١) النقائض ص ١٠٩٧ .

(٢) فرحة الأديب ص ٦٥ . أعيار : جمع عير : وهو الحمار . أحمرة : جمع حمار ، والمراد الوحشية ، أو أن المقصود اللون . كمرة : رأس الذكر . المزدرة : هي المصدرة ، جعل الصاد زاياً ، وهي : طريق صدور الناس من الماء (شرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢٦٣/١) . الزهرة : كوكب لامع . غمر : صغير . حز : قطع . الكركرة : رحى زور البعير .

(٣) فرحة الأديب ص ٦٧ .

(٤) دراسات في الأدب الاسلامي ص ١٠٤ ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ص ٣ .

(٥) الأصمعية ٤٥ . تثوب : تكثر . تدّعي : تنتسب ، أي فرسانها حين يطعنون الخصم .

ولِعتُم بتمرينِ السياطِ وأنتُمُ يُشنُّ عليكم بالفنا كُلَّ مربعِ
بني أسدٍ ما تأمُرُونَ بأمركم إذا لَحِقت خيلٌ تَثُوبُ وتدعي

يهجوهم بأن الغارات تشن عليهم في كل منزل ، فما يجدون للراحة طعما ، فيصبحون شذر مذر ، لا يسيطر عليهم آمر ، وقد أجابه الأسدي بقوله[١] :

أعبت علينا أن نُمرِّنَ قدنَا ومن لا يُمرِّن قِدَّهُ يتقَطَّعِ
فلا يُبعدِ اللهُ اليمين التي بها برأسكَ سيماَ الدَّهرِ مالم تقنَّعِ

يشير الأسدي إلى ضربة ثعلبة بن الحارث اليربوعي لرأس يزيد ، وذلك في يوم ذي نجب[٢] .

وتهاجى النابغة الذبياني مع الأخوين الكلابيين : (يزيد بن عمرو بن خويلد) وأخوه (زرعة) فدار بينهما شعر يتلظى ، ومن ذلك قول النابغة[٣] في يزيد :

لَعَمرُك ما خشيتُ على يزيد من الفخرِ المُضَلَّلِ ما أتاني
كأن التاجَ معقُودٌ عليهِ لأغنامٍ أُخِذنَ بذي أبانِ
وأعيارٍ صوادرَ عن حُماتي لبينِ الكَفْرِ والبُرقِ الدَّوَاني
أَتُهدي لي الوعيد بذاتِ وَجٍّ كأنِّي لا أراكَ ولا تراني
أثرتَ الغيَّ ثم نزعتَ عنهُ كما حادَ الأزَبُ عنِ الظِّعَانِ
وكُنتَ أَمينَهُ لو لم تَخُنْهُ ولكن لا أمانةَ لليماني

يهزأ بأخذه غُنيمات وحمير ، صارت مفخرة له ، ويذكر خيانته للنعمان بن المنذر وذهابه بإبله العصافير .

وقد أجابه يزيد بما ينقض إدَّعاءه فقال[٤] :

---

(١) الأصمعية ٤٦ . قد : سير يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ . سيما : علامة . تقنّع : تجعل قناعاً .

(٢) النقائض ص ٥٨٧ ، ١٠٨٠ .

(٣) ديوان النابغة ص ١٤٧ . أبان : أبان الأبيض ، وأبان الأسود : سلسلة جبال يمر بينها وادي الرُّمة (معجم البلدان) . حماتى : موضع لم أجد من حدده . الكفر : القرية . البرق : جمع برقة : وهي الرمل اختلطت به الحجارة . وج : وادي بالطائف . الأزب : كثير الشعر . الظعان : حزام الرحل. اليماني : نسبة لديار قومه في نجد مما يلي اليمن .

(٤) ديوان النابغة ص ١٥٠ . أبو قبيس : النعمان بن المنذر . شآم : نسبة لمنازل قومه التي تلي الشام . صردان : عرقان أخضران في أسفل اللسان (المنجد ٩٢) . جافر : لا يضرب . قرح العجان : مجروح الفرج .

إن يـقـدر عـلـيَّ أبـو قُـبَيـسٍ تجدنِي عِندَهُ حَسَنَ المكـانِ
تجدني كُنتُ آمَنَ منكَ غَيباً وأمضى باللسانِ وبالسِّنانِ
وأيُّ الناسِ أغدرُ مـن شـآمٍ لـهُ صُـردانِ مُنطلقِ اللسانِ
فإن الغدر قد علمتْ مَعَدٌّ بـنـاه في بـني ذُبـيانَ بـانـي
وإن الفحلَ تُنزعُ خُصـيـتاهُ فيُصبحُ جافراً قَرِحَ العجَانِ

لقد نفى عن نفسه ما تهم به محيلاً العيوب التي رمي بها على عدوه ، متخذاً من فحولة خصمه في الشعر مجالاً للهجاء حين اعـترف لـه بذلـك ، غـير أنـه خصـاه عـن تلـك الفحولـة بالشعر ذاته الذي امتهنه ، فما عاد قادراً على الهجاء بعد أن وصمه يزيد وقومـه بمـا يُـذلُّ مـن الشعر ، كالفحل من الحيوان حين يبلغ هياجه حداً لا يطاق فيخصى فيغدو كأنثاه .

وقد كان زرعة يهجو النابغة ، حتى أقلقه ذلك ، فانبرى لـه هاجيـا ، وأكـثر فيـه فممـا قال[1] :

نُبِئتُ زُرعةَ والسفاهةُ كاسِمها يُـهـدي إلي أوابـدَ الأشـعـارِ
فحلفتُ يا زُرعَ بنُ عمروٍ أنني مما يشُـقُّ عـلى العـدوِّ ضـراري
أعلمتَ يومَ عُكاظَ إذ جاريتني تحتَ العَجَاجِ فما خططتَ غُبَاري
إنّا أقتسـمنا خطتـيـنـا بـيـنـنـا فحملتُ بَـرَّةَ واحتملـتَ فَجَـارِ
فلتأتينكَ قصـائـدٌ ولـيدفعن ألـفٌ إلـيـك قَـوَادِمَ الأكـوارِ

وخاض الكلابيون معركة النقائض التي كانت شغل الناس أيام الأمويين ، وحديـث مـن بعدهم ، إذ ولج غمار تلك المعمعة شعراء من بني كلاب جنـوا علـى أنفسـهم وعلـى قبيلتهـم هجاء لم يبرد على مر الليالي ، مـن أولئـك الذيـن ولجـوا و لم يخرجـوا ذو الأهـدام الكلابـي : متوكل بن عياض ، ونافع بن سوادة ، وبحير بن عـامر الجعفـري ، وابنـا حميضـة الجعفريـان ، ونافع بن الخنجر ، لقد أصلاهم الفرزذق ناراً حامية ، وكشف عن سوأة لهم مـا كـان لهـا أن تعرى ، حتى بلغ الحرج بأم نافع الكلابي أن تعوذ بأبي الفرزدق ، وترجوه كـي يكـف ولـده عما جلبه لها ولدها .

---

(١) ديوان النابغة ص ٩٧ . أوابدها : الوحشي منها . خططت : دنوت منـه . بـرة : اسـم مـن الـبر ، فجار : على وزن حذام . من الفجور الأكوار : الإبل .

تسلط لسان الفرزدق على أعراض بني جعفر الكلابيين حين هجاه ذو الأهـدام الكلابـي بقوله[١] :

إن الخيانةَ والفواحشَ والخنا ... تحتـفُّ فيـها نهشـلٌ ومجاشِـعُ
واللُّؤمُ عند بني فُقَيمٍ شاهدٌ ... لا لُؤمُهُم خافٍ ولا هُو نازعُ
وتقول ضبةُ يومَ جاءَ نفيرُها ... مِنَّا اللئيمُ وكانَ مِنَّا الراضِـعُ

إذ رد عليه الفرزدق بالنقيضة التاسعة والخمسين التي بلغت ستة وثمانين بيتاً ، تعرض فيها لمن هجاه من بني كلاب ، وذكر من أيامهم ما يسؤوهم فمما قال[٢] :

ونُبِّئتُ ذا الأهـدامِ يعوي وَدُونَهُ ... من الشامِ زرَّاعَاتُها وقُصُـورُها
إليَّ ولم أتـرُكْ على الأرضِ حَيَّـةً ... ولا نـابحاً إلا استسـر عَقُـورُها
كلاباً نَبَحنَ الليثَ من كلِّ جانبٍ ... فعادَ عُواءً بعد نبحٍ هريرها
عـوى بشقـاً لا بني بحيرٍ ودونَنَا ... نضَـادُ فأعلامُ السِّـتارِ فـنيرها
ونُبِّئتُ كلبَ ابني حُميضةَ قد عوى ... إليَّ ونـارُ الحـربِ تغلي قدورُهَا
عجوزٌ تُصليِّ الخمسَ عاذتْ بغالبٍ ... فلا والذي عاذتْ بهِ لا أضيرُها
فـإني على إشفاقـها من مَخَافتي ... وإن عَـقَّها بي نـافعٌ لُمجيرُهـا
ولم تـأتِ عـيرٌ أهلـهاَ بالـذي أتـت ... بهِ جعـفراً يومَ الهُضيباتِ عيرها

ومضى يُعيرهم بيوم طخفة ، ويوم عرجة اللذين كان النصر فيهما للضباب على جعفر .

ولم تكن تلك النقيضة لتشفي غليلهُ من بني جعفـر بـن كـلاب ، وإنمـا شـواهم أيضـاً في نقيضته السادسة والتسعين[٣] ، فعابهم في يوم هراميت ، وخص من شعرائهم ابـني حميضـة ، وذا الأهدام : نافع ، وسخر من غوايتهما التي أردتهما في ناره .

---

(١) النقائض ص ٥١٣ . الخنا : الفحش . نهشل ومجاشع وفقيم : من تميـم قـوم الفـرزدق وعمومتـه . ضبة : هو ابن أد بن طابخة من مضر .

(٢) النقائض ص ٥٢٣ . ابنا بحير : عامر منذر وأبوهما بحير بن عامر بن مالك بن جعفر بـن كـلاب . نضاد : جبل في جوف النير في عالية نجد (م . البلدان) . السِّتار : جبال صغار سود منقـادة لبـني أبي بكر بن كـلاب (السـابق) . النـير : جبـل في العاليـة قـرب ضريـة (معجـم البلـدان) . ابنـا حميضة: هما ابنا بحير . غالب : أبو الفرزدق . يوم الهضيبـات : هـو يـوم طخفـة وعرجـة ، كـان للضباب على جعفر (النقائض ص ٥٢٥) .

(٣) النقائض ص ٩٠٧ .

ولم نجد من بني كلاب من رد على هجاء الفرزدق ، فقد يكون ردهم قد ضاع ، إذ إن غضب الفرزدق على بني جعفر الكلابيين يدل على أنهم قد حموا له الميسم ، وكووه بشعر لم يصل إلينا ، وإنما أحسسنا وقعه على مكتويه أو أنهم أرادوا السلامة ، وكفوا أنفسهم شر ملاحاة من خافوا دفن هياله ، غير أن جريراً تصدى للفرزدق دون بني جعفر ، فمدحهم وهجا الفرزدق وقومه ، فكان مما قال[١] :

ذوو الحُجُرَاتِ الشُّمِ من آلِ جعفرٍ ... يُسَلِّمُ جانيها ويُعطى فقيرها
حياتُهُمُ عزٌّ وتَبني لجعفرٍ ... إذا ذُكرت مجدَ الحياةِ قُبُورُها
وعَرَّدتُمُ عن جعفرٍ يومَ معبدٍ ... فأُسْلِمَ والقلحاءُ عانٍ أَسيرهَا
أتنسونَ يومي رحرحان وأُمُكُم ... جنيبةُ أفراسٍ يَخُبُّ بعيرها
وتذكرما بين الضِّبابِ وجعفرٍ ... وتنسونَ قتلى لم تُقَتَّل ثُؤُوْرُهَا

وكأن جريراً يُلمح إلى تدخل الفرزدق فيما بين الكلابيين وتعاميه عن يوم رحرحان الذي كان مجالاً لهجاء قوم الفرزدق " تميم " منذ العصر الجاهلي إذ قال شريح بن الأحوص الكلابي[٢] ساخراً من لقيط بن زرارة التميمي :

لَقيطُ وأنتَ امرؤٌ ماجدٌ ... ولكنَّ حِلمَكَ لا يَهتدي
ولما أمنتَ وساغَ الشرا ... بُ واحتُلَّ بيتُكَ في ثهمدِ
رفعتَ برجليكَ فوقَ الفرا ... شِ تُهدي القصائد في معبدِ
وأسلمتهُ عند جدِّ القتال ... وتبخلُ بالمالِ أن تفتدي

ونقض زفر بن الحارث الكلابي قول عمرو بن مخلاة الكلبي[٣] :

فمن يكُ قد لاقى من المرجِ غِبطَةً ... فكانَ لقيسٍ فيهِ خاصٍ وجادعُ
فلن ينصبَ القيسيُّ للناسِ رايةً ... من الدهرِ إلا وهوَ خزيانُ خاشعُ

بقوله[٤] :

---

(١) النقائض ص ٥٤٠ . يوم معبد : يريد يوم رحرحان الذي أسر فيه معبد بن زرارة التميمي . القلحاء : قد يريد المرأة ، كناية عن صعوبة منال النفيس . جنيبة أفراس : منقادة لآسريها .

(٢) الأغاني ١٢٨/١١ . ثهمد : جبل أحمر لغني قريب من ضرية (معجم ما استعجم ، ضرية) .

(٣) نقائض جرير والأخطل ص ١٩ . المرج : مرج راهط . موضع بالقرب من دمشق تقاتل فيه أنصار الزبير والأمويين (تاريخ الطبري ٥٣٥) .

(٤) السابق . قبيلنا : يريد الزبيريين والأمويين .

فخرتَ ابن مخلاةِ الحمارِ بمشهدٍ علاكَ به في المرجِ من لا تُدافعُ
علاك به قومٌ كأنَّكَ وسطهُم إذا الحربُ شبَّت ثعلبٌ متظالعُ
فإن نكُ نازعناَ قُريشاً فإنهم أَخوناَ ومولانا الذين نُنازعُ
فأي قبيلينا وأمِّك ما يكن لهُ الملكُ تتبعهُ وخَدُّكَ ضارِعُ

٨ ـ الهجاء الشخصي :

كثر هجاء الأشخاص في شعر بني كلاب ، وذلك لما بين الناس من أحقادٍ وعداوات ، فلم يسلم من ذلك الهجاء الشخص العادي ، والمتميز في المجتمع .

هُجي الشخص وهو في المعركة ، كما هجي وهو بعيد عنها ، وتناول الهجاء أشكال الأشخاص ، كما تناول أفعالهم ، ولم يكن هذا الهجاء للبعيد ، بل مسَّ القريب ، منه ما صرح باسم المهجو ، ومنه ما أُبهم . هجت سلمى بنت المحلق من فر من قومها يوم النسار ، وسمتهم بأسمائهم فقالت[١] :

لحى الإلهُ أَبا ليلى بِفَرَّتِهِ يومَ النسار وقُنْبَ العيرِ جوابا

وهجا زفر بن الحارث الكلابي عمرو بن مخلاة الكلبي فوصفه بعدم الثبات ، وشبهه بالثعلب المراوغ في وقعة مرج راهط فقال[٢] :

فخرتَ ابنَ مِخلاةِ الحمارِ بمشهدٍ عَلاَكَ بهِ في المرجِ من لا تُدافِعُ
علاكَ به قومٌ كأنكَ وسطهُم إذا الحربُ شَبَّتْ ثَعلَبٌ مُتظالعُ

كما هجا عامر بن الطفيل الكلابي رجلاً لم يسمه ، إذ عيره بأنه ابن أمة وعاب عليه التصاقه بقوم ليس منهم ، ورماه بالسوء المتأصل فقال[٣] :

وأنتَ لِسَوداء المعاصمِ جَعدةٍ وأقعسَ من نسلِ الإماءِ العوارِكِ
تبيعٍ لقومٍ لم يكن من صميمهم ولكنهُ من نَسلِ آخرَ هالكِ

---

(١) النقائض ٢٤٢/١ . قنب : جراب قضيب الدابة .

(٢) نقائض جرير والأخطل ص ١٩ . مرج راهط : موضع قريب من دمشق كانت به الوقعة بين أنصار عبد الله بن الزبير وأنصار مروان بن الحكم بعد اعتزال معاوية بن يزيد الخلافة (تاريخ الطبري ٥٣٥) .

(٣) ديوان عامر بن الطفيل الكلابي ص ٨٧ . جعدة : غير مسترسلة الشعر . الأقعس : منحي الظهر . العوارك : الطوامث .

أبوكَ أبو سـوءٍ وخـالُكَ مِثلُهُ وهل تُشْـبِهَنْ إلا أباك وخـالكا

ويصف يزيد بن عمرو الصعق من بني عمرو بن كلاب عوف بن الأحـوص الجعفـري ، مُظهراً شكله ، في صورة مضحكة إذ يقول(١) :

ما جَمَلٌ جَوْنٌ توسَّـدَ لُمْـعَةً بآكلَ من عوفٍ إذا حـانَ مأكلُ
لهُ شـعرٌ في حـاجبيهِ ولحـيةُ كَقُنَّةِ وقطٍ وهو أزعرُ مِـنْ عـلُ
فليتَ عُـراقاً من جزورٍ سمينةٍ بكفَّيك يوم الرَّملِ إذ أنت مُرمل

ويهزأ أحد الكلابيين بابن عمه في قوله(٢) :

يمشي إلى جاره الأدنى يُبَشِّـرُهُ إنْ هَزْمَةٌ ولدتْ من ضانهِ رخلاَ
كأنـها نتجت غَـرَّاءُ سـامِقَةٌ لأعـوجيٌّ ترى مـنـها بهِ حُجْلاَ

ويسخر القتال الكلابي من أحد بني جعفر الكلابيين ، لشبعه ، وتركه بني عمه جياعـاً ، حتى غدوا هزالى لا يقوون على القيام فهو يقول(٣) :

يا أيها العفجُ السَّـمِينُ وقومهُ هزلى تُجرِّرُهُم ضـبَاعُ جَعَارِ
أَطعم ولستَ بفاعلٍ ولتعلمن أن الطعامَ يحـورُ شرَّ محـارِ

ولم يسلم من الهجاء رؤساء القوم ، غير أن الشاعر منهم يرد على معيريه ، وينفي التهمة عن نفسه أوقد يبرر ما يُظنُّ أنه عيب .

لقد عيرت هوازن زعيمها أبا براء عامر بن مالك الكلابي بطعنة قرط بن السُّفيح التغلبي له في يوم الأثلب ، إذ صرعه عن فرسه ، واستنقذته هوازن ، فـأراد تبرئـة نفسـه ممـا لحقهـا ، مستنداً على ظروف طارئة أوقعته في محل النقد ، فما هو أول زعيم يُطعن ، ومـا طعنتـه تلـك

---

(١) الوحشيات ص ٢١٧ . وقال محمود شاكر :" كَأنَّ هذا من قول يزيد بن عمرو الصَّعـق في عـوف ابن الأحوص " وذلك لانطباق هذه الصفات علـى مـا ورد عـن عـوف . لمعـة : بـرص في جـانب وجهه . وقط : حفرة في الجبل يستنقع فيها المـاء . أزعـر : الزعـر : قلـة الشعر ، وسـوء الخلـق . عُراق : عظم أُكِل لحمه .

(٢) التعليقات والنوادر ٢٥٢/١ . هزمة : عجفاء ، أو المتكسر من الضَّريـع (اللسـان) . أعوجـي : الخيل المنسوبة لأعوج . حِجْل : خلخال أو قيد ، أو ما كان على صورتهما من اللون .

(٣) ديوان القتال الكلابي ص ١٠٦١ . العفج : عظيم الأعفاج : وهي الأمعاء . ضباع جَعَـار : بنـات الضبع . يحور : يرجع قذارة .

إلا عن طريق الخدعة ، فقد انطلق للخيل المغيرة يريدها فإذا خصمه يُفاجئه برمح أطلقه عليه من بعيد ، وهل من فرس لا يكبو ؟! ، غير أن هذه لن تفُوْت ، فسيجزي خصمه المهانة ، ولن يحس بعد اليوم بالأمن ، وهذا ما يثبت أنه الأقوى ، يقول عامر بن مالك الكلابي[١] :

لعمرُكَ ما طَعنُ الرئيس ببدعةٍ ... خلالَ الوغى ذا نجدةٍ من هوازنِ
سَمَوتُ إلى الخيل المغيرةِ صُبحةً ... فعارضني قرطٌ بأسمَر مارنِ
فجاشت به نفسي وللمرء نبوةٌ ... فكنتُ كضرغامٍ خضيبِ البراثنِ
نبا عِطفُهُ عن قرنهِ حيثُ لم يجد ... مصيداً بجأشٍ في العجاجةِ ساكنِ
فإن ألق قُرطاً أجزه حذو نعلهِ ... بواءً وما قرطٌ لتلك بآمنِ

ولم يكن شخص الشاعر ذاته ليسلم من الهجاء ، فقد وجد هجاء النفس عند بني كلاب في قول ثعلبة بن اوس الكلابي[٢] :

قد راهقت بنتي أن تَرعرعا ... إن تُشبهيني تُشبهي مُخرَّعَا
خَرَاعةً مني وديناً أخضعا ... لا تَصلُحُ الخُوْدُ عليهن معا

لقد أبان الشاعر لابنته ما فيه من عيوب تعيب الفتياتِ مثيلاتها ، فما تصلح الفتاة أن تكون خليعة أو ضعيفة دين .

كما تُعُرِّض للشخوص الجامدة الصماء بالهجاء ، إذ هجا عبدٌ[٣] لبني كلاب الديار التي قاسى فيها الرمضاء والمتح من قعور بعيدة ، فدعا عليها بعدم السلامة ، ورأى أنّ من نجا منها فقد سلم ، ووصفها بأنها ديار نكدة ، لا تنبت إلا العوسج ، حتى أصابته تلك الديار بالهزال، أفلا يهجوها ؟! :

لا سَلَّم ا لله على حَزمَي سَجَا ... من يَنجُ من حزمي سجَا فقد نجا
أنكدُ لا يُنبتُ إلا العوسجا ... لم تَرُكِ الرمضاءُ مني والوجا
والنزعُ من أبعدِ قعرٍ من سجا ... إلا عُرُوْقاً وعظاماً خُرَّجَا

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/١٨٧ .

(٢) تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٣٦٥ . مخرع : الخراعة : الخلاعة والدعارة .

(٣) بلاد العرب ص ١٥٧ . سجا : من مياه بني وبر بن الأضبط بن كلاب (معجم البلدان) . العوسج : نبات شائك . الوجا : رقة القدم من كثرة المشي .

وبعد هذه الجولة العامة في الشعر الهجائي لبني كلاب الذي توزع بين هجاء فردي وقبلي وتجاوزه إلى غيرهما ، نجد أن بواعثه متعددة ، لعل أهمها الباعث الوجداني ، كما أن تفاقم الشؤون الحياتية جعلت الإنسان يُحاول جاهداً أن يري نفسه غيره إن راضياً وإن غاضباً .

إن الهجاء لدى الكلابيين يظهر لنا مشاركتهم في الزحام ، ومحاولتهم الإبانة عن قدراتهم والذب عن منجزاتهم ، فالنبح إعلان عن حياتهم .

والهجاء تذكير بأخبار وذكر لعادات قد تكون سبة الدهر ، سلم منه الوضيع لعدم إغاظته غيره و لم يسلم منه الشريف لأنه محسود بمناقبه ، وفي القبائل من وقي الهجاء ، حيث لا خير فيها ولا شر كثور والطفاوة ، وتعرضت القبائل المهيبة للهجاء ، بسبب حروبها وشجاعة فرسانها ، كقيس وغطفان وفزارة وغني وباهلة[1] ، وقد قال جحناء بن جرير لأبيه : إنك لم تهج أحداً إلا وضعته إلا التَّيم؟ قال : لأني لم أجد حسباً فأضعه ، ولا بناءً فأهدِمَه[2] .

وقبيلة بني كلاب واحدة من هذه القبائل التي هُجيت وهجت ، فكان هجاؤها سلاحاً يباري أسنتها، و لم يكن هجاؤها خالصاً لهذا الغرض ، فقد كان في غالبه مسوقاً في تضاعيف أغراض أخرى ، أو مجارياً لها ، ولهذا لم يطل ، وقد يعود السبب إلى ضياع قسم كبير منه ، وكانت مقاصد هجائهم متعددة ، لعل أهمها الذبّ دون أعراضهم ، والنيل من أعدائهم ، والغيرة على معتقداتهم .

واتسم هجاؤهم بالترفع في عامته إلا ما كان من عبيدهم ، فهو سلب لفضائل كانت دلائل المجد عندهم ، ومع أنهم يحتدُّون أحياناً فإنَّهم لا يسفُّون.

---

(١) تاريخ آداب العرب ٨٤/٣ .

(٢) البيان ٢٩٩/٣ .

الفصل السادس

شعر الرثاء

١ ـ رثاء الأب

٢ ـ رثاء الإبن

٣ ـ رثاء الأخ

٤ ـ رثاء الزعماء

٥ ـ رثاء العامة

٦ ـ رثاء الجماعة

٧ ـ رثاء النفس

تمهيد :

يعتبر الرثاء مدحاً للميت ، فإذا كان المدح إعجاباً بصفات فإن الرثاء حزن على اختفاء تلك الصفات بعد مواراة صاحبها الثرى ، ولذلك يأخذ الشاعر في تعدادها تذكيراً ووفاء .

وقد حاول الشعراء أن يُفصحوا عن عواطفهم تجاه من فقدوا ، فتعددت أساليبهم في ذلك ، فبكوا وتَفَجَّعُوا وأسالوا الدموع مدراراً ، وكان المتفوق في هذا المرأة لطبعها الرقيق ، كما كان من نهجهم في هذا الموضوع تعداد حسنات الميت والثناء عليه ، والإبانة عن شدة وقع المصاب على الجماعة ، وذلك حين يعم خيره ، وتحتمي به قبيلته .

وقد خاض العرب والمسلمون حروباً عديدة ، نتج عنها قتلى أورثوا حسرة ، وشهداء صاروا مثلاً ، مما جعل غرض الرثاء ساخناً على الدوام ، ملتاعة أفئدة ذويه ، متجددة جروحهم حتى أصبح أصدق الأغراض ، وأوفاها في الكشف عن المشاعر .

وأمتدت مراثيهم لتتجاوز القتلى إلى الملوك والسادة وأشراف القوم ، بل تَيَقَّنوا من أن الموت حتم لا مناص عنه ، فذكروا النفس وهي تؤول إلى مصيرها ، وذرفوا الدموع على ذواتهم قبل أن يبكيهم غيرهم .

واتخذ الرِّثاء ثلاث سبل هي الندب والتأبين والعزاء ، عبَّر من خلالها الشعراء عن موتاهم، متخذين تلك السبل منفذاً لما احتشد من آلام وذكريات[1] .

١ - رثاء الأب :

جاء الرثاء أقل أغراض الشعر الكلابي ، نابعاً من عواطف تمازجت فيها أنات الحزن بغضب الثورة في طلب الثأر مع التباهي في الفخر ، والإعجاب في المديح ، في بكاء القريب من أبٍ وابن وأخ ، أو من يليهم ، سواء كان سيد العشيرة ، أو بطل القبيلة ، أو كان زعيماً للأباعد ممن له على الشاعر أو قومه فضل .

ونكاد نفقد رثاء الأب عند بني كلاب غير أبيات قليلة لا تنهض بتكوين رأي حولها ، لكنها تشي بشيء من الملامح ، فأبو القبيلة كلاب بن ربيعة يرثي أباه مفتخراً بالثأر له ،

---

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص ٢٠٧ .

واصفاً إياه بالزعامة الثابتة والكرم الأصيل ، وهما صفتان متوارثتان لدى عرب الجاهلية ، فهو يقول[١] :

ألم تَرَني ثأَرتُ بِشَيْخِ صِدقٍ وقد أخذ الإداوة فاحتَسَاها
ثأرتُ بشيخه شَيخاً كريماً شِفَاءُ النفس إن شَيءُ شَفَاها

وتبدو عاطفة الفخر أقوى من عاطفة الحزن في البيتين ، وهذا يبين أن قتلى الحروب أوسمة شرفٍ لذويهم .لا يبكونهم بقدر ما يُعجبون بهم ، غير أن العبء الثقيل يقع على كاهل قريب القتيل ، إلى أن يأخذ بثأره ، مما ينتج عن الوفاء به راحة نفسية يجدها الثائر ، وبهذا ينتهي الحزن ، ويبدأ الفخر ، وكأنما هذا ديدنهم ، من رثاء إلى فخر ، ومن فخر إلى رثاء ، إنهم يحولون البكاء ضحكاً ، ويخلقون من الحزن فرحا ، وعلى هذا كانت حياتهم بين مدٍّ وجزر .

ولا نجد مراثي الكلابيين خالصة لبكاء موتاهم ، بل يدبِّجونها أغراضاً وموضوعاتٍ أخرى ، فهذه ليلى بنت يزيد بن الصَّعق وهي ترثي والدها تعاتب أخاها على بخله بعد أن ورث عن أبيه جوده ، تقول[٢] :

يَزيدُ أبا قَيسٍ وهل تَسْمَعَنَّه وعندك تعبيرٌ لو انَّكَ تَسْمَعُ
لأصبح ما جَمَّعتَ من كُلِّ صالحٍ معيَّةُ يُعطي النَّاس مِنهُ ويمنعُ
فلا تأمَنَنَّ الدَّهرَ شيئاً رأيته ولا أن يسُوق الناسَ عبدٌ مُجدَّعُ

لقد نادت الميت لتُسمعه ما تغيَّر بعده ، وتسمع منه ما أساء إلى سُمعته ، غير أنها قانطة من ردِّ الموتى فتختم رثاها بحكمة تكون جِماعاً لما قبلها ، ووشاية بأخيها المخالف لأبيها ، تسوقها بحسرة النفس ، وخيبة الظنِّ في الأخ ، وما احتواه من دهر تدهور ، قد اختلف فيه الحال وتغير .

وينعكس الأمر عند عامر بن الطُّفيل الكلابي ، فيبدأ بالحكمة ، المطمئنة للنفس ، وكأنما هو يرفق بشخصه ، ثم ينبه سامعيه إلى ما يقول عن والده ، وهو قول مُؤكد ، قرن فيه المدح بالعتاب ، فهو يمدح ميته إبَّان الرخاء والشدة ، بالخيرية في الجود والنجدة ، وذلك مبلغ

---

(١) البيان والتبيين ٤/١٦ .

(٢) التعازي والمراثي ص ٢٠٧ . معية : هو ابن يزيد بن الصعق .

الإعتزاز، وشدة العاطفة ، ثم يعاتب نفسه وقومه على عدم الوفاء بحق الميت ، وما يجب عليهم تجاهه ، من حبسٍ للإبل على قبره ، وهو ما يسمى بالرذايا ، إذ يقول[١] :

ألا كُلُّ ما هبَّت به الرِّيحُ ذَاهبُ وكُلُّ فتىً بعد السلامة شاجبُ

ألا إنَّ خير النَّاس رِسلاً ونجدةً بهرجاب لم تُحبس عليه الرّكائبُ

ثم يذكر مدى حزنه عليه ، والتضحية دونه ، مضمِّناً ذلك صورة طالما ترددت لدى الجاهليين ، إذ يقول :

وهوَّنَ وجدِي أنَّني لو رَأيتُهُ يُساورُهُ ذُو لبدتين مُكالبُ

لَمَارستُ عنهُ الخيل غير مُهلِّلٍ لعمر أبي أو تشتَعبني الشَّواعبُ[٢]

والغريب أن الشاعر لم يطل في رثاء أبيه ، إمّا لهول المصيبة التي تخرس الذهن ، أو أن هناك أبياتاً أُخرى فُقدت .

إن رثاء الأب غير كثير لدى الكلابيين ، وذلك لسبق الإبن أباه عادةً نحو المهالك ، مما يجعل الأب راثياً أكثر منه مرثياً ، ولذا اختفى رثاء الآباء من الشِّعر الكلابي ، في عصري الراشدين والأُمويين لنفير الأبناء نحو الفتوحات الاسلامية ، وتركهم الأهل والديار .

٢ - رثاء الإبن :

كان رثاءُ الأبناء لأبائهم قليلاً ، نظراً إلى أن الإبن يسبق أباه للموت ، فهو المغامر والقاذف لنفسه في العوادي ، ولذلك عانى الآباء بكاء الأبناء ، وأهرقوا الدموع حزنا عليهم، بعد أن هيأوهم لهذا ، وتهيأوا لتلقي أخبار نعيهم ، فقد أُعدَّ العبيد للخدمة ، والأبناء للقتال، لذا وجدنا عوف بن الأحوص الكلابي يبكي الحيَّ من أولاده أشد من بكائه الميت منهم ، إذ لم يعد الباقي منهم صالحاً للملمَّات أو قادراً على مواجهة البغتات ، إذ يقول[٣] بحسرة وأسى :

أَوْدى بَنِيَّ فما بِرحلي مِنْهُمُ إلاَّ غُلاماً بِيئَةٍ ضَنَيَان

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٢٤ . شاجب : هالك . رسل : رخاء . هِرجاب : موضع في ديار قيس (معجم ما استعجم ص١٣٥٠) .

(٢) مكالب : من الكَلَب : وهو الحرص . مهلل : مُحْجِم . الشَّواعب : المنايا .

(٣) النوادر لأبي زيد ص ٤٧٠ . بيئة : البيئة : الحالة السيئة . ضنيان : الضَّنى : ثقل المرض .

ويدعو عامر بن الطفيل الكلابي من ينادي معه ابن أخيه الميت ليُغيث القوم ، وكأنما قد كلَّ هو من عدم إجابته ، ثم يُقسم أنه لن ينساه أبداً ، ويذكر ما كان بينهما من علاقة ، تلك العلاقة الحميمة ، التي جعلته أحبَّ إليه من يده ، إنه يبكي فقده على قبيلته ، كما يبكي فقده على نفسه ، فيقول[١] :

وَهَلْ دَاعٍ فيُسْمعَ عبدَ عَمروٍ لأُخرى الخيل تَصرَعُها الرِّماحُ
فلا وأبيك لا أنسى خليلي ببدوة ما تحرَّكت الرِّياحُ
وكُنتَ صَفيَّ نفسي دون قومي وَوُدِّي دُون حاملة السلاح

لقد كان موته موجعاً له ، ولهذا جاءت القافية الحائية تُوحي بفيح الألم وحرقة الحزن .

وبعدمجيء الإسلام صار الموت هدفاً يُطلب لذاته ، واكتسب اسماً جديداً هو الشهادة جعلته يشرف بصاحبه ، ويبتغيه في ميادينه ، فانبرى القوم للجهاد ، يرجون ذلك الشرف حتى إذا ما حيز اطمأنت الروح ، وابتهج ذوو الشهيد[٢] ، ورأوا في الندب والنواح ما يذهب الأجر ، ويدفع إلى الرياء ، فلم يجاوز حزنهم دمع العين ، وحرقة الجوى ، إلى تشدُّق اللحيين واصطفاف اللسان بأعمال من كان ، الله أعلم به ، وأدرى بمالَهُ من أفعال ، مبدلين النواحات الجاهلية جُملاً إسلامية ، فيها ترحم على الميت ، وبشرى بسبقه إلى دار القرار .

وفي العصر الأُموي نجد قصيدةً لزرارة بن جزء الكلابي[٣] يبدو أنها مصنوعة يرثي بها ولده : عبد العزيز الذي مات في غزوة القسطنطينية ، لا تختلف عن منهج القصيدة الرثائية في العصر الجاهلي ، فهي إشادة بصفاته ، وتبيان عمّا أخلفه موته على أبيه من تعثُّر الحظّ ، وفقد البصر ، ثم يختمها ببيتي حكمة ، يقر فيهما بأنَّ الموت مورد ، لا بد لكلِّ إنسان أن يعبَّ كأسه ، وهي قصيدة تختفي فيها عاطفة الأُبوة ، لما فيها من سرد خبري ، وإنطفاءٍ لمشاعر الحزن ، التي تظهر جلية في ندب أحد الكلابيين لابنه حبال الذي مات بعد مرض ، فأكبَّ عليه والده ينشج ويقول[٤] :

فلولا حِبَالٌ لم تُنِخْ بي مَطِيَّتي بأرضٍ بها الحُمَّى بِبردٍ وصَالبِ

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٣٩ .

(٢) شعر الفتوح ص ٢٤٦ .

(٣) تاريخ دمشق ١٠/٣٥٧ .

(٤) مجالس ثعلب ١/٩٥ . صالب : حمى حارة غير نافضة .

وقائلة أرداك وا الله حُبُّهُ بِنَفسِي حِبَالٌ من خَلِيْلٍ وصَاحبِ

فما لبث أن مات ، فكُفِّنا سوياً ، لقد كان هو والموت يتصارعان على ابنه ، فهو يطلب له الحياة من حيث تريده المنية ، كما يصارع الأحياء على بغضهم له ، فابنه يملك عليه كلَّ نواحي مشاعره ، حتى لم يعد لغيره أن يزاحمه في حبه الشديد له ، الذي أنهى به إلى الذهاب معه ، واختياره على الزوجة ، مما جعل حبل العواطف ينقطع فجأة ، حين أحجمت الكلمات عن الانثيال بموت صاحبها ، وكنَّا في شغف لسماع المزيد من الإحساسات ، وهذا يقف بنا على سبب كون المراثي الكلابية في غالبها مقطوعات ، فكلما زاد الإحساس كلَّما ضاقت مساحته ، إذ الزيادة قرينة النقص ، وإذا ما استبدَّت العواطف فإنَّها تكون قيداً للإفصاح .

ونتسأءل لِم لم يظهر في الشعر الكلابي بكاء الأبناء إبَّان العصر الراشد ؟ ، قد يعود هذا لطبيعة الحياة آنذاك ، فقد انطلق الأب والإبن في كل فجٍّ يطلبون الشهادة ، وقد ينالانها في وقت متقارب ، فلا يسمعان ببعضهما ، ثم إن البكاء على الميت لم يعد وفاءً له ، بل صار دليلاً على عدم الصبر الذي نُدب إليه المسلم ، وهذا ما يوضِّحه موقف الخنساء في موت أخويها ، ثم أبنائها وتغير نظرتها إلى الهدف من الموت والمصير بعده .

٣ - رثاء الأخ :

جاء رثاءُ الإخوان أكثر من غيره في الشعر الكلابي ، فقد رثى الأخ أخاه ، ورثت الأخت أخاها ، لأنه العضد والسَّند ، بفقده يُحسُّ الفاقد سقوط عضو من أعضائه ، ولذا يكون المصاب جللا ، يُخرج الراثي عن معتاد القول ومخاطبة الإنسان إلى نداء المتوحش من الحيوان ، والإقسام با لله فلا يراه كافياً فيستبدله بالأصنام ، لينتصفن لميته ، كما قال حصين ابن عمرو الضِّبابي الكلابي[1] في رثائه لأخيه زهير الذي وجد مقتولاً بين ظهراني بني عامر ، حيث لم يبلغ القتال ، يوم جبلة :

ياضَبُعاً عثواءَ لا تَسْتَأْنِسي تلتقِمُ الهَبْرَ من السَّقبِ الرَّذِيْ
أُقسم با لله ، بما حجَّت بلي وَما على العُزَّى تُعِزُّه غَنِي
وقد حلفتُ عند منحرِ الهدي أُعطيكم غير صُدُورِ المشرفي

---

(١) النقائض ص ٦٦٨ . عثواء : عجوز . الهبر : قطع اللحم . السقب : ولد الناقة . الرَّذي : الهالك.

وقد رأى أن المكان له تأثيره في الحلف فأدّاه منه ، ثم يذكر عدم غناه عن أخيه ، لما فيه من صفاتٍ قلما تجتمع في غيره ، فيُواصل مُلتزماً بالقافية المقيدة التي تبين عن تقطُّع الأنفاس :

فَليس مِثلي عن زُهيرٍ بغني هُو الشُّجاعُ والخطيبُ اللَّوذعي
والفارسُ الحازمُ والشَّهمُ الأبي والحامِلُ الثَّقلِ إذا ينزلُ بي

وتظهر غلبة الوجدان الغاضب على الشعور الحزين ، مما جعل المعاني الحسية تبرز على ما عداها .

ورثى ذو الجوشن الكلابي واسمه : أوس أخاه الصُّميل بن الأعور الذي قتله رجل من خثعم يُكنّى بأبي سفيان ، رثاه بقصيدة حفلت بالفخر ، مما جعل الراوي لا يذكر كثيراً من ابياتها لما فيها من المباهاة بأمور الجاهلية ، ومما ذكره قوله[1] :

وقَالُوا كَسْرَنا بِالصُّميل جَنَاحَهُ فأَصبح شيخاً عِزه قد تضعضعا
كذبتم وبيت الله لا تَبلُغونني ولم يكُ قومي قومَ سوءٍ فأجزعا
فمن مُبلغٌ عنّي قبائل خثعمٍ ومذحج هل أُخبرتُمُ الشأن أجمعا
جزيناً أبا سُفيان صَاعَاً بِصَاعه بما كان أجرى في الحرُوب وأوضعا

وقد أخذ القنوط بنفس أوس بن الأعور الكلابي ، فلا أمل لديه في عودة أخيه ، فهو يعبر عن موته بالماضي في " أمسى " تأكيداً على فقد ، لا رجوع بعده ، وإيحاءً بالرهبة من ذلك الشيء المجهول وهو الموت ، ثم لا يلبث أن يكشف عما كنى ، فيقول[2] مُعَيِّناً مكان موته :

أَمسَى بِكَوْدَى أُثالٍ لا بَرَاحَ به بعد اللِّقاءِ ، وأُمْسِي خائفاً وجلا

وكأنما قد كلَّ بعد كُلِّ البطولات فما عاد يقدر على مواصلتها ، بعد أن أدى ما عليه ، غير أنه خلّف فيمن بعده رعباً كانوا لا يعرفونه بوجوده .

وتختلف المرأة الكلابية الراثية عن الرجل ، فحزنها أشد ، ومظاهرألمها أبين ، إذ تركّز الباكية على مظهر الميت قبل موته وسط الصحب ، وشربه الخمر ، كما تذكر قوته التي تجعله

---

(١) الاستيعاب ٤٦٨/٢ .

(٢) معجم ما استعجم ص ١١٣٩ . كودى أُثال : اسم الموضع الذي قُتل فيه الصُّميل بن الأعور أخو الشاعر (معجم البلدان ، كود) .

حمى لغيره ، من مثل قول[١] هند بنت أسد الكلابية وهي ترثي أخاها :

لقد ماتَ بالبيضاءِ مِن جانبِ الحِمى فتىً كان زَيناً للمَواكب والشُّربِ

يلُوذُ به الجاني مخافة ما جنى كما لاذت العصماء بالشاهقِ الصَّعبِ

ثم تذكر أثر موته على النساء القريبات منه ، في صورة الظاميء دوماً ، وهذا ما نستوحي منه معنى آخر هو : أنَّهن لن يجدن ما يسدُّ مسد الأخ ، إذ تقول :

تظلُّ بَنَاتُ العمِّ والخَالِ حولهُ صواديَ لا يَروين بالباردِ العَذبِ

وقد هيأت القافية المطلقة ما أتاح للشاعرة مدى تنفث عبره حسراتها .

٤ ـ رثاء الزُّعماء :

كان سيد القبيلة دعامة أفرادها ، يلتفون حوله ، فإذا ما مات أو كبر ربما اختلفوا على من بعده ، كما حصل بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل ، حين احتدم بينهما النزاع على من هو أولى بالزعامة بعد معاوية بن مالك ، ولذلك كان فقد الزعيم فقداً لتماسك القبيلة ، وزعزعةً لوحدتها ، إذ يُحس الصغير والكبير ، الرجل والمرأة بعِظَم المصيبة ، مما يجعلهم لا يتمالكون نفوسهم ، فالمرأة تشق جيبها ، والرجل تغرورق عيناه ، والأسى والأسف يملك عليهما جوانب النفس ، يقول عبد الله بن[٢] جعدة الكلابي ، في موت زعيم هوازن الذي حررها من الذل " خالد بن جعفر " بعد أن شجَّ عليه خباءه الحارثُ بن ظالم المري وقتله وهو نائم ، في جوار الأسود بن المنذر :

شَقَّت عليك العَامِرِية جَيبها أسَفاً وما تَبكي عليك ضَلاَلاَ

ثم يخاطب الحارث مخاطبة الحزين ، طاعناً في عمله الذي كان غدراً ، مفضياً هذا الطعن إلى صفة مدح في المقتول ، فيقول :

يا حَارِ لو نَبَّهتَهُ لوجدته لا طائشاً رَعِشَاً ولا معزالاَ

ويبين أثر الحزن في مظهر الدُّموع المنهمرة ، التي لا تنقطع ، لكن هذا لايكفي ، فينتقل من البكاء عليه إلى الواجب نحوه ، وهو الثأر له ، فيتوعدهم بجيش مهيب ، لا يُرضيه إلا أنداد القتيل من السادة ورؤس القوم في الأعداء ، ولا يبتغي غير مقتلهم ، وماله في المال مطلب ، وتلك غاية النبلاء في الجاهلية :

---

(١) زهر الآداب ص ٩٣٩ . العصماء : ما في ذراعيها أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

(٢) العقد الفريد ١٣٨/٥ .

واغرورقت عيناي لمّا أُخبرت بالجعفري وسَبَّلَتْ إسبَالاَ
فلنقتُلنَّ بخالدٍ سَرَوَاتِكُم ولنجعلن للظَّالمين نكالاَ
فإذا رأيتُم عارضاً متهلّلاً مِنّا فإنّا لا نحاول مالاَ

" ولمّا اتصل بيزيد بن عمرو بن خويلد بن الصعق أخي بني نفيل بن عمرو بن كلاب ، مقتل مالك وكُرز ومن قُتل من بني سليم ، من ركب لقوه ، قال يرثي مالكاً ، ويحضّ عبّاساً الأصم أبا أنسٍ الرعلي على بني فراس والطلب بدمائهم "[1] مُقسماً بعمره أن ذلك الخبر قد أصابه بالوجع ، إذ يقول :

لَعَمْرِي ومَا عَمْرِي عليَّ بهين لقد خبَّر الرَّكبُ اليماني فأوجَعَا

وهذا تبيان عن الأثر المباشر للخبر ، مما جعل الشاعر يهذي بلا وعي من أثر الصدمة ، فينفي أن يكون الموت قد حلَّ بمالك ، وإنما حل في غيره ممن يقدر عليهم الموت ، غير أنَّه يعود إليه وعيه ، وتطمئن نفسه بعد فورة ، فيقرُّ أن لا دافع للقدر ، فيقول :

نعوا مالكاً فقُلْتُ ليس بمالكٍ ولم أستَطِع عن مالكٍ ثمَّ مدفعاَ

ولم يكن أثر فقده خاصّاً بالبشر ، بل حلَّ الأسى والحزن في حزون الأرض وسهولها ، فانكسرت في ذلٍّ بعد عز ، وهذا من إسقاط الأحاسيس الإنسانية ، على الجمادات ، ويتابع، مبيِّناً مكانة الميت :

فأبلغ سُلَيْماً أنَّ مقتل مالِكٍ أَذلَّ سهولَ الأرض والحزنَ أجمعا

ثم يذكر تفرده ، ويوصي قريبه أن يترك الملذات حتى يثأر له ، ويختم أبياته بالتوعد والتهديد لبني فراس ، وأنهم لن يستطيعوا حضور المواسم مع القبائل خوفاً من القصاص المضاعف :

فلِلَّهِ عينا من رأى مِثلَ مالكٍ قتيلاً بحزنٍ أو قتيلاً بأجرعا
فلا تشربَنْ خمراً ولا تأت حاصناً أبا أنس حتى يروك مُقنَّعاً
فلو مالك يبغي التِّرات لقد رأوا نَوَاصِيَ خيلٍ تنفُضُ السُّمَّ مُنقعا
أنازلة غَدْواً فراسٌ بفخرها عُكاظ ولم نجزي لها الصَّاع مُتْرَعَا

وقد تيسَّرت للشاعر قافية العين المُتبعة ألفا التي تعتبر أحلى القوافي في تفريغ الأسى ،

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١/١٢٤ .

بها أمهات القصائد الرثائية ، كعينية أوس بن حجر التي بدأها بقوله[١] :

أيتُها النَّفس أجملي جزعاً ... إنَّ الذي تحذرين قد وَقَعَا

وعينية متمم بن نويرة التميمي في رثائه لأخيه مالك ، التي منها[٢] :

سَقَى الله أرضاً حَلَّها قبرُ مالكٍ ... ذِهَاب الغوادي المُدجنات فأمرعا

لعشنَا بخيرٍ في الحياة وقَبلنا ... أصاب المنايا رهطَ كسرى وتُبَّعَا

وكذا عينية أبي ذؤيب الهذلي المشهورة .

ولم يسلم يزيد من هذا الرثاء ، فقد جرَّ عليه هجاء ، لما في قصيدته من تحريض وتهديد، وهذا أمر متوقع أن يفضي رثاءُ البعداء من الزعماء إلى سخط أعداء المرثي ، والعودة على الراثي بالتعيير ، واجترار ماضي حروبهم ، وهذا ما دفع عبد الله بن جِذل الطِّعان رئيس بني فراس إلى الرد على رثاء يزيد إذ قال[٣] :

لعمري لقد سَحَّت دُمُوعُك ضِلَّةً ... تُبَكّي على قتلى سُليم وأشجعا

فهلاَّ شُتَيراً أو مَصَاد بن خالدٍ ... بَكيتَ ولم تترُك لها الدّهر مَجزعَا

تُبكّي على قتلى سُليم سَفَاهةً ... وتترُكُ من أمسى مُقيماً بضلفعا

كمُرضعةٍ أولاد أخرى وضيَّعت ... بَنِيها فلم تَرقَع لذلك مَرقعا

لقد تركت أفناء خِنْدِفَ كُلَّها ... لعينيك مبكَىً إن بكيت ومدمعا

تُحَرِّضُ عباساً علينا وعِندَهُ ... بلاءُ طِعَانٍ صادقٍ يَوْمَ نُصْرَعَا

فَإنَّا بهذا الجِزع قد تعلمُونهُ ... وإن على الجَفْرَين دُهمَاً ممنَّعا

كما جر هذا إلى التضام بين سليم وكلاب ، وانبعاث الفخر بعد البكاء فقد قال هند بن خالد بن صخر السُّلمي[٤] :

ألا أبلغ لديك بني كلاب ... وشاعرها وفي الأقوال غور

---

(١) ديوان أوس بن حجر .

(٢) الأشباه والنظائر للخالديين ٣٤٨/٢ .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١٢٥/١ . شتير : هو ابن خالد بن نفيل بن عمرو بن كلاب ، قتله ضرار ابن عمرو الضبي يوم غول (النقائض ٣٨٧) ، ومصاد ابنه (الاشتقاق ٢٩٧) . ضلفع : من ديار بني أسد (معجم ما استعجم) . نصرعا : حذفت نون توكيدها الخفيفة .

(٤) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٨٧ .

ألم تر أننا لبني فراس سمونا تحتنا الوقح الذكور

ولم يكن رثاء سادة القبائل قائماً به الرجال وحدهم ، بل كان النساء يُعجبن بهم أيضاً ، لما لهم من فضل مشهود وأياد مُنعمة ، فتلك زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب : " أخت ملاعب الأسنة " ترثي يزيد بن عبد المدان الحارثي أحد أشراف مذحج ، لما له من أفضال ، وفك أساري بني جعفر ، تقول[١] :

بَكيتُ يَزيدَ بن عبدِ المَدَا ن حَلَّت به الأرضُ أثقالَهَا
شَرِيكُ المُلُوكِ ومن فَضْلِهِ يَفضُلُ في المجدِ أفضالها
فَككت أسارى بني جعفرٍ وكِندة إذ نِلتَ أقوالها
ورهطَ المُجالد قد جَلَّلت فواضلُ نُعماك أجبالها

وتظهر المبالغة في معاني الشاعرة ، وكأنها أحست بذلك ، فأخذت تسوق الشواهد على ذلك الفضل وتبيَّن أثر ذلك الفقد على الأرض ، وما حلَّ بها بعده ، ولكنها لم تسلم من النقد أيضاً ، فقد عابها قومُها على بكائها رجلاً غريباً ، ولأنَّها صادقة في إعجابها ، ولذا لم يهمها من زرى ، إنَّها تعلِّل رثاءها لهذا الشخص اليماني بأن له عليها معروفاً لا تنساه ، وهو إطلاقُه لسراحها ، وكسوته لها ، فتقول[٢] :

ألا أيُّها الزاري عليَّ بأنَّني نزاريَّةٌ أبكي كريماً يَمَانيا
ومالي لا أبكي يزيدَ وردَّني أجُرُّ جديداً مدرعي ورداثيا

وكان بكاء البعيد مدعاة للسخرية ، وباعثاً على الحنق ، إذ يقول عوف بن معاوية[٣] :

نُبئتُ أَوساً بَكى ذا القرنِ إذ شربَا على عُكاظَ بُكاءً غال مجهودي
إنِّي حلفتُ بما جمعتُ من نشبٍ وما ذبحتُ على أنصابك السُّودِ
لتبكينَّ قتيلاً مِنكَ مُقتربـاً إني رأيتك تبكي للأباعيد

٥ ـ رثاء العامة :

جاء رثاء العديد من الأفراد ـ ممن هم ضمن الرجالة أو الفرسان الذين لا يتميَّزون عن غيرهم بشيء ـ كثيراً في الشعر الكلابي ، فحين لحقت خيل بني يربوع التميميين ببحير بن

---

(١) الأغاني ٢١/١٢ ، والأصح خَلّت بالإعجام أي كَأنَّ الأرض زُلزلت .

(٢) السابق ٢٢/١٢ . مدرعي : المدرع : نوع من الثياب ، وقيل إنه المشقوق المقدمة .

(٣) الأغاني ١٩/١٠ . ذو القرن : من بني الحارث بن كعب قتلته جشم بخالد بن الصِّمَّة .

عبد الله القشيري طعنه أحدهم فأرداه عن فرسه ، فأتبعه الأخرى فأطار رأسه ، فقال يزيد بن عمرو بن الصَّعق الكلابي متوعداً قَتَلَتَهُ ، ناعتَهُم بالخور ، إذ يقول[١] :

أَوَارِدةٌ عليَّ بنو رِياحٍ بِعيرهم وقد قَتَلُوا بحيرا

فلم تطمع بنو رياح بهذا فانتدبوا له امرأة منهم تردُّ عليه وتهجوه ، تلقب بالعوراء ، فكان مما قالت[٢] :

قعِيدك يا يزيدُ أبا قُييسٍ أتُنذرُ كي تلاقينا النُّذُورَا
وتُوضِعُ تُخبرُ الأقوام أنّا وُجدنا في ضراس الحرب خُورا
ألم تعلم قعيدَك يا ابن عمروٍ بأنا نقمعُ الشيخ الفخورا
فأبلغ إن عرضت بني كلابٍ بأنا نحنُ أقعصنا بحيرا
أفخراً في الرخاء بغير فخرٍ وعند الحرب خواراً ضجورا

وهذا شأن بني كلاب حينما يرثون غيرهم ، فقلَّما يكون رثاؤهم لهم سلاما ، فغالباً ما يجر عليهم وبالاً وهجاء ، إذ يكون في هذا الرثاء استصغار لقتلة المرثي مما يثير حميتهم فيعودون على الراثي الذي رفع خصومهم وأنزلهم .

ويبدو أن بحيراً هذا كان محبوباً لدى بني كلاب ، فقد رثاه كلابي آخر إسمه : جبار بن سلمى حدَّد مكان جدثه ، ودعى له بالسُّقيا ، ذكر مُبرر بكاه عليه ، فقد كان شجاعاً ، وبينهما من الحب ما يجعلهما يُحسان بشدة الألم ولوعة الفقد على بعضهما ، يقول[٣] جبار:

وقد نُبِّئتُه بصعيد عكٍّ فَسُقياً ذلك الجدث اليماني
فما للعين لا تبكي بحيراً ولو أنّي نُعيتُ لهُ بكاني
وما للعين لا تبكي بحيراً إذا افترت عن الرُّمح اليدانِ

وقد كرر الجملة دليلاً على بالغ الحسرة .

وعادة ما يبكي شجعان بني كلاب أمثالهم من القبائل الأخرى كما في رثاء عامر بن الطفيل[٤] لبطل بني وائل : عبس بن حذار .

---

(١) النقائض ص ٧٢ .

(٢) السابق .

(٣) النوادر لأبي زيد ص ٤٢٣ ، المؤتلف والمختلف ص ٩٩ .

(٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٩ .

ومن رثاء بني كلاب لبعضهم رثاء مرداس بن حصين الكلابي لزرعة بن عمرو بن الصَّعق الكلابي ، الذي قدَّم له بالهجاء والاستهزاء ، مُضمَّناً الفخر بنوعيه القبلي والذاتي ، داخلاً إلى غرضه الرثائي بنفي الشبيه لميته ، الذي ندبه بتعداد صفاته التي جاءت حسية ومعنوية ، لا تختلف عما نعي به غيره ، وهو يسوق تلك الصفات في سرعة ، تدل على نعيه له حين بلوغه خبر موته ، مما لم يمكنه من التأنّي في الحال والمآل ، والخروج بأفكار تنم عن اعتبار ، يقول مرداس[1] الكلابي :

فإن نُرزَأهُمُ فلقد تَركنا ... كِفاءهُمُ لدى الدُّبُرِ المُضاع
فلم تُخطي سراة بني حُليسٍ ... وشدَّاداً تركنا لِلضِّباع
قصرتُ له القبيلة إذ تَجهنا ... وما ضاقت بشدته ذراعي
ولم أرِ هالكاً من أهل نجدٍ ... كَزُرْعَةَ يوم قام به النواعي
أجلُّ جلالةً وأعزَّ فقداً ... على المولى وأكرم في المساعي
وَأَقْوَلُ للتي نبذت بنيها ... وقد رأتِ السَّوَابِق لا تُراعي
وكان دريَّةً لما التقينا ... لِنصل السيف مُجتمعُ الصُّداعِ
وقد ترك الفوارسُ يوم حسي ... غُلاماً غيرُ مَنَّاع المَتَاعِ
ولا فرحٍ بخيرٍ إن أتاهُ ... ولا جزعٍ من الحَدَثانِ لاعِ
ولا وقَّافةٍ والخيلُ تَردِي ... ولا خالٍ كأُنبوُبِ اليراعِ

ومن المعاني الرثائية عند بني كلاب تقديم النفس فداءً للميت ، وتذكُّر بعض صفاته ، كقول أوس[2] بن قتادة بن عمرو بن الأحوص الكلابي ، في رثائه لعبد عمرو بن شريح بن الأحوص ، المعروف بأمه " فاختة " :

أفدي ابن فاختة المُقِيمَ بأجربٍ ... بعد الطِّعانِ وكثرة التِّرحالِ

لكن المعنى الذي يبدو جديداً آنذاك هو ذكره أن الموت لم يستطع هذا الميت إلا خفية ولم يأته شاهراً رأسه على رأس رمح أو سيف ، وإلا لطمأن تلك الرؤوس بجرأته وشجاعته ،

---

(١) النوادر لأبي زيد ص ١٤٩ . نرزأهم : نحسُّ بمصيبتهم . القبيلة : اسم فرسه . تجهنا : تواجهنا . قصرت : حبست . الدرية : حلقة يُتعلم عليها الطعن . حسي : موضع في وادي الرمة (معجم ما استعجم ، جنفاء) . لاع : ضَجِر .

(٢) المغانم المطابة ص ٩ . أجرب : موضع بنجد (معجم البلدان) .

إذ يقول :

خَفِيَت مَنِيَّتُه ولو ظهرت لهُ لوجدتَ صَاحِبَ جُرْأةٍ وقتال

إنهم يعتبرون الموت في غير أرض المعركة خسارة تؤرث ألما ، وقضاء لا يُبتهج له ، إذ لم تُحَقِّقْ المنيَّةُ الأُمنية .

ويرثي الشاعر الأُموي عمرو بن حسَّان الكلابي شخصاً اسمه : عمير بن عبد ا لله مبتدئاً بذكر حاله وإبداء مظاهر الحزن من دموع وسهر ، لائماً لوامه على حزنه ، وأنه سيعصيهم ، فما كل ما رأوه من مظاهر الحزن بشافٍ غليله ، ففي كل آنٍ ما يثير شجنه عليه ، ثم يورد حكمة تدعوه للهدوء ، ويخاطب الميت داعيه إلى الصبر ، وكأنما يريد دعوة نفسه إلى ذلك ، مشيراً إلى أن الموت لا يسلب إلا كرام الناس تاركاً ضعافهم ، ثم ينادي المرأة لندب ميته ، وتعداد صفاته ، لما تتمتع به المرأة من قابلية وقدرة على ذلك ، ويأخذ في بيان تلك الصفات التي لا يقوم بها إبان الشدة إلا هو ، ولذا فقد هلك الجود بمهلك هذا الرجل ، ويختم الأبيات بذكر تأثر الطبيعة بموت عمير هذا ، يقول عمرو بن حسان الكلابي[1] ، من هذه القصيدة :

كأنَّ العَيْنَ حين تُريدُ نَوْمَاً طريفٌ أو بفُلفُلةٍ كحيلُ

أعاذل أقصري عن بعض لومي فإن اللوم محملهُ ثقيلُ

إلى أن يقول :

وقد غلِق النَّدى بلوى زرُودٍ لقد غال ابن عبد ا لله غُوْلُ

كأنَّ الأرض إذ فقَدَت عُميراً وإن جاد الرَّبيعُ بها مُحولُ

والملاحظ في أبيات الشاعر أنه يُهوِّل ما في نفسه نحو هذا الميت ، فالمصاب جلل ، وليس هيّنا ليهون على النفس وينتهي الأمر ، ثم إنه ركز على كرم المرثي بعدة صور دون غيرها من الصفات ، ثم أوحى لنا بأن المتوفى له من الصِّفات ما يزيل الكرب عنه ، ولذا نعته بأنه أغر الوجه ، مُشرقة ، والقصيدة تامة هي :

كأنَّ العينَ حين تُريدُ نوماً طريفٌ أو بفُلفُلةٍ كحيل

أعاذلَ أقصري عن بعض لومي فإن اللَّومَ محملَه ثقيلُ

وقولي : لا أُلومك أو تنحَّي وقد يُعصى وإن نصح العذُولُ

---

(١) الأشباه والنظائر للخالديين ٣٥٣/٢ . الشاعر اسمه عمرو في كتاب (من اسمه عمرو من الشعراء) ص ٢٥ .

أعاذل إن صبري عن عُميرٍ لتجميلٌ وما ذهب الغليلُ
إذا وطنتُ جأشي للتّعزي أبى الذكراتُ والعين الهمُولُ
رأينا من تُقاسمةُ المنايا يُضامُ ولا يُفاداهُ قتيلُ
فصبراً يا عُميرُ فكلُّ قومٍ سيسلُبُهم كريمُهُمُ السَّبيلُ
وقولي غير كاذبةٍ رُزئنا فتى صدقٍ إذا برد الأصيلُ
لأمَّمتَ الندى وطلعت فيه ثنايا الطَّالعُون لها قليلُ
وركب قد هووا لك بعد ركبٍ تلُفُّهُمُ شآمِيّةٌ بَلِيلُ
تخطَّوا نحو نارك كُلَّ نارٍ ووجهُك والندى لهم دليلُ
إلى رحب الفناء ندٍ نجيبٍ كأنَّ جبينهُ سيفٌ صقيلُ
أغرُّ تُفرِّجُ الغماء عنهُ إقامتهُ الكريمةُ والرحيل
يَزينُ الرَّكبَ حين يكون فيهم ويحمده المرافق والخليلُ
وقد غلق الندى بلوى زرُودٍ لقد غال ابن عبد الله غُولُ
كأن الأرض إذ فَقَدَت عُميراً وإن جاد الربيعُ بها مَحُولُ

ورثى زُفر شخصاً بهذا الأسم هو : عُمير بن الحباب ، الذي قُتل على يد تغلب ، رثاه في قصيدتين ، الأولى أشرك فيها مع ابن الحباب رهطاً من غني ، وشخصاً اسمه عاصم ، وحاول فيها إبراز أثر الحزن على نفسه ، فاستجاد العين دموعها ، وطلب معاودة البكاء ، ثم انتقل لمفاخرة بني جُشَم بن بَكْر ، وعدَّ قتلاه كراماً وقتلى الأعداء كلابا ، ثم أخذ يهزأ ببني كَلْب ويعيّرهم ، ورأى أنهم بعد قتل عمير لن يجدوا من يصادمهم ، لهيبته في الناس ، ويختم أبياته بذكر وهنه بعد مقتل صاحبه ، والثانية أخلصها لعمير هذا ، فبدأها بذكر تأثُّر الطبيعة لِموته ، وتغير حاله هُوَ ، مِنْ زَهْوٍ إلى انكسار ثم تمنّى عودة عمير ليرى فعله في تغلب التي قتلته ، حيث جرى منهم مرج الكحيل دما .

ولا يظهر في قصيدتي زفر ما يميزهما عن الشعر الجاهلي ، فقد سار على منواله ، واحتفى بنقل معاني سابقيه ، يقول[1] زفر من قصيدته الأولى :

إلا يا عينُ جُودي بانسكابِ وبكّي عاصماً وابن الحُبابِ

---

(١) ديوان زفر بن الحارث الكلابي ص ٢٣٠ .

فإن تكُ تغلبٌ قتلت عُميراً ورهطاً من غنيٍّ في الحرابِ
فقد أفنى بني جُشعم بن بكر ونمرهم فوارسُ من كلاب
قتلنا منهمُ مائتين صَبراً وما عدلوا عمير بن الحُبابِ

ويقول[1] من قصيدته الأخرى :

ولما أن نعى النّاعي عُميراً حسبتُ سماءَهُم دُهيَت بليلِ
وكان النّجمُ يَطلُعُ في قَتَامٍ وخاف الذلّ من يمنٍ سُهيلُ
وكنتُ قُبيلها يا أم عمرو أرجلُ لمتي وأجرُّ ذيلي

٦ ـ رثاء الجماعة :

بكى بعض الشعراء جماعة من الناس ، لم يُذكَرُوا بأسمائهم ، وإنما نُعتوا بصلتهم من الراثي ، فهم أحبابه ، أو أبناء قبيلته ، وكأنّما تذكّرهم بعد فترة من الوقت فأمضه فراقهم ووحدته ، وشغل عليه ذلك جوانحه ، وليس غير اللسان ينفّس عن الإنسان ، أُنثى كان أو ذكرا، فهذه خزانة بنت خالد بن جعفر الكلابي ، تبكي أحبةً لها ، فرق الدهر بينهم ، كانوا سندها ، لكنها تظهر الجلد والصبر أمام الأعداء ، مهما استبدّ بها حب أحبابها ، وظهرت عليها لوعة فقدهم ، إنها تقول[2] :

طوى الدَّهرُ ما بيني وبين أحبةٍ بهم كُنتُ أُعطي ما أَشاءُ وأمنعُ
فلا يحسب الواشون أنَّ قناتَنا تلينُ ولا أنا من الموتِ نجزعُ
ولكنَّ للأُلاَّف لا بُدَّ لوعةً إذا جعلت أقرانها تتقطَّعُ

ويكابد عمرو بن حسان الكلابي غُصَّةً لمهلك أولاد القبيلة وزينتها ، فقد تفتحت فجاج المصائب التي لا يسدّها غيرهم ، وكان طريقه إلى رثائهم هو الحوار بينه وبين المرأة التي سماها " سليمى " واستطاع أن ينقل على لسانها حالته بعد أولئك ، وهي حالة ظاهرة وباطنة فالجسم هزيل والقلب خليط بالهموم ، يقول الشاعر[3] :

قالت سُليمَى وأبصرتْ عَجَبَاً مَالَكَ نِضْوَاً واللُّبُّ مُشتركُ
فقُلتُ بي غُصةٌ أكابدُها أولادُ عوفٍ وعامرٍ هلكُوا

---

(١) السابق ٢٥٣ . وفي البيت الثاني إقواء .
(٢) مجموعة المعاني لمجهول ص ٣٠١ ، ملحق ديوان الخنساء ص ١٤٦ .
(٣) الأشباه والنظائر للخالديين ٢/٣٥٥ .

خلّوا فِجاجاً عليَّ فانحرفت لم يستطع سدَّهُنَّ من تركوا

وتلك استهانة بالناس بعدهم ، فقد كان مَكفياً ، ثم غدا وحيداً ، لا ثقة لديه في أحد .

ومجيء الكاف قافية للرثاء هنا كان مُوفّقاً ، إذ يحكي صوتُ الكاف تلك الحشرجة والغصة التي ترافق أحاسيس الشاعر في هذه المحنة .

٧ - رثاء النفس :

لم ينس بعض الشعراء أنفسهم ، في غمرة تلك الأحداث التي ألمت بمن حولهم إذ ذكّرهم سقوطُ الأموات من أقاربهم ، مآلَهم الذي سيصيرون إليه ، كما جعلتهم الحتوف التي تأخذ بخناق مُجالسيهم يوقنون أنَّ ما صار إليه القوم سائرون إليه اليوم أو غداً ، مما غدا بالأذهان تذهب في سبر أمرهم بعد الموت ، فينزعون إلى تسجيل أحاسيسهم وهم مقبلون على الأجل، فنعوا نفوسهم قبل أن تُنعى ، وبكوا أرواحهم قبل أن يُبكوا ، فكشفوا عن مشاعر أقاربهم تجاههم ، وتبينوا حالهم مكفّنين أمام ناديهم ، ومدفونين تحت الثرى فرادى ، قد تركهم الأهل وودَّعهم الصحب .

كان رثاء النفس شائعاً لدى العرب ، ولم يكن ليختص به أناس دون آخرين ، فالمتلمِّس يوصي صاحبيه بزيارة قبره فيقول[١] :

خَلِيلَيَّ إمَّا مِتُّ يوماً وزُحزِحَتْ مَنَاياكُما فيما يُزحزِحُهُ الدهرُ

فمُرَّا على قبري فقُوما فسلما وقُولا سقاك الغيثُ والقطر يا قبرُ

ويقول الممزّق العبدي[٢] :

هل للفتى من بنات الدهر من واقِ أم هل له من حِمَامِ الموتِ من رَاقِ

قد رجَّلوني وما رُجلت من شعثٍ وألبَسُوني ثياباً غير أخلاقِ

ورفَّعُوني وقالوا : أيُّما رجلٍ وأدرجوُني كأنيٍّ طيُّ مِخْرَاقِ

وأرسلوا فتيةً من خيرهم حسباً ليُسنِدُوا في ضريح التُّرب أطباقي

هَوِّن عليك ولا تُولع بإشفَاقِ فإنَّما مَالُنا للوارثِ الباقي

كأنّني قد رماني الدَّهرُ عن عُرُضٍ بنافذاتِ بلا ريشٍ وأفواقِ

ومن ضمن من بكى النفس من العرب شاعران من بني كلاب الأول جاهلي هو : أبو

---

(١) ديوان المتلمِّس ص .

(٢) المفضلية رقم ٨٠ .

عارم الكلابي والآخر إسلامي هو عمرو بن حسّان الكلابي ، اتفقا في مفتتح أبياتهما بتوجيهها للمرأة لأنها أجزع ، وسيكون لكلامهم معها ما تأثيره فيها أوقع ، فقد قال أبو عارم[١] :

أجَازِعَةٌ رُدينَةُ أن أَتَاهَا نَعِيٌّ أم يَكُوْنُ لها اصطبَارُ

وقال عمرو بن حسان[٢] :

يا أُمَّ بِشرٍ ثِقي با لله واعترفي بالحقِّ إن قضاء الله مَبرُوْمُ

وافترقا في أنَّ الأول تساءل عن وقع خبر موته على المرأة ، ثم ألحَّ على وحدته وعدم رجوعه ، بينما حاول الآخر زرع ما يريح المصاب إذا ما ألمت به المصيبة من عقيدة تدعو للإيمان بالقدر ، كما طلب منها نعيه وعدَّد صفاته ، وكأنما هو مؤنِسُ أنَّ الناس ستنسى حسناته ، وتبخل بإسداءِ صفاته .

يقول أبو عارم الكلابي[٣] :

أجَازِعَةٌ رُدينةُ أن أتاها نعيي أم يكُونُ لها اصطبارُ
إذا ما أهلُ قبري ودّعوني وراحُوا والأكفُّ بها غُبارُ
وغُودِرَ أعظُمي في لحد قبرٍ تَرَاوَحُهُ الجنائبُ والقِطارُ
تهُبُّ الرِّيحُ فوق محطِّ قبريْ ويرعى حولهُ اللَّهِقُ النَّوَارُ
مُقيماً لا يُكلِّمُني صديقٌ بقبرٍ لا أزورُ ولا أُزَارُ
فذاك النَّأيُ لا الهُجران حولاً وحولاً ثُم تجتمعُ الدِّيارُ

ويقول عمرو بن حسان الكلابي[٤] :

يا أُم بِشرٍ ثقي با لله واعترفي بالحقِّ إنَّ قَضَاء الله مبرُوْمُ
وانعي أباك إذا ما قال مُختبطٌ أين الكرامُ المطاعين المطاعيمُ
مثلُ السِّنانِ لَطِيفُ البطن لامرحٌ إن نال دُنيا ولا بالزادِ منهُوْمُ
لا يُسْلِمُ الجارَ والمولى لعثرتِهِ ولا يُسَالُ[٥] وابن العمِّ مَطْلُوْمُ

---

(١) ربيع الأبرار ١٩٤/٤ .
(٢) الأشباه والنظائر للخالديين ٢٥٤/٢ .
(٣) ربيع الأبرار ١٩٤/٤ . الجنائب : جمع جنوب ، وهي الريح تخالف الشمال ، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا . القطار : المطر من الفعل قطر . اللهق : الثور .
(٤) الأشباه والنظائر للخالديين ٣٥٤/٢ .
(٥) يبدو أن صحتها " يُسَائل " .

ولا بد من الإشارة إلى أن الإسلام قد أثر بعقيدته في نفوس الشعراء الكلابيين فلم يكن للراثي نفسه أن يطلب النُّواح عليه ، أو الدوام على بكاه ، بل إنه ليوجه من بعده للمنهج الاسلامي في الحزن على الميت ويحذرهم من موروثات الجاهلية ، وخير مثال على هذا قول لبيد بن ربيعة الكلابي[1] لابنتيه حين احتُضر :

تَمَنَّى ابنَتَايَ أن يَعِيشَ أبُوهُما ... وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضر

فإن حان يوماً أن يَمُوتَ أبُوكُما ... فلا تَخمِشَا وجهاً ولا تَحْلِقا شعرْ

وقُولا هو المرءُ الذي لا حليفَهُ ... أضاعَ ولا خان الصَّديق ولا غَدَرْ

إلى الحول ثُم اسم السلام عليْكُمَا ... ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعْتَذَرْ

وقد عملت ابنتاه بوصيته بعد أن مات .

ونتبين من خلال استعراضنا لشعر الرثاء لدى الكلابيين عدة أمور منها :

مجيء شعر الرثاء لديهم مقطوعات في غالبه ، وذلك لتتابع أنات الأسى فيهم ، وتدفُّق الشعور عندهم سريعا.

قلة المراثي الإسلامية ، وخاصة في عصر الراشدين ، ومرجع ذلك إلى ما حصل من تغير بيِّن في المجتمع ، سواء في مفاهيمه واعتقاداته ، أو في تحوله الواقعي ونمط حياته .

اقتران غرض الرِّثاء بأغراض أخرى تنبتُّ عنه ، أو ينشأ منها ، وذلك لاصطخاب ذهن الراثي بكلل الحياة وتكالب شدائدها عليه ، مما أفضى إلى تمازج العواطف واحتشادها .

لم تُرثَ المرأة في الشعر الكلابي ، سواء أكانت أمّاً أو أختاً أو زوجة أو بنتاً ، ولعل السبب في ذلك ضياع كثير من الشعر الكلابي .

والحق أن غرض الرثاء لدى الكلابيين كان أقل أغراض شعرهم ، فهو لا يبلغ مبلغ الفخر والهجاء من حيث الكثرة ، إذ إنَّ الرثاء موحٍ بالهزيمة ، ومنبيء عن الضعف ، على الضِّد من الأغراض الأُخرى .

---

(١) الأغاني ١٥/٣٧٩ .

الباب الثالث

الدراسة الفنية

الفصل الأول: الدراسة الفنية من حيث الشكل:

أ ـ السمات الأسلوبية .

ب ـ سمات الصُّورة الفنية .

جـ ـ السِّمات الصَّوتية .

د ـ سمات البناء الفني .

الفصل الثاني: الدراسة الفنية من حيث المضمون:

أ ـ سمات المعاني .

ب ـ السِّمات الشعورية .

الفصل الأول

الدراسة الفنية من حيث الشكل

أ ـ السِّمات الأسلوبية .

ب ـ سمات الصُّورة الفنية .

جـ ـ السِّمات الصوتية .

د ـ سمات البناء الفنِّي .

أ ـ السمات الأسلوبية

١ـ الأدوات

٢ـ المفردات

٣ـ التراكيب : التقديم

الحذف

الفصل والوصل

الفصل بين طرفي الجملة

٤ ـ البديع

تمهيد :

يعرف الاستاذ أحمد الشايب الاسلوب بقوله :

" الاسلوب منذ القدم كان يُلحظ في معناه ناحية شكلية خاصة : هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه ، أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية ، ولا يزال هذا هو تعريف الاسلوب إلى اليوم ، فهو طريقة الكتابة ، أو طريقة الانشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الايضاح والتأثير ، أو الضرب من النظم والطريقة فيه ، هذا تعريف الاسلوب الأدبي بمعناه العام "(١) .

وكان علماء البلاغة قديماً قد درسوا الأسلوب تحت مسمى " علم المعاني " ، وأول من ناقش مسائل هذا العلم القاضي عبد القاهر الجرجاني مُطلقاً عليها مصطلح " النظم" الذي يعتبره أساس البيان والفصاحة إذا توخى المبدع أوجه النظم المختلفة حين ينوع في التراكيب ويغاير بينها ويُقلّبُها على مختلف الأشكال ، متتبعاً خواص التراكيب ، وهو ما عرف بتوخي معاني النحو ، وقد فسر الجرجاني ذلك بقوله : " أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينيه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تُخلُّ بشيء منها "(٢) .

وقد صرح الجرجاني بأن الاسلوب هو النظم حين قال : " والأسلوب : الضرب من النظم والطريقة فيه "(٣) وربط بين مراد النفس وأثره في النظم(٤) .

١ ـ الأدوات :

يتحقق معنى النظم من خلال مكوناته التي تُمليها النفس المعبرة تبعاً لمرادها ، فتتمثل أحاسيسها من خلال صور التراكيب المختلفة ، التي تبين جزئياتها ، من أداة وكلمة وجملة عن قدرة فنية ، إذا أحسن الأديب طريقة نظم تلك الجزئيات .

---

(١) الأسلوب لأحمد الشايب ص٤٤ .

(٢) دلائل الإعجاز ص٨١ .

(٣) السابق ص ٤٦٨ .

(٤) دلائل الاعجاز ص٤٩ .

وأولى تلك الجزئيات التي لها دور في تجلية المعنى هي الأداة .

ولقد كثر استخدام الأدوات في شعر بني كلاب ، إذ نجد أدوات النفي والنهي ، وأدوات الاستفهام والتوكيد ، وأدوات النداء والقصر ، وقد جاءت بخصوصية في معناها الذي أشار إليه الجرجاني بقوله : " وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصيّة في ذلك المعنى ، فيضع كل من ذلك في خاص معناه ، نحو أن يجيء بـ " ما " في نفي الحال ، وبـ " لا " إذا أراد نفي الاستقبال ، وبـ " إن" فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون ، وبـ " إذا " فيما علم أنه كائن "(١) .

ورد النفي في أغراض شعرهم المختلفة مؤدياً معاني متعددة ، فجاء النفي " لم " التي تقتضي قطعية النفي كما في قول الشاعر الجاهلي عوف بن الأحوص الكلابي(٢) :

إِذَا قِيْلَتْ العَوْرَاءُ وَلّيتُ سَمْعَها سِوَايَ وَلَمْ أَسْأَلْ بِهَا : مَا دُبَيرُهَا

وقول الشاعر الأموي معبد بن عمرو الكلابي(٣) :

فَأَوْجَرتُهُ رُمحِيْ وأَعْمَلَ رُمْحَهُ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئَاً غَيْرَ أَنْ قَدْ تَكَسَّرَا

وجاء النفي بـ " لما " التي ربما حدث منفيها ، في بيت عامر بن الطفيل الكلابي(٤) :

يَا مُرَّ قَدْ كَلِبَ الزَّمَانُ عَلَيْكُمُ وَنَكأَتُ قُرْحَتُكُم ولَمَّا أُنكَبِ

وتأتي " لا " مراداً بها الدُّعاء كما في قول القتال الكلابي(٥) :

لا يُبْعِدِ ا للهُ فِتْيَانَاً أَقُوْلُ لَهُمْ بِالأَبْرقِ الفَرْدِ لَمَّا فَاتَهُم نَظَري

ومثلها " ما " النافية ، فقد يؤتى بها للدعاء ، من مثل قول طهمان بن عمرو الكلابي(٦) :

سَقَاكِ ، وَإِنْ أَصْبَحْتِ وَاهِيَةَ القُوَى شَقَائِقُ عُرْضٍ مَاهُنَّ فُتُوقُ

أي غير منقطع مطره .

---

(١) دلائل الإعجاز ص٨٢ .

(٢) المفضلية ص ٣٦ ، دبيرها : عاقبتها .

(٣) نقائض جرير والأخطل ص ٢١ . أوجرته : طعنته في فيه .

(٤) ديوان عامر بن الطفيل ص١٥ . مر : مرة بن عوف الذبياني . كلب : اشتد .

(٥) ديوان القتال الكلابي ص٥٣ .

(٦) ديوان طهمان الكلابي ص٢١ . شقائق جمع شقيقة ، وهي المطرة ينشق عنها السحاب .

وهكذا فإن دقة المعنى آتية من حسن اختيار الأداة .

وكما ورد النفي لأغراض بلاغية ، فقد جاء النهي في سياقات متباينة ، تاركاً معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى تفتّقت عنها مقدرة الشاعر الفنية .

إن الشعر العربي قد تساقت جداوله ، واستفاد الشعراء بعضهم من بعض ، وتتابعوا يغرفون من معين اللغة الثرة التي أتاحت لهم أنماطاً متعددة من الأساليب ، يوظفونها تبعاً لمعانيهم التي تمور في نفوسهم ، فجاءت مقاصد النهي دليلاً على سعة اللغة وشمولها ، وسبيلاً من سبل تلك السعة .

وقد جاء النهي في شعر الكلابيين للالتماس كقول يزيد بن قيس الكلابي[١] ، وهو يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

فَلا تَدَعَنْ أَهْلَ الرَّسَاتِيْقِ وَالقُرَى يُسِيْغُوْنَ مَالَ اللهِ في الأُدمِ الوُفرِ

وجاء للتهديد كما في قول عوف بن الأحوص الكلابي[٢] :

فلا تتعوَّجُوا في الحُكمِ عَمْدَاً كما يتعوَّجُ العُودُ السَّـــرَاءُ

كذلك أتى النهي للتوبيخ من مثل قول حُصين بن عمرو الكلابي[٣] يرثي أخاه في يوم شعب جَبلة :

يَا ضَبُعَاً عَثْوَاءَ لا تَسْتَأْنِسِي تَلْتَقِمُ الهَبرَ مِنَ السَّقبِ الرَّذِيْ

وقول مالك (جواب) بن كعب[٤] الكلابي يرد فيه النهْي للتحقير :

لا تَسْقِنِي بِيَدَيْكَ إِنْ لَمْ تَأْتِنِي رَقْصَ المَطِيَّةِ إِنَّـــنِي جَـوَّابُ

وأدوات الاستفهام قد تخرج عن معانيها الأصيلة إلى معانٍ يفيدها السياق ، وذلك هو الابداع ، وتَطَلُّب البليغ ، إذ يأتي الاستفهام مراداً به النفي كقول سلمى بنت المَحَلَّق الكلابية[٥] تعيِّر جواباً ، والطفيلَ بن مالك لفرارهما يوم النَّسار :

لَحَى الإِلَهُ أَبَا لَيْـــلَى بِفَرَّتِهِ يَومَ النِّسَارِ وقُنْبَ العِيْرِ جَواباَ

---

(١) فتوح البلدان ص٣٧٧ . الرساتيق : جمع رستاق : وهو السواد والقرى .

(٢) المفضلية ٣٥ . السراء : شجر تصنع منه القسي .

(٣) النقائض ٦٦٨/٢ . عثواء : أنثى الضبع .

(٤) معجم الشعراء للمرزباني ص٣٦٢ .

(٥) النقائض ٢٤٢/١ . قنب العير : خصيته .

كَيْفَ الفَخَارُ وَقَدْ كَانَتْ بِمُعْتَرَكٍ يَومَ النِّسَارِ بَنُو ذُبْيَانَ أَرْبَابَا

كما يأتي الاستفهام للتوبيخ كما في قول عوف بن الأحوص الكلابي[١] :

فَهَلْ لَكَ فِي بَنِي حُجْرِ بْنِ عَمْرٍو فَتَعْلَمَهُ وَأَجْهَلُهُ ولاءُ

وقول الضحاك بن سفيان الكلابي[٢] :

أَتَنْسَى بَلائِي يَا أُبَيَّ بْنَ مَالِكٍ غَدَاةَ الرَّسُولُ مُعْرِضٌ عَنْكَ أَشْوسُ

ويأتي للتقرير والتحسر كقول السَّري بن حاتم الكلابي[٣] :

أظاعنةً غدواً غَضُوبٌ ولم تزُرْ وَبَائِنَةً بَعْدَ الجوارِ غَضُوبُ

ويرد الاستفهام للتهكم كمافي قول هانئ بن يزيد الكلابي[٤] وهو يهزأ من يد طهمان المقطوعة :

أَلَسْتَ إِذَا أَدْرَرْتَ مِنْهَا خَلِيَّةً بِجُذْمُور مَا أَبْقَى لَكَ السَّيْفُ تَقْضبُ

كما يرد للتعجب من مثل قول عامر بن مالك (أبو براء) الكلابي[٥] حين سأله ابن أخيه عامر بن الطفيل العون على النفار الذي كان بينه وبين علقمة بن علاثة الكلابي :

أَأُومرُ أَنْ أَسُبَّ أَبَا شُرَيحٍ وَلا وَا للهِ أَفْعَلُ مَا حَيِيْتُ

وربما أتى الاستفهام للتحقير والتعجيز كقول خويلد بن نوفل الكلابي[٦] مخاطباً الحارث ابن شمر الغساني وكان اغتصبه ابنته :

هَلْ تَسْتَطِيْعُ الشَّمْسَ أَنْ تَأْتِي بِهَا لَيْلاً وَهَلْ لَكَ بِالمَلِيْكِ يَدَانِ

وفي قول عامر بن الطفيل الكلابي[٧] يظهر الاستفهام مراداً به التعظيم :

أَيُّ الفَوَارِسِ كَانَ أَنْهَكَ فِي الوَغَى لِلْقَومِ لَّما لاحَهَا الجَهْدُ

---

(١) المفضلية ٣٥ . حجر بن عمرو : والدامريء القيس .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤٨٦/٢ . أشوس : صارفاً نظره إلى جهة أخرى .

(٣) معجم البلدان (العوقبان) .

(٤) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص٥٢ . وفي لسان العرب (جذمر) :

لعلك إن أَرْدَدْتَ منها حَلِيَّةً بجذمور ما أبقى لك السيف تَغْضَبُ .

(٥) المؤتلف والمختلف للآمدي ص١٨٧ .

(٦) لسان العرب (دين) زنى) .

(٧) ديوان عامر بن الطفيل ص٤٣ .

ويلوح معنى التحسر من خلال الاستفهام في بيت زفر بن الحارث الكلابي[١] الذي كان ضمن أبياتٍ قالها بعد هزيمته في مرج راهط :

أَيَذْهَبُ يَومٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتُهُ بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بَلائِيَا ؟

وأكثروا من استخدام أدوات النداء في استعمالها الأصلي ومخالفين في بعض الأحيان طلباً لوجه بلاغي.

ورد النداء في شعر بني كلاب للتحذير كما في قول معاذ بن يزيد بن الصعق الكلابي[٢] لقومه حين ارتدوا :

بَنِي عَامِرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ مِنَ اللهِ وا للهِ لا يُغْلَبُ

كما ورد مفيداً التوجع وموحياً بالألم كقول ثعلبة بن أوس الكلابي[٣] :

خَلِيليَّ إِنِّي قَدْ أَرِقْتُ وَشَاقَنِي بُرَيقٌ كَنَبْضِ العِرْقِ بِتُّ أُرَاقِبُهْ

وجاءت أداتا النداء في بيتي ابنةٍ لبيد بن ربيعة الكلابي تفصحان عن مشاعرها نحو ممدوحها " الوليد بن عقبة " الذي كان يسوق الإبل إلى والدها عوناً له على كرمه ، إذ تقول ابنته[٤] :

أبا وهبٍ جزاكَ اللهُ خيراً نحرناهاَ وأطعمنا الثريدا

فعُد إن الكريم له مَعَادٌ وظنِّي يا ابنَ أَرْوى أَنْ تَعُودا

لقد دلت همزة النداء على قرب الممدوح من القلب ، كما دلت الياء على التعظيم ، لأن الهمزة لمناداة القريب ، والياء لنداء البعيد .

وقد يأتي النداء للتحقير كما في قول شريح بن الأحوص[٥] منادياً لقيط بن زرارة التميمي في يوم رحرحان :

لَقِيْطُ وأنتَ امرؤٌ ماجِدٌ ولكنَّ حِلْمَكَ لا يهتدي

---

(١) ديوان زفر بن الحارث ص ٢٥٩ .

(٢) الإصابة ٦/٣٠١ .

(٣) التذكرة السعدية ص٣٦٠ .

(٤) الشعر والشعراء ١/٢٧٦ .

(٥) النقائض ص ١٠٦٤ .

ولم تخل أساليب الكلابيين من أدوات القصر ، وذلك لإحساسهم بما تُؤدِّيه من دقة المعنى ، ونجد من تلك الأدوات " إنما " التي وردت في قول عروة بن عتبة الرَّحال الكلابي[١] وهو يخاطب امرأته :

أَمَالكِ عُمْرٌ ؟ إِنَّما أَنْتِ حَيَّةٌ إِذَا هي لَمْ تُقْتَلْ تَعِشْ آخِرَ الدَّهْرِ

لقد أثبت أنها حية ونفى عنها جميع الصفات بهذا القصر ، الذي نعتبره قصر موصوف على صفة لما في الحية من صفاتٍ تلبست بها تلك المرأة ، فغدت كأنها هي .

واستخدم تلك الأداة مربع بن وعوعة الكلابي حين قال[٢] يريد امرأةً :

أَلا لا تُرَاعُوا إِنَّمَا هِي لِصَّةٌ يُسَارِعُ فِيْهَا فِتْيَةٌ بِتَنَاضُلِ

وجاء القصر "بما النافية " ، و " إلا " الاستثنائية في قول عبد العزيز بن زرارة الكلابي[٣] :

مَا سُدَّ مِنْ مَطْلَعٍ يُخْشَى الهَلاكُ بِهِ إِلا وَجَدْتُ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُطَّلَعَا

ولك أن تلاحظ إيحاء التضعيف بالاستبشار في " مطلعا " .

وكانت " لا " النافية بديلاً لـ " ما " في قول أحد الكلابيين[٤] :

لا مَالَ إِلا العِطَافُ تُوْزِرُهُ أُمُّ ثَلاثِيْن وَابنةُ الجَبَلِ

وقول أبي دوآد الرُّؤاسي الكلابي[٥] :

لا غَرْوَ إِلا لِواءٌ تحتهُ ظُعُنٌ وَلا مسَارِحَ إِلا عَازِبَ النَّعمِ

ويقول عمرو بن سلمة الكلابي[٦] والد الشاعر طهمان :

مَلَلتُ ثِوَائِي بِالمَدِيْنَةِ لا أَرَى مِنَ النَّاسِ إِلا العِلْجَ يَحْدُوْ السَّوانِيَا

---

(١) سمط اللآلي ص٦٧١ .

(٢) النقائض ١٠٩٧/٢ .

(٣) مجموعة المعاني لمجهول ص١٩١ .

(٤) أمالي القالي ٢٩٥/٢ . العطاف : السيف . أم ثلاثين : يعني كنانة فيها ثلاثون سهماً ، ابنة الجبل : يريد القوس تتخذ من شجر الجبال .

(٥) منتهى الطلب ١٤٦/٥ .

(٦) من اسمه عمرو من الشعراء ص٢٤ .

٢ - المفردات :

حين وضع ابن سنان الخفاجي أسساً لفصاحة الألفاظ[١] ، كان هذا دليلاً على اهتمام البلاغيين بأول لَبِنات الابداع ، وتبياناً لحرصهم على أن يكون العمل الأدبي قائماً على ما يكفل له الجمال ، ويقيه القبح .

وإذا أنعمنا النظر في تلك الشروط التي وضعها النقاد ، وجدناها في مجملها تدعونا إلى حسن اختيار الكلمة مستندين في ذلك إلى الحس الجمالي ، الذي يوائم بين اللفظ والمعنى .

والكلمة تعني الاسم والفعل ، أما الحرف فمتعلق بهما ، والدليل عدم قدرته على الإستقلال .

إنّ الإسم يخالف الفعل في كونه يدل على ثبات المعنى ، لخلوه من الزمن ، الذي يلابس الفعل ، ومن هنا كان للاختيار وقعة في الإفادة .

إن اختيارنا نوعاً من أنواع الاسم هو ميل نفسي إلى مؤدى تعبيري معين ، مُحقِّقٍ لشخصيَّتِنا وكاشفٍ عن رؤانا ، حين اصطيادنا ما يُنْبِئُ عن ذلك بإدراكنا لما تتمتع به أقسام الاسم من خصائص معينة وفروق دقيقة .

إن تنكير الاسم وتعريفه لون من ألوان التنويع الأسلوبي ، يهدف إلى إيراد معنى من المعاني ، فالتنكير للتّعميم والتعريف للتخصيص ، ولهذا رأينا التنكير أكثر من التعريف في شعر بني كلاب ، لإرادتهم أصل المعنى وشيوعه ، كما نجد المعرفة بأنواعها المختلفة ، من علم وضمير وإشارة وموصول ومضاف ، ومقرون بأل .

كانت المَرْثيَّة مدحة لموتاهم ، ولم يكن يشفي غليلهم غير التنكير لاضفائها عموم الصفات على ذلك الميت ، هذه هند بنت أسد الضَّبابية ترثي أخاها ، فتقول عنه إنّه فتىً على الإطلاق ، لتعلن في الملأ أن لاصفة من صفات الفتى العربي الماجد إلا وهي فيه .

تقول هند[٢] :

لَقَدْ مَاتَ بِالبَيْضَاءِ مِنْ جَانِبِ الحِمَى ... فَتَىً كَانَ زَيناً لِلْمَوَاكِبِ وَالشُّرْبِ

يَلُوذُ بِهِ الجَانِي مَخَافَةَ مَا جَنَى ... كَمَا لاذَتِ العَصْمَاءُ بِالشَّاهِقِ الصَّعْبِ

---

(١) سر الفصاحة ص ٦٤ .

(٢) زهر الآداب ص٩٣٩ .

وحين يفخرون يجدون في التنكير بلاغاً لما يهدفون ، وتبياناً عمّا يريدون ، فالنّمر الكلابي يريد أن يُفصح عن ترحابه بكل طارق ليل ، أياً كان من الناس ، فالكريم لا يَخُصُّ بكرمه ، فما رأى ما يُوصِل مراده غير التنكير فقال[١] :

وإنّي لأَطْوِي البَطْنَ مِنْ دُوْنِ مِلْئِهِ لُمستَنْبِحٍ مِنْ سُدفَةِ اللَّيْلِ صَائحُ

واستمرأ هذا بنو كلاب وركّزوا على كلمة " مستنبح " فقال عوف بن الأحوص الكلابي[٢] :

وَمُستَنْبِحٍ يَخْشَى القَواءَ ودُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ بَابَا ظُلمَةٍ وسُتُورُها
رفعتُ لهُ ناري فلمَّا اهْتَدَى بِهَا زَجَرْتُ كِلابِي أَنْ يَهرَّ عقُورُها

وبرزت جُلّ معانيهم من خلال التنكير ، لأنهم أناس يطلبون المثالية ، ولم تكن لتتحقق إلا عن طريق الاسم المُنْكّر .

وربما كان التنكير عكس ذلك ، كأن يكون مما لا يُهتم به ، كما في قول الفأ فاء بن بُرمة الكلابي[٣] :

عَسَى إن حَجَجْنَا نَلْتَقِي أُمّ وَاهِبٍ وَتَجْمَعنا مِنْ نَخْلَتَيْنِ طَرِيقُ
وَتَنْضَمُّ أَعْضَاءُ المُطِيِّ وَبَيْنَنَا لَغاً فِي حَدِيْثٍ دُوْنَ كُلِّ رَفِيْقِ

أمّا المعرفة فلا سبيل لحصرها ، إذ إنّ البيت الواحد لا يخلو من نوعٍ من أنواعها ، غير أنّ الضمير أظهرها وأدلُّها على مراد البليغ .

وأكثر الضمائر وروداً في شعر الكلابيين هو ضمير المتكلم ، نجدهم يستعينون به في تأدية معانيهم حين يريدون إبراز الذات وتأكيدها ، يقول أحد الكلابيين[٤] مخاطباً المرأة ومُدلاً بنفسه أمامها :

أَلا يَالَيْلَ أُخْتَ بَنِي عُقَيْلٍ أَنَا الصُّحْمِي إنْ لَمْ تَعْرِفِيْنِي

ويقول ثعلبة بن أوس الكلابي[٥] لمن يجهله ، أو يتجاهله :

---

(١) النوادر لأبي زيد ص٤٨٢ .

(٢) المفضلية ٣٦ .

(٣) معجم البلدان (نخلتان) وفي البيت الثاني إقواء .

(٤) الأغاني ٢٠٧/١١ . الصحمي : من بني الصحمة من كلاب .

(٥) الإنصاف لابن الأنباري ٥١٨/٢ .

أَنَا ابْنُ كِلابٍ وَابْنُ أَوْسٍ فَمَنْ يَكُنْ قِنَاعُهُ مُغْطِياً فَإِنِّي مُجْتَلَى

وإذا أرادوا تأكيد الأمر وتثبيته في الأسماع فإن ضمير المتكلم هو خير مؤكدٍ ، وأبين قائم بالفعل ، كقول عوف بن الأحوص الكلابي[1] الشاعر الجاهلي :

وَإِنِّي وَالَّذِي حَجَّتْ قُرَيشٌ مَحَارِمُهُ وَمَا جَمَعَتْ حِرَاءُ
أَذُمُّكِ مَا تَرَقْرَقَ مَاءُ عَيْنِي عَلَيَّ إِذَاً مِنَ اللهِ العَفَاءُ
أُقِرُّ بِحُكْمِكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا وَأَلْزَمُهُ وَإِنْ بُلِغَ الفَنَاءُ

لقد أبرز الضمير في البيت الأول ليفيد اختصاصه بما ساق من معنى ، وستره في البيت الثالث لاطمئنانه إلى قدرته على الوفاء ، فالأمر لا يحتاج إلى تأكيد ، وإنما يحتاج إلى إنفاذ ما التزم به .

وجاء فخر بني كلاب زاخراً بضمائر المتكلمين ، إذ الحال يقتضي التنبيه على أفعالهم ، التي ربما تجاهلها الأعداء وجهلها الأصدقاء ، يقول معاوية بن مالك الكلابي[2] :

نُعْطِي العَشِيْرَةَ حَقَّها وحَقِيْقَهَا فِيْهَا وَنَغْفِرُ ذَنْبَهَا ونَسُودُ
وَإِذَا تُحمِّلنَا العَشِيْرةُ ثقلها قُمْنَا بِهِ ، وَإِذَا تَعُوْدُ نَعُودُ
وَإِذَا نُوَافِقُ جُرأةً أو نَجْدَةً كُنَّا - سُمِيَّ - بِهَا العَدُوَّ نَكِيدُ

والملاحظ أنَّ ضمائر المخاطب تكثر في الهجاء ، إذ إن الهاجي يريد ذاتا معينة بهجائه ، وكثيرا ما كانت تلك الذات مفردة كما في قول برثن الصموتي الكلابي[3] يخاطب أبا البويب :

فَمِنْهُنَّ النَّمَامَةَ أَنْتَ فِيْهَا تُدَنْدِنُ مِثْل دَنْدَنَةِ الذُّبَابِ
وَأَنَّك لَستَ في أَمْرٍ مُهِمٍّ بِظِفْرٍ للصَّموتِ وَلا بَنَابِ
وَأَنَّك لَو حُمِلْتَ عَلَى قَلُوصٍ رَمَتْ بِكَ ذَاتُ غرزٍ أَوْ رِكابِ

وقول شريح بن الأحوص الكلابي[4] :

لقيطٌ وَأَنْتَ امْرؤٌ مَاجِدٌ وَلَكِن حِلْمُكَ لا يَهْتَدِي

---

(١) المفضلية ٣٥ .

(٢) المفضلية ١٠٤ .

(٣) أمالي اليزيدي ص٤٤ . قلوص : يريد زوجة . غرز : أي صعبة . ركاب : ذلول .

(٤) الأغاني ١٢٨/١١ .

وَلَّا أَمِنتَ وَسَاغَ الشَّرَا ... بُ واحْتُلَّ بَيْتُكَ في ثَهْمَدِ
رَفَعْتَ بِرجْلَيْكَ فَوْقَ الفِرَا ... شِ تُهْدِي القَصَائِدَ في مَعْبَدِ
وَأَسْلَمْتَهُ عِنْدَ جَدِّ القِتَالِ ... وَتَبْخَلُ بِالمَالِ أَنْ تَفْتَدِي

يريد أنَّه تخلى عن أخيه معبد ، الذي أسر يوم رحرحان و لم يفده .

أما ذات الجماعة فإنها تتبدَّى غالباً من خلال ضمير الغيبة ، وهذا يظهر عدم الاهتمام بها وتجاهلها ، وربما كان للقطيعة بين الهاجي وعدوه دور في عدم الالتقاء ، والتخاطب ، يقول عامر بن الطفيل الكلابي(١) :

سُودٌ صنَاعِيةٌ إِذَا مَا أُوْرِدُوا ... صَدرَتْ عُتُوْمَتُهُمْ وَلَّا تُحْلَبِ
صُلعُ صَلامعةٌ كَأَنَّ أُنُوْفَهُمْ ... بَعَرٌ يَنْظِّمُهُ الوَلِيْدُ بِمَلْعَبِ
لا يَخْطُبُونَ إِلى الكِرَامِ بَنَاتِهُمْ ... وَتَشِيْبُ أَيُّمُهُم وَلَّا تُخْطَبِ

ولذا كان ضمير الغيبة أنسب للهجاء .

ويأتي الضمير المفصل ، وتنبيه السامع لما سيأتي من القول ، وتحفيزه لما هو مهم ، كما في قول عوف بن الأحوص الكلابي(٢٢) :

وَأَبى حَسَبِي وَفَاضِلَتِي وَمَجْدِي ... وَإِيْثَارِي المَكَارِمَ وَالمَسَاعِي
وَقَوْمٌ هُم أَحَلُّونِي وَحَلُّوا ... مِنَ العَلْيَا بِمُرتقبٍ يفاعِ

وقول درّاج بن زرعة الكلابي(٣) :

وَلَّا دَخَلْتُ السِّجْنَ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ ... هُو البَيْنُ لا بَيْنُ النَّوَى ثُمَّ يُجْمَعُ

وحين ننظر في الشق الثاني من الكلمة ، وهو الفعل نجد أنه قد استخدم لدى الكلابيين مطلقاً ومقيداً وكانت لهم سعة في اختيار الفعل المعبر عن المراد ، فالماضي يدل على زمن الحدث المنقضي ، والمضارع متجدد الحدوث ، كما أن التقييد يُتيح لهم دقة وضبطا ، فتعلق أمر بأمر عن طريق أدوات الشرط يجعل أمام المبدع العديد من السُّبل الاحترازية في إيراد المعنى .

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص٢٩ . صناعية : مهنتهم الصناعة ، كصنع أحذية الخيل . العتومة : هي الناقة ذات الحليب. صلامعة : دقاق الرؤوس .

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ص٢٧٦ .

(٣) النقائض ٢/٩٣٠ .

وما التلوين الأسلوبي القائم على اختيار الكلمة المعبرة بدقة إلا نتاج الذوق الجمالي الرفيع، وهذا ما نلاحظه في الشعر الكلابي ، فمجيءُ كلمة " تعلم " في بيت عامر بن الطفيل الكلابي[١] :

لَقَدْ تَعَلَمُ الخَيْلُ المُغِيْرَةُ أَنَّنَا إِذَا ابْتَدَرَ النَّاسُ الفِعَالُ أُسُوْدُها

لتبيين أن العلم في الحاضر والمستقبل ، وأن شأنهم وديدنهم امتطاء ظهور الخيل .

وحين يبتدئ زفر بن الحارث بيته بالفعل المبني للمجهول في قوله[٢] :

نُبِّئتُ عَمْرَو بْنَ الوَلِيْدِ يَسُبُّني وَعَمْرو اسْتُهَا للصَّالِحِيْنَ سبوبُ

فهذا مبدٍ عدم اهتمامه بالفعل ، واحتقاره للفاعل .

وإذا ما أتى الفعل الماضي في قول الكلابي[٣] :

وَإِذَا اسْتَجَرْتَ مِنَ اليَمَامَةِ فَاسْتَجِرْ زَيْدَ بن يَربُوعٍ وآلَ مُجَمِّعِ

فليس مراداً به الزمن الماضي ، وإنما هو قد ضُمِّن زمن المضارع ، إذ لايلزم أن يختص كل فعل بزمنه فالقرائن تصرفه عن ذلك ، ومن هذا ما في بيت أبي دوآد الرّؤاسي حين قال[٤] :

سَمِعْنَ غِنَائِي بَعْدَ مَا نِمْنَ نَوْمَةً مِنَ اللَّيْلَ فَاقْلَوْلَيْن فَوْقَ المَضَاجِعِ

فقد جاء الفعل لحكاية ما مضى

ويأتي الماضي لترسيخ معنى معين ، وذلك في قول عامر بن الطفيل الكلابي[٥] :

لقد علمت عُليا هوازنَ أَنَّني أنا الفارسُ الحامي حقيقة جَعْفَرِ

فلا يدل زمنه على انتهاء حدثه .

٣ ـ التراكيب :

هي الحذق في طريقة نظم الأدوات والمفردات ، والتأليف بينهما تأليفا يجعل منهما كياناً واحداً متماسكا ، بحيث أنا لو اسقطنا لبنة من ذلك البناء لأحسسنا بوجود ثلب ، وهذا ما

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص٤٥ .

(٢) ديوان زفر بن الحارث ص٢٢٨ .

(٣) الكامل للمبرد ٣٥٩/١ .

(٤) الحماسة البصرية ١١٨/٢ .

(٥) ديوان عامر بن الطفيل ص٦١ . جعفر : ابن كلاب .

يقتضي من المؤلف براعةً في التركيب ، تفضي إلى ظِلال من المعاني ، وهو التصرف الذي بينه عبد القاهر الجرجاني وهو يتحدث عن النظم ومكان النحو منه ، مبيناً أن استغلال إمكانات النحو وأساليبه يجعل النظم صحيحاً إن حصل التوافق بين المعنى والمبنى ، وفاسداً إن لم يُوفَق إلى ذلك ، إذ يقول " ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والإضمار ، والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة ، وعلى ما ينبغي له "(١) .

وعلى هذا فسأعرض لما يختص بالجملة من تقديم وتأخير ، وحذف ، وفصل ووصل .

أ ـ التقديم :

حين ننظر إلى الشعر الكلابي نجد أن أهم ما يميز تراكيبه هو التقديم ، ذلك أن ما يُشغل الذهن ، يقذف به اللسان أولاً ، وأن المهم مُقدم على غير المهم .

لقد وجد الكلابيون في التقديم منفذاً لصراحتهم ، فقدموا الخبر كما في قول أبي دوآد الرؤاسي(٢) :

وَفِيْهِنَّ هِنْدٌ ، وَهِي خَودٌ غَرِيْرَةٌ وَمُنْيَةُ قَلْبِي دُوْنَ أَتْرَابِهَا هِنْدُ

ففي الشطر الأول أراد أن يؤكد وجود محبوبته بين النساء ، وفي الشطر الثاني كان يبتغي أن يكشف عن حبه العميق ، وفي قول جعفر بن عبد الله الكلابي(٣) :

وَضَمَّتْنِي العُقَابُ إِلى حَشَاهَا وَخَيْرُ الطَّيْرِ قَدْ عَلِمُوا العُقَابُ

أراد أن يُشوق السامع إلى ما أُخِّر ، بعد قصر الصفة المقدمة على الموصوف المؤخر ، أما التقديم في قول أبي الغمر الكلابي(٤) :

وَلِي كَبِدٌ مَجْرُوْحَةٌ قَدْ بَدَا بِهَا صُدُوعُ الهَوَى لَوْ أَنَّ قَيناً يقينُها

---

(١) دلائل الإعجاز ص٨٢ .

(٢) الحماسة البصرية ١١٨/٢ ، وفيها : " وقال آخر ، ومنهم من ينسبها إلى يزيد بن معاوية " ، واعتبره صلاح الدين المنجد الخليفة فأدخل القصيدة في شعره ، وما أراه هو أن يزيد بن معاوية ليس الخليفة وإنما هو إسم أبي دُؤآد الرُّؤاسي بدليل ذكره لعقيل وهم إخوة كلاب وجيرانهم ثم تحديده لمنازل الشاعر وهي المعروفة بأنها منازل بني كلاب ، (شعر يزيد بن معاوية ص ١٥) .

(٣) ألقاب الشعراء (نوادر المخطوطات) ٣١٣/٢ .

(٤) ديوان المفضليات بشرح الأنباري ص٧٩٣ .

فقصد منه تبيين اختصاصه بالجرح دون غيره .

وقد يقدم المفعول به كما في قول عبد العزيز بن زرارة الكلابي[١] :

كُلاًّ لَبِسْتُ فَلا النَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِي وَلا تَخَشَّعْتُ مِنْ لأْوَائِهَا جَزِعَا

وقول عبد الرحمن بن حسان الكلابي[٢] :

فَصَبْراً يَا عُمَيْرُ فَكُلُّ قَوْمٍ سَيَسْلُبُهُمْ كَرِيْمَهُمُ السَّبِيْلُ

وقد يكون أراد من هذا التقديم عدة أمور منها : التخلص من توالي المتماثلات ، ومنها مراعاة القافية ، ومنها تقديم المشكوك فيه ، وتأخير المتأكد منه عقلاً وواقعا .

وتقدم الصفة ، حين يراد إشهارها ، ويكثر ذلك في الهجاء ، كقول ليلى بنت المحلق الكلابية[٣] ، تهجو الطفيل بن مالك ، ومالك بن كعب الكلابيين :

لحا الإلهُ أبا ليلى بفرَّتِهِ يومَ النسارِ وقُنبَ العيرِ جوّاباَ

وكما قال جبار بن سلمى الكلابي[٤] :

يا قُرَّ إنَّ أَبَاكَ حَيَّ خُوَيْلِدٍ قَدْ كُنْتُ خَائِفُهُ عَلى الإِحْمَاقِ

(أراد : خويلداً الحيَّ فقدم الصفة ، وأضافها إلى الموصوف) .

ب ـ الحذف :

إذا كانت البلاغة في الإيجاز ، فإنا نعتبر الحذف من باب الايجاز ، ذلك أن الشاعر أو الناثر يرى أن من الكلمات ما لا تدعو الحاجة إلى ذكره ، إما للعلم به ، أو للتقزز منه ، وقد يكون لغير ذلك ، إذ المعول في الحذف عدم الحاجة إليه ، وما ينشأ عن ذلك من اللذة ، والمتعة، وتلك بُغية البلاغة .

يقول عبد القاهر الجرجاني عن الحذف : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن "[٥].

---

(١) ديوان المعاني لأبي هلال ٨٨/١ .

(٢) الأشباه والنظائر للخالديين ٣٥٣/٢ ، وفي من اسمه عمرو من الشعراء ص ٢٥ ، سُمِّي الشاعر عمرو .

(٣) البرصان للجاحظ ص٩٣ .

(٤) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢٠٤/١، ٢١٩ . ٧١/٢ .

(٥) دلائل الإعجاز ص ١٤٦ .

وقد شاع في الشعر العربي حذف المبتدأ ، وهو الركن الأساسي ، في الجملة الإسمية ، لكن ربما استُغني عنه لما هو أفضل ، وهو الترك المفيد لمعنىً من المعاني .

وقد أكثر بنو كلاب من الحذف في شعرهم فقد قالت زينب بنت مالك بن جعفر الكلابية[١] ، ترثي يزيد بن عبد المدان :

سَأبكي يزيدَ بن عبد المَدَان عَلى أنَّهُ الأَحْلمُ الأكْرَمُ
رِمَاحٌ مِنَ العَزْمِ مَرْكُوْزَةٌ مُلُوكٌ إِذَا بَرَزَتْ تَحْكُمُ

فحذفت المبتدأ ، لأن المرثي ماثل في الذهن ، وشهرته تغني عن ذكره ، وصفته تُذكّر باسمه .

وفي قول جامع بن عمرو بن مرخية الكلابي[٢] :

أَسَقَى مَنَازِلَ مِنْ دَهْمَاءَ قَدْ دَرَسَتْ بِالرَّمْلِ سَارِيَةٌ خُضرٌ تُوَارِيْهَا
خَضْرَاءُ تُحْي رَمِيْمَ الأَرْضِ ، قَدْ بَلِيَتْ يَقُصُّ سَارِيَهَا بِالدَّجنِ غَادِيْهَا
بَحْرِيةٌ نَشَأَتْ يُرمَى السَّحابُ لَهَا حَتَّى تَهَلَّلَ نَجْدِيّاً تَهَامِيْها

حذف المبتدأ لعلوقه بالذهن ، وكان ذكره له عائقاً أمام توالي الصفات المنصبة في أنسياب ، لأن المتلقي واقع تحت تأثير الخبر لمفرد معلوم ، فلا داعي لقطع أحاسيسه .

وقد استشهد الجرجاني في باب الحذف ببيتي معاوية بن مالك الكلابي ، إذ قال : " ومن جيد الأمثلة في هذا الباب قول الآخر ، يخاطب امرأته ، وقد لا مته على الجود :

قَالَتْ سُمَيَّةُ قَدْ غَوَيْتَ بِأَنْ رأَتْ حَقّاً تَنَاوَبَ مَالَنَا وَوَفُودُ
غيٌّ لَعَمْرُك لا أَزَالُ أَعُوْدُهُ مَا دَامَ مالٌ عِنْدَنَا موجودُ

المعنى : ذاك غيٌّ لا أزال أعود إليه ، فدعي عنك لومي "[٣]

وكثر حذف الأدوات في الشعر الكلابي ، وكان " لرب " النصيب الأوفى من هذا الحذف ، إذ حذفت في قول عوف بن الأحوص الكلابي[٤] :

ومُسْتَنْبِحٍ يَخْشَى القِوَاءَ وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ بَابَا ظُلْمَةٍ وَسُتُورُهَا

---

(١) الأغاني ٢١/١٢ .
(٢) فرحة الأديب ص ١٠٣ .
(٣) دلائل الإعجاز ص١٥٢ .
(٤) المفضلية ٣٦ .

وقول معاوية بن مالك الكلابي[١] :

وناجيةٍ بعثتُ على سبيلٍ كأن على مغابنها ملاءَا

وحذفت " لا " النافية في قول عوف بن الأحوص[٢] :

وَإِنِّي وَالَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ مَحَارِمَهُ وَمَا جَمَعَتْ حِرَاءُ

وَشَهْرُ بَنِي أُمَيَّةَ وَالهَدَايَا إِذَا حُبِسَتْ مُضَرَّجها الدِّماءُ

أَذُمُّكِ ما تَرَقْرَقَ مَاءُ عَيْنِي عَلَيَّ إِذاً مَنَّ اللهُ العَفَاءُ

إذ الأصل " لا أذمك" .

كما حذفت ياء المنادى في قول زرعة بن عمرو الكلابي[٣] :

وَأَفْنَتْنِي اللَّيَالِيَ أُمَّ عَمْرٍو وَحِلِّي في التَّنائِفِ وَارْتِحَالِيْ

وَتَربِيَتِي الصَّغِيْرِ إِلى مَدَاهُ وَتَأْمِيْلِي هِلالاً عَنْ هِلالِ

وحذفت همزة فعل الأمر في قول نفيل بن بكر بن زرعة[٤] ، أحد بني عمرو بن كلاب:

تَقِ اللهَ أُمَّ الوردِ فِيَّ فإننا عُمِرْنا كلانا عارمُ الأيرِ والجِرِّ

كما حُذفت همزة المقصور ، وذلك في قول يزيد بن عمرو بن الصعق[٥] :

فَزِعْتُم لِتَمْرين السِّياطِ، وَأَنْتُم يُشَنُّ عَلَيْكمُ بِالفَنَا كُلَّ مِربعِ

إذ الأصل " بالفناء " فقصره .

ويكون الحذف للترخيم ، ليحلو الصوت ، وتقصر العبارة ، إذ جاء ذلك في قول خويلد ابن نوفل[٦] ، يخاطب الحارث بن شمر الغساني ، الذي اغتصب ابنته :

يَا حَارِ إنكَ ميتٌ ومُحاسبُ واعلم بأنَّ كما تدينُ تدانُ

وربما دل نقص الحرف على نقص الذات .

---

(١) المفضلية ١٠٥ .

(٢) المفضلية ٣٥ .

(٣) الحماسة لأبي تمام ٣٦١/٢ .

(٤) تذكرة النحاة ص٥٧ ، ص٥٩ .

(٥) التنبيهات ص١٠٨ .

(٦) لسان العرب (دين) .

ويقول ذروة بن جحفة الصَّموتي الكلابي[١] :

يا مسكَ إنَّ السُّلمي العادلا قضى قضاءً طبقَ المفاصِلاَ

يريد " يا مسكة " .

جـ - الفصل والوصل :

" قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل "[٢] ، وقال عبد القاهر الجرجاني : " أعلم أن العلم بما ينبغي أن يُصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها ، والمجيء بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد أُخرى من اسرار البلاغة ، ومما لا يتأتّى - لتمام الصواب فيه - إلا الأعرابُ الخّلص ، وإلا قوم طبعوا على البلاغة ، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد "[٣] .

وإذا كان الفصل هو : ترك العطف ، فإن الوصل هو عطف المفردات والجمل على بعضها بأدوات العطف المعروفة غير أن كل الأدوات لها معنى محدد ، لا تتمايز بتمايز الأساليب ، إلا الواو فإن معناها غير محدد ، ومن هنا اهتم بها البلاغيون ، ونظروا في سبب وجودها ، وسره البلاغي .

ولقد كان الكلابيون من أولئك القوم الذين طبعوا على البلاغة ، ففصلوا ووصلوا في المواضع التي يحسن فيها ذلك ، فحين تختلف الجملتان خبراً وإنشاء ، نجد عوف بن الأحوص الكلابي يفصل بينهما ، إذ يقول[٤] :

لَعَمْري ، لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَومَ عُنَيْزَةٍ على رَغْبَةٍ لَوْ شدَّ نَفْسَاً ضَمِيْرُها

وذلك لانقطاع ما بين الجملتين ، وانتفاء ما يصل بينهما .

وتقول ابنة لبيد[٥] :

أَبَا وَهَبٍ جَزَاكَ ا للهُ خَيْراً نَحَرْنَاهَا وَأَطْعَمنا الثَّرِيْدا

لأن معنى الجملة الأولى الدعاء ، فاختلفت عن التالية في كونها إنشائية ، والأخرى خبرية ، إذ العبرة بالمعنى لا الشكل لذا فصل بينهما .

---

(١) اختيار الممتع ص٢٥٥ .

(٢) البيان والتبيين ٨٨/١ .

(٣) دلائل الإعجاز ص٢٢٢ .

(٤) المفضلية ٣٦ .

(٥) الشعر والشعراء ٢٧٦/١ .

وإذا اتحدت الجملتان إنشاءً ، أو خبراً ، وجب الفصل بينهما أيضاً ، إذ لا رابط يصل بينهما ، وذلك من مثل قول عامر بن الطفيل الكلابي[١] :

أَنَازِلَةٌ أَسْمَاءُ أَمْ غَيرُ نَازِلَة ؟ أَبِيْنِي لَنَا يَا اسْمُ مَا أَنْتِ فَاعِلَه

وقول القتال الكلابي[٢] :

هُنَّ الحَرائرُ لا رَبَّاتُ أَحْمِرةٍ سُودُ المَحَاجِرِ ، لا يَقْرَأْنَ بِالسُّوَرِ

ويمتنع وصل الجملة المؤكدة لسابقتها ، كقول خالد بن جعفر الكلابي[٣] ، يوم حُراض، متحدثاً عن فرسه :

وأُوصي الراعيين لِيَغْبُقاها لها لبنُ الخليَّةِ والصعودِ

والوصل يحسن حين يتحد غرض الجملتين ، فإذا اتفقتا خبراً أو إنشاء ، وصل بينهما ، كقول عبد الله بن جعدة[٤] الكلابي يرثي خالد بن جعفر الكلابي :

شَقَّت عَلَيْكَ العَامِرِيّةُ جَيْبُها أَسَفاً ، وَمَا تَبْكِي عَلَيْكَ ضَلالاَ

يَا حَارِ لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لا طَائِشَاً رَعِشَاً وَلا مِعْزَالاَ

وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاي لَمَّا أُخْبِرت بَالجَعْفَرِيِّ ، وَسَبَّلتْ إِسْبَالا

فَلنَقْتُلنَّ بِخَالِدٍ سَرَوَاتِكُمْ وَلَنَجْعَلَنْ للظَّالِمِيْن نَكَالاَ

وإذا ما اختلفتا إنشاءً وخبرا ، وصل بينهما ، من مثل قول زينب بنت مالك الكلابية[٥]، وقد عيب عليها بكاؤها يزيد بن عبد المدان :

وَمَالِيَ لا أَبْكِي يَزِيْدَ وَرَدَّني أَجُرُّ جَدِيْداً مدرعي وَرِدَائِيَا

د ـ الفصل بين طرفي الجملة :

إن من يتتبع شعر بني كلاب يجد ميزة لا يكاد يخلو منها شعرهم ، تلك هي الفصل بين طرفي الجملة ، أو ما يتعلق بهما .

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص١٠٤ .

(٢) ديوان القتال الكلابي ص٥٣ .

(٣) اسماء خيل العرب لابن الأعرابي ص١٣٤ .

(٤) العقد الفريد ١٣٨/٥ .

(٥) الأغاني ٢٢/١٢ .

من ذلك أنهم فصلوا بين الفعل وفاعله ، كما في قول عامر بن مالك الكلابي[١] ، يمدح أوس بن حارثة الطائي وقد فك أسرى هوازن :

تقربَ ما استطاع أبُو بُجيرٍ وفَكَّ القومَ من قبلِ الكلامِ

وقول أحد الكلابيين[٢] :

كَفَى حَزَناً أَنِّي نَظَرتُ وَأَهْلُنا بِهَضْبِي شَمَاخِيْر الطِّوالِ حُلُولُ

إِلى ضَوءِ نَارٍ بِالحَدِيْقِ يَشُبُّهَا - مَعَ اللَّيْلِ - سْمَحُ السَّاعِدَيْن طَوِيلُ

إذ فصل بين الفعل " يشبها " وفاعله " سمح الساعدين " .

وجاء هذا الفصل في قول عبد الرحمن بن منصور الكلابي[٣] :

أشاقَكَ الربعُ الخلاءُ المُقفِرُ غيره والدهرُ قد يُغيرُ

مرُّ الجديدين ، وهيفٌ مُغبرُ ورائح يتبعه مُهجرُ

كذلك فصل بين الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل ، في قول عبد الرحمن بن حسَّان الكلابي[٤] :

وقولي : لا ألومُك أو تنحَّى وقد يُعصى وإن نُصحَ العذُولُ

كما فصلوا بين المبتدأ وخبره كما في قول أحد الضبابيين من كلاب[٥] :

كَفَى حَزَناً أَنِّي نَظَرتُ وَأَهْلُنا - بِهَضْبِي شَمَاخِيْر الطِّوالِ - حُلُولُ

وقول جعفر بن عبد الله الكلابي[٦] :

وَضَمَّتْنِي العُقابُ إِلى حَشَاها وَخَيْرُ الطَّيرِ قَدْ عَلِمُوا العُقَابُ

وفصل بين اسم كان وخبرها ، في قول دارج بن زرعة الكلابي[٧] :

---

(١) معجم البلدان (برام) .

(٢) معجم البلدان (الجفار) شماخير : جبال في الحجاز (م . البلدان ، شماخير) الحديق : قلة في حزن لبني يربوع بنجد (السابق ، الحديق) .

(٣) مجالس ثعلب ص١/١١٠ .

(٤) الأشباه والنظائر للخالديين ٢/٣٥٣ .

(٥) معجم البلدان (الجفار) .

(٦) ألقاب الشعراء (نوادر المخطوطات ٢/٣١٣) .

(٧) النقائض ص٩٣٠ .

فَبَلَغَ بَنِي عَمْرُوٍ سَلامَاً وَرَحْمَةً بِآيَاتِ شـدَاتي إِذَا الخَيْلُ تُقْدَع
بِآيَةِ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَـدْ عَـلِـمْتُـم أُهَلِّلُ عَنْ ضَربِ الكميِّ المقنع

كما فصل بين إسم إن وخبرها ، من مثل قـول أحـد الكلابيـين يرثـي خويلـد بـن نفيـل الكلابي[١] :

وإِنَّ خُوَيْلداً ـ فَابْكِي عَلَيْه ـ قَتِيلُ الرِّيْحِ في البَلَدِ التِّهَامِي

وفي قول عبد الرحمن بن منصور الكلابي[٢] :

كَـأَن ريَّـاهَـا وَلا تَـعَـطَّـرُ رَيَّا خُزامَى نَفَحَتْ أَو مُجمَّرُ

كان الفصل بين اسم كأنَّ وخبرها .

إن الملحظ على هذا الفصل ، هو أنهم كانوا يهدفون إلى التخلص من المعنى الذي كـان يُشغل النفس .

٤ ـ البديع :

هو حلية الأسلوب ، التي يتزيا بها ، وميزة الأديب المقتدر ، حين يزين جُملة بأنواع مـن الزخارف ، يسوقها خاطره عفواً ، بلا تصنـع ، حـين يدفعـه المعنـى إلى خلـق مـا يناسـبه مـن لباس، فترتعي النفـس وتَلَـذُّ الأذن ، إذا مـا أحسـت امـتزاج اللفـظ بمعنـاه ، ووشـى أحدهمـا بالآخر.

لقد تتبع ابن المعتز[٣] أصول البديع فوجد منابعه العذبة الصافية في الشعر الجاهلي ، ومـا تلاه وكان الشعر الكلابي يمثـل أحـد تلـك المنـابع ، إذ كـانت فطرتهـم الطبيعيـة ، وحيـاتهم الصحراوية رافدا الإبداع الموجز ، القشيب بالألوان ، المليء بالمعاني .

وسأقف على لونين من ألوان البديع ، أحدهما ترجع زينتـه إلى المعنـى : وهـو الطبـاق ، والآخر ترجع زينته إلى اللفظ ، وهو الجناس ، وما وقوفي على هذين اللونـين إلا لتكررهمـا ، في شعر قبيلة بني كلاب ، غير أن الطباق يفـوق الجنـاس في كـثرة وروده ، إذ المعـاني هـدف والألفاظ وسيلة .

يُعرف الطباق ، بأنه تضـادُّ كلمـتين في المعنى ، ويقسـمه البلاغيون إلى قسـمين : طباق

---

(١) المرصع لابن الأثير ص٢٢٢ .

(٢) مجالس ثعلب ص١/١١٠ .

(٣) البديع ص ٣ ، وما بعدها .

إيجاب وطباق سلب .

بث الجاهليون الطباق في ثنايا شعرهم ، مطرزين به تعابيرهم ، مضيفين به إلى المتعة الفكرية سلاسة لفظية ، حتى ليكاد يمر الطباق في خفوت ، نتيجة البعد عن التكلف ، ومن أولئك الجاهليين الشاعر الكلابي معاوية بن مالك الذي يقول[١] :

وَمَسَرةٍ لاقَيْتُهَا وَمَسَاءَةٍ مَلأتْ مَآقي عَيْنِه لَمْ تَرْدُدِ
إنَّ المَسَاءَةَ لِلْمَسَرَّةِ مَوْعِدٌ أُخْتَان رَهْنٌ للعَشِيَّةِ أَوْغَدِ

مكرراً المطابقة الإيجابية بين " المسرة " وضدها " المساءة " .

وفي أبيات زرعة بن عمرو الكلابي يظهر الطباق الايجابي بين الغث والسمين ، وبين الحل والارتحال ، إذ يقول[٢] :

وأَرْمَلةٍ تَنُوءُ عَلَى يَدَيْهَا مِنَ الضَّرَّاءِ أَوْ قَصَصِ الهُزالِ
خَلَطَتْ بِغَثِّهَا سِمَنِي فَأَضْحَتْ شَرِيْكَةَ مَن يُعدُّ مِنَ العِيَالِ
وَأَفْنَتْنِي اللَّيَالي أُمَّ عَمْرٍو وَحِلِّي في التَّنَائِفِ وَارْتِحَالي

لقد جاء الطباق منساباً ، قد أملاه المعنى المراد ، ودفع به أحساس النفس ، ونقل مشاعرها بدقةٍ ، ما كانت لتظهر لولا المضمون المعنوي الذي تكفل به الطباق ، إذ لم يكن الطباق هنا حشوا وترفاً بل ساقته أمانة الشاعر في التعبير عن همومها .

ويجد الشاعر الأموي : المهاجر بن عبد الله الكلابي في الطباق بياناً مبيناً ، مع حليةٍ زاهية ، حين يتحدث عن علاقته بالآخرين ، إذ يقول[٣] :

وإنِّي لأُقْصِي المَرءَ مِنْ غَيْرِ بُغضَةٍ وأُدْنِي أَخَا البَغْضَاءِ مِنِّي عَلى عَمْدِ
لِيُحْدِثَ وُدّاً بَعْدَ بَغْضَاءِ أَوْ أَرَى لهُ مَصْرَعاً يُرْدِي بِهِ اللهُ مَنْ يُرْدِي

فكان الطباق بين " أقصي وأدني " وبين " ود وبغض " مُفصحاً عن عفوية فطرية ، تنثال على ألسنة الشعراء الكلابيين :

وإذا ما طلبنا الطباق السلبي ، في شعر بين كلاب ، فإنا واجدوه يتبدى لنا في الكثير من

---

(١) الحماسة للبحتري ص ١٢٣ .

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/٢٥٦ .

(٣) عيون الأخبار ٣/٢٥ .

نصوصهم على ممر عصورهم ، فهذا الأحوص بن جعفر الكلابي ، يقول[١] :

نُجيرُ ولا نُجارُ وكُلُّ حيٍّ هُم حِلف وليس لنا حليفُ

لقد كان الطباق هنا مفصلاً للمعنى ، مع ترديده لنغم صوتي متحد.

ويقول جامع بن مُرخية الكلابي[٢] :

أقُولُ لهُ : مهلاً ، ولا مهلِ عندهُ ولا عند جاريْ دَمْعِهِ المُتَقَتِّلِ

ويقول موزون بن عمير الكلابي[٣] ها جيا طهمان الكلابي وقومه :

تَبْلَى عِظَامُ بَنِي سَكَنٍ إِذَا دُفِنَتْ تَحْتَ التُّرَابِ ولا تَبْلَى مَخَازِيْها

ويجمع جهم بن سبل الكلابي[٤] بين الطباق والجناس في أبياته التالية :

فَيَا كَبِداً طَارَتْ ثَلاثِيْنَ صدِعةً وَيَا وَيْحَمَا لاقَتْ مُلَيْكَةُ حَالِيَا

فَتَضْحَكُ وَسْطَ القَوْمِ أَنْ يَسْخَروا بِنَا وَأَبْكِي إِذَا مَا كُنتُ في الأَرْضِ خَالِيَا

فَأَنَّى لأُذْنٍ وَالسِّتَارَيْن بَعْدَمَا غَنِيَتْ لأُذْنٍ والسِّتَارَيْن قَالِيَا

ويبين الجناسُ في قول يزيد بن الصعق[٥] ، وهو يهجو سُليما :

وإن ا لله ذاقَ حُلُومَ قيسٍ فلما ذاقَ خِفتها قلاها

رآها لا تُطيعُ لها أميراً فَخَلَّاها تَرَدَّدُ في خلاها

ويحلو الجناس الناقص في قول القتال الكلابي[٦] :

ومُرْدٍ على جُردٍ يسار لمجلِسٍ كرامٍ بأيديهمُ موارنُ ذُبَّلِ

ويمثل معنى الكلمتين " مرد " وجرد " من خلال نغمهما الصوتي .

مما سبق يتضح لنا أن الطباق البسيط غير المعقد يشيع في شعرهم ، أما الجناس فكان يتبدى بين الحين والآخر .

---

(١) الأشباه والنظائر للخالديين ٢/٢٨٧ .

(٢) تهذيب إصلاح المنطق ص٦٢٦ .

(٣) ديوان طهمان ص٤٤ .

(٤) معجم البلدان (أذن) .

(٥) الحيوان ٥/٣٠ .

(٦) ديوان القتال الكلابي ص٧٤ . موارن : جمع مارنة : وهي القناة اللينة .

اللغة :

إذا ما نظرنا إلى لغة الشعر الكلابي عامة ، فإنا نجدها متباينة بتباين أغراضهم ، فتراكيبهم جزلة إذا مدحوا ، وإنتقاؤهم للألفاظ ظاهر حين يفخرون ، وإذا ما شببوا ، أو رثوا رقّوا ، وتراهم يُغلظون إذا وصفوا .

هذا أبو دوآد الرُّؤاسي ، الشاعر الجاهلي ، يمدح ويصف ، وفي مدحه يتبدى الوضوح ، وتقوى التراكيب ، وكأنه يُريد أن يُحقق شيئين مهمين ، أولهما : إبراز معانيه ، لأنها المقصودة في ذاتها حين المدح ، وثانيهما : الاعتزاز بأفعال الممدوح ، ولذا نلاحظ كأن الفم يمتليء بنطق الكلمات حين لفظها ، كما نحس بالترابط المتين بين أجزاء الجملة ، لكنه وهو يصف ، يستخدم ألفاظاً غليظة ، يجرها نحو بعضها بصعوبة ، فتبدو قسوتها وخفاء المراد منها، حتى لتحتاج إلى شرح وإيضاح ، لأن الواصف يريد أن يباهي بلغته ، ويشي بموصوفه وكأن غلظة الكلمات تسعفه في البيان عن غلظة الموصوف ، إنه يقول[1] :

وراحتِ الشَّولُ كالشنَّاتِ شاسِفَةً ... لا يَرْتَجِي رسلها راعٍ ولا رُبَعَه

واعرورتِ العُلُط العُرضيُّ تُرْكِضُهُ ... أُمُّ الفوارسِ بالدَّئْداءِ والرَّبَعَهْ

هلا سألت جزاك ا لله سيئةً ... إذ أصبحت ليس في حافاتها قَزَعَه

لا يحسد الناس فضل ا لله عندَهُمُ ... إذا تشوهُ نُفُوسُ الحُسَّدِ الجشعه

متى يَقُل تنفعُ الأقوام قولتهُ ... إذا اضمحلَّ حديثُ الكُذَّبِ الولعه

أليس أقربهم خيراً وأبعدهُم ... شراً وأسمحهُم كفاً لمن مُنعه

لقد فسر الفارابي في كتابه " ديوان الأدب " البيت الثاني بقوله " هذا أمر عظيم حيث صارت أم الفوارس إلى أن تركب ، وتركض بعيرها هذا الركض "[2] .

ويقول جامع بن عمرو بن مرخية الكلابي[3] مادحاً ، مقدماً لمديحه بالوصف :

---

(١) لسان العرب (علط ، عرض ، كذب) . الشَّول : النياق تريد اللقاح ، الشَّنات : القرب اليابسة. رُبعه: الفصيل يولد في الربيع . اعرورت : أصابها الجرب . العلط : من لا خطام لها . الدئداء : شدة الظلمة . أو شدة العدو . الرَّبعة : شدة عدو البعير . قزعة : صغيرة الإبل .

(٢) ديوان الأدب ١/٢٣٨ .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ص٣٥٠ . يخدن : يرمين قوائمهن في المشي سعالي جمع سعلاة : وهي : أنثى الغول . صخد : محرق . أغباش : جمع غبشة : وهي بقية الليل . قراميص جمع قرموص : وهي حفرة واسعة الجوف ، ضيقة الرأس . الأزمّة : جمع زمام ، وهو الخيط يشق له في طرف الأنف وطرفه في يد الراكب . مقدم : قائد الراحلة الذي يتقدمها . محاويق : اسم مفعول من حاق. أي أهلكها السفر . ملاويح : عطشى ، قد غيَّرها السفر .

تعالى بأيدٍ ذارِعَاتٍ وأرجُلٍ ... مُنَكِّبَةٍ رُوحٍ يخدنَ بنا وخدا
سعالي ليلٍ ما تنامُ وَكُلِّفَت ... عشيةَ خِمسِ القومِ هاجرةً صخدا
فجئن بأغباشٍ وما نزل القطا ... قَرَامِيْص مَأْوَاه وَكَانَ لَهَا وَرْدا
وجئن يُنازعن الأزمة مُقدماً ... محاويق قد لاقت ملاويحها جهدا
إلى طامياتٍ فوقها الدِّمنُ لم نجد ... لَهُنَّ بأورادٍ ولا حاضرٍ عهدا

ثم يترك هذه اللغة التي لم تخل من صلابة ، وهو يصف الرحلة والرواحل ، إلى المديح الذي سَهُلَتْ تراكيبه واستقام عودها ، مبينة عن معانيها ، مما لا يدع هناك حاجة للتمعن فيها، أو الرجوع إلى مظان الكشف عنها ، اللهم إلا كلمة " خُزُق " التي وقف عندها الشُّراح[1]، أو كلمة " هجرع " التي تبدو ثقيلة ، فهو يقول :

فشن عليها في الإزاءِ بِسُفرةٍ ... فتى ماجدٌ تُثنِي صحاباتُهُ حَمْدَا
كأنهم أربابُهُ وهو خيرُهُمُ ... إذا فَزِعوا يوماً وأوراهُمُ زندا
وأجدرهم أن يُعمل العيس تشتكي ... مناسِمُها في الحج أو قائداً وفدا
خفيفٌ لهم في حاجهم ، وكأنما ... يُعدون للأبطال ذا لِبدةٍ وردا
إذا ما دعوا للخير أو لحقيقةٍ ... دعوا رعشنياً لم يكن خاله عبدا
وليس بِحَوَّازٍ لأحلاسِ رحله ... ومزوده كيساً من الرأي أو زُهدا
خُزُقٌ إذا ما القومُ أبدوا فُكاهةً ... تذكر أَيَّاه يعنون أم قِرْدَا
ولا هجرعٍ سمجٍ إذا مات لم يجد ... به قومُهُ في النائباتِ له فقدا[2]

ويقول معاوية بن مالك الكلابي[3] مُفتخراً :

نُعْطِي العَشِيْرةَ حَقَّهَا وحَقِيْقَها ... فِيْهَا ، وَنَغْفِرُ ذَنْبَها ونَسُودُ
وإِذَا تُحَمِّلُنَا العَشِيْرةُ ثِقْلَها ... قُمْنَا بِه ، وَإِذَا تَعُودُ نَعُودُ
وَإِذَا نُوَافِقُ جُرْأَةً أَوْ نَجْدَةً ... كُنَّا سُمَيَّ بِهَا العَدُوّ نَكِيْدُ

---

(١) انظر الأضداد للحلبي ٢/٥٤٥ .

(٢) شن : صب الماء متفرقا . الإزاء : مصب الماء في الحوض . سفرة : وقت الإسفار . ورد : أحمر يميل إلى صفرةٍ . رعشني : سريع يهتز في مشيه . أحلاس : جمع حلس ، وهو أثاث البيت . حزق: بخيل سيء الخلق . هجرع : أحمق .

(٣) المفضلية ١٠٤ .

بَـلْ لا نَقُـولُ إِذَا تَـبَـوَّأَ جِيْـرَةً ... إِنَّ المَحـلـة شَـعْبُهَا مَكـدودُ
إِذْ بَعْضُهُم يَحْمِي مَـرَاصِـدَ بَـيْـتِه ... عَـنْ جَـارِهِ وَسَـبِـيْـلنا مَوْرُودُ
قَالَت سُمَيةُ : قَدْ غَوَيْتَ بِأَنْ رَأَتْ ... حـقـاً تَنَـاوَبَ مـالـنـا ووُفُـودُ
غَـيٌّ لَـعَـمْـــرُك لا أَزَالُ أَعُـودُهُ ... مَـادَامَ مـالٌ عِـنْـدَنا مَـوْجُـودُ

لقد كان اختيار الفعل المضارع دون غيره من الأفعـال مقصـوداً لأداء المعنـى في الحـاضر والمستقبل ، ومجيء الفعل الماضي " قمنـا بـه " إشـارة إلى الجـزم علـى القيـام ، وأنـه في حكـم المنتهي ، والإتيان بإذا الشرطية مراد به أن ما يفجؤهم من أمر لا يُهَوِّن من عزائمهم ، والجملة الإسمية " سبيلنا مورود " اختيرت للدلالة على الثبات .

ونُحِسُّ رقة تكاد تقطر ندى في أبيات القتال الكلابي التي يتغزل فيها بمحبوبته " عاليـة " إذ يقول(١) :

أَعَـالِي أَعْـلـى ا لله جَـدَّكِ عَـالِـيَا ... وَأَسْـقَى بِرَيَّاكِ العضَـاه الـبَوَالِيَا
أَعَالِي مَا شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا بَـدَتْ ... بِأَحْسَن مِمَّا تَحْت بُرْدَيْك عَالِيَا
أَعَـالِي لَـــوْ أَنَّ النِّسَـاءَ بِبَـلْـدةٍ ... وَأَنْتِ بِأُخْرَى لاتَّبَعْتُكِ مَاضِـيَا
أَعَالِي لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي ... إِلى غُصُنٍ رَطْبٍ لأَصْبَح بَالِـيَا
أَعَـالِي أُخْـتُ المَـالِكَـيـن نـوِّلِي ... بِمَا لَيْسَ مَفْقُوداً وَفِيْهِ شِفَائِـيَا
أَصَـارِمَـتِي أُمُ العَـلاء وَقَـدْ رَمَـى ... بِيَ النَّاسُ فِي أُمِّ العَلاءِ المَرَامِيَا

إن تكرار اسم الحبيبة " عالية " والترخيم المصاحب لذلك والاشتقاقات التي تـترى علـى نغم اسمها ، يدل على بالغ الرقة نتيجة التهـالك علـى المحبـوب ، حتـى لـنراه يسـاير خطواتهـا ماضياً نحوها في أي بلدة كانت فيها .

وتكاد النفس تفيض كمداً وتحسراً حين تسمع أبيات عبد ا لله بـن جعـدة الكلابـي ، في رثاء خالد بن جعفر الكلابي ، بل إن الكبد لتتقطع لوعة ، وترقُّ المشاعر حتى لتطـير بسـبب النداء " يا حار " ثم بمجيء " لو " للتمني عَقِبَهُ ، ويزداد الألم ، كلّما نطـق الفـم مـدا ، امتـد سريانه ، يقول ابن جعدة(٢) :

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص٩٤ .

(٢) العقد الفريد ١٣٨/٥ .

شَقَّتْ عَلَيْكَ العَامِرِيّةُ جَيْبُـهَا أَسَفاً وَمَا تَبْكِي عَلَيْك ضَلالاَ
يَا حَارِ : لَوْ نَبَّهْتَهُ لَـوَجَـدْتَـه لا طَائِشَاً رَعِـشاً ولا مِعْـزالاَ
وَاغْرُوْرِقَتْ عَيْنَاي لَمَّا أُخْبِرتْ بِالجَعْـفَرِي وَسَبَّلَتْ إِسْبَالاَ
فَلَنَقْـتُلَنَّ بِخَـالـدٍ سَـرَواتكم وَلَنَجْعَلَن لِلْظَّـالِمِين نَـكَـالاَ
فَإِذَا رَأَيْتُم عَارِضَـاً مُـتَـهَـللاً مِـنَّا فَـإِنَّـا لا نُـحَـاوِلُ مَـالاَ

إن هذه الأبيات لتفيض رقـة وعاطفـة ، جعلـت الشـاعر يعلـن مكنونـه بكـل وضـوح ، تسوق تلك العاطفة معانية ، مما يجعلنا أمام سيل المعاني المتحدِّرة مع الدموع ، كلاهمـا بَيِّـن ، في غلاف من رقة ، تُرَقِّق البعيد قبل القريب .

تلك لغة بني كلاب ، تَبِين وتَغْمُـض ، وتـرق وتغلـظ ، مُصَـوِّرة بـالصوت المـراد ، قبـل إزاحة الغشاء عن المعاني .

ب ـ سمات الصورة الفنيّة

(١) مصادر الصورة .

(٢) دلالات الصورة .

(٣) أنواع الصورة :

أ ـ التّشبيه .

ب ـ الاستعارة .

جـ ـ الكناية .

تمهيد :

لن يستطيع الإنسان أن يستغني عن الحقيقة ، فهي التي تُمدُّ حواسه بما يجلوها ، ومن ثم تبقى تلك الحقيقة مختمرة في الذهن ، حتى تستدعيها حقيقة النفس ، فتبرز على صورتها الملتقطة مع ما يشوبها من تنميق الخيال وإبداعه ، وهنا يظهر دور الوصل بين الغائب والحاضر من المعاني ، والقدرة على إشراك المبهم بالجلي ، فتعود إلينا الحقيقة مرة أخرى تجلو الأبصار ، غير أنها حقيقة في غير موضعها ، بعد أن تجاوزت مكانها إلى ما هي فيه أبين وألطف ، إذ " ... المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع .."(١).

وما الصورة التي نريدها إلا كل مانبه الحواس إلى رصدها ، وتلك هي الحقيقة الشاخصة لغرض الإبانة ، المتمثلة في كشف المجرد ، عن طريق المحس ، وقد كان التشبيه والاستعارة وكذلك الكناية ، أسمى الوسائل للقيام بتلك الإبانة إذ يقول عنها عبد القاهر الجرجاني ".. هذه أصول كبيرة ، كأن جل محاسن الكلام - إن لم نقل : كلها - متفرعة عنها ، وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها "(٢) ، وقال عنها أيضاً : " قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح ، وأن للاستعارة مزية وفضلا ، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة .."(٣) .

١ - مصادر الصورة :

حين ننظر إلى شعر بني كلاب الذي ندرسه ، نلاحظ إتكاءهم على تلك الأساليب البيانية غير أنا لا نستغرب مجيئها عندهم إذا عرفنا أن مادة تلك الصور منتزعة من بيئتهم التي احتضنتهم ومن الطبيعة التي كنفتهم ، فمن المسلم به أن يرتسم في الأذهان ، ما عقلته الأبصار، وأن يستعين المبين بما عرف لدى المبين له ، ليكون ذلك أدعى للإبانة .

لقد نقل لنا شعراء بني كلاب كل ما رعته الحواس ، وكان أقرب الطرق لنقل تلك المحسوسات التشبيه ، ذلك أنه أسمح في الإتيان ، وأقرب في التناول ، وآكد في الوضوح ، مما

---

(١) العمدة ٤٥٦/١ .

(٢) اسرار البلاغة ص٢٧ .

(٣) دلائل الإعجاز ص٧٠

يشف عن فطرة سليمة ، تظهر في التعلق بالواقع ، الذي يتبدى لنا في ماديته المحسوسة ، وتلك كانت المصدر الغالب للصورة لدى الكلابين ، إذ استمدوها من الطبيعة ، سواءٌ الجامد منها والمتحرك ، فرأوا في السماء وما فيها من نجوم وسحب خير مثال لمعانيهم ، وجسدت الأرض وما على وجهها من حيوان ونبات أفكارهم ، وجاءت الصورة من بعض الخرافات ، والمعتقدات ، غير أن هذا قليل .

وتعددت مآخذ الصورة بتعدد نظراتهم إليها ، واختلفت باختلاف نواحي الإدراك لجزئيات المنظر ، وفي قول ابن طباطبا ما يشير إلى ذلك ، حين يقول : " والتشبيهات على ضروب مختلفة ، فمنها : تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنىً ، ومنها تشبيهه به حركة ، وبطئاً وسرعة ، ومنها تشبيهه به لوناً ، ومنها تشبيهه به صوتا ، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وحسُن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له "[١] .

لقد تسمرت عينا ربيعة بن مالك الكلابي في الموت ، وهو يومض بمؤخرة عينه إلى صيده، يلحظهم شزرا ، فيلقى بالواحد ، تلو الآخر مع كل شزرة ، هذا دأبه ، وهذا ما لفت الشاعر حين قال[٢] :

طاعنتُهُ والموتُ يَلْحظُ دَائباً مُهَجَ النُّفُوسِ متى يُقال له رِدِ
فأَزالني عنهُ الشَّلِيْلُ وفارِسٌ يحنُو عليه ، وفارسٌ لم يَشْهَدِ

رأى مالا يرى ، وشخص ما كان مجردا ، وذلكم وقد الشاعرية ، وسر نبوغ الشاعر ، إذ يتيح له عيوناً ثاقبة ، وزوايا يجد فيها زاداً .

وجواب الكلابي يرى في خبب الناقة رقصا ، وتتحول الحركة العادية عنده إلى نغم ، ذي إيقاع ، نشاهد تمايل صاحبها ، ونسمع جرس صوتها ، إنه يقول[٣] :

لا تسقني بيَديْكَ إن لم تأتنيْ رَقْصَ المطيةِ إنَّني جَوَّابُ

والإهتمام بالكلب وتسمينه ، كأنما تدحو الطعام في جسمه ، فينقلب عليك ربيبك ،

---

(١) عيار الشعر ص٢٣ .

(٢) الوحشيات ص٣٦ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص٣٦٢ .

ويستخدم ذات نعمتك في خدش جسمك وكرامتك ، فيعود ما بنيت ، سلاحاً عليك ، وتصبح الأنياب والأظافر التي أطلت رماحاً تتناوبك في قول عوف بن الأحوص الكلابي[١] :

إني وقيساً كالمُسَمِّنِ كلبَهُ فتخدِشُهُ أنيابهُ وأَظَافِرُهْ

ولأن لكل شاعر نظرة معينة ، ورؤيا خاصة يركن إليها فيما يسوق من صور ، فإن هذا يجعلنا لا نستغرب ما يورده الشاعر مما يخالف رؤآنا ، بل قد يخالف الحقيقة ، إذ للشاعر تفسير خاص لما يشاهد ولديه ما يبرر به مغايرته للآخرين ، فقد يرى الألم رقصا ، والرقص عذابا ، فنفسية الشاعر خليط من كل ما يضمره الإنسان العاقل ويبوء به المجنون ، ومن هذا الباب قد ندخل صورة الناقة وهي تُعسف بسوط صاحبها ، فتبدو كامرأة غاضب تتمايل غنجاً وهي تضرب بالسوط ، تلك هي الصورة التي وردت في بيت جهم بن شبل الكلابي ، حيث يقول[٢] واصفاً ناقته :

تَدَلَّلُ تحتَ السوطِ حتى كأنَّمَا تَدَلَّلُ تحتَ السوطِ خودٌ مغاضِبُ

وحكى ثعلب أن ابن الأعرابي ، بعد أن أنشد هذا البيت ، قال عنه : " هذا أحسن ما وصف به الناقة "[٣] .

لكن يزيد بن عمرو الصعق تتعدد لديه جزئيات الصورة ، فَيلمُّ شعثها ، جامعاً بين الأضداد والأشتات ، مُبايناً بين الألوان ، فهذا جمل أسود ، في صفحة وجهه بياض ، يقابله رجل كثُّ شعر الحاجبين ، له لحي كمستنقع الماء في الجبل ، ثم لا يكتفي بذلك بل يتمنى أن يضاف لذلك الشكل المضحك ، شكل آخر أكثر تهكما ، عظم أجرد من ناقةٍ سمينة ، يشد بكلتا كفيه عليه وهو فاغر فاه لا شيء له سواه ، ولا أمل له فيما عداه يقول يزيد[٤] :

ما جملٌ جونٌ تَوَسَّدَ لُمعَةً بآكلَ من عوفٍ إذا حانَ مأكلُ

لهُ شَعَرٌ في حاجبيهِ ولحيهُ كقُنَّةِ وقطٍ ، وهو أزعرُ من علُ

فليت عُراقاً من جزورٍ سمينةٍ بكفيك يومَ الرملِ إذ أنتَ مُرمِلُ

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص٢٧٦ .

(٢) لسان العرب (دلل) .

(٣) السابق .

(٤) الوحشيات ص٢١٧ . قنة وقط : ردهة في الجبل يستنقع فيها الماء (لسان العرب) . عُراق : عظم أُكل لحمه .

إنها نثارة ، جمعتها مخيلة شاعر ، وصل بين الإنسان والحيوان والجماد ، من خلال زوايا معينة .

وربما كانت الصورة قبساً يلمع فجاءة ، فيرى على ضوئه مشهداً من عصر ، أو حكاية من تاريخ ، فينبه الأذهان إلى قصة مضت ، وأخبارٍ أندثرت ، وهذا ما يبين في لمح الصورة التي أضاء لها بيتُ ابن عباد الكلابي[١] الذي يقول محذّراً بني البوس من طي ، حينما سرقوا سهامه :

بَنِيْ البُوسِ رُدُّوْا أسهُمِي إنَّ أسهُمِي كنَعلِ شُرَحْبِيلَ التي في مُحارِبِ

إن هذا التشبيه ينقلنا إلى حادثة عرفت بين العرب ، حين أوقع الأسود بن المنذر ببني محارب بعد أن وجدت نعل ابنه " شرحبيل " عندهم فدلت على قتلهم إياهم ، " فأحمى لهم الأسودُ الصفا ، بصحراء أُضاخ ، وقال لهم : إني أُحذيكم نعالاً ، فأمشاهم على ذلك الصفا، فتساقط لحم أقدامهم "[٢] وعيروا بذلك ، فقال جوشن الكندي[٣] :

على عهد كسرى نعَّلَتْكُمْ مُلُوْكُنَا صَفَاً من أضاخ حامياً يتلهَّبُ

إن تلك الصورة لتدلنا على إستعانة الشاعر الكلابي ، بما تختزن ذاكرته من حكايات عُرفت بين القوم ، وصارت مشاعةً بينهم ، لا فضل فيها لأحد ، إلا ببعثها من جديد تطفو أمام النظارة .

وقد تكون هذه الحكايات المتوارثة دافعاً إلى سعة الخيال ، وبعده ، ومن ثم الجنوح وراء الخرافات كذكرهم للسعالي ، مما ليس له وجود محسوس ، فهذا شاعر كلابي اسمه معقل بن ريحان يشبه خبب نياقه اليُبَّس بخبب السَّعالي الهلع ، ومن رأى السعالي حتى يرى خببها ؟! يقول[٤] :

جَلَبنا الخيل من حوضى وخَوٍّ نَجُوبُ الليل دائبةَ النِّقالِ
ومن هضبِ القليب وجانبيهِ نَخُبُّ شطائباً خبَّ السَّعالي

---

(١) خزانة الأدب ٥٧٥/٩ .

(٢) السابق ٥٧٥/٩.

(٣) خزانة الأدب ٥٧٥/٩ .

(٤) بلاد العرب ص١٤٠ . حوضى وخو : جبل وماء في ديار بني كلاب . شطائب : جمع شطيبة وهي الناقة اليابسة (ق . المحيط) .

وقرن الشاعر الأموي : جامع بن عمرو الكلابي السعالي بالليل ، زيادة في الوحشة ، وتعميقا لمدلول الصورة ، ليعود ذلك بالتالي على الإبل ، التي لا تأبه بالخوف من رعب الليل، بل هي مصدر الخوف ، فهو يقول[١] :

تعالَى بأيدٍ ذارِعاتٍ وأرجُلٍ مُنَكِّبَةٍ رُوْحٍ يخدنَ بنا وخدَا
سَعَالِيَ ليلٍ ما تنامُ وكُلِّفَت عشيةَ خمسِ القوم هاجرةً صخدا

وكان النجم ومطالعه مصدر خرافة ، يدفعهم لاعتقاد معين ، وهو ما تبرأ منه لبيد بن ربيعة الكلابي حيث قال[٢] في حديثه عن أخيه لأمه " أربد " :

أخشى على أربَدَ الحُتُوفَ ولاَ أَخَافُ نَوءَ السِّمَاكِ والأسَدِ

واعتقد سوءَ طالعة عمرو بن خويلد ، وفسر على أساسه شرور الناس ، إذ قال[٣] :

وُلِدتَ بحادي النَّجمِ تسعى بسعيهِ كما وَلَدت بالنحسِ ديَّانَهَا عُكْلُ

وقد افتخر الرقاص بن عدي بولادته في وقت محاق النجم ، مما يشير إلى طبع معين نتج عن ذلك الزمن وإيمان بتأثير المطالع ، فهو يقول[٤] :

فَمَا أُمي بِرُهمٍ قد عَلِمْتُم ولا بالعامليةِ فاحذروني
ولكنّي وُلِدتُ بنجمِ شكسٍ لبيضاءِ الذوائبِ حيزبُونِ

وكان المحاق الذي تدل عليه كلمة " شكس " يدفعهم لفظها ومعناها إلى التشاؤم ، من ذلك ما قاله عروة الرحال[٥] عندما زوج امرأة طاعنة ، طعنت كل أمل له :

وجهَّزنَهَا قَبل المُحاقِ بليلةٍ فكانَ مُحاقاً كُلُّهُ ذلكَ الشهرُ

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب ص٣٥٠ . تعالى : ترتفع بأيدها . ذارعات : تمد ذراعيها مسرعة . منكبة : عادلة عن الطريق . روح : يرحن عشية .، أوسعة ما بين الرجلين . يخدن : يرمين بقوائمهن حين المشيء . هاجرة : منتصف النهار . صخد : محرق .

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ص٢١٠ .

(٣) الحيوان ٩٤/٦ . حادي النجم : الدبران ، وهو كوكب أحمر على إثر الثريا ، بين يديه كواكب مجتمعة ، وكانوا يتشاءمون منه .

(٤) الوحشيات ص١٢ . رهم : جمع رهام : وهو مالا يصيد من الطير . العاملية : من قبيلة عاملة . شكس : محاق . حيزبون : عجوز .

(٥) الشعر والشعراء ص٧١٩ .

ولذا كان النجم متعلق قلوبهم ، إن حقيقة وإن خيالا ، فرأوا فيه مثالاً عاليا ، وسحراً محيرا ، يقول عبيد بن العرندس الكلابي[١] مادحاً :

من تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُل لا قيتُ سَيِّدَهُم مِثلَ النُّجُومِ التي يسري بها الساري

ويذكر عامر بن الطفيل التمائم فيقول[٢] :

فإن تنجُ مِنها يا ضُبيعَ فإنني وَجَدكَ لم أعقد عليكَ التَّمائِما

كما يشبه كَرَّهُ على عدوه بالدوران على الصنم ، وقد يكون في هذا ما يدل على إيمانهم بالصلة بين حربهم ودينهم ، يقول عامر[٣] :

وقد عَلِمُوا أَنِّي أكُرُّ عليهمُ عَشِيَّة فيفِ الريحِ كرَّ المدوِّرِ

غير أن الحيوان من بين مظاهر الطبيعة المختلفة كان هو المصدر الأساسي للصورة عند بني كلاب ، وذلك عائد إلى معايشتهم له ، في كل الأحوال ، فارتباطهم به وثيق ، وصلتهم به دائمة ولقد كانت الإبل مسرتهم في النظر ، ومفزعهم في الخطر ، لا تبرح مراحهم ، فهي عطاءُ رفدهم ، وقرى ضيوفهم ولذلك خبروا كل شيء عنها ، وعرفوها في كل أحوالها ، ومثلت أمامهم نفسيتُها ، فتمثلوا بكل حركاتها وسكناتها التي جسدت معانيهم ، فكان ذلك مُنبئاً بكشف القريب للقريب ، مع ضمان الإبانة .

ذكر فحل الإبل في مجال الإعتذار ، عمن جهد في عمل فأرهق ، فقد شُبِّه بفحل الإبل، يجري حتى يسخُن إذ يقول أبو دوآد الرُّؤاسي[٤] :

وابنُ الضَّريبةِ في فوارسِ قَومِهِ طَوعَ الجنيبةِ كالقريعِ الساخنِ

وإذا كانت هذه صورة شكلية عابرة ، فإن هناك من دقق النظر في الفحل ، ونقل إلينا صورة تفصيلة عن أمر معهود لدى أصحاب الإبل ، حين يرون في ذلك الفحل هياجاً ، لا يزول حتى يُخصى يقول يزيد بن عمرو الصعق[٥] :

وإن الفحل تُنزَعُ خصيتَاهُ فَيُضْحِي جافِراً قرِحَ العِجَانِ

---

(١) الكامل للمبرد ٧٩/١ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص١٢٣ . ضبيع : ترخيم ضُبيعة .

(٣) السابق ص٦٤ . المدور : الدائر بالصنم ، أو هو الصنم ذاته .

(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ٢٣٧/١ .

(٥) لسان العرب (خصا) . جافر : لا يضرب . قرح العجان : مجروح الفرج .

ويلح يزيد في مادته التصويرية على الجمل ، كما رأينا في الصورة الماضية لما يرى في الفحل من قوة وسيادة تبين لنا عن تفضيل الذكر .

وفي الناقة أبانوا لقاحها ، وسيقت صورة للحرب الضروس ، لا تعقب إلا الشرور في قول عامر بن مالك الكلابي[١] يذكر يوم رحرحان ، ويرد على ابن زرارة التميمي :

لَعَمري لقد دافعتُ عن حيِّ مالكٍ شآبيب من حَربٍ تلقَّحُ حَائِلِ

وهذا إظهار للناقة في شكل معين ، وحالة متميزة ، لا تبين عما بعدها ، بقدر ما تنبئ باحتمال قد يكون سيئاً ، لكنه واقع لا محالة .

وإذا كان الغالب أن تظهر الناقة منفردة ، لتركيز الصورة عليها ، فإن هناك من الصور ما تظهر فيها جماعة النياق بفصائلها تسير معها ، نجد هذا في قول عامر بن الكاهن الكلابي[٢] :

وَمَن يَرَنَا يَومَ السُّحامَةِ فوقَنَا عجاجَةُ أذوَادٍ لهُنَّ حَوَائِرُ

إذا خَرَجَت من مَحضرٍ سَدَّ فرجها خفَافٌ مُنيفاتٌ ، وجِذعٌ بها زرُ

حتى لقد ذكروا عددها ووسمها ، ولونها ، من مثل قول السندري بن يزيد الكلابي[٣]:

نَسُوقُ ألفاً نَعَماً مُزنَّما كأنها اللَّيلُ إذا ما أظلَمَا

كما ذكروا سمنها وهزالها ، إذ يقول عمرو بن خويلد الكلابي[٤] :

رِكَابُ حُسيلٍ أشهُرَ الصَّيفِ بُدَّنٌ وناقةُ عمروٍ ما يُحلُّ لها رحلُ

وأبانوا الناقة محملة بالرحل المثقل عليها ، وما قد يعينها على تحمل ذلك من حداءٍ يبعث في الراحلة النشاط ، إذ قال السندري بن عيساء الكلابي[٥] :

لم أرَ يوماً مِثلَ يومِ جَبَلَهْ يومَ أتتنا أسدٌ وحنظلهْ

---

(١) الأغاني ١٠١/١١ .

(٢) معجم البلدان (سحامة) . السحامة : سحامة رمح : من مياه عمرو بن كلاب (السابق) . بهازر : طويل .

(٣) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٣٥ . مزنم : معلم .

(٤) الحيوان ٩٤/٦ .

(٥) الأغاني ١٤٢/١١ . والشاعر هو السندري كما في كتاب " من نسب إلى أُمه من الشعراء " نوادر المخطوطات ٨٥/١ .

وَغَطَفانُ والملُوكُ أزفلـه نَضرِبُهُم بِقُضُبٍ مُنتخلهْ
لم تعدُ أن أفرش عنها الصَّقله حتى حدوناهم حُداءَ الزَّوملهْ

لقد كشف الشاعر عن المعالجة النفسية للحيوان ، ونفي الكدر عنه .

كما ظهرت الناقة مسنة لا تحمل ، قد انقطع حليبها ، فلم تفد ، بل أثقلت على من حولها ، ترم فما تبقي شيئاً ولا تدع ، لينتفع به بعدها ، فهي مصدر دمار ، وحرمان ، تقول أم خلف الكلابية[١] شاكية العمال :

أميرَ المؤمنينَ جُزيتَ خَيرا ألم يَبلُغكَ خبرةَ مَالقينا
أناخت حائلُ جذبَاءُ نَابٌ فلم تَترُك لطلحتناَ فُنُونا
تكنُفُها فتأكلُ ما يليها ونكنُفُها فنأكُلُ ما يلينا

ووردت الناقة الفتية ، سواءٌ كانت صعبة أو ذلولا ، كناية عن المرأة الكريمة ، فقال برثن الصموتي الكلابي[٢] :

وإنكَ لو حُمِلتَ على قَلُوصٍ رَمَت بِكَ ذاتُ غَرزٍ أو رِكَابِ

وجاء ذكر ولد الناقة " الحوار " في غرض الفخر ، لكنه عرض في صورة من القسوة إذ يُرى صريعاً مرمياً على قارعة الطريق ، لا يؤبه به ، يقول مربع بن وعوعة الكلابي[٣] في قتله لسعد بن صبيح النهشلي :

دعا نهشلاً إذ حَاذَهُ السيفُ دَعوةً وأجليتُ عنهُ كالحُوارِ المجُدَّلِ

ونفس المشبه به يذكره القتّال الكلابي[٤] .

كما ذكروا درَّها بالحليب فقال أبو حجار الكلابي[٥] :

فدَرَّتِ العينُ فَظَلَّتْ تُمطِرُ وفي حُمُولِ الحيِّ ريمٌ عَبْهَرُ

وفي عصر صدر الإسلام ذكرت الابل في حال استكانتها وسكونها ، مما يبعث على الشفقه بها و لم تعد تلك المباهية بجسمها ونشاطها ، بل صارت ذليلة ، منقادة ، يقول

---

(١) بلاغات النساء ص٢٥٢ .
(٢) الأمالي لليزيدي ص٤٤ . غرز : أي صعبة .
(٣) النقائض ص ١٠٩٨ .
(٤) ديوان القتال ص٧٦ .
(٥) مجالس ثعلب ١١٠/١ . عبهر : طويلة .

الضحاك بن سفيان الكلابي[١] :

أتنسى بلائي يا أُبيَّ بنَ مالكٍ غَدَاةَ الرسولُ مُعرضٌ عنك أشوسُ
يقُودُك مروانُ بنُ قيسٍ بحبلهِ ذليلاً كما قيد الذلُولُ المُخيَّسُ

وإذا كانت الإبل قد أُذلت وقيدت للنحر أو للعطاء ، فإن ما وراء القيد قد تحقق ، فذبحت هديا وأضحية وصدقة ، حتى عمت دماؤها الأرض ، دليلاً على البذل ، الذي كانت تشهد به الشعراء واليوم تشهد به الأرض ، فكان للعقيدة دور في تغير المفهوم ، تبعه تغير في الصورة ، ولم تعد الإبل التي تمثل لهم الكبرياء أكثر من وسيلة يستعان بها ، يقول عبد الله بن حذف الكلابي[٢] مشبهاً دماء المسلمين المحاصرين في الأحساء بدماء البدن من الإبل في رسالته إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يطلب منه النجدة :

كَأَنَّ دِماءَهُمُ في كُلِّ فَجٍّ دِمَاءُ البُدنِ تُغشي النَّاظِرينا

وكان الإلحاح في العصر الأموي ، على فحل الأبل وهو في حالٍ من الغضب ، والقسوة أكثر من إظهار غيره ، فهذا كلابي ، يريد أن يُظهر بالغ إعتزازه بقبيلته ، فلا يجد أفضل من أن يهدر هدر الفحل المسن ، حين يخرج لهاته ويردد صوته في حنجرته ، دليلاً على الشموخ في غضب ، ومنتهى الصدق في الحب ، يقول[٣] :

لأَهْدِرَنَّ اليومَ هَدراً صَادِقَاً هدر المُعنَّى ذي الشقاشقِ اللَّهَمْ
إن كلاباً والدي لاذا جَرَم

وفي المدح كان الفحل خير من يمثل لهم صفات الممدوح ، فرأوا في غلبته لغيره وسطوته على أنداده بلا مبالاة شبهاً بذلك الفحل الذي لا يأبه بمن تحته من الحشرات ، فهو يطأها بأخفافه ، لا يشعر بشيء يقول الصموت الكلابي[٤] :

لله دَرُّكَ أيُّ جُنَّةِ خَائفٍ وَمَتَاعِ دُنيا أنتَ للحدَثَانِ

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ٤٤٤/٢ . المخيس : المحبوس للنحر أو للعطاء .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٢/١ .

(٣) النوادر لأبي علي القالي ، الملحق بالأمالي ٢٣٦/٣ . هدر : ردد صوته في حنجرته . الشقاشق : الشقشقة : شيء كالرئة يخرج من فم البعير إذا هاج . اللهم : المسن . جرم : حق .

(٤) أمالي المرتضى ٣٠٢/١ . متخمط : ثائر مجلب . الفنيق : الفحل المكرم . القردان : جمع قراد : دويبة تلتصق بأجسام الحيوانات .

مُتخمِّطٌ تَطَا الرِّجَالَ غُلُبَّةً وطءَ الفَنِيقِ دَوَارِجَ القِرْدَانِ

ووصفت الجمال بالضلالة ، فذكرت مشبهاً بها حيوان آخر هو النعام ، إذ يقول القتال الكلابي[١] :

وَخَيطُ نَعَامَى الرُّبدِ فيها كَأَنَّها أبا عِرِ ضُلاَّلٌ بِآبَاطِهَا نَشرُ

وشبه الشاعر طهمان بن عمرو الثور الوحشي بالفحل من الإبل[٢] .

والظبي مما كثر وروده في صورهم ، وارتبط بالمرأة خاصة لكثرة ما يجمع بينهما ، فعيناها عيناه ، بل هي ذاته ، كما في قول أبي دوآد الرُّؤاسي[٣] :

وعهدي بها والدارُ تجمعُ أهلَهَا لها مُقلتا ريم وخلقٌ خَدَلَّجُ

كأنا تُوافِينا مع الليلِ مُغزلٌ من الأُدمِ جَمَّاءُ المَدَامِعِ عَوْهَجُ

ويقول عروة الرحال[٤] :

وسالفةٍ كالسيفِ زايل غِمدهُ وعينٍ كعينِ الرِّئم في البلد القفرِ

وذكر الأعور بن براء الكلابي[٥] الأدم من الظباء مشبهاً زوجته بها ، فقال :

وأدماء من أُدمِ الظِّباءِ تَعَرَّضَت لِأَلبثَ شَهَراً بل أُقيمَ لياليا

ويقول أبو حجار الكلابي[٦] :

فَدَرَّتِ العينُ فَظَلَّت تُمطِرُ وفي حُمُولِ الحيِّ رِيمٌ عَبهَرُ

وورد ذكر الظباء لدى القتال ، يشبهه بها المرأة[٧] .

وظهرت في شعرهم الخيل ، والذئاب ، والوعول والضباع والأسود ، والكلاب والحمير والنعام ، ومن الطيور العقاب ، ومن الزواحف الحيات ، ومن مظاهر الطبيعة نشاهد كراع الحرة ، وصفا الصخور ، كما نرى لمع البروق ، وأهلة الشهور ، وسحب السماء ، ومن

---

(١) ديوان القتال ص٤٩ . خيط : جماعة النعام . نشر : جرب .

(٢) ديوان طهمان ص٢٤ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ٧٨٧/٢ .

(٤) الشعر والشعراء ص٧١٩ .

(٥) تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص٥٦٦ .

(٦) مجالس ثعلب ١١٠/١ . عبهر : طويلة .

(٦) ديوان القتال ص٤١، ٦٨، ٧٥ .

أدوات الحرب نجد السيف والرمح والقوس ، ومن مظاهر الحضارة ذكروا القلم والكتاب ، وحجل العاج والروائح العطيرية كالمسك ، ومن الثياب البرود ، وغير ذلك كثير .

إن جزئيات البيئة التي تملأ صورهم لتدلنا على صحة هذا الشعر ، وتدفعنا للثقة به ، وتنفي شكوك المتشككة ، ذلك أن الشاعر مرتبط بواقعه ، فليس له إلا أن ينقل ما وقعت عليه عيناه ، مما تناثر أمامه من مظاهر مجتمعه ، ونتوءات بيئته التي لا يستطيع أن يُغمض عنها، ويستبدلها بغيرها ، إذ هذا سيخلق تنافراً ، وتضاداً يفضح الشاعر ، وليس من رأى كمن سمع.

إن ذكر جُزئيات البيئة من حيوانٍ وغيره ، وكواكب وسواها ، وعدم مبارحة ذلك لأذهانهم ، حينما تُلحُّ عليهم رغباتهم النفسية ليؤكد لنا أننا أمام مجتمع سمته الوضوح ، والبعد عن الغموض ، فلا إغراق في المعميات من أساطير وغيرها ، ولذا لا ينبغي أن نتكلف تفسير أشعارهم ، أو نولدها ما لم تحمل من مثل بعض الدراسات الحديثة[1] التي تشط في بيان مراد الشعراء الجاهليين .

ولقد أخذ الكلابيون صورهم من البيئة الحضارية ، وهذا دليل على اتصالهم بالقرى المجاورة لهم ، وفي بيتي أبي حجار الكلابي ما يدل على تعلقهم بالنخل وثمره ، ومعرفتهم بأنواعه ، إذ يقول[2] :

وَلَّوْا على أظعانِهم فأَدْبَرُوا كَأَنَّها لَمَّا تَوَلَّتْ تُذْمَرُ

نَخلٌ من الصُّفري دوحٌ ، مُوقَرُ يَكَادُ من إيقارهِ يُهَصَّرُ

وقد كانت بيشة القرية المشهورة بنخلها وتمورها في حدود بلادهم ، وكانوا يميرون منها.

وشبهوا الديار بالكتابة ، كقول أبي دوآد الرُّؤاسي[3] :

لمن طللٌ كعُنوانِ الكتابِ ببطنِ أُواقَ أو قَرَنِ الذِّهَابِ؟

ويقول القتال الكلابي[4] :

---

(١) انظر : قراءة ثانية لشعرنا القديم .

(٢) مجالس ثعلب ١/١١٠ . تذمر : تحث . موقر : مثقل بالتمر . يهصر : يكسر .

(٣) تهذيب إصلاح المنطق ص٦٢٦ .

(٤) ديوان القتال ص٤٩ . حوضى : ماء لعبد الله بن كلاب (بلاد العرب ١٤٠) . تنير : تبين وتوضح.

بشرقي حوضى أخَّرَتني مَنَازلٌ قِفَارٌ جلالي عن مَعَارِفِها القَـطرُ
تُنيرُ وتُسدي الريحُ في عرصاتِها كما نَمنَم القرطاسَ بالقلمِ الحبرُ

كما شبهها عامر بن الطفيل بِصُحف الكاتب(١) .

ويقول زفر بن الحارث الكلابـي(٢) ، كاشفاً عـن مظهـر مـن مظـاهر البيئـة الجديـدة ، مُشمئزاً منه :

أبُو هاشمٍ عَطَّارةٌ فَارِسِيَّةٌ مُكَحَّلَةُ العينينِ براقةُ الفَمِ

٢ ـ دلالات الصورة :

ودلالات الصورة في الشعر الكلابي متعددة ، منها الدلالة النفسية ، فحـين يقـول عـامر ابن الطفيل الكلابي(٣) :

قَتَلنَا كَبشَهُم فَنَجَوا شِلاَلاً كما نَفَّرتَ بالطَّرْدِ النَّعامَا

إنما يريد أن يصور شدة خوف العدو ، ذلك الخوف الذي أفقدهم صوابهـم ، وجعلهـم يتخبطون تخبط الأعمى ، لا يعي حاله ، ولا يدري مواطيء أقدامه ، كالنعام في نفيره ، الذي عُرف به لدى العرب ، حتى قالوا في المثل : " اشـردُ مـن نعـام "(٤) ، وقـال أوس بـن غلفـاء الهجيمي(٥) :

وهُم تَركُوكَ أسلحَ مِن حُبارىَ رَأَت صقراً وأشردَ من نَعَامِ .

ويقول زفر بن الحارث الكلابي(٦) مُظهراً بالغ حزنه وظلام الدنيـا في عينيـه بعدمـا فقـد عزيزاً لديه ، إذ تصورت نفسه الحزينة أن الكواكب والنجوم قد اصابهـا مـا أصابـه ، فغـدت منكسرة ، منطوية ، تُحسُّ بإحساسه :

وَلَّما أن نَعى النَّاعي عُميراً حَسِبتُ سَمَاءَهُمُ دُهِيت بِليلِ
وكان النجمُ يَطلُعُ في قَتَامٍ وخَافَ الذُّلَّ مِن يَمَنٍ سُـهَيلُ
وكُنتُ قُبيلها يا أُمَّ عَمروٍ أُرجـلُ لِمَّتي ، وأَجُـرُّ ذَيـلي

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص١٤٢ .
(٢) ديوان زفر بن الحارث الكلابي ص٢٥٨ .
(٣) ديوان عامر بن الطفيل ص١١٠ . شلال : طراد .
(٤) مجمع الأمثال ١/٣٨٨ .
(٥) المفضلية ١١٨ .
(٦) ديوان زفر بن الحارث الكلابي ص ٢٥٣ .

ويقول القتال الكلابي[١] معبراً عن حالته النفسية حين هرب من السجن :

كَأَنَّ بـلادَ ا لله وهـي عـريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كِفَّةُ حَابلِ

يُـؤَدَّى إلـيـه أن كُـلَّ ثنـيـةٍ تَيَـمَّـمَها تُـوحي إليـه بقـاتِـلِ

ومن تلك الدلالات الدّلالة البيئية ، والدلالة الجمالية ، وإن كانت هذه الدلالة قرينة كل دلالة أُخرى في الغالب لكنها قد تبرز وحيدة في بعض الأبيات .

إن الدلالة البيئية التي تشف عن مظاهر مجتمع ما ، سواء في عاداته ، أو أدواته لَتتبدَّى لنا جلية في الشعر الكلابي ، ففي قول عوف بن الأحوص الكلابي[٢] :

أَلَم اَظلِف عن الشُّعراءِ نفسي كما ظُلِفَ الوَسِيقَةُ بالكُراعِ

تَظهرُ بيئة الحرار ، ويبين تعاملهم مع الطريدة من الحيوان فيها ، إذ كانوا يدفعونها للسير فيما امتد من الحرار حتى لا يُقتص أثرهم .

ويبدو الحي متبدّياً أمامنا ، جيراناً أسوياء ، البيوت متجاورة ، ونباح الكلاب يُسمع خلفها في قول عمرو بن البراء الكلابي[٣] :

عَفَا عَطَنُ العَوْجَاءِ والماءُ آجِنُ سُدَامٌ ، فَحَلَّ الماءَ مُغرورق صَعبُ

كأن لم يرَ الحيَّينِ يُمسونَ جيرةً جميعاً ولم ينبح بقفيانِها الكلبُ

كما ظهر المتاع من خلال صورهم ، إذ قال يزيد بن قيس الكلابي[٤] ، مبيناً العياب التي تحفظ الثياب :

وَمَا عَاصِمٌ منها بصُفرٍ عيابُهُ وذاك الذي في السُوقِ مولى بني بدرِ

وحين ذكر القتال هم المتاع ، وثقل المؤونة[٥] ، فإنما أراد المدح ونتيجته من العطاء ، فلرغبة في نفسه كانت الصورة .

ومن الدلالات الجمالية ما كان متداولاً بين الشعراء من صور ، أو ما كان مبالغاً فيه

---

(١) الحماسة للبحتري ص٢٦٠ .

(٢) إصلاح المنطق ص٦٣ . ظلف: أخذ بها . الوسيقة: الطريدة . الكراع : عنق الحرة الممتد في السهل.

(٣) معجم البلدان (العوجاء) . العوجاء : ماء لبني الصموت من كلاب ، ببطن تربة . العطن : المناخ حول الورد . آجن وسدام : راكد متغير الطعم .

(٤) فتوح البلدان ص٣٧٧ .

(٥) ديوان القتال ص٦٩ .

لا يمت إلى الحقيقة بصلة وإنما أراد الشاعر به الإفصاح عن قدرته التعبيرية ، وإتمام الأبيات بما يُفصح عن موهبة ، من مثل قول القتال الكلابي[١] :

وَمَا مُغزلٌ من وحشِ عرنانَ اَتلعت ... بسنتها ، أَخَلتْ عليها الأواعِسُ
تَصَدَّى لملطُومِ الألدَّينِ ضاعَها ... لهُ أَتْحمياتٌ وأنفٌ خُنابِسُ
إذا واجَهتهُ الشَّمسُ صدَّ بوجهه ... سوى وجهها - إذ أشرقت - وهو نَاعِسُ
بذي جُدَّتين : جُدةٍ حَبَشيَّةٍ ... ومُغربةٍ تجري عليها القراطِسُ
ترعى الفضاءَ كُلَّ مجرى سحابةٍ ... وفي النفسِ منهُ رأفةٌ وهَوَاجِسُ
إذا اعتزلتهُ لا يَزَالُ بعينها ... حِذَاراً عليهِ شَخصُ رَامٍ يُخالِسُ
تُذَكِّرني شِبهَاً لِطيبةَ إذ بدتْ ... لَنَا وَصِوَارُ الوحشِ في الظِّل كَانِسُ

وحين ننظر إلى تنوع الحواس الإنسانية ، ومدى تحققها فيما أمامنا من شعر بني كلاب ، فإنا نجد الصورة المعتمدة على الحاسة السمعية ، إذ تبرز أصوات الإبل المثقلة بالرحال وهي تُظهر صوتاً كالزحير دلالة على الإعياء ،وعدم القدرة على المواصلة ، تقول ابنة القتال الكلابي[٢] :

كَأَنَّ نَشِيجَهَا بِذَواتِ غِسلٍ ... نَهِيمُ البُزلِ تُثبجُ بالرِّحَالِ

لقد شبهت صوتاً بصوت ، كاشفة عن الناحية النفسية ، التي برزت بوضوح من خلال صوت الحيوان ، فكانت صورة تتبدى في ثوب حسي ، وتشف عن حالٍ نفسي ، وتلك قدرة فنية جمعت بين المادة والمعنى .

وفي قول طهمان الكلابي[٣] :

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص٦٦ . مُغْزِل : ذات ولد . عرنان : رمل لبني عقيل معروف بوحشة . (معجم البلدان) . اتلعت : ارتفعت . سنتها : وجهها . أخلت : أرطبت بالعشب . الأواعس : اللِّين من الأرض . الملطوم : الذي سالت غرته حتى شملت خديه . الألدان : جانبا الوجه . ضاعها: ناداها متضوراً في دعائه . اتحميات : ثياب مخططة . خنابس : غليظ . الجدة : الخطة في ظهر الظبي ، مُغربة : بيضاء . الصّوار : قطيع بقر الوحش .

(٢) لسان العرب (بثج) . نشيج : النشيج : الغصص في البكاء . ذات غسل : من ديار نمير (م . البلدان) جنوب شقراء (بلاد العرب ٢٧٤) . البزل : البازل : الناقة في سنتها التاسعة . تثبج : تثقل .

(٣) ديوان طهمان ص٦١ .

غَرِيبانِ مَجْفُوَّانِ أكثرُهَمِّنا وَجيفُ مَطايانا بِكلِّ مَكان

كنى بالصوت " الوجيف عن كلل المطايا ، والخوف من ثبورها بهم عن مواصلة السير، كما أسمعنا صرير الجنادب إبان الضحى ، وهو على راحلته(١) .

ويظهر الصوت من خلال الكناية ، في قول عامر بن الطفيل الكلابي(٢) :

وَلَولاَ دِفاعي عَن سُميطٍ وَكَرَّتي لَعَاجٍ قِداً قُفْلُهُ يَتَقَعقَعُ

والملاحظ أن الصوت غالباً ما يظهر في الصور الكنائية(٣) .

ونجد من صور الكلابيين ما يكون الاعتماد فيه على اللون ، مما يلمحه البصر ، فتلك أسنان الصبايا ما إن يبسمن حتى تومض ، فتقبس ضياءً وتلمع ، كأنما البرق سطع من بين الشفايا يقول أبو دُوْآد الرُّؤاسي الكلابي(٤) :

إذا ما تَنَازعنَ الحديثَ عن الصِّبا تَبَسَّمنَ إيماضَ البُرُوقِ اللَّوَامِعِ

كذلك يقول أُهبان بن خالد الكلابي(٥) :

وَنَحنُ وَلَدنَا مِنكمُ كُلَّ سَيِّدٍ كأنَّ على عِرنينِهِ وَضَحَ الفجرِ

جاعلاً المشبه به متفوقا في المساحة على المشبه ، مُظهراً قدرة الشاعر على التخيل ، حين أحال من بريق الأنف فجرا كل ذلك يظهر اللون الأبيض ، ويقابله اللون الأسود ، الذي طالما حرص عليه الشعراء في نعت إبلهم به كقول عنترة العبسي(٦) :

فِيْهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُوْنَ حَلُوْبَةً سُوْدَاً كَخَافِيَةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ

وها هو الشاعر الكلابي : السندري بن يزيد يشبه الإبل التي غنموها بالليل لكثرتها وسواد لونها ، يقول(٧) :

نَحنُ أسرنا خَالِداً والأخزمَا وعُقبةَ بنَ جَعفرٍ إذ قَدِما

---

(١) ديوان طهمان ص٢٥ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص٨٢ . قد : سوط أو قيد . قَفْلُهْ : يُيْبسُه .

(٣) السابق ص٩٥،٩٧ .

(٤) الحماسة البصرية ١١٨/٢ . وانظر ص ٢٧٩ من الرسالة .

(٥) الملمع للنمري ص٤ .

(٦) ديوان عنترة ص ١٩٣ .

(٧) المؤتلف والمختلف للآمدي ص١٣٥ . مزنّم : مُعلم .

نَسوقُ ألفاً نَعَماً مُزَنَّمَا كأنها الليل إذا ما أظلما

وكان اللون قرين الشكل في إبراز المشبه به ، وقد حرصوا على ذلك ، لأن في اللون ميزة جلية تلفت المخاطب وقد يرمز إلى مرادهم من المعاني ، ويكشف عن ظاهرة نفسية ، يقول جامع بن عمرو الكلابي[١] :

أَسقى مَنَازِلَ مِن دَهماءَ قد دَرَسَتْ بالرملِ سَاريةٌ خَضرٌ تواريها

خَضراء تُحيي رميم الأرضِ قد بليت يَقُصُّ سَاريها بالدَّجنِ غَاديها

لقد كان اللون الأخضر تفاؤلاً وبشارة بما سيكون على سبيل المجاز ، حتى السواد الذي قد تكون له دلالة نفسية خاصة ، يظهر هنا مؤذناً بخصب ، ومشعِراً ببشرى .

ويبدوا أن هذا الشاعر يحرص دوماً على إتحاف صوره بالألوان ، إذ يقول[٢] من أبيات له أخرى :

لَقَد طَرَقَت دَهماءُ والبُعدُ بينها وليلٍ كأَثناءِ اللِّفاعِ بَهيمُ

على عَجَلٍ والصُّبحُ بادٍ كأنَّهُ بِأدعَجَ من ليلِ التِّمامِ بَريمُ

وممن اهتم بالألوان في شعره عامر بن الطفيل[٣] ، وزفر بن الحارث[٤] ، والقتال الكلابي[٥] ، فشيب عامر كشجر الثغام الأبيض ، ورمح زفر أزرق ، ونعام القتال ربد ، وألوانهم قد تكشف عن أحوالهم النفسية ، وتُوميء إلى شيء من طباعهم .

ومن الصورة ما نتج عن الحاسة الذوقية ، فقد جُسِّم المجرد بماديٍّ محسوس ، تمثل ذلك في تشبيه عودة حديثها بمذاق العسل في قول الحكم بن ريحان الكلابي[٦] :

يَا أَجدلَ الناسِ إن جَادلتهُ جَدَلاَ وأكثر الناسِ إن عاتبته عِللاَ

كَأنما عسلٌ رُجعَانُ مَنطِقِها إن كانَ رجعُ كَلاَمٍ يُشبهُ العسَلاَ

وكأنه خاف من المبالغة في صورته ، فذيل البيت الأخير بما قد يكون احتراسا ، وفي هذا

---

(١) فرحة الأديب ص ١٠٣ .

(٢) لسان العرب (برم) وفيه بال بدل باد . بريم : حبل فيه لونان أسود وأبيض .

(٣) ديوان عامر ص٨١ ، ٦٥ ، ١٠٢ .

(٤) ديوان زفر ص٢٣٩ ، ٢٤٧ .

(٥) ديوان القتال ص٤٤ ، ٦١،٦٦،٤٩ .

(٦) البيان والتبيين ٢٧٩/١ .

ما يدل على عدم اطمئنانه إلى ما ساق من تشبيه ، وكأنما هو على ثقة أن لا أحد يشاركه إحساسه ، غير أن ما أتى به أمر عادي لا يدعو إلى الخوف من نبذ الناس له .

ويشبه القتال الكلابي طعم الشفاه بطعم البرد ، إذ يقول[١] :

كَأَنَّ الشِّفاهَ الحُوَّ مِنهُنَّ حُمِّلَت ذَرَى بَرَدٍ يَنهَلُّ عَنها غُرُوبُها

وشبه ريقها بطعم نبات السدر[٢] .

وقد يشبهون الحسي بالمعنوي ، لصيرورته لديهم أبين ، وأفصح ، وثقتهم في أدائه ، يقول عامر بن الطفيل الكلابي[٣] :

تركنا مَذْحِجاً كَحَديثِ أَمْسٍ وأرحبَ إذ تُكَفِّنُهُمْ فِئاما

ومنها ما وعته الحاسة الشمية ، فبدت من خلالها الروائح العطرية ، من مثل وصف يزيد ابن عمرو الصعق الكلابي لصنعاء وسادتها ، حين استعان بالرائحة في تصوير مقامات من رأى هناك إذ قال[٤] :

وَمَن يَرَ صَنعاءَ الجُنُودِ وأَهلَها وَجُنُودَ حِميرَ قاطِنينَ وحِميرا

يَعلم بأن العيش قُسِّم بينهم حَلبوا الصَّفاءَ فأنهلوا ما كُدِّرا

ويرى مقاماتٍ عليها بهجةٌ يأرجنَ هندياً ومسكاً أذفَرَا

لقد أَحَسَّ أن تلك المقامات قد اشتهر مجدها ، وشاع بين الناس كما يفوح العطر ويشم مِنْ بُعْد . غير أنَّ عبد الرحمن بن منصور الكلابي[٥] ، المعروف بأبي حجار ، ينقل لنا صورة تقوم على حاسة الشم ، طالما تردد عليها القدماء ، حتى صارت مبتذلة ، فهو يقول مشبهاً رائحة المحبوبة برائحة نبات الخزامى ، الذي اشتهر في نجد بطيب رائحته :

كَأَنَّ رَيَّاهَا ولا تَعَطُّرُ رَيَّا خُزامى نَفَحَت أو مُجْمَرُ

لقد احترز بالنفي ، ليجلّي الصورة بصدق .

ويتصور الأعرابي أن رائحة آباط إبله أكرم الروائح ، إذ يقول معاوية بن مالك الكلابي[٦] :

---

(١) ديوان القتال ص٣٠ . الحو : السود . ذرى : ما تذروه الرياح وتنفضه . غروب : ماء الأسنان .

(٢) السابق ص٥١ .

(٣) ديوان عامر بن الطفيل ص١٠٨ . مذحج وأرحب : قبيلتان في اليمن . فئام : جماعات .

(٤) معجم البلدان (صنعاء) . أذفر : شديد الرائحة .

(٥) مجالس ثعلب ١/١١٠ .

(٦) المفضلية ١٠٥ . مغابن : ما سفل من البطن بما فيها الآباط . ملاب : ضرب من الطيب .

وناجيةٍ بعثتُ على سبيلٍ كأنَّ على مَغابنَها مَلاَبَا

ومن الصور الجيدة ما اعتمد على حاستين ، إذ ذلك تكثيف للمعنى ، وتوضيح للشكل وما الشاعر الذي يُعدِّد حواس نقله إلا شاعر متأنٍ ، عاش التجربة ، فنقلها بصدق ، بعد أن ارتسمت واضحة في ذهنه ، من ذلك ما جاء في تشبيه لسان الفرس بورلٍ أصابه ندى العرار، في قول خالد بن عجرة الكلابي(١) :

كَأَنَّ لِسَانَهُ وَرَلٌ عليهِ بِدارِ مضبةٍ مجُّ العَرَارِ

فقد جمع بين حاسة البصر ، التي جاء عن طريقها شكل لسان الفرس الذي يبدو طويلاً أحمر ، وحاسة الشَّم التي أبانت لنا طيب رائحة ذلك اللسان ، التي تشبه رائحة نبت العرار، الزكي الشذا .

وقرن القتال الكلابي بين حاستي الشم والذوق ، معتمداً على الصورة في إبراز معانيه، إذ يسوق مشاهد قد اختلط فيها الحيوان بالزواحف ، والحسي بالمعنوي ، والروائح بالطعوم ، جامعاً بين مظاهر الحضارة والبادية ، والحرارة والبرودة ، والصحو والغيم ، والليل والنهار ، فهو يقول(٢) :

تُردِّدُ امثالَ الأساودِ أُرسلت بمتني خَذولٍ يغتذيها أشامِسُ
كأنَّ سَحيقَ المسكِ من صنٍّ فارةٍ يُشابُ بها غادٍ من الثلج قارسُ
تُصبّ عليه قرقفٌ بابليةٌ بأنيابها والليل بالطلِّ لابسُ

---

(١) المعاني الكبير ١/١٢٥ . ورل : الورل من الزواحف شبيه الضب ، إلا أنه أملس الذنب . مضبة : يقال: اليوم صار ذا ضبابٍ أي ندى (ق المحيط) .

(٢) ديوان القتال ص٦٧ . خذول : ظبية منفردة خلف القطيع . قرقف : أي تجعل شاربها يرتعد .

٣ - أنواع الصورة

أ ـــ التشبيه :

هو أقرب التراكيب التصويرية للمبدع ، وأسهلها تناولاً ، إذ يعتمد على الوصل بين ذاتٍ وذاتٍ عن طريق أداةٍ تظهر وتقدر .

ولقد أكثر الكلابيون من الاستعانة بالتشبيه ، إذ وجدوا فيه وفاءً بمعانيهم ، وإيضاحاً لمرادهم وإرضاءً لنفوسهم ، فحين قال معاوية بن مالك الكلابي[١] :

فَلاَ تَتَعوَّجُوا في الحُكم عَمدَاً كَمَا يتَعوجُ العُودُ السَّرَاءُ

إنما كان إحساسه النفسي يدفعه ليجسم مراده ، فيما تطمئن إليه نفسه من الإبانة ، وكان أقرب ذلك إليه ، هو ما شاهدت عيناه ، وعرف سامعوه ، فقد كان المشبه معنوياً ، والمشبه به حسياً ، من واقع الشاعر .

والتشبيه عندهم على أنواع ، منه ما قوبلت فيه لفظة بلفظة ، فتساوى فيه المشبه والمشبه به من مثل قول جزء بن شريح بن الأحوص الكلابي[٢] :

أَلاَ هَل أَتَاهَا والحَوادِثُ كَالحَصَا فَيُخبِرُها رِكبٌ يَمَانٍ وَمُصْعِدُ

ويقول أعرابي من بني كلاب[٣] :

إليكَ ابنَ عبد ا للهِ بالحمدِ أرقلتْ بِنَا البيدَ عِيْسٌ كَالقِسِيِّ سَوَاهِمُ

ولم يقنعه الإيجاز فقد اتبع الشاعر المشبه به وصفاً للمشبه ، وهذا إلحاح نفسي في الإبانة عن المشبه .

ومنه مقابلة المشبه بمشهد كامل يفصله الشاعر ، ويفرغ فيه مخزون النفس ، كقول ثعلبة ابن أوس الكلابي[٤] :

وَمَاذُو مِشْفَرٍ نِقضٍ يَمَانٍ بِنَجدٍ كَانَ مُغتَرِباً نَزِيعَا
يُمارسُ رَاعِياً لا لِينَ فيهِ وَقِيدَاً قَد أَضَرَّ بِهِ وَجِيعَا

---

(١) المفضلية ٣٥ . السَّراء : شجر تُصنع منه القسي .

(٢) الوحشيات ص ٩٣ .

(٣) الأخبار الموفّقيات ص ٧٩ .

(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٩٧/١ .

إذا مَا البرقُ لاَحَ لَهُ سَنَاهُ حِجَازِياً سَمِعتَ لَهُ سَجِيعَا
بِأكثَرَ غُلةً مِني وَوَجْداً لَوَ أنَّ الشَّملَ كانَ بِنَا جَمِيعا

فلقد حاول الشاعر أن ينسينا المشبه ، بمد صورة المشبه به ، والاستغراق فيه ، إرضاءً للحاسة النفسية ، ومن هذا القبيل قول عقيل بن العرندس[١] :

وكُنتَ كَفَرخِ النَّسرِ مُهِّدَ وَكْرُهُ بِمُلْتَفَّةِ الأَفْنَانِ حَيْلٌ مَقِيلُهَا

وإذا كان ثعلبة قد حدد مكان الصورة ، وأبان أوصاف المشبه به ومثيرات نفسه ، فإن كل هذا يضيء لنا جوانب من نفسية الشاعر التَّوّاقة إلى ديارها ، القلقة في بعدها عن الأهل ، بعكس بيت عقيل الذي يُلمح إلى راحته النفسية .

ويشبهون الإنسان بالحيوان ، خاصة فحل الإبل منها ، كقول أبي دُوآد الرُّؤاسي[٢] :

وابنُ الضَّرِيبَةِ في فَوَارِسِ قَومِهِ طَوعَ الجنيبةِ كالقريعِ السَّاخِنِ

ورأسه بغثاء السيل ، كما في قول أبي دوآد[٣] أيضاً :

وَغَادرْنَا بِني الدَّيانِ صَرعَى كأنَّ رؤوسَ سادَتِها الغُثَاءُ

ومنعته بالجبل ، كما قالت هند بنت أسد الضِّبابية[٤] :

يَلُوذُ بِهِ الجَانِي مَخَافَةَ مَا جَنَى كَمَا لاَذَتِ العَصْمَاءُ بِالشَّاهِقِ الصَّعْبِ

ونفوره كنفور الناقة من الحلب ، يقول معاوية بن مالك الكلابي[٥] :

يَهِرُّ مَعَاشِرٌ مِنّي ومِنْهُمْ هَريرَ النَّابِ حَاذَرَتِ العِصَابَا

وكنفور النعام عند عامر بن الطفيل .

وقوده بقود الذلول المطيع ، من مثل قول الضحاك بن سفيان الكلابي[٦] :

أَتَنْسَى بَلائي يَا أُبيّ بنَ مَالِكٍ غَدَاةَ الرَّسُوْلُ مُعْرِضٌ عَنْكَ أَشْوَسُ

---

(١) الحيوان ٣٤٤/٦ . الحيل : الماء المستنقع في بطن وادٍ .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ٢٣٧/١ . الجنيبة : النّاقة يسير بجانبها الأسير . القريع : الفحل .

(٣) طبقات فحول الشعراء ٧٨٤/٢ .

(٤) زهر الآداب ص ٩٣٩ . العصماء : من الظباء والوعول ما في ذراعيه أو أحدهما بياض يخالف سائر لونه .

(٥) المفضلية ١٠٥ . يهرّ : يكره . الناب : المسنّة . العصاب : عَصْبُ فخذي الناقة لتدرّ .

(٦) تاريخ المدينة المنورة لابن شبه ٤٤٤/٢ .

يَقُوْدُكَ مَـرْوَانُ بنُ قَيسٍ بِحبلِهِ ذليلاً كَمَا قِيدَ النَّلُولُ المُخيَّسُ

وشبه خالد بن جعفر الكلابي عدوه بعد دحره بالجارية الموؤدة ، كما شبه برثن الصموتي صوت الإنسان الخفي بطنين الذباب ، وجموع الإنسان بالليل حين يراد منها الرعب، كما في قول أبي الحبال الكلابي ، وفي شعر عامر بن الطفيل كثر تشبيه الإنسان بالحيوان .

وشبهوا الحيوان بالحيوان ، فهذا شريح بن الأحوص الكلابي يشبه فرسه بالفتي من الوعول، إذ يقول[١] :

قَدْ أَطْرُقُ الحيَّ على سَابِحٍ أسطَع مِثلِ الصَّدَعِ الأجردِ

ورأى عمرو بن مالك الكلابي فرسه مشبهاً العقاب المنطلقة في الظلمة ، إذ يقول[٢] :

وَسَابِحٍ كَعُقَابِ الدَّجْنِ أُجْمِلُهُ دُونَ العِيَالِ لَهُ الإيثَارُ واللَّطَفُ

ويشبه الأجلح بن قاسط الضبابي فرسه بالذئب ، فيقول[٣] :

يُبَادِرُ الآثَارَ أن تَـؤُوبَا وَحَاجِبُ الجَونَةِ أن يَغِيبا

كَالذِئبِ يَتلُو طَمَعَاً قَرِيباً

وفي شعر القتال الكلابي شُبهت الإبل بالثيران ، إذ قال[٤] :

وَأُدمٍ كَثِيرانِ الصَّرِيْمِ تَكلَّفَتْ لِظَبيَةَ حَتَّى زُرْنَهَا وهيَ طُلَّحُ

غير أن عامر بن الطفيل الكلابي كان أكثر شعراء بني كلاب في الإتيان بالحيوان مُشبها به ، فالخيل عنده كالذئاب والحدأ والصقر ، والناقة كالنعامة ، يأتي بعده القتال في الاهتمام بالحيوان مُشَبَّهاً ومشبهاً به .

وترد أدوات حربهم في الغالب مشبها بها لحيواناتهم ، فشبهوا الإبل بالقسي ، والخيل بالرماح كما شبهوا البرق بشهب نيرانهم ، ونبض عروقهم .

ومن تشبيهاتهم ما يؤكدون فيه على المشبه ، فيوردون صفاته ، بدلاً من المضي مع المشبه به ، كما في قول أبي دوآد الرُّؤآسي[٥] :

---

(١) الوحشيات ص ٩٩ . الصّدع : الشاب من الوعول والظباء وغيرها .

(٢) الخيل لأبي عبيدة ص ١٠٨ .

(٣) النقائض ٩٢٩/٢ . الجونة : الشمس .

(٤) ديوان القتال ص ٣٩ . أدم : جمع أدماء : وهي الناقة يغلب عليها البياض . طلح : هزيلة .

(٥) الحماسة البصرية ١١٨/٢ .

وَسِربٍ كَعينِ الرَّملِ مِيلٍ إلى الصَّبا رَوَادِعُ بالحاديِّ ، حُورُ المدامِعِ
إذا ما تنازعن الحديثَ عنِ الصِّبا تَبَسَّمْنَ إيماضَ البُروقِ اللَّوَامِعِ

وكأن الشاعر في تركه للمشبه به ، قد رأى فيه عدم وفائه بمراده ، وهذا دليل على أن المشبه به قد يفيء بجزء من الحقيقةِ ، ويخلُّ ببعضها ، وذلك ما دعى الشاعر خالد بن جعفر الكلابي إلى أن يستدرك للفرس من الصِّفات ما قَصُر عن إبرازها المشبه به ، إذ يقول[١] :

أَدِيْرُوْني إِدَارَتكُم فإني وَحَذْفَةَ كَالشجَّا تحت الوريدِ
مُقربةٌ أُسوِّيها بجزءٍ وأُلحِفُها رِدَائي في الجليدِ
وَأُوصي الرَّاعيين ليُؤثراهَا لَهَا لَبَنُ الخَلِيَّةِ والصَّعُوْدِ

فكأن الشاعر أحس بأن المشبه به مبهم ، فأراد تفسيره بما يفصح عن العلاقة الحميمة بين الحيوان وصاحبه . وقد يكون ما بعد المشبه به استدراكاً لإبانته ، وتمييزه عمَّا يشابهه ، كما في قول خالد بن علقمة بن علاثة[٢] :

إنّ الَّذِي أَصْبحَتُمُ تَحلُبُوْنَهُ دَمٌ غَير أَنَّ اللونَ ليسَ بأحْمَرا
إذا سَكَبُوا في القعبِ من ذي دِمَائهمُ رَأَوا لَونَه في القعبِ ورداً وأَشقَرا

وقد يُؤكدون على المشبه به لإبرازه ، ليعود ذلك بالوضوح على المشبه ، فيقتضي ذلك منهم أن يذكروا شيئاً من خصائص المشبه به ، كما في قول عوف بن الأحوص الكلابي[٣] :

إنّي وَقَيسَاً كَالمُسَمِّنِ كَلْبَهُ فَتَخدشُهُ أَنيَابُهُ وَأَظَافِرُهْ

ومن ذلك تفصيل معاوية بن مالك الكلابي للكتاب[٤] .

ويشبه عامر بن الكاهن الكلابي الفرس بالعُقاب ، فلا يقنع بالشكل العام ، بل يأخذ في التفصيل ، مكثفاً جوانب الصورة ، واسماً المشبه به وسماً يزيد المشبه إبانةً ، جاعلاً إياه في إطار من الخصوصية النفسية والطبيعية لِيَظْهَر المشَبَّهُ متأثراً بانعكاسِ كُلِّ هذا عليه ، فيعطي مدلول

---

(١) الأغاني ٨٣/١١ .
(٢) الوحشيات ص ٨١ .
(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٧٦ .
(٤) المفضلية ١٠٥ .

الصورة المراد ، يقول الشاعر[١] :

وَلاَ تُـواعِـدُوْنَـا بِالغِـوَارِ فـإننـا بَنُـو عمِّـنا فيـها حُـماةٌ مَغـاوِرُ
على كُلِّ جَرْدَاءِ السَّـرَاةِ كَـأَنَّـها عُقَابٌ إذا مَا حَثَّها الحَربُ كَاسِرُ
مُحَالِفَةً للهضبِ ، صعقاءُ ، لَفَّها بطخفةَ يومٌ ذُو أَهَاضِيبَ مَاطِـرُ

وعرفت هذا الصورة لدى البلاغيين بالتشبيه التمثيلي ، وكـان التنـاوب علـى مثـل هـذا الشكل قائماً بين الشعراء ، فقد وردت صورة تلك العقـاب ، ومـا هـي فيـه مـن جـو ، عنـد الحارث بن وعلة الجرمي ، وهذا دليل سمو الصورة ، إذ يقول[٢] :

نَجْوتُ نَجَاءً لَم يَرَ النَّاسُ مِثلَهُ كَأَنِّي عُقَابٌ عندَ تَيْمَنَ كَاسِـرُ
خُدَارِيَّة ، سَفـعاء لَبَّد ريشَـهَا مِنَ الطَّلِّ يَومٌ ذُو أَهاضِيبَ مَاطِرُ

ومن الأدوات التي استخدمت في التشبيه " كأنّ " التي تُظهرِ عدم التيقن من التماثل بـين المشبه والمشبه به ، كما في قول عمرو بن الوحيد الكلابي[٣] ، حين أحاط ا لله بأهل الفيـل ، مُعبراً عن فرحه بما ساق من منظر خزيهم :

كَأَنَّ شَـآبيبَ السَّـمَاءِ هَـوِيَّةً وَقَد أشعلتْ بالمُجلِبين النَّفَـانِفُ
كَأَنَّهُمُ غِبَّ العِقابِ هَشِـيمَةٌ مِنَ الصَّيفِ تُذريهِ الرِّياحُ الرَّفَارِفُ

لقد كانت دفعات الحميم من اللَّظى تتهاوى عليهم ، حتى اشـتعلت الأرض مـن تحتهـم ناراً حامية ، فغدوا صرعى كأنهم يابس النبات ، تذروه الرياح ، إنها صورة تدل علـى الـذل بعد الكبرياء ، والمنظر المهين ، بعد المهيب ويقول عمرو بن حسان الكلابي[٤] راثياً :

تَخَطَّوْا نَحـو نَـارِكَ كُـلَّ نَـارٍ وَوَجْهُكَ والنَّدَى لَهُمُ دَلِيلُ
إلى رَحـبِ الفِـناءِ نَـدٍ نَجيبٍ كَـأنَّ جَبـينَهُ سَـيفٌ صَقِيـلُ
كأنَّ الأرضَ إذ فقدَت عُميراً وإن جادَ الرَّبيعُ بِهَا مُحُـولُ

---

(١) معجم البلدان (سحامة) . صقعاء : في رأسها بياض . أهاضيب : سـحاب كالهضـاب . طخفـة : جبل أحمر طويل لبني كلاب (بلاد العرب ١٠٣) .

(٢) المفضلية ٣٢ . تيمن : هضبة حمراء لمحارب ، قرب الرّبذة (بلاد العرب ١٨٦) . خداريـة : مـائل لونها للسّواد . سفعاء : سوداء مشوبة بحمرة .

(٣) المنمَّق لابن حبيب ص ٧٧ .

(٤) الأشباه والنظائر للخالديين ٣٥٣/٢ .

واستخدمت أداة التشبيه " الكاف " بكثرة كما في قول أبي دوآد الرُّؤاسي[١] :

نُقَاذِفُ بالأسيافِ عَبساً وَطَيِّئاً ... وقد أحجمتْ عنَّا تَميمٌ ومذحجُ

بِغَزوٍ كَوَلْغِ الذِّئبِ غَادٍ وَرَائحُ ... وَسَيرٍ كصَدرِ السيفِ لا يتعرجُ

ويقول ربيعة بن مالك الكلابي[٢] ، يصف نده ، جامعاً بين الأداتين " مثل " و " الكاف " :

يَأوي إلى مِثلِ العَرينِ وَجَانِبي ... لَمَّا التقينا كَالعَرَاءِ الأجرَدِ

ويقول خالد بن جعفر الكلابي[٣] ذاكراً فرسه " حذفة " :

أديرُوني إدارتَكمْ فإني ... وَحَذفة كالشَّجا تحت الوريدِ

تراها في الغُزاةِ وهُنَّ شُعثٌ ... كقلبِ العَاجِ في الرُّسغِ الجديدِ

وقال الضحاك بن سفيان الكلابي[٤] :

أَتَنسَى بلائي يَا أُبيَّ بن مالكِ ... غَدَاةَ الرسُولُ معرِضٌ عنكَ أشوسُ

يَقُودُكَ مَروَانُ بنُ قيسٍ بحبلهِ ... ذليلاً كَمَا قِيدَ الذَّلُولُ المخيسُ

وقد ينوع الشاعر الكلابي في أدوات تشبيهه ، فلا يكتفي بأداة واحدة يمتهنها ، وهذا التنويع يفيد في التلوين الأسلوبي ، وتقليب الكلام على أوجهٍ متعددةٍ ، حتى يجدد في روح المخاطب ، ويبعد الملل عن السامع ، نجد هذا التنويع عند شريح بن الأحوص الكلابي ، حيث[٥] يقول واصفاً فرسه :

قَدْ أطرُقُ الحيَّ على سَابِحٍ ... أسطَع مِثلِ الصَّدَعِ الأجرَدِ

لما أتيتُ الحيَّ في متنهِ ... كأنَّ عُرجُوناً بيُمنى يَدِي

أقبلَ يَختَالُ على ظِلَّةٍ ... كأنَمَا يَعلو إلى فدفدِ

يضربُ عِطفيه إلى شَأوِهِ ... يَذهبُ في الأقربِ والأبعدِ

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٧٨٧/٣ .

(٢) الوحشيات ص ٣٦ .

(٣) الأغاني ٨٣/١١ .

(٤) تاريخ المدينة لابن شبّة ٤٤٤/٢ . المخيس : المحبوس .

(٥) الوحشيات ص ٩٩ . الصَّدع : الفتي القوي من الوعول والظباء والحمر والإبل . فدفد : أرض مرتفعة ، ذات حصى .

كأنهُ سَكْرَانُ أو عَابِثٌ أوِ ابنُ ربٍّ حَدَثُ المولِدِ

وقد يتغاضى عن التشبيه ، فلا يصرح به ، وإنما يؤتى به عرضاً ، وكأنه غير مقصود ، وهذا ما يدخل تحت مسمى التشبيه الضمني لدى البلاغيين ، من مثل قول عامر بن الطفيل الكلابي[١] :

وَأَقْسَمتُ لا يَجزي سُمَيْطٌ بِنعمةٍ وَكَيفَ يُجازِيكَ الحِمارُ المجدَّعُ

ويقول القتال الكلابي[٢] :

أنا ابنُ المضّرحِيِّ أبي شُليلٍ وهل يخفى على الناسِ النهارُ

عَلَينَا سِبرُهُ ولكُلِّ فَحلٍ عَلى أولاَدِه مِنهُ نِجَارُ

وقد تحذف أداة التشبيه ، كما في قول ابن هرم الكلابي[٣] عن محبوبته :

فإن ذكرت فَاضت من العينِ عبرةٌ على لحيتي نثرَ الجُمانِ من العِقْدِ

ويستغنون عن ذلك بالمفعول المطلق ، كقول معقل بن ريحان الكلابي[٤] :

جَلَبَنا الخيلَ من حَوضَا وَخَوٍّ تَجُوبُ الليلَ دَائبَةَ النِّقَالِ

وَمِن هَضبِ القليبِ وَجَانبيهِ نَخُبُّ شَطَائباً خَبَّ السَّعَالي

وقول عامر بن الطفيل الكلابي[٥] :

وَنَجا بِعَنْتَرَةَ الأَغرُّ من الرَّدَى يَهوِي على عَجَلٍ هُويَّ الأجدلِ

ويكتفى بأفعل التفضيل ، مثل قول عامر[٦] أيضاً :

وإنّي أكُرُّ إذا أحْجَمُوا بأكرمَ من عَطْفَةِ الضَّيغَمِ

وقد يُنفي تجاوز المشبه به للمشبه ، في تشبيه ضمني طويل ، يُلحُّ فيه على ذلك المنفي كقول ثعلبة بن أوس الكلابي[٧] :

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٨٢ .

(٢) ديوان القتّال ص ٥١ . المضرحي : جدّ الشاعر . سبره : هيئته . نجار : طبع .

(٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص ٣٥٠ .

(٤) بلاد العرب ص ١٤٠ .

(٥) ديوان عامر بن الطفيل ص ٩٣ .

(٦) السابق ص ١٢٠ .

(٧) الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٩٦/١ .

وما عـودٌ يحـنُّ ببطـنِ نجـدٍ مُعالي الشَّوقَ مُضطمرٌ قليلاً
إلى وادٍ تَـــذكـر عـدوتـيـه أسنَّ به ، وكانَ به فَصِـــيلاَ
فَبُدِّلَ مَشرباً من ذاك مِلحاً وَظمئاً بعدَ قَصـريـهِ طـويـلاً
يحنَّ إذا الجـنـائبُ هيـجتهُ ضُحَيّاً أو هَبَبْنَ لـه أصـيلا
بأكـثر غُـلـةً مـني ووجـداً على إضماري الهجر الطويلا

ومن التشبيه محذوف الأداة ، ما يضاف ، كما في قول أبي دوآد الكلابي[١] :

وَعَهدي بها ، والدارُ تجمعُ أهلها لها مُقلـتا ريمٍ وخَـلقٌ خَـدَلَّـجُ

وهو ما سماه ابن رشيق بتشبيه الإضافة ، حيث قال في حديثه عن بيت امرئ القيس[٢]:

لهُ أَيطَلاَ ظَبيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وإرخاءُ سِرحَانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ

" وهو أول من فتح هذا الباب ، فجاء بتشبيه إضافة كمـا تـرى ، حتـى جعلـه تحقيقـاً ، لولا مفهوم الخطاب "[٣] .

ب ـ الإستعارة :

هي لون متطور عن التشبيه ، تختلف عنه باندماج طرفيها ، وتكوينها لذات واحدة بـدلاً من تفردهما ، وتلك مرحلة القدرة الخيالية الخالقة ، التي لا تعبأ بالروابط اللفظيـة ، بقـدر مـا تصل بين المتشابهات عن طريق الأحاسيس النفسية ، التي تحكي المشـاعر الداخليـة ، وتفصـح عن علاقات مُغايرة للمألوف[٤] ، وهذا ما جعل ابن رشيق يُفضِّلها على غيرهـا ، مـن أنـواع المجاز ، حين قال : " الاستعارة أفضل المجاز عندهـم ، وأول أبـواب البديـع ، وليـس في حُلِـيٍّ الشعر أعجب منها ، وهي من محاسن الكلام ، إذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها .."[٥] .

وما موضعها إلا وقوع المناسبة بين المستعار والمستعار له ، التي أشار إليهـا ابـن الأثـير في تعريفه للإستعارة : " ... الأصل في الإستعارة المجازية مأخوذ من العاريـة الحقيقيـة ، الـتي هـي ضرب من المعاملة ، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء ، ولا يقع ذلك

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢/٧٨٧ .
(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢١ .
(٣) العمدة ١/٤٩٨ .
(٤) نظرية الأدب ص ٢٠٣ .
(٥) العمدة ١/٤٦٠ .

إلا من شخصين بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه "[١] .

وعرفت الاستعارة بأنها نقل اللفظ من مدلول قديم لمدلول جديد ، وقام عُلوُّها وهبوطها على ما بين طرفيها من قرب وبعد ، ووضوح وغموض .

والملاحظ أن الاستعارة ترد عند شعراء بني كلاب لبعث الحياة في الجمادات وتشخيص المجردات ، فلقد جعل عبد عمرو بن شريح الكلابي من الرماح أُناساً عطاشا حين قال[٢] :

ويوم لقينا جمعَ ذبيان والقنا عِطاشٌ فروَّينا أسنَّتها دما

فأحيا الجماد ، وبعث فيه أحساسا ، وكأنما الرمح إنسان ، يظمأ فيروى .

ويذكر عوف بن الأحوص الكلابي[٣] ظمأ رمحه ، فذا ديدنها ظمأ إلى الأبد ، فليس لها ما يرويها :

قناة مُذَرَّبٍ أكرهتُ فيها شُراعياً مقالمه ظِمَاءُ

ويقول عامر بن الطفيل الكلابي[٤] في كفهم عن أعدائهم ، ثم معاودة قتالهم ، وسقي الرماح دما :

ثمَّ نزعنا ، وما انفكَّتْ شقاوتهُمْ حتى سَقينا أنابيناً وخرصانا

ومما يتعلق بالحرب والقتال استعاروا للشجعان " أُسْدَ العرين " تلك التي عرفت بقوتها إذ قال الشمر بن ذي الجوشن[٥] يوم صفين يصف من معه :

أُسْدُ العرين على السوابح بالقنا يردون مهيعة الطريق بُهامُها

لقد أضاف الأسد للعرين ليزيد القوة قوة أملاها الدفاع عن العزة والحمى ، ولم يكتف باستعارة واحدة ، بل ركب الأولى على الأخرى ، فجعل من الخيل سوابح تحمل الشجعان ،

---

(١) المثل السائر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١/٣٤٧ .

(٢) أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ص ١٣٧ .

(٣) المفضلية ٣٥ . مُذرب : مُحدّد . الشراعي : السِّنان نسبة لصانعها " شراع " . أكرهت : أدخلت. مقالمه : كعوبه .

(٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٣٨ . نزعنا : كففنا . خرصان : جمع خرص : وهو الرمح ، وأسنانه.

(٥) الفتوح لابن أعثم ٣/٤٧. مهيعة الطريق : وسطه وواضحه . بهام : البهمة الشجاع المستبهم على قرنه .

والشجعان يحملون الرماح ولا يُرْضي هذا بغيته الفنية ، فلا يكتفي بما ساق من قبل فيعود للإستعارة مرة اخرى ، فيرى هؤلاء الشجعان صخوراً صماء مستغلقة على أندادها .

وتراءت لهم الخيل الكثيرة مندفعة في تزاحم نحو الفتوح ، سيلاً قد انصب من جبال الحجاز غير أنه ليس كالسيل المعهود ، وإنما هو سيل أسود ، ينبئهم أن حصا الحجاز وصخره قد مشى إليهم ، وأنّى لعاقلٍ أن يقف في وجه سيل مفزع ، يقول أحد ولد خالد بن جعفر الكلابي[١] ، متحدثا عن كسرى الذي تدافعت إليه جيوش المسلمين ، فأرعبته حتى ترك لهم الديار وولّى :

فسلبن نعمته وبيضة ملكه وأرحن دجلة من مليك مفسد

حتى أراهن السَّوادَ صباحُه قُبّاً تسيل من الحجاز الأسود

ورأى عامر بن الطفيل الحرب ناراً حامية ، يَشْرُف بإيقادها ويُسْعِرُ لظاها ، ليصطلي بها عداته ، كما يشرف بشبِّها لضيوفه لتدعوهم للقرى ، وتقيهم القر ، إذ يقول[٢] :

وأنا ابن حربٍ لا أزالُ أشُبُّها سَعراً وأوقِدُها إذا لم تُوقَدِ

ومن خلال الإصرار على المستعار منه تتبدى نار السلام ، التي طالما أوقدوها ، وتباهوا بها . ويفتخر زفر بن الحارث الكلابي بنار وقودها السيوف ، لا تخبو إذا خبت نيران غيرهم فهو يقول[٣] :

بني عبد وَدٍّ لا نطالبُ ثأرنا من الناس بالسلطان إن شَبَّتِ الحربُ

ولكنَّ بيض الهند تُسعرُ نارنا إذا ما خبت نارُ الأعادي فما تخبو

ولم يكتف بذلك بل وصله بتشبيه منتزع من الاستعارة ، فالنار المشبوبة تتلامع شهبُها في أيدي موقديها :

بأيديهم بيض رقاق كأنّها إذا ما انتضوها في أكفّهم الشُّهْبُ

وتكاد الاستعارة تقتصر عند زفر على الحرب ، فقد جعل للحرب نواجذ قد كشّر عنها حيوان مرعب إذ قال[٤] :

---

(١) الوحشيات ص ٤٩ . قب : خيل ضامرة .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ٥٧ .

(٣) ديوان زُفر ص ٢٢٧ .

(٤) ديوان زفر بن الحارث الكلابي ص ٢٢٩ .

لعلك يا بشـرَ بن مروانَ لائمـي على حين أَبدتْ عن نواجذها الحربُ

وقـدم السـيوف شـراباً مريئـاً لأعدائـه في الصبـاح ، وذلكـم العـذاب المغلـف بـالإكرام فقال[١] :

صبحناهمُ البيضَ الرِّقاقَ ظُبَاتُها بجانبِ خبتٍ ، والوشيجَ المُقوَّمَا

وقد ذكر عامر بن الطفيل الصَّبوح ، وقرنه بوعائه ، وأكده بالإتيان بالمصدر ، فقال[٢]:

صبحنا الحيَّ من عبسٍ صَبوحاً بكـأسٍ في جـوانبها الثَّميـلُ

وأبان بالغ الإغداق والإكرام من خلال طفح الكأس على الجوانب ، وتلك سخرية .

وجُسِّم الجيش الذي يسير رويداً يملأ الأفـق ، وظهـر في شـكل مُغْـرٍ مـن التجسـيم ، إذ يقول عبد الله بن جعدة الكلابي في معرض رثائه ، وابتغائه الثأر لخالد بن جعفر الكلابي[٣]:

فلنقتلنَّ بخالدٍ سرواتكـم ولنجعلن للظالمين نكالا

فإذا رأيتم عارضاً متهلِّلاً مِنّا فإنا لا نحاول مـالاً

وهي صورة تسخر بالأعداء ، وتبشِّر الأخلاء ، بسحاب ظاهره مطـر ، وباطنـه عـذاب وفي هذه الصورة أيضاً ما يدل على التعلق بالسماء ، وربط ما على الأرض بما فوقها ، وكـأن الانسان بهذا يجعل له من الأسباب ما يصله بالعلو ، بعد أن مضَّ ومجَّ السواقط .

واتخذ ربيعة بن مالك الكلابي[٤] من المجرد المعنوي شخصاً حياً متحركا ، إذ المـوت كالإنسـان تَتَلَمَّظ عيونه لصيدة مقبلة ، لا يكف عن النظر يمنة ويسرة ، ليوقف النبض متى كان الأمر :

طاعنته والموت يلحظ دائـباً مُهَج النفوس متى يُقال له رِدِ

فازالني عند الشليل وفارس يحنـو عليـه وفـارس لم يشـهدِ

ومن التشخيص جعل الموت حية ، شاهرة رأسها ، دافقة سمَّها ، في لونهـا قبـل جسـمها الرعب، ما إن تبدو من مأواها حتى تثير الفزع من مرآها ، يقول عمرو بن زهير الكلابي[٥]:

---

(١) ديوان زفر بن الحارث الكلابي ص ٢٥٦ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ٩٤ . الثميل : من الثمالة ، وهي بقيـة الشـراب ورغوتـه ، ومـا فـاض على جوانب الوعاء .

(٣) العقد الفريد ١٣٨/٥ .

(٤) الوحشيات ص ٣٦ .

(٥) معجم الشعراء للمرزباني ص ٢١٠ .

قل لقريش تبلغوا رأس حيَّةٍ تدلّى عليهم من تهامة أربد

ولقد كان لهذا اللون إعجاباً متميزا حتى عُرف الشاعر به .

وجاء تجسيم المعنويات بما يظهرها شواخص ناطقات في قول عمرو بن حسان الكلابي[1] :

كَأَنَّ العَيْنَ حِيْنَ تُرِيْدُ نَوْمَاً طَرِيْف أَوْ بِفَلْفَلَة كَحِيْلُ

أعَاذِلُ أَقْصِرِي عَنْ بَعْضِ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ مَحْمَلُهُ ثَقِيْلُ

إِذْ وَطَّنْتُ جَأْشِي لِلتَعَزِّي أَبَى الذِّكرَاتِ وَالعَيْنُ الهَمُولُ

حيث جعل للعين إرادة كالإنسان ، وصار اللوم ذلك المعنى المجرد محسوساً يُحمل على الإبدان كأثقل متاع ، وكان للذكريات إباء وإمتناع ، وهي معنى يدور في خلد الإنسان ، غير أنا نفهم من هذا التّجسيم نفسية الشاعر التي بلغ بها الأمر أقصى حدود الصبر فلم يعد يطيق حاله حتى تراءت أمامه الجزئيات المعنوية مجسمات شاخصة تهبُّ ملوحة بيدها كلما هبَّ يناجي القلب الحزين .

ويبدو أن أكثر الاستعارات لدى الكلابيين تنحو منحى التشخيص ، فتحيي الميت وتنطق الجامد ، من ذلك ما قاله مربع بن وعوعة الكلابي[2] لسعد بن صبيح النهشلي :

فَإِنّك لَوْ أَوْعَدْتَّني غَضَبَ الحَصَا وَأَنْتَ بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ بَطْنِ خَنْثَلِ

وَلَكِنَّمَا أَوْعَدْتَّني بِبُسِيْطَةِ العِرَاقِ الَّتِي بَيْن المُضِلِّ وَحَوْمَلِ

لكأنَّ الحصا رجلٌ ينزو غاضبا ، ويتفيّح هائجاً .

ومما استعير من الناقة الحلب ، إذ يقول يزيد بن عمرو بن الصعق[3] ، واصفاً :

وَمَنْ يَرَ صَنْعَاءَ الجُنُودِ وَأَهْلَهَا وَجُنُودِ حِمْيَرَ قَاطِنِيْن وَحِمْيَرا

يَعْلَمْ بِأَنَّ العَيْشَ قُسِّم بَيْنَهُم حَلَبُوا الصَّفَاء فَأَنْهَلُوا مَا كدرا

---

(١) الأشباه والنظائر للخالديين ٣٥٣/٢ .

(٢) النقائض ١٠٩٨/٢ . الرمث : نبات تأكله الإبل . خنثل : برث أبيض مستوٍ في ديار بني كلاب (معجم البلدان) . بسيطة العراق : أرض بين الشام والعراق (السابق) . المضل : قصبة في أجا (معجم البلدان) . حومل : جبل في ديار عمرو بن كلاب (السابق) .

(٣) معجم البلدان (صنعاء) .

يريد أن يدل على الاستقرار النفسي ، فكفته الاستعارة في الوفاء بمراده ، إذ اتخذ للكشف عنه أقرب ما لديه من المرئيات ، وجسم المجرد ، حين جعله محلوبا ، وفيه لمح إلى البياض الذي يُرمز به للنّقاء ومنتهى السعادة .

وشبه أبو حجار الكلابي انهمار دمع العين غزيراً بضرع الناقة يدرُّ بالحليب ، فقال[١] :

وَلَّوا عَلَى أَظْعَانِهِمْ فَأَدْبَرُوا
فَدَرَّتِ العَيْنُ فَظَلَّتْ تُمطِرُ وَفِي حُمُول الحيِّ رِيْمٌ عَبْهَرُ

أتبع الصورة بصورة لقوة الدافع النفسي وسيطرة المنظر على القوى العاطفية ، حتى لم يعد الذهن قادراً على استيقافها برهة ، لسرعة تدافعها على المخيلة ، التي أصبحت ترصد ولا تعي .

وجعلوا الحرب ناقة إذا امتنعت من الحلب شدوا فخذيها بعصابة فدرَّت ، يقول عامر بن الطفيل الكلابي[٢] :

نشدُّ عِصابَ الحرب حتى نُدِرَّها إذا ما نُفوسُ القوم طَالَعتِ الثُّغَر

يريد أنّهم لا يفتأون يثيرونها حروباً متتابعة لا ينكلون عنها .

وقال معاوية بن مالك الكلابي[٣] :

يَهِرُّ مَعَاشِرَ مِنِّي وَمِنْهُمْ هَرِيْرَ النَّابَ حَاذَرَتْ العِصَابَا

واستعاروا السنام لذي الرفعة والنباهة ، فقال عامر بن الطفيل[٤] يمدح مالك بن حمار الفزاري:

وَكُنْتَ سَنَامَاً مِنْ فِزَارَةَ تَامِكاً وفي كُلِّ قومٍ ذِروةٌ وسنامُ

ورأوا السحاب متدلياً نحو الأرض كأعناق الإبل مرخية رؤوسها فنتج عن ذلك تكبير الصورة وإبرازها تحقيقا لمرأى الأبل المحملة ، فقال طهمان بن عمرو الكلابي[٥] :

---

(١) مجالس ثعلب ١/١١٠ . عبهر : جامعة للحسن . (القاموس المحيط) .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٢ . ثُغَر : جمع ثغرة وهي نقرة النّحر .

(٣) المفضلية ١٠٥ .

(٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٢٦ . تامك : عظيم مرتفع .

(٥) ديوان طهمان ص ١٩ . سماكي : السماك الأعزل : نجم ينسب له المطر . ربابه : أطرافه المتدلّية . بخاتي : البخت : الإبل . وسوق : جمع وسق : وهو حمل البعير .

سَقَى دَارَ لَيْلَى بِالرِّقَاشَيْنِ مُسْبِلٌ مُهِيْبٌ بِأَعْنَاقِ الغَمَامِ دَفُوقُ
أَغَرُّ سَمَاكِي كَأَنَّ رَبَابَهُ بِخَاتِيٍّ صُفِّقَت فَوْقَهُنَّ وَسُوقُ

وإذا كانت الاستعارة لم تحقق للشاعر مرداه من الإبانة فقد أتبعه بالتشبيه المبين لها وكأنه في الصورة الأولى رأى جزءاً من المنظر ، لم يزل ناظراه عالقين به ، حتى بدا له المنظر مكتملا، فجاء الشك بكأنَّ ، إذ قد يتغير المنظر ، تبعاً لمسار السحاب ، وبالتالي فهي صورة سريعة التبدل ، تحتاج ملاحقة ودقة .

ولذلك بدا السحاب بعد تحركه وتغير شكله مُتموِّجاً ، كاضطراب القماش وخفقه ، وهذا دليل على أن السحب انتشرت وعبثت بها الرياح ، مؤذنة بالرحيل ، إذ ينقل لنا الشاعر ذلك المنظر الجديد ، بعد تكونه والتقاط الحاسة البصرية له ، حين رأت فيه شكلاً يلفت الانتباه يقول طهمان[1] :

وَبَاتَ بِحَوْضَى والسِّبَال كأَنَّمَا يُنَشَّرُ رَيطٌ بَيْنَهُنَّ صَفِيْقُ

حتى ما كان خارج نطاق سيطرتهم حاولوا الهيمنة عليه عن طريق الاستعارة ، وقد يكون هذا من باب الإيضاح ، وتقريب ما بعد عن أذهانهم بجعله من بعض أدوات حياتهم وخلق الأُلفة بين المتباعدات ، نجد من هذا القبيل إلباسهم النهار جلبابا ، وفراره مُدبرا ، وكأنما نحن أمام إنسانٍ فَزِعٍ ، هرب مولياً حينما أُغير عليه فَمُزِّق ثوبه ، ومُسَّت كرامته ففعل ذلك في نفسه ما جعله مرتعباً ، يقول معبد بن عمرو الكلابي[2] متحدثا عن مرج راهط ، وفعل بني كلاب وأعوانهم بأعدائهم :

وَجَالَدَهُمْ بِالمَرْجِ مِنَّا أَعِزَّةٌ يَرَوْنَ المَنَايَا مَكْرُمَاتٍ وَمَفْخَرا
لَدُن غَدْوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُوْنَهُم وَمُزِّقَ جِلْبَابُ النَّهَارِ فَأَدْبَرا

إن تصور النهار أو غيره من آيات الله وتجسيمه في شكل مصغر يظهر القدرة والتمكن في تطويع الخيال لخلق الجمال ، فيغدو الكون بأكمله مادة يشكِّلُهَا المبدع وفق ما تمليه رهافة الحس ، والوعي الدقيق باللحظات الفاتنة ، التي يُسفر عنها وجه الطبيعة ، فتكون مرتكز السُّموِّ الإبداعي وموضع التفكّر والإعتبار .

---

(١) ديوان طهمان ص ٢١. حوضى والسِّبال : في ديار بني كلاب . ريط : قطعة قماش .

(٢) نقائض جرير والأخطل ص ٢٠ .

جـ - الكناية :

هي إرادة لازم المعنى مع إرادة المعنى المباشر فهي تعبير ينحو منحى الإشارة ، ويبتغي الإيجاز ومن ثم فهي أسلوب راقٍ ، يعتمد على الذوق اللماح ، والحس المرهف الذي يقدر وعي المخاطب ، ويمنحه بغيته .

فالصراحة تعبير صارم ، لا يُدغدغ في الإنسان ذي المشاعر أحاسيسه ، كما تفعل الكناية بتعبيرها غير المباشر الذي يُعْمِل ذهن المتلقى حتى يفوز بالمراد ، فإذا هو يُحسُّ بلذة الكشف، فتتطلب نفسه قطف نظائر أخرى .

إنَّ اعتماد الأديب على الكناية يُقدَّر له ، ويُعَدُّ من درجات سلَّمه الفني ، إذ ذلك يُضفي على إبداعه لباساً جميلاً ، ومدلولاً نفسيا ، يعبر عن خاصة ذاتية ، ويمنح بعداً داخليا .

ولم يكن الأديب السوي ليجلب الكناية من بيئة غريبة عليه ، بل تنقل عيناه ، ما التفت إليه قلبه ، ووعته تجربته ، ومن هنا كانت مظاهر البيئة تتجلى من خلال كناياته ، وهذا يمنح الشاعر أو الناثر ثقة لدى متلقيه ، وصدقاً في معايشة فنه .

وجاءت الكناية في الشعر الكلابي مبينة نواحي اجتماعية ، أو خصائص ذاتية ، سواءٌ تعلقت بالفرد الحيواني ، أو النثارات الطبيعية ، فمما يتعلق بالحيوان ، كنوا عن رعايته ، والاهتمام به بذكر رباطه الذي لا يفارقه الكف ، كما في قول خالد بن جعفر الكلابي(١)عن فرسه " حذفة " :

يَبِيتُ رِباطُها باللَّيل كفِّي على عُوْدِ الحَشِيْشِ وغَيْرَ عُوْدِ

وكنّوا عن سرعته بتكسيره صلب الحجارة ، وتطايرها ، من ذلك قول الأجلح الضِّبابي الكلابي(٢) عن حصانه :

لا تَسْقِه حزراً وَلا حَلِيْبَا إنْ لَمْ تَجِدْهُ سَابِحَاً يَعْبُوبَا

ذَا مَيْعَةٍ يَلْتَهِمُ الجُبُوْبَا يَتْرُكُ صُوَّانُ الحَصَى رُكُوْبَا

وجاءت الناقة الحائل كناية عن الجشع ، في قول أم خلف الكلابية(٣) :

أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ جُزِيْتَ خَيْراً أَلَمْ يَبْلُغْكَ خُبْرَةُ مَا لَقِيْنَا

---

(١) الأغاني ٨٣/١١ .

(٢) النقائض ٩٢٩/٢ . يعبوب : كثير الجري . ميعة : نشاط . الجبوب : الأرض .

(٣) بلاغات النساء ص ٢٥٢ . جذباء : منقطع حليبها .

أَنَاخَتْ حَائِل جَذْبَاء نَاب فَلَمْ تَتْرُكْ لِطَلْحَتِنَا فُنُوْنَا

وكنوا عن الخلاف الدائم بالعداوة المتأصلة بين الذيب والغنم ، فقال القتال الكلابي[١] :

إِنِّي لَعَمْرُ أَبِيْهِمْ لا أُصَالِحُهُمْ حَتَّى يُصَالِح رَاعِي الثُّلَّةِ الذِّيْب

وعن جمال المرأة جاءت الكناية المعهودة ، التي طالما توارثها الشعراء ، لخفة الحمل وثقل المحمول ، إذ قال أبو حجار الكلابي[٢] :

فَدَرّتِ العَيْنُ فَظَلَّت تُمْطِرُ وَفِي حُمُولِ الحيِّ رِيْمٌ عَبْهَر

أُفْعِمَ حِجْلاهَا ، وَضَاقَ المِئْزَرُ والبَطْنُ مَطْوِيٌّ الحَشَا مُخَصَّرُ

وتلك من الكنايات التي شاعت ، فلم يعد يعرف لها صاحب خاص .

ومن هذا القبيل ما ورد في قول عروة بن عتبة الكلابي[٣] يُخاطب زوجته :

شُرِبْتُ دَمَاً إِنْ لَمْ أَرعك بِضَرَّة بَعِيْدَةِ مَهْوَى القُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

وكُنِّي بالأعجاز عن النساء ، وبالصدور عن الرجال ، في قول أحد بني الضِّباب[٤] من كلاب يهجو بني جعفر الكلابيين :

تُزَاحِمُنَا عِنْدَ المَكَارِمِ جَعْفَرُ بِأَعْجَازِهَا إِذْ أَسْلَمَتْهَا صُدُوْرُهَا

فَأَمَّا الصُّدُوْرَ لا صُدُوْرَ لِجَعْفَرٍ وَلَكِنَّ أَعْجَازاً شَدِيْداً ضَرِيْرُهَا

والشاعر يرمز إلى حربٍ كانت بين الضباب وجعفر ، أعانت فيها بنو أمية جعفرا ، لمصاهرة الأمويين لبني جعفر إذ تزوج بشر بن الوليد بن عبد الملك قُطَيَّة بنت الحارث الجعفري ، ففزع إليها الجعفريون ، فأعانتهم بجاهها .

ومما يتعلق بالنواحي الاجتماعية ، ويصور لنا العلاقات بين أفراد المجتمع ، سواء في مسرتها أو مضرتها ، ما نجده من تكنيتهم عن الكرم بهبوب الرياح ، إذ قالت ابنة لبيد بن ربيعة الكلابي[٥] :

---

(١) ديوان القتال ص ٣٢ . الثلة : جماعة الغنم .

(٢) مجالس ثعلب ١/١١٠ . عبهر : جامعة للحسن .

(٣) سمط اللآلي ص ٦٧١ .

(٤) خزانة الأدب ١١/٣٦٤ .

(٥) الشعر والشعراء ١/٢٧٦ .

إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ أَبِي عَقِيْلٍ دَعَونَا عِنْد هبَّتِهَا الوَلِيَدا

وعن راحته النفسية ، بعد أن أوقع بعدوه ، كَنَّى يزيد بن الصعق الكلابي بطيب الشراب ، ونوم الليل ، فهو يقول[1] :

فَنِمتُ اللَّيْل إِذْ أَوْقَعْتُ فِيْكُم قَبَائِل عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيْمِ

وَسَاغَ لِي الشَّرابُ وَكُنْتُ قَبْلاً أَكَادُ أَغُصُّ بِالمَاءِ الحَمِيْمِ

وَكُنِّي عن الحزن بالعطش وعدم الارتواء ، إذ تقول هند بنت أسد الضبابية[2] راثية أخاها :

لَقَدْ مَاتَ بِالبَيْضَاءِ مِنْ جَانِبِ الحِمَى فَتَىً كَانَ زَيْناً لِلْمَوَاكِبِ وَالشُّرْبِ

تَظَلُّ بَنَاتُ العَمِّ وَالخَالِ حَوْلَهُ صَوَادِي لا يَرْوِينَ بِالبَارِدِ العَذْبِ

ومن الدلائل النفسية ، كنايتهم عن شدة الخوف بإسقاط الحوامل حملهن ، كما في قول عامر بن الطفيل الكلابي[3] :

وَنَحْنُ صَبَّحْنَا حَيَّ أَسْمَاءَ غَارَةً أَبَالَتْ حُبَالَى الحَيِّ مِنْ وَقْعِهَا دَمَا

ويقول معاوية بن مالك الكلابي[4] مكنيا عن الفزع الشديد بالطيران ، عائباً من إذا سمعوا صوتاً مرتفعاً صاروا كالثوب في الريح لا يحكمه شيء :

أَبْلِغْ كِلاباً وَخَلِّلْ فِي سُرَاتِهِمُ هَلْ يُخْلِفَنَّ لَهُمْ شِبْلٌ وَدِيْنَارُ

أَمْ يُخْلِفَنَّ لَهُم قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا مِنَ العَدُوِّ بِلَيْلٍ نَتْأَةً طَارُوا

وقد كثرت لدى الكلابين الكنايات التي تصب في المدلول النفسي ، وتكشف عن جانب مهم في حياة الكلابيين ، حيث الحرب والغزو ، وما يرافق ذلك ، أو يعقبه من آثار نفسية تبين في حركات الجنس البشري ، الذي عانى حياةً غير مستقرة جعلت الاضطراب النفسي سمةً له .

---

(١) خزانة الأدب ١/٤٢٦ .

(٢) زهر الآداب ص ٩٣٩ .

(٣) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٢٩ .

(٤) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٢٣ . شبل ودينار : من بني أبي بكر بن كلاب (السابق) . نتأة : صوت مرتفع .

فحتى العصر الأموي الذي يعتبر عصراً حضارياً ، لم يسلم من تلك السمة التي تدل على النزاعات المقلقة للنفس ، نلحظ ذلك من خلال قول زفر بن الحارث الكلابي[١] الذي كان شريكاً في تلك النزاعات ، وبالذات مرج راهط وما سبقها :

لَقَدْ تَرَكَتْنِي مَنْجَنِيْقٌ ابْنَ بَحْدَلٍ أَحِيْدُ عَنِ العُصْفُوْرِ حِيْنَ يَطِيْرُ

والبيت يفصح عن مسير عبد الملك بن مروان يريد مصعب بن الزبير ، فواجه زفر بن الحارث في قرقيسيا ونصب المجانيق ، فثلمت منجنيق حريث بن بحدل برجاً في المدينة ، فأرعب هذا زفر ، فما أن يطير شيء حتى يحسبه قذيفة منجنيق .

وتعلق زفر بالعصفور ، مكنيا به ، إذ يقول[٢] زارياً على قومه في تباطئهم عن مناصرته:

يَا قَيْسُ عيْلان قَيْسُ الذُّلِّ إِنَّكُمْ فِي الحَرْبِ سِيَّانَ أَنْتُمْ وَالعَصَافِيرُ

وعن عظم المصيبة ، والندم يقول عامر بن مالك الكلابي[٣] ، مستخدماً الكناية مخاطباً بني تميم :

وَلَو رُمْتُمْ أَنْ تَمْنَعُوْهُ رَأَيْتُمُ هُنَاكَ أُمُوْراً غَيُّها غَيْر طَائِل

لَشَابَ وَلِيْدُ الحَيِّ قَبْلَ مَشِيْبِهِ وَعَضَّتْ تَمِيْمٌ كُلُّها بِالأَنَامِل

واتخذوا من سقطِ المتاع عالي المعاني مبرزينها من خلال كناياتهم ، فهذا الحبل المفتول رأوا فيه رمز الجد في الأمر ، وإحكام الشيء ، إذ يقول عوف بن الأحوص الكلابي[٤] :

وَكَعْبٌ فَإِنِّي لابْنِهَا وَحَلِيْفُها وَنَاصِرُهَا حَيْثُ اسْتَمَرَّ مَرِيْرُهَا

لكن هناك حبل لين ، هو مقود الفرس المطواع ، لدى عامر بن مالك الكلابي ، إذ يقول[٥] :

لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ عَنْ حَيِّ مَالِكٍ شَآبِيْبَ مِنْ حَرْبٍ تَلَقَّح حَائِلُ

عَلَى كُلِّ جَرْدَاءِ السَّرَاة طَمْرة وَأَجْرَد خَوّار العِنَانِ مناقِلُ

---

(١) ديوان زفر ص ٢٣٦ .

(٢) السابق ص ٢٣٧ .

(٣) الأغاني ١٠٢/١١ .

(٤) المفضلية ٣٦ . كعب : أخو كلاب بن ربيعة . مرير : حبل مفتول .

(٥) الأغاني ١٠١/١١ .

ومن الأدوات التي استخدمت في الكناية ، الكنانة والقوس ، حيث كُنّي عن الأولى بأمومتها للسهام، لما تحمل منها في بطنها، ونسبت الأخرى لمن ولدها، فقد قال أحد الكلابين[١]:

لا مَالَ إلا العِطَافُ تُوزِرُه أمُّ ثلاثين وابنةُ الجبَلِ

فقد عنى بأم ثلاثين كنانة فيها ثلاثون سهماً ، وابنة الجبل هي القوس لأنها تصنع من شجر النبع الذي لا ينبت إلا في الجبال .

واشتهرت أبيات يزيد بن الصعق الكلابي لحسن كنايتها عن الطمع ، حتى صارت فكاهة المجالس ، كما ورد بين معاوية بن أبي سفيان ، والأحنف بن قيس التميمي[٢] ، وقد عُيِّر بالأبيات التالية[٣] :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيْمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيْشَ فَجِيءْ بِزَادِ
بِخُبْزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ الشَّيْءِ المُلفَّفِ فِي البِجَادِ
تَرَاهُ يُنَقِّبُ البَطْحَاءَ حَوْلاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنَ عَادِ

تلك هي طبيعة الصورة لدى الشعراء الكلابيين باقسامها الثلاثة ، التي لا حظنا فيها تفوق التشبيه على القسمين الآخرين ، لما في التشبيه من موافقه لطبائعهم حيث القرب والوضوح ، فهم في غالبهم بدو رحل ، حتى وإن استقر ببعضهم المقام فإنهم لا يفتأون يترددون على الديار ولو نفسياً ومن هذا نهجه فالتشبيه أقرب إليه مأتى .

والملحوظة الأخرى أنهم منحونا مشاهد بيئتهم من خلال صورهم ، وهذا يدل على صحة الشعر الذي نقل عنهم كما يعزز ذلك مدلولات الصور لديهم .

وملحوظة أخيرة هي أننا أمام شعر لا يختلف عن بقية اشعار العرب في عصورها المتقدمة شعر ظهرت فيه كل أساليب القدماء ، بما في ذلك الصورة التي تصب في نهر تعبيري واحد ، سُدته المُحَسّ ، ولحمته النفس .

---

(١) الأمالي ٢/٢٩٥ .

(٢) بهجة المجالس ص ١٠٨ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٩٤ .

جـ ـ السمات الصوتية

١ ـ البحور

٢ ـ الأصوات

٣ ـ القوافي

تمهيد :

للشعر نواحٍ جمالية عديدة يباشرنا منها اينها ، فنحس بذلك الإنسجام المتوالي بين الكلمات ونتذوق ترداداً صوتياً معينا ، يجعلنا نهتز له طرباً ولو لم نفقه مراده ، فالنفس قد أعطيت حاسة السمع التي تدرك بها الأصوات الحسنة والأصوات المنكرة ، وما حسن الأصوات إلا نابع من تآلف الحروف والكلمات واتفاقها في نغم متحد ، وهذا ما يُمَيِّز الشعر عن النثر .

وقد عرف القدماء الشعر[١] مبرزين أهم صفاته ، وهي النغم المتكرر في الحرف والكلمة والمقطع مما يعود على السامع بالإنفعال نتيجة للإيحاء الصوتي المعبر ، يقول ابن طباطباالعلوي:

" الشعر ـ أسعدك ا لله ـ كلام منظوم ، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع ، وفسد على الذوق ، ونظمه معلوم محدود ، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الإستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه ، ومن اضطرب عليه الذَّوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه "[٢] ومن هذا نجد أن للشعر أوزاناً معلومة يعتمد في إقامتها وتقويمها على الذوق السليم .

ويقول قدامة بن جعفر عن الشعر : " إنه قول موزون مقفى يدل على معنى "[٣] وهذا يبين مصادر النغم في القصيدة ، وهي الوزن الذي تتبعه العلماء ، فوجدوه في ستة عشر بحرا ، والقافية التي لا بد أن تتحد في حرف واحد ، والصوت الموحي بمعنى ، وهذا ما سأحاول أن أكشف عنه في الشعر الكلابي .

١ ـ البحور :

جاء شعر بني كلاب على أوزان شعر العرب المعهودة لديهم إبان عصورهم الأولى ، غير أن البحور المتداولة بكثرة هي بحور قليلة ، معروفة بطول مقاطعها .

يأتي في مقدمة تلك البحور بحر الطويل الذي استوعب معظم أغراض وموضوعات

---

(١) النغم الشعري عند العرب ١٢ .

(٢) عيّار الشعر ٩ .

(٣) نقد الشعر ص ١٧ .

الشعر ، فجاء موفياً برغبات الشاعر الكلابي ، إذ إن ميزة هذا البحر الهادئة جعلته مجالاً لانطلاق النفس البشرية وبث همومها وإعلان أفراحها من خلال ما يهيئه هذا البحر من مسافة تتيح للنفس الطويل أن يمتد ، ولذا نجد أنه استطاع أن يحمل مضامين مختلفة ما كان لغيره أن يحملها ، فقد قام بعبء دموع الحزانى وزهو الحنايا وروية الرزانا ، فخف على جناحيه الرثاء ، واستطاع أن يمتح الدموع من عيون الشعراء ، حين أتاح لهم بكثرة تفاعيله مجال الإلمام بمعانيهم .

لقد ورد شعر الرثاء لدى بني كلاب على ألسنة الرجال والنساء ممتطياً صهوة بحر الطويل لقد رته على الوفاء بنقل أحاسيسهم بشكل متأنٍ وانفعال سوي ، لاجموح فيه ، ولم يكن هذا التعلق ببحر الطويل لفترة محدودة ، بل لازم كل عصورهم ، فالشاعرة الجاهلية هند الضِّبابيّة[١] رثت أخاها بهذا البحر ، كما رثى أبو حبال الكلابي[٢] في العصر الأموي إبنه بالبحر ذاته ، الذي لم يكن مختصاً بموضوع الرثاء دون سواه ، بل شمل أغلب أغراض الشعر الكلابي ، إذ نجد أن الطبع الفطري قد جعل هذا البحر متهيئاً دوماً على ألسنتهم لاستيعاب خوالج نفوسهم ، أياً كانت سواء في موضوع الفخر أو المدح أو الهجاء أو غيرها من مناحي حياتهم المختلفة ، بيد أن أكثر الأغراض التي جاءت عن طريق بحر الطويل هي الفخر والهجاء والغزل .

يأتي بعد بحر الطويل بحر الوافر حيث كثر وروده في الشعر الكلابي ، إذ إنه أحد البحور الطويلة التي تتيح لمستخدمها السعة في الفيض الوجداني .

وقد استطاع شعراء بني كلاب أن ينقلوا بواسطة هذا البحر موضوعاتٍ شتى ، وهذا ما توضحه أبيات عوف بن الأحوص الكلابي[٣] ، وأبيات معاوية بن مالك الكلابي[٤] التي تعددت أغراضها وتباينت موضوعاتها ، كما جاء هذا البحر مقتصراً على الغزل ، من مثل أبيات محمد بن الخطاب[٥] الكلابي ، أو مقتصراً على الهجاء كأبيات يزيد بن الصعق[٦] ،

---

(١) زهر الآداب ص ٩٣٩ .

(٢) مجالس ثعلب ص ٩٥ .

(٣) المفضلية ٣٥ .

(٤) المفضلية ١٠٥ .

(٥) الزَّهْرَة لابن دؤاد ص ٣٨٦ .

(٦) الحماسة البصرية ٢/٢٥٩ .

أو الوصف مثل وصف خالد ابن جعفر الكلابي[١] لفرسه ، كذلك كان شاعر المدح يجد في الوافر بغيته ، إذ تَسْلُس به المعاني وتنقاد طواعية ، وهذا ما نلاحظه في مدحة بنت[٢] لبيد للوليد بن عقبة ، إذ إن هذا البحر لين " يشتد إذا شددته ، ويرق إذا رققته "[٣] .

ومن ضمن البحور الطويلة التي شغف بها بنو كلاب ، ونظموا فيها كان بحر الكامل الذي يتميز بتساوي تفعيلاته ، وكمال حركاته ، وصلاحه لكل أغراض الشعر " ولهذا كثر وجوده في شعر القدامى والمحدثين ... وهو إلى الشدة أقرب منه إلى الرقة "[٤] .

وقد جاء على هذا البحر من شعرنا المدروس الوصف ، والفخر ، والمدح ، والهجاء كما استخدمه الأخيل بن مالك الكلابي[٥] في موضوع طريف هو موضوع مماطلة المدين لدائنه ، ونظم فيه شاعر إسلامي اسمه عمرو بن قُريط الكلابي[٦] مُؤدِّياً به موضوعاً مستجداً فرضته ظروف طارئة ، وهو العتاب الديني ، واستخدمته المرأة الكلابية في الغزل[٧] .

وإذا ما نظرنا في البحور المتوسطة ، وتبيّناً مدى شيوعها في الشعر الكلابي فإنا نجد أنَّ أكثر هذه البحور استخداماً هو بحر البسيط ، بينما يقلُّ بحر الخفيف ، ويختفي بحرا الرمل والمنسرح ، غير أن تعلقهم ببحر البسيط من بين تلك البحور يدل على طبع سمح ، إذ إن هذا البحر أطوع من ناحيتين من ناحية السعة لما يقال فيه ، فهو يتقبل أغراضاً كثيرة وموضوعاتٍ متعددة ، مما يفي بحاجة المبدع ، كما أنه بحر رقيق ينحو بالنفس منحى البساطة لذا نلاحظ أن بني كلاب قد تداولوه في عصورهم المختلفة ، وقد اشتمل في نظمه على الغزل والفخر كما جاء به الهجاء عن طريق النساء، ومن ذلك هجاء سلمى بنت المحلّق الكلابية[٨] لجوّاب الكلابي تعيّره ومن معه بفرارهم يوم النسار .

وهناك بحور قل مجيؤها في الشعر الكلابي ، إذ لم يجر بها شعرهم ، وذلك عائد إلى عدم

---

(١) الأغاني ٧٨/١١ .

(٢) الشعر والشعراء ٢٧٦/١ .

(٣) الأسلوب ص ٨٢ .

(٤) فن التقطيع الشعري ص ٩٥ .

(٥) الحماسة للبحتري ص ٢٦٦ .

(٦) الإصابة ١٤٠/٥ .

(٧) النوادر لأبي زيد ص ٢٠٢ .

(٨) النّقائض ص ٢٤٢ .

تعوُّد آذانهم على تلك الأوزان التي لم تكن شائعة لدى الشعراء الجاهليين الذين تربّت الأذواق على منوالهم ، من تلك البحور القليلة بحرا السريع والمتقارب ، اللذان لم يحتفيا بهما بنو كلاب ، فلم يردا إلا على استحياء ، إذ الأول فيه كزازة ، والثاني فيه سذاجة[١] .

واختفت من الشعر الكلابي بحور ليست قليلة كبحر المديد والمتدارك والهزج والمجتث والمقتضب والمضارع ، وقد يكون هذا الإختفاء راجعاً إلى أن هذه البحور بحور تمجها الأسماع، وما نبى عنها الذوق إلاّ لطبع سليم وسليقة سوية لدى الشعراء الكلابيين ، حيث لا يصدر عنهم إلا ما تمليه عليهم ذائقتهم ، وتنسجم معه معانيهم ويدفعهم إليه حسهم ، فلا يُكْرِهُون أنفسهم على ما إلا حاجة إليه ، وإنّما المدار على توافق الصوت والمعنى ، فإن تآلفا ووافقا حسا يساوي بينهما صدر عنهما طبع وطبيعة حقان صادقان ، وذلك شأن بني كلاب في شعرهم ، فأوزانهم تصد رعن أغراضهم ، وموضوعاتهم تملي عليهم بحورهم ، وذلك يدل على رهافة الحس لديهم ، مما جعلهم يُقْبِلون على نغم دون نغم ، بحكم الطبع الفطري في الإنسان عامة ، ولذلك يقول القرطاجني عن هذه البحور التي قلّت في الشعر الكلابي أو غابت عنه " فأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف ، وقلما وقع كلام فيهما قوي إلا للعرب وكلامهم مع ذلك في غيرهما أقوى .... فأمّا المنسرح ففي اطراد الكلام عليه بعض اضطراب وتقلقل ، وإن كان الكلام فيه جزلا ، ... فأمّا الهزج ففيه مع سذاجته حدّة زائدة ، فأما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما ، فأما المضارع ففيه كلّ قبيحة ، ولا ينبغي أن يعدَّ من أوزان العرب وإنما وضع قياساً ، وهو قياس فاسد لأنه من الوضع المتنافر على ما تقدم "[٢] .

ومن البحور القصيرة التي كان لها الشأن في الهيمنة على الشعر الكلابي بحر الرجز الذي غلب بوزنه الخفيف على معظم ما رأينا من شعر بني كلاب ، حيث إن لهذا البحر ما يؤهله لأن يتصدر ما لطف وسهل من الأنغام ، لما فيه من خفة على اللسان ، وسرعة في التتابع : " لتقارب أجزائه وقلة حروفه ، لأنه تتوالى فيه في أوله حركة وسكون ، ثم حركة وسكون إلى أن تنتهي أجزاؤه ، يُشبَّه بالرجز في رجل الناقة ورعدتها وهو أن تتحرك وتسكن ، ثم تتحرك وتسكن "[٣] ولذا كان أقصر البحور وأكثرها اضطراباً ، وأقربها إلى النثر المسجوع وهذا ما جعل الخلاف حوله يطول ، فمن مدخلٍ له في الشعر ، ومن مخرج .

---

(١) منهاج البلغاء ص ٢٦٨ .

(٢) السابق ص ٢٦٨ .

(٣) لسان العرب (رجز) .

وإذا ما نظرنا إلى هذا الوزن في الشعر الكلابي فإننا نجد امتطاءهم له بكثرة ، وذلك لتهيؤه لهم أوان ركوبهم ، وورودهم ، وأوان بطئهم وعجلتهم ، فهم يتناولونه بسهولة فيأتي منسابا على ألسنتهم ، عَجِلاً بترقيصهم ، يخبّون عليه إلى كل معنى ، لذا كانت معانيهم على هذا البحر شتى ، أكثرها يدعوه الجدُّ ولا تمهله السرعة كالتباهي والتفاخر ، أو يدفع إليه الهزل فتعجِّل به معايشة الآونة كمداعبة طفلٍ ، أو الرَّد على ندٍّ .

والملاحظ في البحور الطويلة والقصيرة أنها ليست خاصة بأغراض معينة ، أو أنها لا تتجاوز موضوعاتٍ محددة ، بل اتسعت كلُّ أوزانهم لما صُبَّ فيها ، وتقبَّلت ألحانهم جميع معانيهم أحسن تقبل .

إنّ هذا يجعلنا نؤمن بأن أجزاء النص الأدبي ، تتآلف فيطلب بعضُها بعضا ، مما يجعل المبدع وديعاً أمام مخلوقٍ يتشكَّل على لسانه ، بعيداً عن سلطته .

لكن ما الذي نستنتجه من غلبة البحور الطويلة على الشعر الكلابي ؟ إن ذلك يدل على أنَّ حياتهم أميل للشدة والجد منها للترف ، حيث المعاني أبسط وأقرب وأكثر تعدّداً في القصيدة الواحدة ، مما يتطلب لها بحراً صالحاً للتنوع ، كما هو دال بنغمه على كنه أهله ونمط معيشتهم ، كما تَبين تلك البحور عن عواطف من نظموا بها ، حيث إنَّها بحور ذات إيقاع فيه بطء وقوة مما ينبيء عن أن عواطف من استخدموها تتكشف عن رزانة وثبات وبعد عن التذبذب ، ويؤيد ذلك ما يشير إليه الدكتور إبراهيم أنيس بقوله : " ولكن حماسة الجاهليين وفخرهم كان من النوع الهادئ الرزين ، الذي يتطلب التأني والتؤدة ، ولذلك جاءنا في قصائد طويلة وأوزان كثيرة المقاطع ، أما المدح فليس من الموضوعات التي تنفعل لها النفوس، وتضطرب لها القلوب ، وأجدر به أن يكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع كالطويل والبسيط والكامل ، ومثل هذا يمكن أن يقال في الوصف بوجه عام "[1] .

وما العلاقة بين الوزن والعاطفة إلا ملامح تتبدّى للمتذوق ، قد تخفتُ حيناً في بحر ، وقد تشع في آخر ، وفي هذا يقول الدكتور محمد النويهي : " إن البحور المختلفة وإن لم تختلف في نوع العواطف التي تصلح لها فهي تختلف في درجة العاطفة "[2] . وقد جاءت معظم بحور

---

(١) موسيقى الشعر ص ١٩٦ .

(٢) الشعر الجاهلي ٦١/١ .

الشعر الكلابي قوية العواطف ، مثيرة للأحاسيس ، كما في قول عبد الله بن جعدة الكلابي[١] ، يرثي ويتوعد :

يَا حارِ لَوْ نَبَّهتَهُ لَوَجَدْتَهُ ... لاَ طَائِشَاً رَعِشَاً وَلاَ مِعْزَالاَ
شَقَّتْ عَلَيْهِ الجَعفريةُ جَيبَهَا ... جَزعاً وَما تَبكِيْ هُناكَ ضَلاَلاَ
فَانعوا أبا بَحرٍ بكُلِّ مُجرَّبٍ ... حَرّانَ يُحسَبُ في القناةِ هِلاَلاَ
فَلَيُقتَلَنَّ بِخَالِدٍ سَرَوَاتكُمْ ... ولَيُجْعَلَنَّ لِظَالِمٍ تِمْثَالاَ

٢ - الأصوات :

لم يكتف شعراء بني كلاب بنغم القصيدة العام ، وإنما أشاعوا تردُّداً صوتيّاً في أبياتهم فتوافق اللحن الخارجي مع اللحن الداخلي ، وتعاضدا على إبراز ذوقٍ مرهف ، يجانس بين مكوناتِ جُملهم ، ويحيلها ترنُّماً متّحدا ، ينشأ من التناسق بين أصوات الحروف والكلمات والجمل .

نلاحظ احتفاءهم بالنغم الصوتي مبتدئاً بالحرف في الكلمة ، والكلمة في الجملة والجملة في البيت ، فالحرف استخدم لمد الصوت واستنزاف ما في الجوف ، إذ في هذا ما يريح النفس، ويجعلها تتخذ من حروف المد منفذاً لبث اللوعة وسط معمعة الحزن ، حتى إنّنا لنحس بصوت الشكاية والألم ، وهذا مانتبينه في أبيات الرثاء التي قالتها هند بنت أسد الضِّبابية[٢] حين موت أخيها :

لقد ماتَ بالبيضاءِ من جَانبِ الحمى ... فَتىً كان زيناً للمواكبِ والشُّرْبِ
يَلُوذُ به الجاني مخافةَ ما جَنى ... كَما لاذتِ العصماءُ بالشّاهقِ الصَّعبِ
تَظَلُّ بَنَاتُ العمِّ والخالِ حَوْلَهُ ... صواديَ لا يَرْوين بالبارِدِ العَذْبِ

وكما يكون المد مُظْهِراً صوت الحسرة فإنّه يُفْصِح ايضاً عن الزهو والفرح ، كما في قول جعونة الكلابي[٣] :

ولقد أُراني من هوايَ بمنزلٍ ... عالٍ وراسيْ ذُو غَديرٍ أَفرَعُ
وَ العيشُ أَغيدُ سَاقِطٌ أفنانهُ ... والماءُ أَطيبُهُ لنا والمرتَعُ

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣٣٩/١ .

(٢) زهر الآداب ص ٩٣٩ .

(٣) بغية الملتمس ص ٢٤٤ .

كما يحدث النغم الداخلي في الأبيات من التجانس الصوتي ، الصادر عن حروف وحركات متماثلة ، فيكون لوقعها جرس يُصيخ السمع بإيقاعه المتميز ، ويتضح ذلك من تكرار حرف التاء والميم والتضعيف في الأبيات التالية ، إذ فيها تُحسُّ الأذن مرتكزاً صوتيا تتوقف عنده كلَّ آونة ، وتستعيد معه نغماً ذا دلالة ، يقول عوف بن معاوية الكلابي[١] :

نُبِّئتُ أوساً بكى ذا القرنِ إذ شربَا ... على عُكاظَ بُكاءً غَالَ مجهودي
إني حلفتُ بِماَ جَمَّعتُ مِن نَشَبٍ ... وما ذبحتُ على أنصابكَ السُّودِ
لتبكينَّ قتيلاً منكَ مقتربا ... إنّي رأيتكَ تبكي للأباعيدِ

وقد كان لنبرة الباء والكاف والياء صدى ينم عن إصرار .

وتتكرر التاء في بيتي امرأة كلابية[٢] ثماني مرات ، فيكون في صوت ترجيعها تأكيدٌ على المتهم ، كما يُظهر صوتُ الياءِ ضعف الشاكي ، تقول :

فَأَنتَ الذي أخلفتنيْ مَا وَعَدتَنِي ... وَبَاعَدتَ لي ما ليس بالمُتَبَاعِدِ
وأَشمتَّ بي الأعداءَ حينَ هَجَرتني ... وَخَلَّيتني أُرمَى بِنَبلِ قَوَاصِدِي

ويتأكد الحس الصوتي لدى الشعراء الكلابيين حين نلاحظ حسن توزيعهم للأصوات المتوافقة للرّاء كأن نجد تكرارهم للرّاء ثانية المادة اللغوية ، مما يعطي رنيناً قوياً في أثناء السياق، يشف عن حُرَقٍ تتتالى رغم محاولة تسكينها ، ففي الأبيات الآتية ، نجد كلمة " الحرث " و " صريح " و " مصرع " و " سرب " و" أجرى " و " أجرع " قد توسطها صوتٌ جَهْري ، ينبئ عن أنّات تخفت وتظهر ، يقول يزيد بن الصَّعق الكلابي[٣] راثياً :

وَأَبلغ سُليماً أنَّ مَقتَلَ مَالِكٍ ... أذلَّ سُهُولَ الأرضِ والحرثِ أَجمَعَا
أذلَّ صريحَ الحيِّ مصرعُ جنبهِ ... وأنفُ الموالي أصبحَ اليومَ أجدعا
وأضحت بلادٌ كان يمنع سربها ... خلاءً لمن أجرى اليها وأوضعا
فللهِ عَينا من رَأَى مِثلَ مَالِكٍ ... قتيلاً بِحَزنٍ أو قتيلاً بِأجْرَعَا

ولا يكتفي الشاعر بالنغمة المترددة بين الراءآت ، بل يستخدم صيغة أفعل التفضيل ليزيد من الإيقاع المتحد ، الذي يكشف عن بالغ الحزن والأسى .

ويكرر الشاعر عامر بن خالد الكلابي[٤] السِّين في كل بيت ، لأجل أن يستقر بآذاننا

---

(١) الأغاني ١٠ /١٩ .
(٢) التذكرة السعدية ص ٣٣٠ .
(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٩٤ .
(٤) الوحشيات ص ٤٩ .

على وحدة معينة حتى إذا ما كان البيت الأخير كثّف النغمة ، كأنما يُشعر بالنهاية ، إذ نجد ثلاث سينات ، بدلاً من واحدة .

وقد يجمع الشاعر الكلابي بين أصواتٍ رخوة كالسين والشين والصاد ، وقد يخلط بين الرخو والشديد ، وبين المجهور والمهموس ، كالطاء مع السين ، والميم مع القاف ، وهذا تنويع قد تكون وراءه مدلولات نفسية .

وفي تعاقب الميمات عقب السينات استغلال لهذا التكاثف الصوتي في إحداث وتيرة من النغم المتصل ، لا ينفك عنه السامع ، كقول درّاج بن زرعة الكلابي[١] :

وَيَسقِهِم كأساً من الموتِ مُرَّةً كَمَا قد سَقَوهُ مِثلها فَتَضلَّعْ

كما نجد في التشديد الذي يسبق نهاية كل شطر كبحاً بعد جماح .

واتخذوا من الحروف ذات المخارج الواحدة والمتقاربة وسيلة لإحداث الجرس اللفظي فكرّروا رقيق الحروف ، فنتج عن ذلك نغم ناعم ، وصوت رخي سلس ، من مثل اجتماع الزاي والسين في قول قيعل عبد بني كلاب[٢] يهجو الديار :

لاَ سَـــلَّمَ ا للهُ على حَزْمَي سَجَا

مَن يَنجُ مِن حَزمِيْ سَجَا فَقد نَجَا

وجاءت بعض الحروف خشنة تدل على خشونة المعنى والمبنى ، كما دلت الزاي والسين على رقة ونعومة ، وذلك في بيت دآود الكلابي[٣] :

أَرَى الوَحْشَ لاَ تَنحَاشُ عَنك عُجُوْمُهَا ويـزددنَ منّي حينَ يُؤنسـني بُعـــدا

واستخدم معاوية بن مالك الكلابي[٤] الميم في أول كل كلمة ، وذلك يجعل الصوت المتحد ذا ترجيع مستمر ، إذ قال :

وَمَسَرَّةٍ لاَقَيْتُها وَمَسَـاءَةٍ مَلاَت مآقي عينهِ لم تُرْدَدِ

إن المسَاءَةَ للمَسَرةِ مَوعِدٌ أُختَانِ رَهنٌ للعشِيَّةِ أوغَدِ

وقد كان لاستخدام الشاعر للأضداد المعنوية دور في علو النبرة الصوتية وانسجامها .

---

(١) النقائض ص ٩٣٠ .

(٢) بلاد العرب ص ١٥٧ .

(٣) السابق ص ٢١٨ .

(٤) الحماسة للبحتري ص ١٢٣ .

وتأتي الميم متحركة بعدها ساكن في تتابع سريع ، لتعطي هزة صوتية في كل مقطع بالتساوي كما في قول يزيد بن الصعق الكلابي[١] :

إذَا مَا مَاتَ مَيتٌ مِن تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَن يَعِيشَ فجيء بزادِ

ولمجيء الهاء مضمومة ثم مكسورة ، وكذا الثاء في أول كل كلمة وقع صوتي ينم عن حسٍّ مقتدر على الإحكام التنغيمي لدى الشاعر ذروة بن جحفة الكلابي[٢] :

رِجَالٌ يَطلُبُونَ ثَمِيلَتَيهِم سَأُوردُهُم هُبالَة أو هِبالاَ

لَعلّي أن أُميرَكَ من عَشيرٍ وَمِن أَصحابِه ثُمَلاً ثِقالاَ

وقد يكون مصدر التناسق الصوتي ، ومبعث التردد المتجانس هو تكثير الشاعر من أدواتٍ متوافقة في المسافة الزمنية ، والنغمة الصوتية ، كما في قول دآود بن بشر الكلابي[٣]:

أَتبكي على رَيَّا ونَجدٍ ولن ترى بِعينكَ ريَّا ما حييتَ ولا نجدا

ولا مُشرفاً ما عشتَ أنقاءَ وَجرةَ ولا واطئاً من تُربهنّ ثرىً جَعدا

ولا واجداً ريحَ الخُزامى تَسُوفُها رياحُ الصَّبا تَعلوُ دكادِكَ أَووَهدا

وربما كانت مبالغة الشاعر في تكرير بعض الحروف سبباً لمجّ كلماته ، التي أُثخنت بصوتٍ صار تتابعه عبئاً ثقيلاً ، وجرسه جافيا ، كقول الأعور بن براء الكلابي[٤] :

مُسْتَسْعِلاتٍ كَسَعَالِيْ سَعْسَلِق

ونستطيع أن نقول إنَّ الصوت الذي يفجؤهم حسنه من أول مرة يوالونه في أبياتهم التي تتلو ، من أجل إحداث نغمة داخلية تتوزع الأبيات ، وتسيطر على مسارها نحو الأصوات المنبئة عن أحوالهم النفسية ، الموافقة لمعانيهم المطروقة .

أما الكلمة فقد كان لها الدور الأسمى في حدوث الإيقاع الداخلي للشعر الكلابي ، إذ نجد سيطرةً على الكلمة وتشقيقاً لها لتخلق بذلك صوتاً منسجماً مع مضمونه ، ومنبئاً بمقصوده ، فإتيان عوف بن معاوية الكلابي[٥] بالمصدر من مادة " بكى " والماضي منه والمضارع مُؤكداً وغير مُؤكد إنما هو تركيز على نغم يفضي إلى معنى ، فهو يقول :

---

(١) البيان والتبيين ١/١٩٠ .

(٢) معجم البلدان (هُبالة) .

(٣) الحماسة البصرية ٢/١٧٥ .

(٤) لسان العرب (سعسلق) .

(٥) الأغاني ١٠/١٩ .

نُبِّئتُ أوساً بكى ذا القرنِ إذ شَرِباَ على عكاظ بُكاءً غالَ مجهودي
لَتَبكينَّ قتيلاً منكَ مقتربـاً إني رأيتك تبكي للأباعيدِ

وما إعادة الكلمة بأي صيغة كانت إلا إظهار لصوتٍ شغل الشاعر ، ويريد أن يشغل به غيره ، كما في بيتي عبد العزيز بن زرارة الكلابي[١] :

وَمَا لُبُّ اللبيبِ بِغيرِ حَظٍّ باغنى في المعيشةِ مِن فَتِيلِ
رأيتُ الحظَّ يسترعيبَ قَومٍ وَهَيهَاتَ الحُظُوظُ منَ العُقُولِ

ويأتي تكرار كلمة " دندنة " عقب تمهيد لها بحرف النون ، مما أضفى على البيت صوتاً منساباً في سلاسةٍ وتجانس ، وذلك في قول برثن الصموتي[٢] :

فَمِنهنَّ النَّمَامَةَ أَنتَ فيها تُدَندِنُ مِثلَ دَنْدَنَةِ الذُّبَابِ

ويصل السري بن حاتم الكلابي[٣] بين أول البيت وآخره بصوت متشاكل ، حين يعيد اسم الفاعل المثنى ويُلزم ما بينهما ألف التثنية فينتج عن ذلك صوت حُداءٍ عن حداء ، كان للمد فيه دور الإعلاء ، وفي البيت الثاني تأتي الغين تسلُّ غيناً تتلوها في اسم يتكرر ، يُحدث إيقاعاً متردِّداً ، نحسُّ معه بإتزان صوتي بين الشطرين ، إنه يقول :

فيا حَادِيها بالعَوقَبَينِ عَرِّجَا اصَابَكُمَا من حادِيين مُصِيْبُ
أَظاعِنةً غُدُوّاً غَضُوبٌ ولم تزر وبائنةً بعدَ الجوارِ غَضُوبُ

ويتقن نصيح بن نهيك الكلابي إحداث الصّدى بين الأصوات ، فعندما تلد الكلمةُ كلمة فإن ذلك يحدث إشعاعاً صوتياً ، وتفاعلاً بين الإيقاعات ، يقول نصيح[٤] :

أَلاَ مَن لِقلبٍ في الحجازِ قسيمُهُ وَمِنْهُ بأكنافِ الحجازِ قَسيمُ
مُعَاوِدِ شكوى إن نأتْ أُمُ سَالِمٍ كَمَا يشتكيْ جُنحَ الظلامِ سَلِيمُ
سَلِيمٌ لِصِلٌّ أسلمته لما بِهِ رُقَيَّ قلَّ عنهُ دفعها وتميمُ
فلم ترمِ الدارَ البُريصاءَ فالصَّفَا صَفَاهَا فَخَلاهَا فأينَ تَرِيمُ

---

(١) بهجة المجالس ص ١٨٨ .

(٢) الأمالي لليزيدي ص ٤٤ .

(٣) معجم البلدان (العوقبان) .

(٤) الأغاني ١٣/١٧٧ . سليم : ملدوغ من باب التفاؤل . صل : حيّة . تميم : جمع تميمة . ترم : تقصد .

ووجدوا في الأسماء نغماً صوتياً يحيل البيت رقصاً مذهلاً لما يصدر عن الكلمة من إيقاع يتبعه إيقاع آخر ، يزيد من جمال الذبذبة الصوتية ، التي تدل على التأنق في تركيب الجملة والقدرة على بعث النغم من خلال اطراد الإسم ، كما في قول خالد بن جعفر الكلابي[١] :

يَلُذنَ بِحَارثٍ جَزَعاً عليه يَقُلْنَ لِحَارِثٍ لولاَ تَسُوْدُ

أو ذكر الإسم كاملاً بعد نداء ، كقول الضحاك بن سفيان الكلابي[٢] :

أَتنسى بلائي يَا أُبيَّ بنَ مَالكٍ غَدَاةَ الرَّسُولُ مُعرضٌ عنكَ أشوسُ

يَقُودُكَ مَروَانُ بنُ قيسٍ بِحبلِهِ ذليلاً كَمَا قِيْدَ الذَّلُولُ المخيسُ

أو بدون نداء من مثل قول أحد الكلابيين[٣] :

الخيل تشهدُ يومَ داهرَ والقنا وَمُحمدُ بنُ القاسم بنِ مُحَمَّدِ

كما نحسُّ بالإيقاع من خلال أصواتٍ تأتي على وتيرة واحدة ، كأن تصدر عن كلمات وزنها متماثل ، كاستخدام مرداس بن حصين الكلابي لوزن " أفعل " أو وزن " فَعِل " و " فعّال " في انضباط النغم ، إذ يقول[٤] :

أتمَّ شبيبةً وأعزَّ فقداً على المولىَ وأكرمَ في المسَاعي

وأَقْوَلَ للتي نبذتْ بَنِيها وقد رأتِ السوابقَ : لا تُراعي

لقد أردى الفَوَارسُ يومَ نجدٍ غُلاماً غيرَ مَنّاعِ المتاع

ولا فرحٍ بخيرٍ إن أتاه ولا جزعٍ منَ الحَدَثانِ لاعِ

ولا وقافةٍ والخيلُ تردي ولا خالٍ كأُنبوبِ اليراعِ

ويتيح تقسيم الجملة إلى كلمات متساوية في الطول تناسقاً في الإيقاع ، كما في قول يزيد بن الصعق[٥] :

بخبز أو بلحم أو بتمرٍ أو الشَّيء الملفَّفِ في البجاد

وقد يعتمد ذلك التقسيم الصّوتي على تعاطف الكلمات ، كقول أبي دوآد الكلابي[٦]:

---

(١) الأغاني ١١/٨٤ .

(٢) تاريخ المدينة ٢/٤٤٤ .

(٣) فتوح البلدان ص ٤٢٦ .

(٤) الوحشيات ص ١٢٥ .

(٥) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٩٤ .

(٦) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٧ .

بحيٍّ حَلالٍ لا تكادُ تُجيرهُمْ وضَاخٌ وَنفْوٌ والبِطَاحُ فمنعجُ

ومجيء الأفعال على وزن واحدٍ منبع آخر من منابع الجمال الصوتي في الشعر الكلابي كورود الفعل " حانت " وسارت " في بيت حسان بن جعدة[١] :

ما كان إلا امرءاً حانت منيتُهُ سَارتْ إليه بنُو مروانَ بالعربِ

وكما ينبثق النغم من حسن التقسيم بين الكلمات ، فإنّه يتأتّى من تقسيم الجمل إلى اقسام متوازنة ، كما جاء في قول ثعلبة بن أوس الكلابي[٢] :

تَحَمَّلْ فجاور بني واهبٍ هناك تلاقي جسيمَ الحسبِ

فكم فيهمُ من فتىً ماجدٍ جميل المحيَّا كريمِ الأدبِ

ومثل صدري بيتي الأخيل بن مالك الكلابي[٣] :

وإن دلفوا دلفتُ لهم بحلفٍ كعطِّ البردِ ليسَ بذيْ فُتُوقِ

وإن لأنُوا وَعَدْتُهُم بلينٍ وفي وعديْ بُنياتُ الطريقِ

وبلغ احتفاؤهم بالصوت إعادة الجملة ، وذلك حين تستبد فكرة معينة بذهن المتكلم فيهذي بها في صوت يغدو نغماً ، من ذلك قول جبار بن سلمى الكلابي[٤] :

وما لِلعين لا تبكي بُحيراً إذا افترتْ عن الرُّمح اليدَانِ

وما للعينِ لا تبكيْ بُحيراً ولو أني نُعيتُ لهُ بكاني

وإذا ماأراد الشاعر إبراز معنى من المعاني فإن الصَّوت يساعده في تجلية مراده ، ويلفت الإنتباه إلى المحور الإرتكازي لموضوعه ، فيتخذ من الصوت مصباً لمعانيه ، كقول عبد العزيز بن زرارة[٥] :

فإلاّ أَكُن عينَ الجوادِ فإنني على الزادِ في الظلماءِ غيرُ شتيمِ

فإلاّ اكُن عينَ الشُّجاعِ فإنني أَرُدُّ سِنان الرُّمحِ غيرَ سليمِ

---

(١) تاريخ الطبري ٢٦١/٧ .

(٢) بلاد العرب ص ٢٠٧ .

(٣) الحماسة للبحتري ص ٢٦٦ .

(٤) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٩٩ ، وفي النوادر لأبي زيد ص ٤٢٣ بحير ، وهو من بني جعفر بن كلاب ، انظر النقائض ص ٥٢٤ .

(٥) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص ٢٢٢ .

وفي الشعر الكلابي من الكلمات ما يشير إلى إيقاع ، أو يوحي بصوتٍ ، فكلمة "كـذا" في بيت شمر بن ذي الجوشن[١] تبين إيقاعاً معيناً ، إذ يقول يعني نفسه :

لم يُرَ يوماً عن عدُوٍّ ناكلا إلا كذا مقاتلاً أو قَاتِلاَ

ويقول همام الكلابي[٢] عن ذئبٍ يكسر العظام فتحدث صوتا ، في ليلـة ممطرة سيهل صوت رعدها :

في ليلـةِ دانـيةِ الإرزامِ يَقْرِشُ ما أُلقي من العِظَامِ

إن هذه الكلمات لاتباشرنا بأصواتها ، ولكنها تبعث فينا العمل على سماعها والإنصـات إلى تسللها من خلال الألفاظ ، فما إن تصطدم الكلمة بآذاننا حتى تُدوِّي صوتاً معروفا لدينا.

ومن الكلمات مـا يوحـي بصـوتٍ معين ، فمـا إن تُطرق حتـى تذكرنـا بـه ، ككلمـة " بغوم "[٣] و " تحمحما "[٤] وكلمة " تضج "[٥] .

وما الطباق والجناس إلا لون صوتي يتيح للمبدع مجالاً واسعاً تظهـر مـن خلالـه قـدراتٌ فنية تتلاعب بالمعاني من خلال تراقص الحروف في ألفاظها ، إذ إن اختلاف المبنى مُنْـبيء عـن اختلاف المعنى ، ومع أن هذين اللونين البديعيين جمعا إلى حسن الصوت الصادر عنهما حسناً صادراً عن اختلاف المعاني بينهما فقد توفر فيهما الكمال الإبداعي ، مما يـدل علـى أن الحليـة البديعية لدى العرب لا تهدف إلى الشكل فحسب ، وإنما تضم إليه المضمون في إتحـاد سـوي وتقابل في تجانس بين اللفظ ومعناه ، فالطباق من مثل قول أبي دوآد الكلابي[٦] :

تُوَاصِلُ أحياناً وتصرمُ تارةً وشَرُّ الأخلاءِ الخليلُ المزَّجُ

وقول أحد الكلابيين[٧] :

قصيرةُ همِّ الزوجِ أما شتاؤها فسُخنٌ وأما قيظُها فَبرود

والجناس في قول الأعور بن براء الكلابي[٨] :

---

(١) تاريخ الطبري ٥٤/٦ .

(٢) البيزرة ص ٣٨ .

(٣) بلاد العرب ص ١٨٣ .

(٤) أسماء خيل العرب ص ١٣٧ .

(٥) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٤ .

(٦) السابق ص ٧٨٧ .

(٧) الوحشيات ص ١٨٨ .

(٨) معجم البلدان (شوزن) .

إنَّ الأقمّة من كُتمانَ قد منعتْ جَارَ ابنَ أخرمَ والمأنوسُ مَأيوسُ

وقول محمد بن الخطاب الكلابي[١] ، وهو يمدح عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

هُو الذي أودى وليداً في الوغى وشيبةَ جَرَّعَةُ كاسَ الرَّدَى

٣ ـ القوافي :

تعتبر القافية نهاية إيقاع البيت ، وبها يختتم الصوت ، فيكون آخر ما يعلق بالأذن فيستقر بها الوزن أو يضطرب ، ولذا كانت العناية بها أشد ، فعُمِل على أن تكون مناسبة لبحرها وموضوعها ، ليحصل الإنسجام ، وينتفي النشاز في الانسياب الصوتي " فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً ، وأعدَّ له ما يُلبسه إيّاه من الألفاظ التي تطابقه ، والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس له القول عليه ، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته ، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني ... وطلب لمعناه قافية تشاكله "[٢] حتى لقد صار " حظُّ جودة القافية وإن كانت كلمةً واحدة أرفع من حظ سائر البيت "[٣] .

إنَّ أول اهتمام بالقافية هو التَّمهيد لها بصوتٍ يسبقها ، ويؤذن بها ، وهو ما يسمى بـ " التّصريع " وقد التزمه كثير من الشعراء آخر كل شطر ، لما فيه من لحن إيقاعي يهيمنون به على الدفق النغمي لقصائدهم أو مقطوعاتهم ، ولذا فهم يتخلّون عنه بعد البيت الأول فإذا ما انتقلوا إلى موضوعٍ آخر ، أحسُّوا خفوتَ الصوتِ ، فعاودوه ثانية ، مُحدثين هزة إيقاعية تبين عن نقلة موضوعية ، وفي الشعر الكلابي كما في الشعر العربي عامة نجد أمثلة لهذا " التصريع " ، نجده عند معاوية بن مالك الكلابي ، في مفتتح قصيدته ، إذ يقول[٤] :

أَجَدَّ القَلبُ مِن سلمىَ اجتنابا وَأقصر بعد مَا شابتْ وشابا

ويقول زر بن أربد الكلابي[٥] :

بَانَ الخليطُ لنيةٍ فتصدعوا ورموا فُؤادكَ بِالفِراقِ فأوجعوا

---

(١) الزَّهرة ص ٥١٨ .

(٢) عيار الشعر ص ١١ .

(٣) البيان والتبيين ١١٢/١ .

(٤) المفضلية ١٠٥ .

(٥) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٣٢ .

وإذا ما نظرنا إلى الحروف المستخدمة رويّاً في قصائد الكلابيين فإن أول ملحوظة تلفت نظرنا هي استخدامهم لحروفٍ معينة لا تجاوز العشرة ، جاء غالب شعرهم عليها ، ولم يتعدَّوها إلى غيرها إلا لماما .

إن تلك الحروف المستخدمة هي : الراء والعين ، والباء والدال ، واللام والميم ، ثم النون، يتلوها القاف والياء .

وما استعمالهم لهذه إلا لأنها أطيب من أخواتها ذوقاً وصوتا " فالميم واللام أحلى القوافي لسهولة مخارجهما وكثرة أصولهما في الكلام من غير إسراف ، وروائعهما كثيرة ، والباء والراء والدال تليانهما ، والياء المتبوعة بألف الإطلاق كثيرة جداً ، وبخاصة في الطويل ، وأكثر اعتماد الشعراء في قوافيها على ياء المتكلم "[١] .

ولعل مما دعاهم لاتخاذ هذه الحروف روياً غالباً في شعرهم هو ملاءمتها لأغراض شعرهم " فالقاف تجود في الشدة والحرب ، والدال في الفخر والحماسة ، والميم واللام في الوصف والخبر ، والباء والراء في الغزل والنسيب ، وإنما هو قول إجمالي إذا صحَّ من باب التغليب فلا يصح من باب الإطلاق "[٢] .

إن تلك القوافي التي صارت مطايا ذللاً للشعراء الكلابيين قد أغنتهم عن القوافي النفر أو الحوش منها ، فلم تظهر الصَّاد إلا عصيّة ، وجاءت الزاي والشين ، والضّاد على ضعف واختفت الثاء والخاء والذّال والظّاء ، وفي أبيات قليلة أتت البقية .

وإنّ هذا ليدل على أن الشعر الكلابي يأتي وفق الطبع وما يمليه الذوق ، ولذلك تنوعت قوافيهم ، فجاءت مطلقة ومقيدة ، فمن المطلق قول عوف بن الأحوص الكلابي[٣] :

سَدَدْنَا كما سَدَّ ابنُ بيضٍ فلم يكُن سواها لذي أحلامِ قوميَ مَذْهَبُ

وقول معاوية بن مالك الكلابي[٤] :

رأيتُ الصدعَ من كعبٍ وكانوا منَ الشَّنآنِ قد صاروا كِعَابا

وقد جاءت قافيته مردوفة موصولة بمد .

أما القافية المطلقة المجردة من الردف والتأسيس الموصولة بالهاء فلم تظهر مستعملة في شعرهم ، لكنا نجد المردوفة الموصولة بالهاء بكثرة ، من مثل قول جمل الضِّبابية[٥] الكلابية :

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ٤٨/١ .
(٢) إلياذة هوميروس المقدمة ص ٩١ .
(٣) ديوان المفضليات بشرح الأنباري ص ٩١ .
(٤) تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٥١٠ .
(٥) معجم البلدان (منعج) .

تَظَلُّ لأبناءِ السَّبيلِ مُناخَةً　　على الماءِ يُعطى دَرُّهَا وَرِقابُها

وأتت القافية المؤسسة الموصولة بهاء الخروج في قول عبد عمرو بن شريح الكلابي[١] :

لحى ا للهُ وفدينَا وما ارتحلا بهِ　　من السَّوءةِ الباقي عليهم وبالُهَا

واستخدم يزيد بن الصعق الكلابي[٢] القافية المؤسسة الموصولة بالمد ، في قوله :

مَتَى عَقَلت عُليا هوازنَ مَذْحِجَاً　　كأنَّـا بَنُو أُمٍّ إليك توائمُ

ومن القوافي المقيدة نجد المجرد من الرِّدف والتأسيس في بيت نصر بن خرشبة الضِّبابي[٣]:

أَقتُلك اليومَ ونفسيْ تَعْلَمْ　　علماً يقيناً ليس فيه مرغم

ونفقد المردوف منها ، إذ لم يستسغها الشعراء الكلابيون ، لما بها من قطعٍ للنغم مع ثقلٍ في الأداء ، بينما ترد القافية المقيدة المؤسّسة في قول جحيفة الضِّبابية الكلابيّة[٤] وهي تُرقِّص ولدها :

وَهَـبْتَـهُ وأنـتَ خـيرُ واهِـبْ
من شيخِ سَوْءٍ يابسِ الرَّواجب
مُحَنَّبٍ مثـلِ الغُرابِ النَّاعب

إن هذا التنوع في قوافي الشعر الكلابي لَيبين عن فيض سمح في انثياله ، وهو فيض ناتج عن معاناةٍ طبيعية ، يُتَغَنَّى بها في لذة صادرة عن إحساس بوقع الكلمات ، حتى لم يعد قذفها بلا تبصر ، بل لما يُوحي به الترنم الذي جعل القافية تقفو ضرتها ، فتأتي بعد أن مُهِّد لها بكلمة من جنسها ، مما يزيد من قوة الإيقاع ، ويدفع للإنفعال وهو ما يسمى الترشيح كقول أبي دواد الرّؤآسي[٥] :

لِلَيلى خَيالٌ قلَّ ما يتعرَّجُ　　يُهيِّجُ من أحزاننا ما يُهيِّجُ

ويقول مربع بن وعوعة الكلابي[٦] :

---

(١) الأغاني ٢٨٨/١٦ .
(٢) المعاني الكبير ص ١٠٢٥ .
(٣) الفتوح لابن أعثم ٢١٧/٥ .
(٤) التعليقات والنوادر ٧٤/٢ .
(٥) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٧ .
(٦) لباب الآداب ص ٢٦٨ .

على حينِ خَلَّتناَ سُليمٌ وعامرٌ بجرداءَ زَادَتناَ على جَهدِنَا جَهدا

وما اهتمامهم بقوافي شعرهم بقاصر على ما سبق فقد أغراهم جمال اللّحن في أن يزنوا قوافيهم لتكون على صيغة واحدة ، تزيد من حلاوة الشدو ، كقول أحد الكلابيين[١] ، وقد أجدَّ ناقته لمعاذ بن الأقرع :

قُلتُ لها بالرملِ وهيَ تضبع رملِ عُقارٍ ، والعُيونُ هجَّع

بالسَّلعِ ذاتِ الحلقاتِ الأربع المعُاذَ أنتِ أم للأقرعْ

ويأتي تمام وزن القافية حينما تكون مردوفة موصولة بألف الإطلاق ، من مثل قافية ثعلبة ابن أوس الكلابي[٢] :

(نزيعا ، وجيعا ، سجيعا ، جميعا) .

وإذا كانت قوافي الشعر الكلابي ، قد حَسُنَت على العموم ، فإنها لم تخل من عيوب وهي عيوب لم تكن بِدْعاً لديهم ، فقد ظهرت في الشعر عامة ، وأبانها النقاد ، حتى عند أشهر الشعراء ، من مثل الإقواء الذي أُخذ على النابغة الذبياني[٣] في قوله :

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مغتد عَجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ

زعَمَ البَوارِحُ أنَّ رحلتنا غداً وبذاكَ خبَّرنا الغُدَافُ الأسودُ

إذ خالف في حركة الرَّوي ، وإن " كانت العرب ُ لا ترى الإقواء في البيتين عيبا "[٤].

ولم يسلم شعراء بني كلاب من الوقوع في هذا المحذور ، إذ ورد الإقواء عند خالد بن جعفر الكلابي[٥] في قوله :

تَرَكتُ نساءَ يَربُوع بنِ غَيظٍ أرامَل يشتكينَ إلى وليدِ

يَقُلنَ لحارثٍ جَزَعاً عليه لكَ الخيراتُ مالكَ لا تسُودُ

كما ورد عند القتال الكلابي[٦] ، إذ يقول :

سَأُعتبُ أهل الدّين مما يَرِيبُهُم وأَتبع عَقلي مَا هدى لي أَوَّلُ

---

(١) معجم البلدان (العقار) .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٩٧/١ .

(٣) ديوان النابغة الذبياني تحقيق كرم البستاني ص . الغداف : الغراب الأسود (أساس البلاغة) .

(٤) الأشباه والنظائر للخالديين ٥٥/٢ .

(٥) الأغاني ص ٩٤/١١ .

(٦) ديوان القتال الكلابي ص ٧٧ .

أوَ الْحَقُ بالعنقاءِ في أرضِ صَاحَةٍ أَوِ الباسقاتِ بين غَوْلٍ وغُلْغُلِ

ومن تلك العيوب : التضمين، وهو: " أن يأتي البيت لا يتم معناه إلا بالذي بعده "[١]، فيكون للقافية تعلّق بما بعدها ، كما في قول عبيد بن العرندس الكلابي[٢] :

يا دارُ بينَ كُلياتٍ وأظفارِ والحمَّتينِ سَقاكِ اللهُ من دارِ
على تَقادُمِ ما قد مرَّ من عُصُرٍ مع الذي مرَّ من ريحٍ وأمطارِ

وقول الخنجر الجعفري[٣] :

ومن يَرَنَا ونحنُ على قُنَيعٍ وجُردَ الخيلِ والجُحفَ المدارا
تمتْ عنّا حسيفتهُ ويُكرهْ قديماتِ الضَّغائنِ أن تُثارا

ومما تُعاب به القافية " الإيطاء " وهو : تكرار لفظة القافية ، في معنى واحد ، وما عيب إلا لدلالته على جدب الشاعر .

وللإيطاء وجود في شعر بني كلاب ، وممن وقع فيه الشاعر معاوية بن مالك الكلابي[٤]، فقد كرر كلمة " أجابا" فاصلا بينهما بستة أبياتٍ ، ولعل هذا مما يخفف الملام عليه ، وكذلك تكررت لفظة القافية في أبياتٍ لزفر بن الحارث الكلابي[٥] ، إذ كرر كلمة " الحباب " أربع مرات في تسعة أبياتٍ ، وقد يكون له في ذلك عذر ، فهو يرثي ابن الحباب هذا .

ولعلي بعد هذا الذي عرضت ـ استطيع أن أقول إنَّ الألحان الكلابية لا تشذُّ عن ألحان الشعر العربي .

---

(١) الوافي في العروض والقوافي للتبريزي ص ٢٥٨ .
(٢) الكامل للمبرد ١/٧٨ .
(٣) بلاد العرب ص ١٤٥ .
(٤) المفضلية ١٠٥ .
(٥) ديوان زفر بن الحارث الكلابي ص ٢٣٠ .

د ـ سمات البناء الفنّي

١ ـ مطلع القصيدة .

٢ ـ وحدة الموضوع .

٣ ـ الانتقال .

تمهيد :

إن كلمة "بناء " تلقي في أذهاننا أن هناك صنعة ، يسبقها الإمعان الفكري ، ويقيم أسسها الصانع المتقن ، ويلبسها طلاءها الحذق المرهف ، وما الشعر إلا صناعة تحتاج إلى صقل ، وجوهر يتعامل معه بدقة ورهافة ، فما كل أحد أدلى دلوه فيه بمغترف ، إلا من أصابه الإعياء بعد عطش ، يقول ابن طباطبا العلوي :

" .. فواجب على صانع الشعرأن يصنعه صنعة متقنة ، ... أي يتقنه لفظاً ، ويبدعه معنى ، ويجتنب إخراجه على ضد هذه الصفة ، فيكسوه قبحاً ، ويبرزه مسخاً ، بل يُسَوِّي أعضاءه وزناً ويعدل أجزاءه تأليفاً ويحسن صورته إصابة .."(١) .

وبالنظر إلى شعر بني كلاب نجد أن أطول قصيدة لديهم لا تتجاوز اثنين وثلاثين بيتاً ، بعضها يطابق معيار القصيدة عند ابن قتيبة(٢) ، وبعضها يخالف ولعل هذه المخالفة هي ما نبّه عليها ابن طباطبا وحمدها في قوله : " وينبغي للشاعرأن يحترز في اشعاره ، ومفتتح اقواله ، مما يتطير به ، أو يستجفى من الكلام والمخاطبات ، كذكر البكاء ، ووصف إقفار الديار ، وتشتت الأُلاف ، ونعي الشباب وذم الزمان ، لاسيما في القصائد التي تَضَمَّنُ المدائح أو التهاني ، وتستعمل هذه المعاني في المراثي ووصف الخطوب الحادثة .."(٣) .

ولم يخل شعر الكلابيين مما كره ابن طباطبا ، وتفصيل ذلك فيما يأتي :

١ ـ مطلع القصيدة :

إن أول قصيدة تلقانا لكلابي في المفضليات ، هي المفضلية الخامسة والثلاثون لعوف بن الأحوص ، ذات العشرين بيتا ، التي ابتدأها بالفعل الماضي المبني للمجهول ، ذاكراً الديار ، بعد رحيل اهلها وبقاء آثارهم بعدهم شاهداً عليهم ، من مثل حياض الماء المتهدمة التي تذكر بالجيران والأحبة ، ورسوم آثارٍ لا تبين إلا بعد كدّ ، وبقية حطبٍ في مصطلى القوم ، ثم ينتقل الشاعر إلى ذكر الحبيبة ، فيقسم لها بالبيت والمشاعر ، وشهر ذي الحجة ، وسوق الهدي ، أن يكون لها وفيا ما نبض فيه عرق ، يقول عوف(٤) :

---

(١) عيار الشعر ص ١٢٦ .

(٢) الشعر والشعراء ٧٤/١ .

(٣) عيار الشعر ص ١٢٦ .

(٤) المفضلية ٣٥ . إزاء : حافّة . مغنى : أي غنوا بما لديهم . رثاء : يرى بعضهم بعضاً . أذمك : أي لا أذمُّك . العفاء : الهلاك .

هُدِّمَتِ الحياض فلم يغادر ... لحوضِ من نصائبه إزاءُ
لخولة إذ هم مغنى وأهلي ... وأهْلُكِ ساكنُونَ مَعَاً رئاءُ
فَلاَياً ما تبينُ رُسُومُ دارٍ ... وما أبقى من الحَطَبِ الصلاءُ
وإني والذي حَجَّتْ قُرَيشٌ ... مَحَارِمَهُ وما جمعت حِرَاءُ
وشهر بني أمية والهدايا ... إذا حُبست مضرجها الدماءُ
أذمُّكِ ما ترقرق ماء عيني ... عليَّ إذاً من الله العَفَاءُ

ويبتدي عوف قصيدته الثانية البالغة ثمانية عشر بيتاً في المفضليات[1] ، بالفخر الذاتي الموجه للمرأةِ ، المشاركة فيه مفتتحاً فخره بواو رب مما يبين أن مقدمة القصيدة قد ضاعت فيقول[2] :

ومستنبحٍ يخشى القَوَاءَ ودونهُ ... من الليل بابا ظُلمةٍ وسُتُورُها
رفعتُ لهُ ناريْ فلما اهتدى بها ... زَجَرتُ كلابي أن يهرَّ عَقُورُها
فلا تسأليني واسألي عن خليقتي ... إذا رد عافي القدر من يستعيرُها
وكانُوا قُعُوداً حولها يرقُبُونَها ... وكانت فَتَاةُ الحي ممن يُنيرها
تَرِي أن قدري لا تزالُ كأنَّها ... لذي الفروة المقرورِ أمٌّ يَزُوْرُها

ولمعاوية بن مالك قصيدتان في المفضليات ، الأولى أبياتها اثنا عشر بيتا ، بدأها بذكر طيف المحبوبة الذي طرقه ليلا ، واهتدى إليه بين الرقود ، ثم يفتخر بإنتمائه إلى أماجد أوفياء، فهو يقول[3] :

طَرَقَتْ أُمامةُ والمزارُ بعيدُ ... وهناً وأصحابُ الرحالِ هُجُودُ
أَنَّى اهتديتِ وكُنتِ غير رَجِيلَةٍ ... والقوم منهم نُبَّهٌ ورقُودُ
إني امرؤٌ من عُصبةٍ مشهورةٍ ... حُشُدٍ لهم مجدٌ أشمُّ تليدُ

وجاءت قصيدته الأخرى في خمسة وعشرين بيتا ، كان مطلعها ، عن حب قد نضب معينة ، وخبا لهيب موقديه ، إذ كبرا فعدلا عن لهو الصبا ، فليس لهما الآن إلا الذكريات ،

---

(١) رواها صاحب الحماسة البصرية ٢٤٢/٢ في ثلاثة وعشرين بيتاً ، ونسبها لعوفٍ وغيره .

(٢) المفضَّلية ٣٦ . القواء : الخلاء من الأرض . عافي القدر : التارك فيها بقيةَ طعامٍ . ذو الفروة : السائل ، لم تمنعه شدة البرد من المجيء .

(٣) المفضلية ١٠٤ . حشد : جمع حاشد : وهو المجتهد في الضِّيافة .

ثم يذكر بعد ذلك حبسه الرواحل على الديار الخاوية ، ويحدد مكانها ، ويبين اختفاء رسومها، وصمتها عن الإبانة ، فيصف ناقته في بيت واحد وما إن يمضي بناقته حتى يشوقه الرجوع إلى أهله ، مُعَلِّلاً ذلك بطول سفره المدعى ، وقد استغرقت مقدمته تلك قبل ولوجه موضوعات أخرى احد عشر بيتاً ، وهي مقدمة طويلة ، تقارب نصف القصيدة وقد يدل هذا على أن بعض الأبيات قد ضاع ، مع تناقل الرواة لها ، يقول معاوية بن مالك الكلابي[1] :

أجدَّ القَلبُ من سلمى اجتنابا ... وأقصر بعد ما شابت وشابَا
وشابَ لِداتُهُ وعدلنَ عنهُ ... كما أنضيتَ من لُبسٍ ثيابا
فإن تكُ نبلها طاشت ونبلي ... فقد نرمي بها حِقَباً صيابا
فتصطادُ الرجالَ إذا رمتهم ... وأصطادُ المخبأةَ الكعابا
فإن تَكُ لا تصيد اليومَ شيئاً ... وآبَ قنيصُها سَلَماً وخابا
فإن لها منازلَ خاوياتٍ ... على نملى وقفتُ بها الركابا
من الأجزاعِ اسفل من نُميلٍ ... كما رجعتَ بالقلمِ الكتابا
كتابَ مُحَبِّرٍ هاجٍ بصيرٍ ... يُنَمِّقُه وحاذرَ أن يُعابا
وقفت بها القَلُوْصَ فلم تُجبني ... ولو أمسى بها حيٌّ أجَابا
وناجية بعثتُ على سبيلٍ ... كَأَنَّ على مَغَابنها ملابَا
ذكرتُ بها الإيابَ ومن يسافر ... كما سافرتُ يذَّكرِ الإيابا

ويبتديء أبو دوآد الرُّؤآسي قصيدته ذات الثلاثة والعشرين بيتا بنداء الديار الخالية ، التي يثير منظرها همّا وحزنا ، فقد تداولتها الرياح والأمطار ، هذه تطمس وتلك تجلو ، مُنتقلاً بعد ذلك إلى الفخر القبلي ، فهو يقول[2] :

يا دارَ عبلةَ بالعلياءِ من ظَلَمِ ... ما إن تبينُ مغانيها من القدمِ
هاجت عليكَ شُؤُوناً غير واحدةٍ ... وذكرتكَ بذحلٍ غيرِ مُنتَقَمِ

---

(١) المفضلية ١٠٥ . الكعاب : التي نهد ثديها . نملى : جبال متصلةٌ ، ليست بطوال ، في وسط ديار بني قريط الكلابيين (معجم البلدان) . محبِّر : محسِّنٌ لخطِّه . القلوص : الشَّابة من الإبل . ناجية : سريعة . مغابن: آباط وأرفاغ . ملاب : عطر أو زعفران .

(٢) منتهى الطلب ١٤٦/٥ . ظلم : جبل أسود لعمرو بن عبد بن كلاب (معجم البلدان) شؤون : مجاري الدمع . ذحل : ثأر . الدبل : تتابع الشيء . المنحب : المجد . أين : تعب ، أو هو : اسم مكان . الرّقم : جبال في ديار غطفان ، ويوم من أيامهم (معجم البلدان) .

أمست رهينةَ دهرٍ لا فِكـاكَ لها بين الريـاح وبين الدَّبـلِ والـديمِ
نحـن الـذين تحمـلنا على مـلاءٍ سـير المُنحبِ من أين إلى الـرقَـمِ

ويختلف مطلع قصيدته الثانية عن الأولى ، فقد افتتحها بخيال المحبوبة الـذي أرقـه ، وأرق معه الأصحاب يواسونه ، ثم يتذكر عهداً مضى ، وخلا كالظبا ، تصل وتصـرم ، ومـن تلـك يعتبر أن التفرق مآل كل أحد ، يقول[1] :

لليلى خيالٌ قـلَّ مـا يتعـرَّجُ يُهَـيِّجُ من أحزانـنا ما يُهَيِّـجُ
يُؤرِّقُ أصحـابي وبيـني وبينـها منَاكبُ رعمٍ فالنـباجُ فأخـرجُ
وعهدي بها ، والدارُ تجمعُ أهلها لها مُقلتا ريـم وخلقٌ خَـدَلَّجُ
كـأنا تـوافينا مـع الليل مُغزِلٌ من الأُدمِ جَماءُ المدامعِ عوهجُ

ثم يستطرد في وصف هذا الحيوان .

وقدم عامر بن الطفيـل الكلابـي إحـدى قصـائده بذكـر ديـار المحبوبـة ، ووصـف فمهـا وعينها، ثم بين أنها من قوم أعـداء قـد يعيقهـا ذلـك الوصـل ، غـير أن السـلام يكفيهمـا[2] وكانت تلك المقدمة في خمسة أبيات من اثنين وثلاثين بيتا ، وبقية قصائد عامر يباشـر غرضـه فيها ، فهو دائماً ممتط صهوة حصانه ، وفي همٍّ من أمر قومه .

وكانت بداية القَتَّال في أطول قصائده البالغة تسعة وعشرين بيتا غزلية ، تُنبيءعـن تجلـده أمام من صَرَمت ، وتحذيرها من سوء ما عملت ، ثم يطلب عطفها على شيخٍ نُهشـةٍ للمـرض قد قطعته إلى الشباب ، ثم يخرج من هذا الهم إلى المضي فيما هو أهم[3] ، واستغرقت مقدمته أربعة أبيات ، يعود بعدها إلى مخاطبة المحبوبة مُفْتَخِراً أمامها بذاته وأعماله ، ولا تختلف مقدمـة قصيدته الثانية عن هذه المقدمة ، فهو يطلب أن تبتَّ في أمره ، ويذكر ما يلاقـي مـن حبهـا ،

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٧ . رعم : جبل في ديار بجيلة (معجم البلـدان) النبـاج : نبـاج بـني عامر بحذاء فيد (السابق) . أخرج : جبل لبني كعب بن أبـي بكـر بـن كـلاب . (بـلاد العـرب ٢١٩) خدلج : امتلاء الذراعين والساقين . جماء المدامع : مغرورقة بالدمع . عوهج : طويلة .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٠٥ .

(٣) ديوان القتال ص ٤١ .

غير أنه يغادرها سريعاً بعد ثلاثة أبياتٍ إلى الظعائن ، ويعود مرة أُخرى إلى ذكر أخرى اسمها ليلى[١] .

والقصيدة الثالثة من مطولاته تبلغ ثلاثة وعشرين بيتاً ، بدأها بأطلال المحبوبة الدارسة ووقف عليها ناقته ، لا تبينُ له عن شيء ، إلا بعض آثار وحيوان ، ثم يعود ثانية ليشبه المحبوبة بالظبية التي استطرد فيها[٢] .

وفي مدحته لعبد الله بن حنظلة الكلابي التي بلغت عشرين بيتا استهلها بظعائن الحبيبة ووصف شبيهها من الظباء وَمُرَّ فراقه[٣] .

ويستبدل درّاج بن زرعة الكلابي[٤] الغراب بالناقة ، فيخاطبه باثاً شجنه ، معلناً تشاؤمه .

ويدعو طهمان بن عمرو الكلابي لديار ليلى بالسقيا ، ويأخذ في وصف ذلك المطر الذي يودُّه ، ذاكراً أثر الحب على نفسه ، وحفاظه على العهد ، وإن حطمته يدُ الدهر[٥] .

وأكثر قصائد بني كلاب لم يلتزم فيها بمقدمة ، وسبب ذلك عائد إلى أَنَّ همَّ النفس يدفعهم إلى مباشرة القول فيما يقلقهم ، وأكثر ما يكون ذلك في القصائد ذات الأبيات القليلة، من مثل ولوج عوف بن الأحوص إلى موضوع الحرب بلا تقديم ، وذلك لانشغال الذهن بأمر مهمٍّ يطغى على النفس فلا يقوى صاحبه على منع نفاذ ما يمور في الصدر ، وليس من حائلٍ بينه وبين ذلك ، وهذا يدل على أن عوف بن الأحوص يتحمل عناء الهم القبلي ، ويقدمه على الهم الذاتي ، وذا موحٍ بعاطفته القومية ، إذ يقول[٦] في حربٍ كانت بين بني كلاب وكنانة وبكر وقريش :

لما دَنَونا للقبَابِ وأهلها ... أُتِيحَ لنا ذئبٌ مع الليل فَاجِرُ

أُتيحَتْ لنا بكرٌ وتحتَ لوائها ... كَتَائبُ يرضاها العزيزُ المُفاخرُ

وجاءت قُريش حافلين بجمعهم ... وكان لهم في أولِ الدهرِ ناصرُ

---

(١) ديوان القتال ص ٧٣ .

(٢) السابق ص ٦٥ .

(٣) ديوان القتال ص ٦٨ .

(٤) النقائض ٢/٩٣٠ .

(٥) ديوان طهمان ص ١٩ .

(٦) المفضلية ١٠٨ . بكر : ابن كنانة .

إلى آخر القصيدة التي تدور حول ظهور العدو ، وتخاذل القبيلة .

وقد تستبد بالشاعر مشاعر فياضة ، فتلح عليه حتى يجد لسانه يفيض بما في قلبه ، فإذا الميسم يباشر وجعه ، والمراد يتبلج وضوحاً من أول وهلة ، فالحزين يلج به قرحه ، والفرح يطير به إهابه ،حتى يعلن أخباره ، فهذا أبو دوآد الرُّؤاسي الكلابي ، يقول[1] في يوم فيف الريح ، وإيقاعهم بالقبائل بلا تقدمة لموضوعه الفخري :

أَلاَ هل أتاكَ ما لقيتْ قَنَانُ ... وما لقيت ببلدتها صُداءُ

ومالا قت بَنُو الدَّيانِ منا ... غداة تَضجُّ بالخبر الثناءُ

أتانا أن بالخرماءِ منهم ... سَوَامَهُمُ ودون الفيف شاءُ

وعلى هذا المنوال تمضي القصيدة ، بدايتها ونهايتها سواء .

وقد تكون المقدمة محذوفة ، لضياعها مع ما ضاع من شعر الشاعر ، وخير دليل على هذا وجود الفاء العاطفة على مالا وجود له ، في أول أبياتٍ لشاعر عاش في عهد عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه ، اسمه : يزيد بن قيس بن الصعق الكلابي ، حيث يقول[2] :

فأبلغ أميرَ المؤمنين رسالةً ... فأنت أمينُ ا لله في النهي والأمرِ

وأنت أيمنُ ا للهِ فينا ومن يكُن ... أميناً لربِ الناس يسلم لهُ صدري

فلا تدعن أهل الرَّساتيقِ والقرى ... يُضيعُونَ مال ا لله في الأدُمِ الوفرِ

ومما سبق نتبين أن القصيدة الكلابية على نوعين : ما كان ذا مقدمة تباينت بين طلل وغزل ووصف للراحلة ورحلتها ، والغراب وخبره .

ومنشأ تلك المقدمة نابع من نفسية الشاعر ، فحين يكون في حالٍ من الأنس ، وتقر عينه بما يهوى تنبسط نفسه على أريكة الشعر ، تتدلى عليه أغصانه فيشم ويتذوق ، منتقياً من ثمارها أطايبها حتى يقدم لنا شيئاً من الترف الفني ، يعلن فيه عن مقدرة فنية ، وراحة نفسية أما حين يحزبه الأمر فليس لديه من الوقت ما يدعه ينتقي ويتمَهَّل ، وتلك هي القصائد التي خلت من المقدمة .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢/٧٨٤ . قنان : جدّ الحصين الحارثي ، يريد بنيه . صداء وبنو الدّيان : قبيلتان من مذحج . الثناء : الثّني والثّنيَّة من الإبل ما بلغ الخامس . الخرماء : كل رابية تنهبط في وهدة . الفيف : فيف الريح : أرض واسعة بين عامر ومذحج .

(٢) الأوائل لأبي هلال ١/٢٤٧ . الرّساتيق : جمع رستاق : وهو السّواد والقرى .

٢ - وحدة الموضوع :

المقولة التي يرددها بعض النقاد من أن القصيدةَ الجاهلية متعددةُ الموضوعات جعلتهم يتناسون الرابط النفسي بين معانيها ، محاولاً المعتدل منهم تعليل ذلك التباين ، مغفلاً بعضهم ما للقصيدة العربية من منهجٍ استقر في الأذهان على مدى الأزمان ، ينبيء أوله عن متنه ، ويوميء ختامه إلى سابقه ، ويضم متفرقه الشعور الكلي ، وهذا ما جعل ابن قتيبة يذكر مقولته المشهورة : " وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مُقصِّد القصيد إنما ابتدأ فيه بذكر الديار ..."(١) لأنه يرى في هذا رابطاً بين أجزاء القصيدة ، ثم ذكر أن جودة الشعر في أتباع هذا المنهج والعدل بين الأقسام ، وقال بعد ذلك " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدِّمين .."(٢) وهذا يبين أن للقصيدة العربية مثالاً يحتذى ، من خالفه فقد قصَّر .

إن المفضلية الخامسة والثلاثين لعوف بن الأحوص قد بُدئت بالأطلال التي أفضت إلى ذكر الحبيبة ، ثم أقر بالحكم على نفسه ، وطلبه من غيره ، وقدم ابنه في سبيل ذلك ، ثم أشار إلى تساويهم مع الناس ، ونوّه ببعض الملوك ، مورداً أسماءهم ، مقارناً بين خصومه للتقليل من شأنهم ، وبين هؤلاء الملوك ، مفتخراً بعد ذلك بالمجد الموروث ثم هازئاً متهكما بالعدو ، وانتقل للحرب وعدتها ، تنقطع بعد هذا القصيدة بلا خاتمة ، غير ان الجو النفسي العام للقصيدة يهيمن عليها ، وهو القلق في الحياة الخاصة والعامة ، مما جعله ينثر مكنون نفسه وهمها . وفي قصيدته التالية للماضية يبدؤها بذكر النباح في ظلمة الليل وشب النار ، والطواف حول القدر وذبح النوق ، كل هذا في مجال فخره بنفسه ، خاتماً ذلك بالحكمة ، منتقلاً منها للهجاء في بيت واحد ، ثم يعود للفخر ، ومنه يعاتب من حقدوا على قومه والجأ من ذلك للفخر بهم ، منوها برجالهم متبرئاً من غيرهم ، ذاكراً وفاءه بأخوة القبيلة (وهم كعب) ذاكراً اشتراكه في يوم عنيزه ، خاتماً القصيدة بالحكمة .

والحق أن الأبيات متعددة الجزئيات ، غير أنها تصب في منحى الفخر الذاتي ودور الشاعر في قيامه بواجب الفرد تجاه قبيلته ودافع الانتماء إلى إذكاء الرجولة ، وإيجاد لوازمها .

ومعاوية بن مالك الكلابي يصرف قصيدته الرابعة بعد المائة من المفضليات للفخر القبلي عدا بيتي المقدمة في طيف المحبوبة ، وبيتي الخاتمة في تخصيص ذاته بالكرم ، باسلوب الحوار مع زوجته .

---

(١) الشعر والشعراء ١/٧٤ .

(٢) السابق ١/٧٤ .

وقصيدته الأخرى التالية للسابقة يبدؤها بذكر الشيب بعد الصبا ، حين كان هو وخدنه مثالاً للحب ، ثم يذكر خواء الديار ، ويشبهها بنمنمة الكتاب ، ووقوفه عليها ، ثم يصف ناقته بالسرعة وطيب الرائحة ، بعد هذا ينتقل لِهَمِّ القبيلة ويفخر بذاته ثم بقومه .

وأبو دوآد الرُّؤاسي يركز على ذكر حروب قومه وأيامهم ، فقد أشغلته عن الإلتفات لنفسه .

في الأولى من قصائده البالغة ثلاثة وعشرين بيتا[١] ، قدم لها بذكر دار عبلة ، وكان تقديمه تقديم العجل إلى شفاء النفس من المراد المتلهف إليه ، إذ لم يجاوز ثلاثة أبيات ، انتقل بعدها مباشرة إلى الفخر بقبيلته مبيناً أساليبهم وعتادهم ، ذاكراً القبائل التي شاركت في الحروب ، ولم يختمها بخاتمة متميزة ، غير طلبه من مخاطبه أن يسأل عنهم سلولا ، فسينبؤه بأفعالهم .

وفي الثانية كان طيف المحبوبة تقديماً لها ، لكنه هذه المرة أطال ، إذ استغرقت المقدمة ثمانية أبيات ما إن أتمها حتى أطبق الضيق على نفسه ، فانبرت مسرعة لتلج إلى غمار المراد بلا تمهيد ، إذ يقول[٢] :

فَكُلّ جميعٌ صائرٌ لِتَفَرقٍ وكُلُّ جديدٍ لا محالة مُنهَجُ

ونحن منعنا بطنَ وَجٍّ وحائلٍ وأُبلي من الأعداء حتى تفرَّجُوا

وختمها بالفعل المضارع المؤكد لحدثه ، فقال :

سَيخبر عن أيامنا وبلائنا وشداتنا في الحرب حِدجٌ وحَنْدَجُ

وكانت قصيدته الأخيرة موجهة لموضوع واحد من أول أبياتها إلى نهايتها ، إذ تحكي وقعتهم بمذحج في يوم فيف الريح .

واقتصرت قصيدة يزيد بن قيس بن الصعق الكلابي التي وجهها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على شكوى العمال ، وكانت البداية تذكير الأمير برسالته تجاه الله وخلقه ، ثم أخذ ذكر العمال وعيوبهم ، وخصَّ كل شخص باسمه مفصِّلاً كلَّ شيء ، فقد ذكر الألقاب والمهن ، والأدلة المدينة لهم ، وختمها بالإستفهام التعجُّبي فقال[٣] :

---

(١) منتهى الطلب ١٤٦/٥ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ٧٨٧/٢ . منهج : صائر نهجاً يسلك .

(٣) الأوائل لأبي هلال ٢٤٩/١ .

نَؤُوبُ إذا آبُوا ونَغزُو إذا غَزَوا فَأنّى لهم وفرٌ ولسنا ذَوِي وَفرِ

و لم تخل القصيدة الأموية من تعدُّد موضوعاتها فالقتال الكلابي يذكر في قصيدة[1] له - قالها بعد قتله صاحب السجن وفراره منه - " أميمةً " ويبغي منها جلي الأمر في شأنهما ، ثم يذكر ظعنها ، والإبل التي تسير مسارها ، والشباب حولها ، ولا ينسى الإفصاح عن أثر ذلك في نفسه فيذكر إنهمار دموعه لهذا المنظر ، ثم يكشف عن امرأة أخرى اسمها " ليلى " لها نار تُشب وريح تزكو ، ووجه كوجه الأدم من الغزلان ، غير أن دونها أرضٌ موحشة ، وفي ثمانية أبياتٍ - كانت نهاية القصيدة ، بعد عشرين بيتا - يذكر موضوعه الذي أنشأ من أجله قصيدته ، وهو السجن ، وقتل حارسه .

وفي بعض قصائد بني كلاب مقدمات نفسية تشير إلى موضوع القصيدة قبل ذكره فلقد استهل دَرَّاج بن زرعة الكلابي قصيدته - التي يُظْهِر فيه خوفه من ضعف قومه أمام عدوهم، واستكانتهم لمطالبهم - بذكر الغراب الذي عُرِف بأنه قرين الشؤم ونذير الشر ليمهِّد به لمراده، وعدم ثقته في تعاملهم مع أندادهم ، إذ يقول[2] :

ألا يا غُرابَ البينِ أسمعتَ فَاربَعْ وطر بالذي قد حُمَّ ويحكَ اَوْقَعْ

فَطَارَ بتحقيقٍ وجُدْتُ بِعَبرةٍ أَتَاهَا رشَاشُ العينِ من كُلِّ مدفع

ثم يأسف على الماضي ، ويذكر الظعائن ، حتى إذا ولج موضوعه بدأ بالسلام ، وفخر النفس ، إلى أن قال :

فلا تخشَعُوا للقَومِ من خشية الرَّدَى لِكُلِّ امرئٍ يوماً حِمامٌ ومَصرَعْ

وإني لأخشى من رجالٍ تِركتُهُمْ ورائي أن يُعْطُوا الذي كُنتُ أَمنَع

فإن يكُ ظني بالحجازي صادقي يَقَاتِلهُمُ فرداً ولا يتخشع

ويسقهم كأساً من الموتِ مُرَّةً كَمَا قد سَقَوْهُ مِثلها فتضلع

ويختمها بذكر السجن وهوله ، وبهذا تصب القصيدة في منحى واحدٍ ، متخذاً قائلُهَا من المقدمة تبياناً نفسياً عن مضمون القصيدة ، وإشارة لمّاحَةً إلى المراد قبل تفصيله .

ويشير عمرو بن حسَّان الكلابي في مقدمته إلى أثر فقد الخليل على نفسه ، قبل أن يعزي فيه ويرثيه ، فتكون تلك المقدمة خير مدخل منبيء عن شعور كامن ، وموضوع قادم ،

---

(١) ديوان القتال ص ٧٣ .

(٢) النقائض ٢/٩٣٠ . اربع : ارتفع .

وبهذا يحصل حسن التجانس بين الرأس والمتن ، وتكون المفارقة بينهما معدومة يقول عمرو[١] :

كَأَنَّ العينَ حينَ تُريدُ نَوماً طَريفٌ أو بِفُلْفُلَةٍ كحيلُ
أعاذلَ أَقصري عن بعضِ لومي فَإِنَّ اللَّومَ محملُهُ ثقيلُ
وقُولي : لا أَلُومُكَ أو تنحَّيْ وقد يُعصى وإن نُصح العذولُ
أعاذلَ إِنَّ صبري عن عُميرٍ لتجميلٌ وما ذهبَ الغليلُ

وعلى هذا المنوال تكون القصيدة لدى بني كلاب ، فحين تتعدد موضوعاتها ، يتحد شعورها وإذا ما اتحد موضوعها دلّ ذلك على بؤرة الهم لدى الشاعر .

٣ ـ الانتقال :

من الشعراء من يصلك بمعانيه ، بأسلوبٍ لا تحس معه باختلاف بينها ولا فرقة ، إِنَّه يحسن الربط ، لتنساب المعاني والموضوعات ، يتفتّق بعضها عن بعض ، وتشكل كياناً واحدا ووصلاً متآلفاً ، لا تشعر معه بنبوة .

ومنهم من ترى قصيدته مقسَّمة بوضوح جلي ، من خلال الفواصل البينة بين الموضوعات ، وعدم الربط الخفي ، و انتفاء سلاسة النُّقلة بين المعنيين.

إنّ من دلائل إحكام الشاعر لشعره هو تميزه بالوصل بين المتناقضات ، ودمجه للمختلف من الموضوعات ، ولقد عقد ابن طباطبا العلوي باباً في كتابه " عيار الشعر " تحت عنوان " التخلص "[٢] أورد فيه أمثلة من شعر العرب ، قديمهم وحديثهم ، مما يدل على أَنَّ هذا من معايير الشعر العربي .

و لم يكن عوف بن الأحوص ممن يهتمون بحسن التخلص ، فقد انتقل من ذكر حُبِّه ووفائه الخاص إلى ذكر وفائه العام انتقالاً مباشراً بلا رابط ، فقال[٣] :

وإنّي والذي حَجَّتْ قريشٌ مَحارِمَهُ وما جَمَعَتْ حِراءُ
أَذُمُّكِ ما تَرقرق ماءُ عيني عليَّ إذاً من ا لله العفاءُ
أُقِرُّ بحُكمكم مادمتُ حياً وألزمُهُ وإن بُلغ الفَناءُ

---

(١) الأشباه والنظائر للخالديين ٣٥٣/٢ . طريف : صيغة مبالغة من طرف الرمش إذا تحرك .

(٢) عيار الشعر ص ١١٥ .

(٣) المفضلية ٣٥ . أذمك : أي لا أذمك . العفاء : الهلاك .

ووافقه في ذلك معاوية بن مالك الكلابي إذ كان انتقاله إلى الفخر بقومه بعد ذكر الحبيبة بلا واسطة ، غير أنَّ ما يخفف تباين الموضوعين أنَّهما يصبان في ما يصح أن نطلق عليه " اتحاد الموضوعات " إذ يعبران عن ذات الشاعر في أحوالها المتعددة ، إنَّه يقول(١) :

طَرَقَت أُمامَةُ والمزارُ بَعِيدُ ... وهناً وأصحابُ الرِّحالِ هُجُوْدُ
أَنّي اهتديتِ وكُنتِ غيرَ رَجيلةٍ ... والقومُ مِنهم نُبّهٌ ورُقُوْدُ
إِنّي امرُؤٌ من عُصبةٍ مشهورةٍ ... حُشُدٍ ، لهم مَجدٌ اشمُّ تليدُ

والملاحظ أنَّ معاوية بن مالك يتخذ من إنَّ وإذا وإذ منهجاً يبدأ بها غالب أبياته .

وما أبو دوآد الكلابي بمنأى عن سابقيه ، فقد ذكر الدار الخالية ، ثم تركها فجأة إلى الفخر القبلي فقال(٢) :

يا دار عبلة بالعلياءِ من ظلم ... مَا إن تبينُ مغانيها من القِدَمِ
هَاجت عليكَ شُؤُوناً غير واحدةٍ ... وَذَكرتكَ بذحلٍ غيرِ منتقِمِ
أمست رهينة دهرٍ لا فِكَاك لها ... بين الرياحِ وبين الدبلِ والديمِ
نحنُ الذين تحملنا على ملأٍ ... سير المُنَحَّبِ من أين إلى الرَّقَمِ

وفي قصيدةٍ له أخرى استهلها بالغزل الذي ختمه بالحكمة الفاصلة بين المقدمة والمتن من غير أن يصل بينهما بأدنى سبب ، إذ يقول(٣) :

فإن تكُ أَضحت بعد ساكنِ غِبطةٍ ... بها العِيْنُ ترعى والظَّليمُ السفَنَّجُ
فَكُلُّ جميعٌ صائرٌ لتفرُّقٍ ... وكُلُّ جديدٍ لا محالةَ مُنهَجُ
ونحن منعنَا بَطْنَ وَجٍّ وحَائلٍ ... وأُبلي من الأَعداءِ حتى تفرَّجُوا

واتخذ أبو دؤآد ضمير المتكلمين وسيلة للإنتقال بين جوانب موضوعة(٤) ، فكان الضمير " نحن " بداية لفخره بتحملهم ، ثم بداية للمباهاة بأنهم أهل بضيع ، ثم كان مقدمة لذكر تفوقهم على وثّاب .

وظهر حسن التخلُّص من موضوعٍ لآخر عند عامر بن الطفيل الكلابي ، إذ قَدَّم لقصيدته ذات الإثنين والثلاثين بيتاً بحبٍّ تشوبه العوائق ، إذ أَحبَّ أبناءُ الأعداءِ بعضَهم ثم

---

(١) المفضلية ١٠٤ . حشد : مجتهدون في الضيافة .
(٢) منتهى الطّلب ١٤٦/٥ . ذحل : ثأر . الدبل : تتابع الشيء . المنحب : المجد . أين : إعياء .
(٣) طبقات فحول الشعراء ٧٨٧/٢ . السَّفنَّ ج : السريع الحركة لخفته . مُنهج : مسلوك . وج : في الأصل مج وهو واد قريب من الطائف . أُبلي : أُفني . تفرّجوا : تكشّفوا منهزمين .
(٤) منتهى الطلب ١٤٦/٥ .

عاقتهم الحروب عن الوصال ، متخذاً من هذه الحرب العائقة سبيلاً للدخول في غرض الفخر، فلو علمت المحبوبة فعل القوم غداة الروع لأعجبت بهم ، ووصلت ابنهم ، فهو نسل كرامٍ أبطال ، أبادوا الأنداد ، ويمضي على هذا النسج في إيراد أيامهم وتسمية أعدائهم يقول عامر(١) :

وإذ قومي لأُسرتها عدوٌّ ... لتُبلي بينها سَجْلاً وَخَاما
فإن يمنعكِ قومُكِ أن تبيني ... فقد نغنى بعارمةٍ سَلاَما
فلو علمتْ سُليمى علم مثلي ... غداة الروع واصلتِ الكرامَا
تركنا مذْحِجاً كحديثِ أمس ... وأرحبَ إذ تُكَفنهم فئاما

لقد جعل تمني علمها بأخبارهم سبيلاً للتخلص منها ، والتسلُّل إلى ذكر القبيلة والإشادة بأفعالهم ، فكان الإنتقال من محبٍّ إلى أحبٍّ .

وكانت واو العطف سمة بارزة في بداية أبيات عامر بن الطفيل ، تليها الفاء .

وحاول القتال الكلابي أن يخلص من المقدمة إلى ذكر الذات بما لا ينبيء بافتراق بينهما ، فكان ذكره لحاجات النفس صارفاً له عن حبٍّ تنكر له ، فما كان له أن يجهر بالقطيعة من جانبه فوارى ذلك بحاجاتٍ طرأت ، ما له حيلة في دفعها ، فهو يقول(٢) :

يا ظبيةً عطفت لآدمَ شادِنٍ ... هلا أويتِ لقلبِ شيخٍ مُقصَدِ
فإذا أرادَ الوصلَ لا تصلينهُ ... ووصلتِ أصحابَ الشبابِ الأغيدِ
وتطربتْ حاجاتُ ذبٍّ فاضلٍ ... أهواء حبٍّ في أُناسٍ مصعدِ
حضروا ظلال الأثل فوق صعائدٍ ... ورموا فراخ حمامِهِ المتغردِ
أشميل ما يُدريكِ أن ربَّ آجنٍ ... طامٍ عيالُهُ مَخوفِ المرصَدِ
جاهرتُهُ بزمامِ ذاتِ بُرايةٍ ... وحدي سوى أجدٍ وسيف مُفردِ

وكان انتقاله في قصيدة أخرى غرضها المدح انتقالاً ظاهراً يدل على خشونة ، إذ استخدم عبارة معهودة متداولة ، تبت في الشيء وتصرمه ، هي جملة " دع ذا " فبعد أن ذكر ظعن المحبوبة التي تشبه الظبية ، إنصرف عن هذا في عجلةٍ واشمئزاز ، فقال :

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٠٧ . سجل وخام : دلو عاقبتها وخيمة . عارمة : من منازل بني قشير بن كعب بن ربيعة (معجم البلدان) .

(٢) ديوان القتال ص ٤١ . آدم : أبيض يميل للحمرة . شادن : ابن الظبية إذا ترعرع . مقصد : مُستهدف بالقتل . ذبّ : قلق . صعائد : نياق . ذات براية : ناقة بها بقية بعد بري السفر لها . أجد : ناقة قوية .

ظعنتْ قَطَاةُ فما تقولك صانعا وقعدتَ تشكو في الفؤادِ صَوَادِعا
وكأنها إذ قربت أجمالها أدماءُ لم تُرشح غزالاً خاضعا

حتى إذا ما أخذه الاستطراد في وصف الغزال ، نفض يده من ذلك في ضيق عن طريق فعل الأمر والإشارة المنبئة بالعياف[1] فقال :

دع ذا ولكنْ حَاجَتِيْ من جعفرٍ رجُلٌ تَطَلعَ لـلأُمُـورِ مَطَـالعا
يهنَا ابنُ حَنظلةَ الثنـاءَ يُتِمُّهُ قـدماً ويبنيـه بنـاءً رافـعـا

وظهر نموذج التخلّص القاسي عند عُبيد بن العرندس الكلابي ، مستبد لا جملة "دع ذا" بأداة الإضراب ، التي تقطع ما قبلها عمّا بعدها ، ومع هذا تدل على ذات صلبة جسورة لا تتردد في الإفصاح حتىولو كان نقد الذات ، فهذا عبيد يعيب فرط الحب في البكاء على الخل زارياً على نفسه التي أفنت شبابها في إراقة دمعها ، وتخلّت عمّا هو أمتع إلى ما هو أجدى يقول عبيد بن العرندس[2] :

فيهنَّ عَثْمَـةُ لا يَمْلَلْنَ عِشرَتها ولا علمنَ لها يوماً بأسرارِ
إذ يحسبُ الناسُ أن قد نِلتُ نائلها قِدماً وأنتَ عليها عاتبٌ زارِ
بل أيها الراكبُ المفني شبيبتهُ يبكي على ذاتِ خلخالٍ وإسوارِ
خبرٌ ثناءَ بني عمروٍ فإنهمُ أُولُو فُضُولٍ وأنفالٍ وأخطارِ

وإذا كانت " بل " مهدت لفعل الأمر " خبر " فإنها استتبعت جانباً من المقدمة ، غير أن هذا الجانب مشعرٌ بالأسف على ما فات ومؤذنٌ بقطع ما لا يرتجى .

وفي بناء القتال لقصائده يحرص على إيراد الأسماء ، غير أن الملفت للنظر هو تكراره للإسم الذي يورده ، ليلفت المنادى إلى شيء يودُّ منه وعيه ، مثال ذلك قوله[3] :

صَرَمت شُميلةُ وجهةً فتجَلَّدِ من ذا يقولُ لها علينا تَقصِدِ
أَشُمَيلَ ما أدراكِ إن عاصيتني أَنَّ الرشادَ يكونُ خلفكِ من غَدِ
أشُميلَ ما يُدريكِ أن رُبَّ آجنٍ طامٍ عيالُهُ مَخُوفِ المرصَدِ
جاهرتُهُ بزِمامِ ذاتِ بُرايةٍ وحديْ سوى أُجدٍ وسيفٍ مُفردِ
أَشُميلَ لا تسأليني بك وأسألي أصحابَ رحليْ بالفلاةِ الصَّيهدِ

---

(١) ديوان القتال ص ٦٨ . تُرشح غزالاً : تُدرِّبه على المشي . جعفر : أي بني جعفر بن كلاب .
(٢) الكامل للمبرد ٧٩/١ .
(٣) ديوان القتال ص ٤١ .

ويقول من قصيدة أخرى[١] :

أُميـمَ اثيبـي قـبلَ جِـدِّ التـزيُّلِ أثيبـي بوصلٍ أو بصرمٍ مُعجـلِ
أُميمَ وقد حُمِّلتُ ما حُمِّلَ امرؤٌ وفي الصرمِ إحسانٌ إذا لم يُنَـوَّلِ

ويحل ليلى بدل أميم ، فيكررها عدة مرات ، وقد يدل هذا على أن الأسماء مستعارة ، كما يدل على المعاني النفسية المحتملة لهذا التنويع ، وقد يكون الشاعر متأثراً بأسماء لها دلالات رمزية أو أسطورية ، وربما أراد جنس المسمى دون ذاتٍ محددةٍ ، ومن هذا يبينُ تعلقه بالمرأة .

وخلص جامع بن عمرو الكلابي إلى موضوعه بطريقة لا تشعر بالتحول ، بل إنك لتجد نفسك في موضوعه الأصلي فجأة ، بعد مقدمةٍ تنسابُ بك في تؤدةٍ لتفضي إلى المدح في رفق ، فقد وصف الشاعر الإبل الرواحل ، حتى إذا ما ذكر كللها بعد سفر ، اتبعه بمن يتلقاها على الحياض يرويها الماء ، إنه ذلك الممدوح الذي احتل بقية القصيدة في تتابع صفاته يقول جامع[٢] :

تَعالى بأيدٍ ذارعاتٍ وَأَرجـلٍ مُنَكَّبَةٍ روح يخـدن بنا وخـدا
سعالي ليلٍ ما تنامُ وَكُلِّفَتْ عشيةَ خمس القوم هاجرةً صخدا
وجئنَ يُنازعنَ الأزمةَ مُقدِماً محاويقَ قد لاقتْ ملاويحُها جَهدا
إلى طامياتٍ فوقها الدِّمنُ لم نجد لهنَّ بأورادٍ ولا حاضرٍ عهدا
فشنَّ عليها في الإزاءِ بِسُفْرةٍ فتى ماجدٌ تُثني صحاباته حَمْدَا

ولم يكن أسلوب التخلص الجلف بدعاً عند بني كلاب ، فقد ورد عند زهير بن أبي سلمى المزني في مطولته[٣] ، كما ورد عند الأعشى في قصيدته اللامية[٤] ، والتي هي ضمن القصائد العشر .

---

(١) ديوان القتّال ص ٧٣ .

(٢) شرح شافية ابن الحاجب ص ٣٤٩ . ذارعات : تمد الذراعين في المشي . منكبة : جاعلة الديار وراء منكبها . روح : مباعدة بين رجليها في العدو . يخدن : يرمين بقوائمهن حين السير . صخد: محرقة . مُقْدِم : قائد الإبل . محاويق : أي أهلكها السَّفر . ملاويح : عطشى . شنّ : أخذ في سقيها . الإزاء : مصب الماء . سفرة : وقت الإسفار .

(٣) السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري ص ٢٣٥ .

(٤) شرح القصائد العشر للتبريزي ، تحقيق قباوة ص ٤٣٣ .

والملاحظ في بناء القصيدة الكلابيـة عـدم التقيـد بافتتاحيـة معينـة ، وإن وجدنـا عندهـم المعهود من المقدمات .

وقد نعلل خلو بعض قصائدهم من بدايةٍ تقليدية بفقدانِ بعض أشعارهم أو مباشرتهم لما ألحّت عليهم به نفوسهم .

كما كان الاستطراد في وصف الظبي (شبيه المحبوب) سمة ظاهرة ، ورأينا ذلك عند أبي دؤآد الكلابي ، وعند القتال .

ونجد أن الوحدة الشعورية تَحُلُّ حين تُفْتَقَدُ الوحدة الموضوعية .

وأمر جليٌّ يبدو في شعر بني كلاب ، وهو أن غالبَ القصـائد مـن المقطوعـاتِ القصـيرة التي فرضتها عليهم طبيعة أنفسهم وحياتهم .

ونخلص إلى القول : إنَّ بناء القصيدة لدى بـني كـلاب لا يختلـف كثـيراً عَمَّـا عُـرِف في القصيدة الجاهلية ، فتعدُّد الموضوعات واضـح ، والوصـل بينهـا حسـب نفسـية الشـاعر ، قـد يكون وقد لايكون .

الفصل الثاني

الدراسة الفنية من حيث المضمون

أ ـ سمات المعاني .

ب ـ السمات الشعورية .

أ ـ سمات المعاني :

١ ـ الواقعية .

٢ ـ الجِدَّة والتَّفَرُّد .

تمهيد :

كانت قبائل الجزيرة العربية تتنقَّل بين رياضها شاتيةً ، فإذا ما استهلَّ عليها الصيف عزَّزت الأطناب ، مقيمةً حول الآبار ، أو بقايا الأمطار ، السماء مرعى عيونهم ، والأرض مِتَع نفوسهم ، إذا ما السحاب نشأ نشع أرواحهم ، وإذا ما تساقط قطره ، تهللت بالبشرى وجوههم ، قد غنيت الوهاد والتلال بالأعشاب ، واخضرت الأشجار ، فتزاحم النزل ، وتجاور البعد ، وتعارفت الأرواح فنشأت صداقات ، وتناكرت أرواح ، فتقاتلت وكانت بينها الأيام مداولات ، وإذا ما نفض الجمع كانت الناقة ممتطى الفرد ، ونزهة النفس يمرضون فيتألمون ، ويموتون فيتأثرون ويَرْثُون ، أناس طبعتهم الفطرة بطابعها ، وجعلتهم الصحراء أحياء السمع والفؤاد ، الوضوح منهجهم ، وما تلقفت آذانهم نغم أصواتهم ، وما كان وعي قلوبهم شَدَتْ به حناجرهم ، وما قدحت فيه عيونهم ورى به زناد قولهم .

كل هذا يظهر لنا بيئة بينة الخصائص ، تتبدَّى سمات معانيهم من خلال أشعارهم .

وما بنو كلاب إلا جزء من تلك القبائل ، حتى وإن سكنوا المدن وزرعوا القرى ، فقد بقي أثر الصحراء ، فما اندثرت عادات الأجداد وما برحت تقاليدهم عالقة بالنفوس ، وناضحة بها الأشعار .

وسأحاول فيما يأتي أن أتبيَّن ما تميزت به معانيهم ، وأن أسوق أهمَّ الظواهر التي بدت في عموم أفكارهم ، وذلك من خلال أشعارهم .

١ - الواقعية :

إنّ استمداد الشاعر الكلابي معانيه من بيئته التي كنفته وترعرع في أحضانها قد أكسب تلك المعاني صفة الواقعية ، لأنّ منزعها من واقع مشهود ، وليست مثالية متخيلة فمعاني القصيدة الكلابية لها صلة قوية بالإنسان والحيوان ، والطبيعة ، والمكان ، بل إن الدقائق الجزئية، لتبدو بها ألفاظ الشاعر جلية ، يقول عوف بن الأحوص الكلابي[1] :

وَمُستنبحٍ يخشى القَواءَ ودُونهُ ... من اللّيل بابا ظُلْمةٍ وسُتُورُها
رفعتُ لهُ ناري فلمَّا اهتدى بِها ... زجرتُ كلابي أن يَهِرَّ عَقُورُها
فلا تسأليني واسألي عن خليقتي ... إذا ردَّ عافي القدرِ من يستعيرها
وَكَانُوا قعوداً حَولها يرقُبُونَهَا ... وكانتْ فتاةُ الحيِّ ممنْ يُنيرُهَا
تَرَي أنّ قدري لا تزالُ كأنّها ... لذي الفَرْوَةِ المقرُورِ أُمُّ يَزُوْرُها

يزخر هذا الشعر بمكوِّناتِ البيئة ، ويكشف عن شخوصٍ متعدِّدةٍ ، فهذا كلبٌ نابح وذلك رجل يستنبح ، وتلك أستار البيت ، وهذه نار مشبوبة ، وكلاب عقورة ، وضيف قادم، ومضيف باش ، وامرأة تتحرَّى الزوج المثالي ، وَقِدر تُعار ، وتوقد تحتها النيران ، قد تحلَّق حولها القوم ، يصطلون ويستنظرون ، والفتاة تدير نارها تسعرها وتوقد مشاهيبها ، إنّها قدر ذا شأن قد عرفت بأنّها موئل المحتاج .

لقد بدى في تلك الأبياتِ الإنسانُ في حالات نفسية معينة منها ، وحين يشرئب للخير ، أو يتعامل مع الحيوان .

كما ظهر الحيوان قاهراً ومقهوراً . وكشفت لنا الأبيات أيضاً عن عادات الإستضافة والضيافة ، وكيف أن المرأة كانت باعثاً على النبل الأخلاقي ، ودافعة الرجل إلى المكارم ليفوز بنظرة إعجاب منها ، حتى قدر الطبخ ذُكِر والفتاة التي تقوم عليه لم ينسها الشاعر واللباس وحالة الطقس لم يغفلهما ، وعموماً فهو ينقل ما تسقط عليه عيناه ، دون أن يستهين بشيء من سقط المتاع ، وهذا دليل صدق الشاعر ، وقوة المشاعر ، كما يُظْهِر هذا بساطة الحياة ، وفطرة الأحياء .

---

(١) المفضلية ٣٦ . القواء : الخلاء من الأرض . عافي القدر : بقية ما طُبخ فيها . ذو الفروة : السائل ذو الجعبة يضع فيها ما يجد . المقرور : من اشتد عليه البرد .

ومن الواقع كشفُهم لدواخل النفس ، وإظهار أسرارها ، وما كان ويكون بين الزوجين من حبٍّ مستور وتخاطب نفسي مكنون ، كقول الأعور بن براء الكلابي[١] :

وأدماءَ من أُدمِ الظِّباءِ تعرَّضَتْ ... لألبَثَ شَهراً بل أُقيمَ لياليا

فَقُلتُ لها يا عَنْزُ أنتِ مليحةٌ ... من المغزلاتِ النافضاتِ المَدَارِيَا

لقد طَال ما ثبطتني عن صحابتي ... وعن حِوجٍ قِضَّاؤُها من شفائيا

ومما يؤكد واقعيتهم ، وعدم تعاليهم عن بيئتهم هذا الجمع بين طرفي الجمال : المرأة والحيوان ، فإن سمت بهم المرأة ، استقر بهم الحيوان على أرض واقعهم ، وتلك معادلة تجعلهم دائماً في اتزان .

وظهرت واقعيتهم في احتفائهم بالطبيعة حولهم ، والتغني بجمالها ، ونقل أجوائها المتغيرة وذكر سهولها وجبالها ، ونباتها وأشجارها ، والحقُّ أنهم لم يُغفلوا شيئاً وقعت عليه عيونهم ، فقد كانوا أُمناء في نقل مرئياتهم بطريق مباشر لا التواء فيه ، فحين يقول القتال الكلابي[٢] :

سَرَى بديارِ تَغلِبَ بينَ حوضَى ... وبين أَبَارِقِ الثَّمدَين سَارِ

سِمَاكي تلألأ في ذُرَاهُ ... هَزِيمُ الرَّعْدِ ، رَيَّانُ القَرَارَ

إنما يُورد الحقيقة بعينها ، سحاب تراكم في مكان معين ، لبرقة تلألؤٌ ، ولرعده دوي ينبيء بغزارة مطره ، وما ذلك التفصيل إلا دليل معايشة الواقع الذي فرض نفسه على الشاعر، حتّى إذا ما عاش الشاعر الكلابي حياة مغايرة ، ونعيماً أغيد ، في مكان متميز ، صَوَّر واقعة الجديد ، وأبانه مقرونا بإحساسه الذي رقّت نبرته ، وشف لباسه ، يقول جَعْوَنة بن الصِّمة ، أبو الأجرب الكلابي[٣] ، من قدماء شعراء الأندلس :

وَلَقدْ أُراني من هَوَايَ بِمَنزلٍ ... عَالٍ وَرأسيْ ذو غَدايرَ أفرعُ

والعيشُ أَغْيَدُ ساقطٌ أفنانُهُ ... والماءُ أطيبهُ لنا والمرتعُ

وتأكدت تلك الواقعية في إبراز عقائدهم ، وما هم عليه من ديانات ، وما يسود بينهم من خرافات ، إذ اتضحت ديانتهم الشركية ، وقَسَمُهُم الجاهلي ، وكان ذلك دليلَ تعلقهم بما

---

(١) تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٥٦٦ .

(٢) ديوان القتال الكلابي ص ٦٢ . حوضى : ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة من بني كلاب . سماكي : نسبة لنوء السماك . هزيم : صوت . ريّان : ممتلىء .

(٣) بغية الملتمس ص ٢٤٤ ، جذوة المقتبس ص ١٩٠ .

يعتقدون ، إذ يقرنون جوازم الأعمال برواسخ الاعتقاد ، ويأتي قول عوف بن معاوية شاهداً على ذلك فهو يقول[١] :

نُبِّئتُ أوساً بكى ذا القَرْنِ إذ شَرِبا ... على عُكاظَ بُكَاءً غالَ مَجْهُوْدِيْ
إنّي حلفتُ بما جمعتُ من نشبٍ ... وما ذبحتُ على أنصابِكَ السَّودِ
لتبكينَّ قتيلاً منك مُقتربـاً ... إنّي رأيتُك تبكي للأباعيدِ

إن الكشف هنا عن شيءٍ من معتقدات الجاهلية مبطل شكوك من يطعن في صحة الشعر الجاهلي[٢] لاستناده على عدم وجود بعضٍ من دياناتهم فيما توفر لديه من شعرهم .

ويقرن حصين بن عمرو الضِّبابي بين القسم التوحيدي ، والقسم الشركي ، وهذا ما يُبين اتخاذهم الوسائط للرب الأعلى مع اعتقادهم به ، فهو يقول[٣] :

أُقْسِمُ بالله بما حَجَّتْ بلي ... وما على العُزَّى تُعِزُّهُ غَنِيْ
وقد حَلفْتُ عند مَنْحَرِ الهدي ... أُعطِيكُمُ غيرَ صُدُورِ المشرفي

حتى إذا ما دخلوا في دينهم الجديد " الإسلام " ذكروه في شعرهم ، مُعَبِّرين بهذا عن واقعٍ جديد ، وتغير اجتماعي حاصل ، ومعانٍ جديدة موافقة للمعتقد ، ومبرزة فعل الإعتقاد فالجهاد ، والموت في سبيل الله ، والتزاحم على طلب الشهادة ، ودخول الجنة ، ودخول النار، هو مما يعبر عن مجتمع جديد ، وواقع له خصائصه ، التي تُمَيِّزُه سواء في القول أو الفعل.

إن ذلك الواقع الجديد لتتكشّف عنه أبيات عبد الله بن حذف الكلابي ، حين يقول[٤]:

لاَ تُوْعِدُوْنَا بِمَفْرُوْقٍ وأُسرتِهِ ... إنْ يأتِنا يلق فينا سُنَّةَ الحُطمِ
وإنَّ ذا الحيَّ من بَكرٍ وإن كَثُروا ... لأُمَّةٌ داخِلُونَ النارَ في أُمَمَ
فالنخل ظاهرُهُ خيلٌ وباَطِنُهُ ... خيلٌ تَكَدَّسُ بالفتيانِ في النِّعمِ

كما تتضح تلك الواقعية المتميزة ـ التي هيأت أقواماً وصقلت قلوباً تحب وتبغض على

---

(١) الأغاني ١٠/١٩ .

(٢) في الشعر الجاهلي لطه حسين .

(٣) النقائض ٢/٦٦٨ .

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣١١ . الحطم : هو الحطم القيسي زعيم مرتدة بني عبد القيس .

أساسٍ جديد ، وتتسم بمنهجٍ جليٍّ في نواحي حياتها - في قول عمرو بن قريط الكلابي[١] وهو يخاطب قومه الذين خالفوا عقيدتهم ونكصوا عن إسلامهم :

ثَقُلتْ صَلاَةُ المُسلمِينَ عَليكُمُ بَنِيْ عَـامِرٍ والحقُّ جِدٌّ ثَقيلِ
وَأَتبْعْتمُوهَا بالزكـاةِ وَقُلْـتُمُ أَلاَ لا تفـرُّوا منهـما بفتيلِ
فلاَ يُبعِدِ ا للهُ المُهيـمنَ غَيْرَكُم سَبِيْلُكُمُ في كُلِّ شَرٍّ سَبِيْلِ

تلك هي المعاني الإسلامية التي تمثلتها بيئة الرسالة وعصر الراشدين ، وصارت بؤرة إهتمام ذلك المجتمع ، سواء في إبداعهم وأفعالهم ، ولكنها لم تلبث أن خفتت في العصر الأموي وطغت عليها المعاني القومية ، وإنَّ شعر القتال الكلابي وزفر بن الحارث ليمثّلان اتجاهاً سمى فيه الحسُّ القبلي ، وصارهمُّ القبيلة وأيامها مُقدماً على غيره من الإهتمامات .

إنَّ تلك الواقعية لتملي عليهم تفصيل معانيهم ، ونقل أعمالهم كما وقعت بلا تحريف، مُتَّخِذِين مِن الشعر مجالاً متسعاً لكل ما يقع على أرضهم ، فتفاصيل إحدى معارك بني كلاب يرينا إياها بوضوح أبو دوآد الرُّوآسي[٢] فيقول :

وَغَادَرْنَا بني الدَّيَّانِ صَرْعَى كَأَنَّ رُؤوسَ سادتها الغُثاءُ
فَغُـودرَ منـهمُ لما التقينـاَ بِمُعْتَركٍ تَمُوْرُ بـه الدِّمَاءُ
أَبُو خَلَفٍ وصاحبُهُ وَوَهْبٌ وَرَدّادٌ وفـارسـهم عَـدَاءُ
وذُو الرمحينِ أحمرُ قـد أَتَاهُ فِـداءٌ ثم إن نَـفَـعَ الفِـداءُ
تَنَادَوا نحونا ودَعَوتُ قومي كِلاباً ، والأُمُوْرُ لها بداءُ
فآبَ لنا شريكٌ حيثُ أُبناَ جَنيباً لا يُـرادُ بـه الغـلاءُ
فأنعمناَ هناكَ على شـريكٍ وكـنَّا من سـجيتنا الحِبَاءُ

ومثّلت أبيات يزيد بن قيس الكلابي[٣] ذلك التفصيل الشاهد على الحقيقة الواقعة في نمطها الاسلامي ، وهي التي أوضح فيها أعمالاً تخالف تعاليم الدولة الإسلامية ، ورجالاً لم يرعوا ما اوتمنوا عليه ، ووجهها للخليفة عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه .

وأبان شعر زفر بن الحارث الكلابي مشاركة الكلابيين في الحروب القيسية والمضرية .

---

(١) الإصابة ٥/١٤٠ . جِدّ ثقيل : اجتهاد رجل ثقلت موازينه ، وفي البيت الثاني : لا تقروا بالقاف أصح .

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٤ .

(٣) الأوائل لأبي هلال ١/٢٤٧ .

وجاء التفصيل للشؤون الفردية في أبياتٍ للشاعر الأمـوي : مربـع بـن وعوعـة الكلابـي يذكر فيها انتصافه ممن صيَّح امرأته ، ويبين دقائق ثائرته ، وكان يكفيه الإجمال في هذا الحـال غير أن زهو الإنتصار دعاه لتمديد الشعور به ، وذكر التفاصيل مما يساعد على تثبيـت المعنـى وجعله حقيقة متقبلة لدى المتلقي ، ليس له عنها محيد ، يقول مربع الكلابي[1] :

فَزِعتُ إلى سيفي فَنَازَعتُ غِمْدَهُ ... حُسَامٍ بِهِ أَثرٌ قـديم مُسَـلسَـلِ
فغادرتُ سَـعداً والسِّـباعُ تَنُوبُهُ ... كمَا ابتَدرَ الأورادُ جَمَّةَ مَنْـهَـلِ
ولمـا رآنـي في الأداوةِ راقـةُ ... وأعجـلتُـهُ بالسـيفِ قبل التَّبَـلُّلِ
دعا نهشلاً إذ حاذهُ السيفُ دَعوةً ... وأجليـتُ عـنهُ كـالحُوارِ المُجـدِّلِ

إنه يستطيع أن يخلص لمراده في جملة ، غير أن الحقيقة الماثلة أمامه أجبرته علـى الإفصـاح عنها ، مع زيادة مساحة الفرح ، وتفريعات الحدث .

وقد نجد نوعاً من الواقع مستتراً خلف شيءٍ من ظواهر الطبيعة ، من ذلك الواقع النفسي الذي لا يتجلّى منفردا ، بل لا بد أن نستوحيه من خلالِ مضامينـه ، ومـا استخلصه الشـاعر لنفسه من جزئيات البيئة يبثه شجونه ، ويُصفيه ساخن شعوره ، وكان الحيـوان أوفـى معاشـرٍ للإنسان ، ليس من عرف منها باللين والألفة فحسب ، بل ما توحَّـش منهـا واستفرس فهـذا عمرو بن الصعق الكلابي أراد أن يعبر عن وحدته ، وطلبه الرُّفقة بشتّى صورها ، وأنـه أنيـس الإنسان والحيوان على السـواء ، في طرفـه يجـدان الكرامـة والأمـان ، وكأنّـه بهـذا يـردُّ علـى خصومه والمشككين في إنسانيته ، فقال[2] :

وَنَارٍ بَمومَـاةٍ قليـلٍ أنيسُـها ... أَتَاني عليها أَطلَـسُ اللـونِ بائـسِ
نَبَـذتُ إليه حِـزَّةً من شِـوَائنا ... فآبَ وما يُخشى على من يُجالسُ
فولَّى بها جذلانَ ينفُضُ رَأسَـهُ ... كما آضَ بالنهبِ المُغيرُ المُخـالسُ

وعلى الرغم من أنَّ هذه الأبيات تُفْصِح عن مبالغة ، لكنّا نجد الحقيقة كامنة وراءها ، إذ لم يجد الشاعر من وسيلةٍ لنقل مُرِّ واقعه سوى سبيل المبالغة ، التي أخذت نوعاً مـن الأسـلوب التعبيري لدى شعراء الكلابيين في العصر الأموي ، وأبرزهم في هذا الجانب القتال الكلابي .

---

(١) النقائض ١٠٩٨/٢ . الأداوة : السِّقاء الصّغير .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ١٠٠/٢ ، ونُسب البيتان الأخيران للمرقش الأكبر في المفضلية ٤٧ .

حين يذكر القتال الكلابي النمر الذي اتخذه من دون الناس صاحبا ، إنما يريد أن يعلن برمه بالحياة والأحياء ، وأن الحيوان آمن له من الإنسان ، الذي اقلق حياته ، ولم يدعه يهنأ براحة البال لكن الحيوان لن يسأله عن أي شيء كان ، ومع أن كلاً منهما يشك في صاحبه وحذرٌ من فتنته ، فإنّ الحال قد دعاهما لنبذ الخلاف ، وإحلال السلام لمآلٍ وجدا نفسيهما فيه دون غيرهما ، جعلهما قريني سوء ، وما تلك إلا حقيقة النفس ، تتبدّى في بعض جوانبها متخذة لها منهجاً معيناً ، وسبيلاً تنفذ منه للآخرين ، وكان سبيل القتال بيناً في قوله[1] :

ولي صاحبٌ في الغارِ هَدَّكَ صاحباً ... هو الجَوْنُ إلا أنه لا يُعلَّلُ
إذا ما التقينا كانَ جُلَّ حديثِنَا ... صَمَاتٌ وطرفٌ كالمعابلِ أَطْحَلُ
تَضمَّنتِ الأَروىَ لَنَا بِطَعَامِنا ... كلانا لهُ منها نَصيبٌ وَمَأكلُ
فَأَغْلِبُهُ في صَنعةِ الزاد إنَّني ... أُميطُ الأذى عنهُ ولا يتأملُ
وكانت لنا قَلْتٌ بأرضٍ مَضِلَّةٍ ... شريعتُنا لأيِّنَا جاءَ أَوَّلُ
كلانَا عَدُوٌّ لو يرى في عَدُوِّهِ ... مَحَزّاً وكُلٌّ في العَداوةَ مُجْمِلُ

وقد دعاه إلى هذا القول طلب مروان بن الحكم له ، بعد هربه من السجن ، وإحتمائه بجبل عماية ، ورفته للنمر . وما أريد أن أصل إليه هو أن الحقيقة المعنوية موجودة في الشعر الكلابي ، وإن سترها ضباب النفس .

ومما نقلوه من واقعهم الجاهلي معتقدهم الخرافي ، المبني على الوهم المتوارث ، وذلك زعمُهم أن دماءَ الملوك والأشراف حين تُشْرب تَشْفِي من داءِ الكلب ، إذ قال عوف بن الأحوص الكلابي[2] :

فَهَلْ لكَ في بني حُجْرِ بنِ عَمْروٍ ... فتعلَمَهُ وأَجْهَلَهُ وَلاَءُ
اَوِ العنقاءِ ثعلبةَ بنِ عمروٍ ... دِمَاءُ القومِ للكلبى شِفَاءُ

وأورد الجاحظ في كتابه " الحيوان "[3] شعراً ساقه ليدلّل به على ادعائهم ذاك ، وذكر

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص ٧٧ . هدّك : كفاك . الجون : أبو الجون : كنية النمر . المعابل : جمع معبلة : وهي النصل . أطحل : أغبر . الأروى : أنثى الوعل . مَحزّ : موضع قتل . مجمل : مقتصد.

(٢) المفضلية ٣٥ . حجر بن عمرو : والد امريء القيس . ثعلبة : من ولد ماء السماء ، لُقّب بالعنقاء لطول عنقه .

(٢) الحيوان ١١/٢ ، المعاني الكبير ٢٤٢/١ .

أسراً تتوارث دواء الكلب وأتى بقول ابن فسوة الشاعر[١] بعد أن عالجه ابنُ المُحِلِّ فبريء :

وَلَوْلاَ دَوَاءُ ابنِ المُحِلِّ وعِلْمُهُ هَرَرْتُ إذا ما الناسُ هرَّ كلابُها

إن ذلك يدل على حقيقة الخرافات في الجاهلية ، التي أبطلها الاسلام .

ولأن معانيهم نتاج البيئة فقد تميزت بالحسية ، تلك الحسية التي ظهرت في الإنسان والحيوان والطبيعة على حدٍّ سواء ، إذ ما فتيء الشاعر الكلابي يذكر كلَّ ما تنقله إليه حواسه، ويرينا ما تضم بيئته ، فحين يعرض للفرد الذكر أو الأنثى ، فإنه يذكر الحقائق المباشرة التي تظهر للعيان ، فإن مدح أَرانا ناره مشبوبة وضيفانه قعوداً حولها ، وناقته تُنحر وأخرى تحلب ، وهذا جليٌّ في شعر عوف بن الأحوص الكلابي ، وإن حاربوا أرونا ميدان المعركة ، ومثّل هذا الجانب بحقٍّ شعر أبي دوآد الرُّؤآسي ، وإذا ما أوردوا الأخلاق فإن أكثر ما يرد منها يمثل الجانب الحسي أو أثره ، وكان معاوية بن مالك الكلابي وعبيد بن العرندس هما أبرز من ظهر لديهم هذا الجانب .

إن تلك الحسية التي غرقوا فيها ، واستغرقوا فيها معانيهم قد تشبَّعت بها أرواحهم ، ولم يستطع الزمن أن يُوهن منها ، ولذا وقفوا من الأمور الغيبية موقف المنكر في بداية الأمر ، إذ كان مقياسهم مادياً ، حتى إذا ما فَطِنوا إلى نوع آخر من مصادر المعرفة تغيرت نظرتهم ووجدوا في إملاء العقل طمأنينة القلب ، وقد مثّلت ابياتُ سراقة بن عوف الكلابي مرحلة الإنتقال من الحسية إلى العقلية ، إذ يقول[٢] :

لَعَمرُ لبيدٍ إنه لاَبنُ أُمِّهِ ولكن أبوهُ مَسَّهُ قِدَمُ العهدِ
دَفَعْنَاكَ في أرضِ الحجازِ كَأنما دَفَعنَاكَ فَحلاً فَوقه قَزَعُ اللِّبدِ
فَعَالَجْتُ حُمَّاهُ وداءَ ضُلُوعِهِ وترنيقَ عَيشٍ مَسَّهُ طَرَفُ الجَهْدِ
وجئتَ بدينِ الصَّابئين تَشُوبُهُ بألواحِ نجدٍ بُعْدَ عَهدِكَ من عَهدِ
وإنَّ لنا داراً زعمتَ ومرجِعَاً وثمَّ إيابُ القارِظين وذي البُردِ

وكان هذا بعد أن أُصيب عامر بن الطفيل الكلابي بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبدأ الإضطراب في نفوس القوم بين مصدق ومكذب ، فبعثوا لبيداً يستجلي الحقيقة ويرد على القول بقول إن كان ثمة جدال ، غير أن لبيداً وجد منبعاً جديداً للإحساس يقوم

---

(١) مِن تميم ، أدرك الجاهلية والإسلام (الأغاني ٢٢/٢٢٧) .

(٢) الأغاني ١٧/٥٩ . القارضان وذو البرد : مثل يُضرب لمن لا أمل في رجوعه .

على إرتواءٍ حقيقي للوجدان ، فأسلم ورجع إلى قومه بعقلية أُخرى تنظر إلى الأمور بعيون البصيرة ، وتؤيدها بعيون البصر .

إن تلك الواقعية في الشعر الكلابي قد أدت بهم إلى وضوح معانيهم إذ إن شعراء بني كلاب كانوا العين المبصرة ، واللسان المصور لما ضمت جوانب الطبيعة ، فهم ينقلون بيِّناً بأبين ، ويصورون المُشَاهَدَ بالحسي والظاهر بأتم منه ظهورا ، فما اختلقوا بدعاً من خيال وإنما كانوا أُمناء حواسِّهم ، تُعبر كلماتهم عن مرئيات أبصارهم وتوضِّح جملهم متناثر بيئتهم ، المكشوفة أمامهم .

إنَّ ذلك الوضوح قد جعلهم يتردَّدون على معانٍ لا تخرج عن بيئتهم ، صارت معروفة لديهم ، حتى أصبحت مجالاً للتنافس ، وليس لنا أن نقول إنَّهم تداولوا معانيَ واحدة ، إذ لكل شاعر رؤيته الخاصة ، حين يتفقون في العموميّات التي لا أرى أنها تدل على ضيق دائرة معانيهم[1] ، وإنما الشأن أن ذلك راجع لجبلَّة التحدي عندهم ، فإذا أتى الشاعر بمعنى أراد الآخر أن يجاوزه في ذات المعنى حتى يُثبت تفوقه عليه ، ولا يُتَّهم بمجانبة دائرة التصاول.

---

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (العصر الجاهلي) ص ٢٢٣ .

٢ - الجدة والتفرد :

ظهر في شعر بني كلاب من المعاني ما انفردوا بـه ، فكـان التـاريخ عالـة علـى نصوصهـم لاستكناه ما فيها من جوانب مهمة خفيت في نصوص أخرى ، من ذلـك مـا جـاء عـن قصـة الفيل في شعر عمرو بن الوحيد الكلابي ، الذي ذكر مـآل مـن نـووا الشـر ببيـت ا لله الحـرام فأبادهـم ا لله ، ورد كيدهـم في نحورهـم ، فهو يقول(١) :

سَطَا ا للهُ بالحبشَانِ والفيلِ سَطوةً ... أرى كُلَّ قَلبٍ واهياً فـهو خائفُ
ويومٌ ذُبابُ السيفِ كـان نَذُيْرُهُ ... ويومٌ على جنبِ المُغمَّس كاسِفُ
أميرُهُمُ رجلٌ من الطيرِ لم يكـن ... نقـافاً لها بـين الحجـارةِ واكِـفُ
كـأنَّ شـآبيب السـماءِ هَـوِيـةً ... وقد أشـعلتْ بالمجلبـينَ النَّفانـفُ
نَـدُقُّهُـمُ مـن خلفـهم وأمامِـهم ... وعارضَهُمْ فوجٌ من الريحِ قَاصِفُ
يُخالسْـنَهُم أنفاسَـهُم ونفوسـهم ... ولم ينـجُ إلا الـتّابـعُونَ الـرَّوادِفُ
كأنَّـهـم غِـبَّ العِقـابِ هشـيمةً ... من الصيف تُذريهِ الرياحُ الرَّفَارِفُ
وكانَ شـفاءً لو ثـوى في عِقابها ... نُفَـيْـلٌ وللآجـالِ آتٍ وَصـارِفُ

وتأتي أبيات خويلد بن نوفل الكلابي في الحارث بـن أبـي شمـر الغسـاني ، عندمـا سـبى ابنته، وأرادها لنفسه ، دالةً على عدة أمـور منهـا : سـوق الـبراهين في أسـلوبٍ لـين ، ولفـت أنظار الجبابرة إلى من هو أقوى منهم ، والإقرار بأن الجزاء من جنس العمل ، إنه يقول(٢) :

يَا حارِ أيقن أنَّ مُلكَكَ زائلٌ ... واعلمْ بَأنَّ كما تدينُ تدانْ
هل تستطيعُ الشمسَ أن تأتي بها ... ليلاً وهل لكَ بالمليكِ يدانْ
يا أيُّها الملكُ المخُوفُ أما ترى ... ليلاً وَصُبحاً كيف يختلفان

إن هذه الأبيات لتوضح جانباً مهماً من المعتقد الديني الذي قد لا يـبرز إلا إذا اسـتحكم الأمر ، كما أنها توضِّح جانبي القوة والضعف ، وما ينشأ عنهمـا مـن مشـكلات اجتماعيـة ، وهدر للحقوق ، كمـا أنهـا تدلنـا علـى الفكـر الكلابـي آنـذاك ، وربطـه النتـائج بالمقدمـات واستخدام الرمز حين يكون للوضوح عواقب .

---

(١) المنمَّق ص ٧٧ . نقاف : هو تعاقب السيوف فوق الرؤوس . واكـف : منهمـر بغـزارة ، يريـد أنّ الحجارة تخرق ما تنزل عليه وتخرج منه . المجلبين : الغزاة الأحباش . النفانف : جمع نفنـف : وهـو المكان المتباعد الأنحاء . الرَّفارف : ذات الصوت . نفيل : دليل الأحباش إلى البيت .

(٢) لسان العرب (دين ، زنا) .

وفي الإسلام أحس الناس بإنسانيّتهم وعلت هممهم واشرأبّت أعناقهم ، فشعر كل بواجبه، وكان للفرد دورمهم في الحفاظ على تقاليد الدولة الإسلامية ، ولذا ظهر ذوو الغيرة على محارم الاسلام ، وعلت أصواتهم بالحق فبرز لأول مرة موضوع جديد ، أملته العقيدة ، وابتغاه الوضع الإجتماعي المتميز ، هو " موضوع شكوى العمال " وكان أقوى ظهورٍ له في عهد عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه ، وذلك لما تهيّا لهذا الأمر من إمام حازم ، وجند مسدّدين ، فكان الجو يساعد على تمدد هذه الظاهرة في طبقات المجتمع ، وخير مثال على ذلك قول يزيد بن قيس بن الصعق الكلابي شاكياً عمال الأهواز وما حولها إلى عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه ، متهماً إياهم بأخذ الأموال بغير حق ، فكان مما قال[1] :

فَأبْلغ أَمِيْرَ المؤمنين رِسَالةً ... فَأَنْتَ أمين ا للهِ في النَّهي والأَمْرِ
فَلا تَدَعَنْ أَهْلَ الرَّساتيق والقُرَى ... يُضِيْعُوْنَ مَالَ ا للهِ فِي الأُدُمِ الوُفْرِ
نَؤُوبُ إذا آبُوا ، ونغزو إذا غزوا ... فأنّى لهم وَفْرٌ ولَسْنَا ذَوي وَفْرِ

وقد كان لهذه الشكوى الأثر البالغ فقد قاسم الخليفة المشكيين أموالهم ، وجعلتهم تلك الشكوى على حمأٍ مسنون ، حتى استشاط بعضهم ، فأخذ يبري نفسه ، ويسوق موارد رزقه وممن ردَّ على الكلابي : الحارثُ الغلابي الذي قال[2] :

أبلغ أبا المخْتارِ إمَّا لقيتَهُ ... فقد كان ذا قُربى إليك وذا صِهْرِ
فما كان مالي من جباية خائنٍ ... فتجعلني مما يؤلَّفُ في الشِّعرِ
ولكن عَطَاءِ ا لله في كلِّ ركبةٍ ... إذا الخيلُ جالتْ بالمثقَّفةِ السُّمْرِ
فإن كنتَ للنصحِ ابتغيت قصيدةً ... فإن لدى ا لله المثوبَة بالأجرِ
وإن كان عن بغيٍ وفرطِ نفاسةٍ ... فشرُّ بني الحوَّاءِ ذي النَّيربِ المُغري

وشكت أم خلفٍ الكلابية عُمَّالاً احتكروا الأموالَ وأذلوا الناس ، إذ قالت[3] :

أميرَ المؤمنينَ جُزيتَ خيراً ... أَلَمْ يبلغك خِبرةَ ما لقينا
أَناخت حائلٌ جَذباءُ نابٍ ... فَلم تترك لطلحتنا فُنُونا
وصارَ المالُ في أيدي رجالٍ ... إذا مَلكُوا أَذاقُوا الناس هُوْنا

---

(١) الأوائل لأبي هلال ٢٤٧/١ . الرساتيق : جمع رستاق : وهو السواد والقرى . الأدم : جمع أديم : وهو الجلد .

(٢) السابق ٢٤٩/١ . أبو المختار : كنية يزيد بن قيس الكلابي . النيرب : الشرّ والنّميمة .

(٣) بلاغات النساء ص ٢٥٢ .

إن هذه المعاني قد بعثها واقع اجتماعي ، وساعد على التصريح بها المعتقد الإيماني .

ومما جدَّ في العصر الإسلامي تلك المعاني المنبثقة عن روحه ، الملائمة لطبيعته ، إذ جاءت معاني الإخلاص والصلاة ، والشهادة والجهاد ، والتوكل على الله دون شيء سواه ، والرضا بالله رباً ، ونبذ ما عداه ، واتخاذ الاسلام ديناً ، وترك الأديان الضالة ، ومن النصوص التي وردت فيها تلك المعاني أبيات لعبد الله بن حذف الكلابي ، يستنجد فيها بأبي بكر رضي الله عنه ، حين حُوصر جيش المسلمين الذي كان يحارب مرتدة البحرين في حصن جواثى، يقول فيها[١] :

ألا ابلغْ أبا بكرٍ رسُولاَ ... وفتيانِ المدينةِ أجمَعِينا
فهل لكُمُ إلى قومٍ كرامٍ ... قُعُودٍ في جُواثى مُحْصَرِينا
تَوَكّلنا على الرَّحمنِ إنّا ... وَجَدنَا النصر للمتوكلينَا
وقُلنا قد رضينا الله ربّاً ... وبالإسلام ديناً قد رضينا

وجاءت معاني المعاد والعقاب ، والزكاة والصلاة والرسول والرسالة ، في أبياتٍ لمعاذ بن يزيد بن الصَّعق الكلابي يُقَبِّح قومه على ردَّتهم ويحذرهم تماديهم ، فيقول[٢] :

بني عامرٍ أينَ أينَ الفرارُ؟ ... مِنَ اللهِ والله لا يُغلبُ
مَنَعْتُمْ فرائضَ أموالكم ... وتركُ صلاتِكُم أعجبُ
وكذَّبتُمُ الحقَّ فيما أتى ... وإنّ المُكذِّبَ لَلأَكْذَبُ

لقد جاءت المعاني مجردة ، بعد أن كانت حسية ، وصار مصدرها السماء ، بعد أن كانت تُستمدُّ من الأرض .

ومن المعاني الجديدة ذكر السجن في الشعر الكلابي ، والملاحظ في هذا السجن أنّه قد ضم الرجل والمرأة على حدٍّ سواء ، وشكى كلٌّ منهما تباريحه من داخله وهذا مصدر شك في الشعر ، فهذه أم الأسوار الكلابية ، كانت محبوسة بالمدينة في سجن خالد بن عبد الملك بن الحارث ، الذي كان والياً لهشام بن عبد الملك[٣] ، وقد حُبست تلك المرأة لجناية جناها ابنها، فهي تقول[٤] :

---

(١) الإصابة ٨٣/٥ . جواثى : قرية بها حصن في الأحساء .

(٢) السابق ٣٠١/٦ .

(٣) تاريخ المدينة لابن شبّة ١٣٠/١ .

(٤) الحماسة للبحتري ص ١٣٠ . مؤتشبان : مختلطان . الرَّجوان. جانبا البئر، والمراد أنّه قد ظُنّ ضعفهما.

وإنّي والعَبسِيَّ في سجنِ خالدٍ صَبُورانِ عندَ البّثِّ مُؤتَشِبَانِ
كِلاَنا إذا ما قَيدُهُ عَضَّ سَاقَهُ وأُحِكمَ حتّى زلّتِ القدمانِ
أرى شاهدَ الأعداء منهُ جَلادةً وإن كانَ مَرْمِيّاً بهِ الرَّجَوانِ

ويذكر القتال الكلابي قسوة السجان ، ثم قتله إياه ، وفراره من السجن ، فيقول[1] :

وَلَمَّا رأيتُ البابَ قد حِيلَ دُونَهُ وَخِفتُ لِحَاقَاً من كتابٍ مُؤجَّلِ
رَدَدْتُ على المكروه نفساً شَرِيسَةً إذا وُطِّنَت لم تستقد للتذلُّلِ
وكالِيء بابِ السجنِ ليسَ بِمُنْتَهٍ وكانَ فِراريْ مِنهُ ليسَ بِمُؤْتَلي
إذا قُلْتُ : رَفِّهني من السِّجنِ ساعةً تَدَارْكَ بها نُعمى عليَّ وأَفْضِلِ
يَشُدُّ وَثاقي عَابِساً ويَتُلُّني إلى حلقَاتٍ في عَمُودٍ مُرمَّلِ
أقُولُ له ، والسيفُ يَعْصِبُ رأسهُ أَنا ابنُ أبي أسماءَ غير التنحُّلِ
عرفتُ نِدايَ من نداهُ وجُرأتي وريحاً تَغشَّاني إذا اشتدَّ مِسْحَلِي
تركتُ عِتَاقَ الطير تجلِسُ حَوْلَهُ على عَدْوَاءَ كالحِوَارَ المُجدَّلِ

لقد ذكر باباً موصدا ، ونفساً شمما ، وسجّاناً أشرسا ، فما كان منه إلا أن تعصّب بالحمية ، وأحمى الجرأة ، فقتل القيد ، واستلّ الحرية ، مُنبئاً عن حججٍ يشعر أنّه مطالبٌ بها لتبرير عمله ، وإبراز ذاته .

وإذا كانت أبيات القتال لم تتجاوز محيط السجن ، إذ كانت عزلته الإنفرادية ناتجة عن عدم معايشة ما هو خارج السجن من أهل وأحباب بسبب تلك العداوات بينهما، فإنّ طهمان بن عمرو الكلابي اشرك مع همِّ السجن همِّ الحبيب ، ولذا لم يُطِلِ في معاني السجن التي كانت ممتزجة بمعاني الحب ، وهذا ما خفّف وطأة القسوة عليه ، إذ لم يشر إلى معاناته فيه إلا نزراً يسوقه لحبيبه ليثبت بالغ الحب ، وليس هو بمسترفدٍ رأفةً ، إنّه يقول[2] :

لَعَلَّكَ بعدَ القيدِ والسجنِ أن تُرى تَمُرُّ على ليلى وأنتَ طليقُ
طَليقُ الذي نَجّى من الكربِ بعدما تَلاَحَم من دَرْبٍ عليكَ مَضِيقُ

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص ٧٦ . كتاب مؤجل : يقصد أجله . كالِيء : حافظ وحارس . مؤتلي : متأخر . يتلّني : يجرُّني . مُرَمَّل : مُلَطَّخ بالدَّمِ . التنحل : الإدِّعاء . مسحلي : عزمي . عدواء : أرض صلبة .

(٢) ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ص ٢٣ .

وقد جَعلتْ أخلاقُ قومِكَ أنَّها من الزُّهدِ أحياناً عليكَ تَضِيقُ
أَلا طَرقتْ ليلى على نأي دارهاَ وليلى على شَحْطِ المزارِ طَرُوْقُ
اسيراً يَعُضُّ القيدُ ساقيه فيهما من الحلَقِ السُّمرِ اللِّطافِ وثيقُ

ودرّاج بن زرعة الكلابي لا يهتمّ بالسجن والموت بعده بقدر ما يهتم بأمر قومه بعد أن يفارقهم ، فهو يقول[١] :

فما القيد أبكاني ولا السِّجن شفَّني ولا أَنَّني من رهبة الموت أجزع
ولكنَّ أقواماً ورَائي أخافُهمْ إذا مِتُ أن يُعطُوا الذي كنت أَمنع

إن هذه المعاني لتذكرنا بالرجل الجاهلي الذي كان قيده الإقامة ، وظهر مطيته الحرية مِمَّا يدعونا للتساؤل عن وسيلتهم التي يتخذونها للخروج من ضائقتهم ، فإذا كان الحل لدى القتال حاسماً ، فإنه قد جاء عند طهمان ناعماً ، إذ ارتأى التظلُّل بمظلة التَّخيل تحت وهج الضيق ، وكأنما هو يُخادع نفسه .

والأم لم يكن الشاعر الجاهلي ليذكرها إلا حين ينسب إليها ابنها على سبيل التهوين ولذلك نسب سراقة بن عوف بن الأحوص الكلابي لبيدَ بن ربيعة لأُمِّه حين أغاظه بالتبشير بالدين الجديد ، ورأى أن أثر الرجولة قد ضعُف فيه ، بينما تسلّط أثر المرأة التي رأوها ذات خصائص بيِّنة في أبنائها ، هي أدنى للإستكانة منها إلى غيرها ، فقد قال سراقة[٢]، مرجعاً سبب إسلام لبيد ، وتذكيره بالبعث والجنة والنار إلى الأم :

لَعَمْرُ لبيدٍ إنَّه لابنُ أُمِّهِ ولكن أَبُوهُ مَسَّهُ قِدَمُ العَهْدِ

ثُمَّ يُورد إخلافه لظنِّهم ، لَّما كانوا حسبوه صلباً كأبيه ، فإذا هو يلين :

دَفَعناكَ في أرض الحجازِ كأنَّما دفعناكَ فحلاً فوقهُ قَزعُ اللِّبدِ
وجئتَ بدينِ الصَّابئينَ تَشُوبُهُ بِأَلواحِ نجدٍ بُعْدَ عَهْدِكِ من عهدِ
وإنّ لنا داراً زعمتَ ومرجعاً وَثَمَّ إيابُ القارِظين وذي البُردِ

ولما ذكروا الأم لم يذكروها إلا دفعاً لتهمة ، لا بدافع التعالي باسمها ، فهذا جعفر بن عبد الله بن قبيصةَ يُنبز بـ (ابن عُقَاب) وهي أُمُّه ، وكانت سوداء ، فيحاول أن يستغل هذا اللَّقب في معانيه الإيجابية ويستثمرها لصالحه وصالح أُمِّه ، فهو يقول[٣] :

---

(١) الفصول والغايات ص ٣٦٤ .
(٢) الأغاني ٥٩/١٧ .
(٣) ألقاب الشعراء (نوادر المخطوطات ٣١٣/٢) .

وَضَمَّتني العُقَابُ إلى حَشَاهَا وخيرُ الطَّيرِ قد عَلِمُوا العُقابُ
فَتاةٌ من بني حامِ بن نوحٍ سَبَتها الخيلُ غَصْبَاً والرِّكابُ

ولقد أحسن الشاعر في تشقيقه للمعنى ، وتقليبه له على أوجهه .

وتتجلّى ظاهرة الفخر بالأم لتشكّل ظاهرة جديدة في الشعر الكلابي ، لااستحياء فيها ولا تواري ، حاملاً لواءها القتّال الكلابي ، فقد كرّر ذكر الأم حال الفخر عدة مراتٍ ، ناقلاً مَحَطَّ الإعتزاز من الرجال إلى النساء ، إذ يقول[1] :

ومن لا تَلِد أسماءُ من آل عَامِرٍ وَكَبشةَ تَكْرَه أُمُهُ أن تُبَحْثَرَا
بأنَّا بنُو أُمَّين أُختين خَلَّتَا بُيُوتَهُما في نجوةٍ فوقَ أبهرا
إذا ما اعتزت إحداهُما باسم شيخها أَسُفيا بْنَ عوفٍ أَنعمت أَن تَخيَّرا

ويقول من قصيدة أُخرى[2] مؤكداً على انتسابه لأسماء السابقة ، نافياً عنها العبودية مُوَضِّحاً قومها " آل سفيان "

يا أُختَ بَهْمٍ وذاكَ العبدُ ضَاحِيَةً وأُختَ دَهمَاءَ هل خُبِّرتِ أخباري
أنا ابنُ أسماءَ أَعمامي لها وأبي إذا ترامى بنو الإموانِ بالعارِ
أما الإماءُ فما يدعونني ولداً إذا تُحُدِّث عن نقضي وإمراري
لا أرضعُ الدَّهرَ إلا ثديَ واضحَةٍ لواضِحِ الخدِّ يحمي حوزةَ الجارِ
من آل سفيانَ أو ورقاءَ يمنَعُها تحتَ العجَاجَةِ ضَرْبٌ غيرُ عُوَّارِ
قد يعلمُ القَوْمُ أَنِّي من خيارِهِمُ إذا تَقَلَّدتُ عَضْباً غيرَ مِشبَارِ
ياليتني والمنى ليست بنافعةٍ لِمالكٍ أو لِحِصْنٍ أو لسيَّارِ
من معشرٍ بقيتْ فيهم مَكارِمُهُم إنَّ المكارم في إرْثٍ وآثارِ

وفي انتسابه للنساء ، وترك الآباء ، ما يَبين عن شحناء بين الشاعر وقومه ، مما جعله يتمنّى الإنتساب لغيرهم ، وهناك أبيات أخرى تدل على بغضه لقبيلته ، ومباهاته بالمرأة .

وما كان شعراء الجاهلية ليذكروا المدن إلا لماماً ولا ليأتوا بمسمّياتها إلا عرضا ، غير أنَّا

---

(١) ديوان القتال الكلابي ص ٥٢ . تبحثر : تُكشف حقيقة نسبها . أبهر : غليظ الأرض مستطيلها . أسفيا : مرخّم سفيان . أنعمت أن تخيرا : أطالتا في نطق الإسم .

(٢) السابق ص ٥٤ . الإموان : جمع أمة . واضحة : صريحة النسب . عوّار : مخطيء . غير مشبار : أي ليس قصيراً .

نجد من شعراءِ بني كلاب الجاهليين من ذكر مدينة صنعاء ، ووصف أهلها ، إذ يقول ياقوت الحموي " قدم يزيد بن عمرو بن الصَّعق صنعاء ، ورأى أهلها ، وما فيها من العجائب ، فلمّا انصرف قيل له : كيف رأيت صنعاء ؟ فقال :

وَمَنْ يَر صنعاءَ[1] الجُنُوْدِ وأَهْلَهاَ وَجُنُوْدَ حِمْيرَ قاطِنينَ وحميرا

يَعلمَ بأنَّ العيشَ قُسِّمَ بينهم حَلَبُوا الصَّفاءَ فأنهَلُوا ما كَدَّرا

ويرى مقاماتٍ عليها بهجةٌ يأرَجْنَ هِندياً ومسكاً أذفرَا

وقد كان هذا الموضوع مستتبعاً معانيَ ماكانت معروفة ، وإنّما جلبها الشاعر من تلك الحضارة واستدعاها الوصف الخاص والجديد ، فانبثق عن مقتضى المدينة ظواهر حضارية وملامح لقومٍ متحضّرين ، ما كان لها أن تظهر لولا ورود المكان الحضاري الذي يستلزم تلك الصفات .

وإنَّ هذا الوصف ليوضح لنا مصدراً من مصادر المعاني لدى الكلابيين ، فقد كان إلى جانب البيئة تلك الحضارات المجاورة مثل حضارة الجنوب الماثلة في صنعاء ، وحضارة الشمال الماثلة في الحيرة ، وظهر من شعر الكلابيين اتصالهم بتلك الحضارتين ، واستقاؤهم معانيهم منهما .

ونستطيع أن نُعيد لتلك السِّمات سماتٌ أُخرى نتجت عمَّا ذكر من خصائص المعاني لدى الكلابيين ، إذ أدّت الواقعية إلى وضوح معانيهم ، وإيرادها مباشرة ، بلا التواءٍ أو واسطة ، كما دلت تلك الواقعية على فطرة طبيعية ، وحياة بريئة بسيطة ، بعدت عن الإسفاف ، ولم تجنح للمبالغة .

وحين ننظر في مصبِّ معاني بني كلاب نجد أنَّها لا تكاد تخرج عن شيئين : عن الطبيعة بنوعيها المتحركة والجامدة ، وعن الإنسان في ذاته وقومه ، غير أنَّ الإلحاح على القبيلة جعل الفكر القومي عندهم أكثر وضوحاً من غيره .

---

(١) معجم البلدان (صنعاء) . يأرجن : ينفحن . أذفر : حادّ الرَّائحة .

ب ـ السمات الشعورية

الشعور الاعتقادي

الشعور الفردي

الشعور الجماعي

تمهيد :

الشعور هو نبض الشعر ، ودفقه الوجداني ، الذي يتراءى من خلال الكلمة أو المعنى أو الصورة والنغم ، ولذا اشتقّت لفظة الشعر من الشعور ، لأنه يكوِّن أهمَّ عناصر الشعر ، إذ يسمق بوهج العاطفة فيه ، تلك العاطفة التي تجسد المشاعر ، وتحيل القصائد ناطقة بأحاسيس الشاعر ، ومفصحة عن مكنون الضمائر .

إن فيض المشاعر جعل من شعرنا العربي شعراً غنائياً في أجزاء منه ، توحي نبراته بعواطف مستكنّة ، تبرز حين يُتغنى به ، ويكون إنشاده متنفّساً لإظهار ما بين الجوانح من مستور العواطف ، ومعرضاً لجوانب الرقة والشدة في مختلف نواحي الحياة .

والمشاعر بطبيعتها مخبوءة خلف ستار ، لا تبين إلا بالبحث والإدراك عمّا وراء الشكل ، ذلك أنها من مضنونات الأشخاص ، بل من أشد مكنوناتهم ، التي يصعب كشفها ، وما الكشف عن عاطفة معينة إلا محاولة قد تنجح وقد تخفق ، فكيف ونحن أمام كمٍّ من الشعر والشعراء .

والشعر الكلابي كغيره من الشعر العربي تموج فيه شتّى العواطف التي سقتها طبيعتهم الإنسانية ، ونَمَّتها جوانب حياتهم المختلفة ، سواء في العصر الجاهلي وما اعتوره من عادات وتقاليد أو في العصر الإسلامي الذي غيَّر العقائد ، وهذَّب الأخلاق ، وسما بالضمائر بعد انحطاط .

وسأحاول أن أشير إلى مكمن العاطفة لديهم ، وأن أقف عند ما يلوح من مشاعر ، منبهاً إلى أهمها في شعرهم وأكثرها بروزاً عندهم .

١ ـ الشعور الإعتقادي :

يتجلّى في الشعر الكلابي شعور ديني عارم ، هو على طرفي نقيض من حيث العقيدة فمشاعر الجاهليين الشركية بارزة ، مع ما يشوبها ، وحرارة العاطفة الإسلامية بادية بصدق في مساحة عريضة من حياتهم ، بينما المعتقدات والأفكار الجاهلية تبدو نمطاً اعتيادياً في الغالب ، وممارسة إجتماعية أملتها الحياة البدائية ، وقد ظهر هذا الشعور في أمور معينة ، كالقسم ، فهم حين يريدون تأكيد بعض شؤونهم يعمدون إلى الحلف بالمشاعر المقدسة ، مما يؤيد مقولة أبي عمرو بن العلاء ، من أن بني كلاب من قبائل الحمس ، التي عُرفت بتشددها

في دينها[١] ، فهذا شاعرهم عوف بن الأحوص يقسم با لله وبجبل حراء ، وشهر ذي الحجة المحرم وبالأضاحي تساق للهدي ، إذ يقول[٢] :

وإنّي والذي حَجَّتْ قُريشٌ مَحَارِمَهُ وَمَا جَمَعَت حِراءُ
وشهرِ بني أُميّةَ والهدايا إذا حُبِسَت مُضَرِّجَهَا الدِّمَاءُ
أَذُمُّكِ ما ترقرق ماءُ عيني عليَّ إذاً من ا لله العفاءُ

فعاطفة الشاعر لها هزة قوية ، إذ توقظ إحساساً سامياً ، وتنبِّه على أن الإنسان وإن ضل فهو بحاجة إلى تلبية مطالب الروح التي تنحو بصاحبها نحو العلو الرباني ، وإن غالبته الأهواء، فيجد في التعلق با لله ودينه أُنساً للنفس وراحة للصدر ، وإن شاب ذلك شيء من الجاهلية .

لقد كانت عواطفهم خليطاً من علوٍ رباني وإسفاف مادي ، مما يشكِّل لديهم شعوراً متذبذباً بين السماء والأرض ، فإحساسهم بعظمة الخالق يشرئب بنفوسهم ، وخفوت ذلك الإحساس يجنح بهم إلى متاهة يتخبَّطون فيها ، فهذا الشاعر حُصين بن عمرو الكلابي تتنازعه مشاعر متباينة ، فهو في اضطراب نفسي حين حلف با لله وبالأصنام سويّاً ، فقال[٣] :

أُقسِمُ با لله بما حَجَّت بَلي وما على العُزّى تُعِزُّهُ غَنِي
وقد حلفتُ عند مَنْحرِ الهدي أُعْطِيْكُمُ غير صُدُورِ المشرفي

إنَّه في حيرة تتقاسم مشاعره التي هي مزيج من دوافع شتى ، فهو بين مطلب الروح وعادات القوم ، الأول تملية النفس العطشى للرِّي الرباني ، والآخر تفرضه بيئة يتعامل معها أفرادها حياءً ، والدليل على أن تلك المشاعر السامية متمكنة في أفئدة الجاهليين ـ وإن كانت التقاليد تحجبها ـ هو أننا نجد ذلك الومض العقدي الذي تصفو فيه النفس لبارئها وتعلو فيها مشاعر التوحيد الفطري عند عدد من الكلابيين إبّان ذلك العصر ، فمعاوية بن مالك ينطق لسانه بخفقات قلبٍ مؤمن ، حين يقول[٤] :

وَكُنْتُ إذا العَظِيْمَةُ أَفظعتهُمْ نَهَضْتُ ولا أَدِبُّ لها دِبَابَا
بحمد ا لله ثم عطاءِ قومٍ يفكّونَ الغنائم والرقابا

---

(١) الديباج ص ١١٤ .
(٢) المفضلية ٣٥ .
(٣) النقائض ص ٦٦٨ .
(٤) المفضلية ١٠٥ .

والمعروف أن الشاعر جاهليٌّ ، ولم يُعرف أنه لحق بالإسلام .

وشاعر آخر من بني كلاب مات مشركاً ، بعد اتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم ورفضه للإسلام إنّه عامر بن الطفيل[1] الذي يقول في قصيدة نظمها بعد يوم " فيف الريح " الذي كان عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم :

أَرَدْتُ لكيما يعلمِ اللهُ أنّني صَبَرْتُ وأَخشى مِثلَ يومِ المشقَّرِ

إن هذا ليدل على أن الفطرة السليمة تظهر رغم كبتها ، وعناد صاحبها ، فقد فضحت المشاعر ما أكنّه الشاعر ، وعبّرت الأحاسيس عما أنكرت الجوارح .

ومن الشعراء الكلابيين من غلب عليه المادة فجاءت عواطفه مستقاة منها ، ومتأثرة برغبات النفس القريبة ، وعقائد الجاهلية الشركية ، مختفية منها أيُّ نوازع عليا ، كقول عوف بن معاوية الكلابي[2] :

إنّي حَلَفتُ بما جَمَّعْتُ من نشبٍ وما ذبحتُ على أنصابك السُّوْدِ

لتبكينَّ قتيلاً منكَ مُقْتَرِباً إنّي رأيتكَ تبكي للأباعيدِ

فالعاطفة لديه قد استكانت نحو المَعَاش اليومي دون توقٍ إلى رغائب أخرى ، وهذا غمط لجوانب من النفس دون أخرى .

كما كانت عواطفهم منبثقة عن خرافاتٍ لها فعل العقائد ، تنبت عليها أجيالهم في توارث نفسي يجعل هيبتها أعظم من حقيقتها ، إن قول عمرو بن خويلد الكلابي[3] :

ويَزعُمُ حِسْلٌ أنه فرعُ قومهِ وما أنت فرعٌ يا حُسيلُ ولا أصلُ

وُلِدتَ بحادي النَّجْمِ تسعى بسعيهِ كما وَلَدت بالنحسِ ديانَها عِكْلُ

يمثل تلك العواطف التي تَرِفُّ بمخاوف مجتمع يعتمد الإشاعة ، وتزعزعه تحركات النجوم، فهو يُقلِّب بصره فيها ، يستقريء قدره .

وهناك من المشاعر ما قسى ، وغفت فيه الأحاسيس ، فلم تعد العواطف يَقِظَةً ، بل أصابها حال من الجحود والإنكار ، وتمادت في ذلك بكل عُلُوٍّ وكبرياء ، تنم عن إغفال صوت الحق الناطق بالصدق ، لو أُبيح له البوح ، فحين يقول الشاعر سراقة بن عوف بن

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٦٢ ، يوم المشقر : هو اليوم الذي فتك فيه كسرى بأهل هجر .

(٢) الأغاني ١٠/١٩ .

(٣) الحيوان ٦/٩٤ .

الأحوص الكلابي[١] مستهزئاً بلبيد وما جاء به من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من حقائق البعث والنشور :

وجئتَ بدينِ الصَّابئينَ تَشُوبُهُ بألواحِ نجدٍ بُعْدَ عَهدِكَ من عهدِ
وإن لنا داراً زعمتَ وَمَرجِعاً وثَمَّ إيابُ القارظينِ وذي البُردِ

إنما يظهر عاطفة الكبرياء التي تَصُمُّ منافذ الشعور في النفس البشرية عن الإنصات لصوت الكون ، ووجيب القلب ، ووعي العقل ، وتتفاعل فيها أحاسيس المتخوف على بقائه، وزعزعة كيان قبيلته .

إن مشاعرهم الإعتقادية تتجاذبها نوازع عليا ، وأخرى دنيا ، وهم بينها ، مرة يعلو صوت الفطرة ، ومرة يخفت ، وقد يغلب عليه إنفعال مكابر أو معاند ، يستسلم لمشاعر اللَّحظة ، ويغفُل عمّا بعدها ، لكننا لا نفقد أصواتاً تجمع عواطف حيرى بين وتد المادة وربق العادة وبين وحي الروح وجلاء البصيرة ، وما هذه العواطف الحيرى إلا دليل على حاجتها للصفاء والإنعتاق ، الذي جاءت به الرسالة المحمدية .

ولقد كان مجيء الاسلام نماءً لعواطف الخير ، فقد سقاها من روحه ، وهذبها من الشوائب ، فانبتَّ منها ما سقته المادة ، وازداد ثراءً ما تقطّر فيه رواء العقيدة الصافية ، فهذا لبيد الشاعر الكلابي المخضرم ما إن يحس بدفق المشاعر الجديدة حتى تتشربها أضلاعه ويعلنها صراحةً لسانُه ، فكأنما هو إحساس الفوز حين أنكر الماضي ، وطرح سيئه ، واستسلمت مشاعره في طمأنينة وإيمان لعقيدة القضاء والقدر التي أراحت نفسه ، وتبرأ من عقائد شركية كانت مصدر قلق وخوف إذ لَّما مات أخوه أربد رثاه بقصيدة فيها قوله[٢] :

أَخشى على أَربدَ الحُتُوفَ ولا أرهبُ نوءَ السِّمَاكِ والأسدِ

إن هذا الشعور لينم عن إقتناع بالمعاني السامية ، كما يشكّل انفعالاً متأثراً بعقيدة تَقَرُّ بها النفس السوية، وتسمق معها في أريحية، ذلك أنَّ الإيمان بالقدر نعمة يحس المؤمن معه بالطمأنينة والراحة وهذا ما يمثله شعر الشاعر الكلابي المسلم عبد الرحمن بن حسان حين يقول[٣]:

---

(١) الأغاني ٥٩/١٧ . القارضان : رجلان خرجا و لم يعودا ، الكامل للمبرد ١٦٩/١ . ذي البرد : عامر بن أُحيمر .

(٢) ديوان لبيد ص ١٥٨ .

(٣) الأشباه والنظائر للخالدين ٣٥٤/٢ .

يا أُمَّ بِشْرٍ ثقي با لله واعْتَرِفي بالحَقِّ إنَّ قَضَاءَ ا للهِ مَبْرُوْمِ

لقد كان لتلك المعاني أثر في تبديل عواطف أهلها ، فبعد أن كانوا يتعصبون لقبائلهم على ماهم عليه إن خيراً وإن شرّا ، تغيّر هذا الأمر ، فصار الحبُّ والبغض في ا لله هو مدار التعامل ، و لم يعد الشاعر لسان القبيلة الذابّ عنها ، بل أصبح يعيبها ويسخر منها ، إذ لم تكن المشاعر القبلية تحركهم وتسيطر عليهم ، وإنما طرأ شعور آخر أنساهم الذات والجماعة ، وجعل من أفئدتهم طيوراً تخفق في ملكوت ا لله فلا يحدّها مكان ولا تُهيمن عليها فئات ، بل كان شغفها إرواء الجوانح بنعيم الحبِّ الإلهي ، وإبتغاءذلك في جوانب تتسامى إلى ماهو أعلى، وتنأى عمَّا سفَّ ورَخُص ، إذ وجدت في أداء الشعائر الدينية إحساساً بالراحة ، وامتلاءً بالسعادة جعلهم ينكرون القريب غير المسلم ويقربون البعيد المسلم ، وتؤلف بينهم العبادات بعد أن كانت تجمعهم العادات ، فلقد كانت فرائض الدين الجديد مصدر انتقاد عمرو بن قريط الكلابي لقبيلته التي كان لها الولاء المطلق ، ففرق بينهما الرباط الإيماني الذي جعل أساس العمل هو الشعور القلبي حين يصفو من التباهي الدنيوي ويخلص في تعلقه بالذات الإلهية لإحساسه بأنَّها المستحقة لذلك ، وأن المرء لابد أن يزداد عطشاً إذا توجهت مشاعره لغير مرويها ، ولهذا صدر عن هذا الشاعر الكلابي ما يدل على أن كل مشاعره ناشئة عن نبذ ما يعيق النفس عن معينها ، فهو يُرشد إلى منهل العواطف ويحذِّر من نضوبها حين قال[1] لقومه المرتدين عن الإسلام الخاسرين نبل عواطفه لمَّا أجمعوا على المعصية :

ثَقُلَتْ صلاةُ المسلمين عليكمُ بني عامرٍ والحقُّ جدُّ ثقيل
وأتبعتُمُوها بالزكاةِ وقُلْتمُ ألا لا تفِروا منهما بفتيل
فلا يبعدِ ا لله المهيمن غيركم سبيلكُمُ في كل شرٍّ سبيلِ

إن هذا ليدل على أن الشاعر عاش تجربة حقيقيّة كان ثمرتها صدق الشعور ، وحرقة العتاب.

و لم يكن هو الكلابي الوحيد الذي نبعت مشاعره من خلال ممارسة تعبدية لها الشأن في تبدل العواطف من هوجاء إلى مبصرة ، لها اتجاه سوي ونغمة حزينة تدل على التأثر المؤثِّر وإنما يشاركه في ذلك كلابي آخر هو معاذبن يزيد الذي تتسم كلماته بنبراتٍ اشد تألُّماً وحرقة لما وقع فيه قومه من خزي عثر بهم فزاد الأسى واشتوى الجوى ، إنه يقول[2] :

---

(١) الاصابة ٥/١٤٠ .

(٢) الاصابة ٦/٣٠١.

بني عامر أين أين الفرارُ من ا للهِ وا للهُ لا يُغلَبُ
منعتم فرائض أموالكم وتَرْكُ صَلاَتِكُمْ أَعْجَبُ
وكَذّبتُمُ الحقَّ فيما أتى وإنَّ المكذّب لَلأكْذَبُ

لقد حاول الشاعر أن يستميل قومه إليه بالنداء الذي يشفّ عن مودة متمكّنة أضربها الزيغ عن المحجة لكن القربى لها حق الإنذار ، ولذا كرر الشاعر الاستفهام الإنكاري مما يدل على شدة التوجُّع وكِبَرِ الوجع ، كما أن تكرار لفظة الجلالة يبين سخف مكابرتهم للكبير المتعال ، ثم يعنّف عليهم ، وكأنما هو يقمعهم عمّا أتوا ، وما هو في هذا إلا ناقل لمشاعر المحب المبتلى في قومه الصّادين ، الذين عظُم فعلهم ، ولذا أخذ يذكر هذه الأفعال ويسمّيها ، فقد كان أداؤها دليل صدق .

إن ذلك الصدق الشعوري قد بدى من خلال تلك العواطف الايمانية التي وَجَدت في التوكل على ا لله أمانا ، وفي تسليم الأمر له سكينة واطمئناناً ، ففوَّضت أمرها لله لإحساسها بأنه هو وحده القادر على كل شيء ،فانصرفت له الأفئدة ، وقذفت بنفسها في سبيله ، تطلب إشباع مشاعرها في الفوز بالشهادة من أجله ، وأصبحت لا تحدها الحدود ،ولا تعوقها السدود ، حين فاض بها الشوق إلى ما وُعِدت به ، فلم تعد زينة الدنيا لتساوي ذرة من ذلك الوله المجنّح بها في ملكوت ا لله ، إن عبد ا لله بن حذف الكلابي ليصور لنا مشاعر المسلم الذي فارق الأهل والولد لما يحمل من مشاعر تتوق به إلى السماء وترفعه عن حضيض الفناء ، فتغدو الدماء رخيصة في تحقيق المطالب الروحية ، ودليلاً على نبل العواطف ، يقول الشاعر[1]:

ألا أبلغ أبا بكرٍ رسولاً وفتيانَ المدينةِ أجمعينا
فهل لكمُ إلى قومٍ كرامٍ قُعُودٍ في جُواثا مُحصرينا
كأن دماءهُمُ في كُلِّ فجٍّ شُعاعُ الشمسِ يعشي الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا وجدنا النصر للمتوكلينا

لقد جعلتهم تلك المشاعر السامية يستهينون بأعدائهم وإن كثروا ، لما يحسون في صدورهم من إيمان يدفعهم لتناسي الذات وتلبية رغبات الروح ، مهما كان أمامها ، وهذا ما جاء على لسان الشاعر ذاته ، إذ يقول[2] :

---

(١) أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ١٥٣/٢) .
(٢) تاريخ الطبري ٣١١/٣ ، مفروق : شخص تَزعَّم شيبان وتغلب . الحطم : زعيم عبد القيس .

لا تُوعِدُوْنَا بمفروقٍ وأُسرتِهِ إن يأتنا يلق فينا سُنَّةَ الحُطَمِ
وإنَّ ذا الحيَّ من بَكرٍ وإن كَثُرُوا لأمةٌ داخلون النار في أَممِ
فالنخل ظاهره خيلٌ وباطنُهُ خيلٌ تكدسُ بالفتيانِ في النَّعمِ

ولم يكن لتلك العواطف أن تنضب ، وقد فتح لها الاسلام شتى المنافذ ، فإذا كان الجهاد يلبي طموح النفس المتقدة شجاعة ، فإن مشاعر الغيرة الاسلامية تبدو حين تُهان أمور الدين ، فلم يعد المرء جسماً بلا إحساس ، وإنما عبَّرت مشاعره عن إيمانه ، وكان للسانه المقام الذي لا تقوم به يده فها هو يزيد بن قيس الكلابي[1] ، ينقل إلى أمير المؤمنين شعوره نحو أولئك الذين جعلوا من مناصبهم سبيلاً للكسب المادي ، مبتدئاً رسالته بإشعار الخليفة بمسؤليته أمام الله ، غير عابيء بما يعقب ذلك من ضرر عليه ، ذلك أنه لم يستطع إخماد مشاعره التي غلبته في الظهور :

فأبلغ أمير المؤمنينَ رسالةً فأنتَ أمينُ اللهِ في النهي والأمرِ
فلا تدعَنْ أهلَ الرساتيقِ والقُرَى يُضيعونَ مال اللهِ في الأُدُمِ الوفْرِ

اليس في هذا ما يدل على وحدة المشاعر نحو الاصلاح ؟ ويقظة المجتمع في المحافظة على قيمة ، وإلا فما معنى احتدام المشاعر وتكرار المطالب ، مما أثر في الخليفة حتّى قاسمهم أموالهم، وردِّ بعضهم على هذه الشكوى ؟

وإذا كنا نجد في الشعر الكلابي حماساً دينياً ، ينبيء عن مشاعر سوية فإن ذلكم الشعر لا يخلو من تهاون بالدين يدل على عواطف مهجّنة ، فيها تراخ وتبدُّل ، ويُظْهِرُ نفساً متقلبة ، امَّحت منها مشاعر الرهبة الإكبار لشعائر الاسلام ، من مثل الأخيل بن مالك الكلابي الذي يستهتر بالحلف ، ولا يعتدبه ، إذ يقول[2] :

إذا حلَّفُوني بالإله منحتهم يميناً كسحقِ الأتحمي الممزق
وإن حلفوني بالعتاق فقد درى دُهيمٌ غلامي أنه غيرُ معتقِ
وإن حلفوني بالطلاق رددتها كأحسن ما كانت كأن لم تطلَّقِ

إن هذا الإسفاف ربما هيّأه حبُ الشاعر في إطلاق النفس على هواها دون وعي بجريرة اللسان .

---

(١) الأوائل لأبي هلال ٢٤٧/١ ، الرساتيق : جمع رستاق وهو السواد والقرى .

(٢) الحماسة للبحتري ص ٢٦٦.

إن مشاعر الكلابيين قد صوّرت حياتهم وأبانت عن نفسياتهم ، فقد كانوا في اضطراب نفسي قبل مجيء الإسلام ، فلما أنعم الله به عليهم وجدوا فيه شفاء نفوسهم ، فأخذوا يطيبّون ارواحهم بعباداته ، حتى إذا أخذ منهم اللهو والترف مأخذه نضح ذلك على ألسنتهم فاتخذوا من بعض أمور الدين مجالاً للهو ، ولذا احتاجت المشاعر إلى أن تُضْبَط في مسارها الصحيح ، وإلا أودت بصاحبها .

٢ ـ الشعور الفردي :

جاء الشعور الفردي في الشعر الكلابي مضارعاً للشعور الجماعي إن لم يكن أشد منه جلاء ، فالذات وما يتعلق بها لها أفراحها وأتراحها ، التي تنبو على غير حسبان ، فحين يحس الانسان بنديّته أمام أعدائه تتعالى فيه عاطفة التعالي والمباهاة ، فيرى خصومه أضعف مما يتصوّرون ، من مثل قول الأحوص بن جعفر الكلابي[١] متمثّلاً به يوم جبلة :

نُبِّئْتُ أنَّ بني ربيعةَ أجمَعُوا ... أمراً خلاَ لهم لتقتل خالداَ

إن يقتلُوني لا تُصِب أرماحُهم ... ثأري ويسعى القوم سعياً جاهدا

أرمي الطريقَ وإن صُدِدتُ بضيقةٍ ... وأنازلُ البَطَلَ الكميَّ الجاحِدا

لقد حاول الشاعر أن ينقل مشاعره من خلال الصورة ، إذ رآها أبلغ معبر وأتمّه عن إحساسه القوي بشجاعته ، كما تعلو نبرة التباهي حين يكون اسم الشخص دليلاً عليه ، ونسبه منبئاً عن شدة الإعجاب بنفسه ، كقول السندري بن يزيد الكلابي[٢] :

إنّي لمن أَنْكَرَ صوتي السَّندري ... من ولد الأحوصِ أَخوالي غَنِيْ

وكأنما يحاول الشاعر إبراز ذاته وسط منكريه .

وتبلغ مشاعر الفخر حدَّ الظهور للعيان ، فإذا العبارات ترقص في تواؤم مع رقص الزهو في الشاعر الذي يحاول تجسيد مشاعره وهو يتنزّى مقاتلاً وسط المعركة ، حتى خرجت كلماته تشكل فعلاً يُرَى عيانا ، مما يكشف عن عواطفَ يجمح بها العنف ، يقول شمر بن ذي الجوشن الكلابي[٣] :

نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عرينٍ باسلاَ ... جَهْمَاً مُحَيَّاهُ يدُقُّ الكاهلاَ

---

(١) الأغاني ١٩/١٩١ .

(٢) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣١٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٦/٥٤ .

لم يُرَ يوماً عن عدوٍّ ناكلاً إلا كذا مُقاتلاً أو قاتلاَ
يُبْرِحْهُمُ ضرباً وَيُروي العَامِلا

وربما كان مصدر الشعور هو إحساس الشاعر بابتهاج الآخرين بمدائحه فيهم ، وكأنما هم قد قُلِّدوا اللؤلؤ يُرَى على نحورهم ، وما عقيل بن العرندس الكلابي إلا واحدٌ ممن يُبَاهي بمباهاة غيره بشعره ، إنه يقول[١] :

مَدَحْتُ بني عمروٍ وقوميْ سِوَاهُمُ وَحُسْنُ ثنائي كالجُمَانِ على النَّحْرِ

وإذا رثى الكلابي اشتدت عاطفته الحزينة ، وتحوّلت من البكاء إلى الغضب ، والإصرار على الثأر للميت ، من مثل قول يزيد بن عمرو الكلابي[٢] في يوم المرُّوت :

أوارِدَةٌ عليَّ بنوُ رياحٍ بِعيرِهمُ وقد قتلوا بَحيرا

إذ خرج الشاعر عن طور الهدوء إلى ما يجب عليه تجاه الميت ، وهو شعور لم تُصَرِّح به الألفاظ وإنّما وشى به الإستفهام .

وقد يبدأ الشعور هادئاً ثم يشتد ، كقول عبد الله بن جعدة الكلابي[٣] في رثاءِ أخيه معاوية :

كُلُّ امْرِىءٍ مُوْدٍ كما أَودى معاويةُ بنُ جعده
هَبِلَت عليه ما أشدَّ غَنَاءَهُ وأَشدَّ فقدَهْ
وأَشدَّ مِرَّتَهُ على الأعداءِ ذا شِيَعٍ وَحِدَّهْ
لا مالهُ أبقى ولا أحدٌ يُرجَّى الخلد بعده

وتنقل لنا الصورة أشد حالات الجزع على الميت ، حين يقول الشاعر في قصيدة يرثي بها خالد بن جعفر الكلابي زعيم القبيلة[٤] :

شَقَّت عليك العامرية جيبها أَسفاً وما تبكي عليك ضلالاَ
يا حَارِ لَو نَبَّهتَهُ لوجدتهُ لا طائشاً رَعِشَاً ولا معزالا
واغرورقت عيناي لما أُخبرت بالجعفريِّ وسَبَّلَت إسبالا
فلنقتُلنَّ بخالدٍ سرواتكم ولنجعلن للظَّالمين نكالاَ

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٠٢ .
(٢) النقائض ٧٢/١ .
(٣) الوحشيات ص ١٤٨ .
(٤) العقد الفريد ١٣٨/٥ .

إذ تظهر مشاعر الانكسار والذل لفقد عمود القوم ، حتى إذا كان البيت الأخير صارت المشاعر ذات تاثير .

ومن المعهود إخفاء المرأة لمشاعرها غير أن هذا لا يصدق على المرأة الكلابية ، فهي إذا ما رثت لم يمنعها خجلها أن تصرِّح بوقع موت البعداء على نفسها ، لكنها تبرر ذلك ، وربما كان هذا ردّاً على ما يمور داخل الصدور مِنْ تساؤلٍ عن شأن هذه المرأة بذلك الرجل ، تقول زينب بنت مالك الكلابي[1] ترثي يزيد بن عبد المدان :

بَكَيتُ يزيدَ بنَ عبدِ المدا ... نِ حَلَّت به الأرضُ أثقالها
فككتَ أُسارى بني جعفرٍ ... وكندةَ إذ نلتَ أَقوالها
ورَهطُ المُجالدِ قد جلَّلت ... فواضِلُ نُعماك أجبالها

لكن حياء المرأة يبدو خافتاً من خلال إلباس مشاعرها ظواهر الطبيعة .

و لم تكن تلك الصراحة الأنثوية قاصرة على الرثاء ، بل نجدها أبين في الهجاء ، فسلمى بنت المحلّق تُعيِّر رجلين ـ من قومها كانا سبب هزيمة القبيلة ـ بعيرة يستحي منها الرجال ، فهي تقول[2] :

لحى الإلـهُ ابا ليلى بفرَّتِهِ ... يومَ النِّسَارِ وَقُنْبَ العيرِ جوَّابا
لم تَمْنَعُوا القومَ إذ شَلُّوا سوَامَكُمُ ... ولا النساءَ وكان القومُ أَحزابا

لكنها تُعذر لجموح مشاعرها لمَّا عظم المصاب في قبيلتها ، فهي أيضاً وفيّة لها ..

ويبلغ انجلاء المشاعر عند المرأة الكلابية حدَّ الكشف عما يجب ستره ، فأم الأسود الكلابية تعلن عن أُمور عرفتها في زوجها ، لا يردعها شيء عن الإفصاح عمّا أنكرت فيه ، حتى استبدّت بها مشاعر العداء عليه ، فنازعتها النفس الأمارة على قتله لولا نبض إيمانٍ يخوّفها العذاب ، إنّها تصفه بقولها[3] :

يرى الطيبَ عاراً أن يمسَّ ثيابهُ ... أو المسك إن علاه صُوارُهَا
بَعيدُ المدى يقضي الكرى فوق رحله ... إذا القوم بالموماة حار شِرارُها
لعمرُ أَبي ما خارِ لي أن يبيعَني ... بأَبعرةٍ إذ قحَّمتهُ عشارها

---

(١) الأغاني ١٢/١٨ .

(٢) النقائض ص ٢٤٢ . قنب العير : جراب قضيبه .

(٣) بلاغات النساء ص ١٣٩ . صُوار : رائحة طيبة . (القاموس المحيط) قَحَّمته : جعلته عجوزاً .

فوا لله لولا النَّارُ أو أن يُرى أبي ... له قود أو أن يَنَالني عَارُها
لقد نازَعَت كفّي المهندَ ضَرْبةً ... وكان عليه خبلُها وشنارها

وفي مجال الفخر تعلو نبرة الإعتزاز بالنفس ، وهو اعتزاز لا يغمط حق الآخرين ، ولكنّه يسنُّ لمن بعده سبيل التعقل في إبراز صفات الذات مع إنصاف الأنداد ، وتبيان أنَّ المكاسب الفردية تعود بنفعها على الجماعة ، وكأنّما هذا الفرد قد وظّف نفسه لنجدة المجتمع ، ولذا فهو يتمادى أريحيةً حين تُلمُّ ملمةٌ وهذا شأن معاوية بن مالك الكلابي إذ يقول[1] :

حملتُ حَمَالةَ القُرشي عنهم ... ولا ظُلماً أردتُ ولا اختلاباَ
أُعودُ مثلها الحُكماءَ بعدي ... إذا ما الحقُّ في الأشياع نابا
سبقت بها قُدامةَ أو سُمَيْراً ... ولو دُعيا إلى مثل أجَابَا
وأكفيها معاشر قد أرتهم ... من الجرباء فوقَهُمُ طِبابَا
يَهِرُّ معاشرٌ مني ومنهم ... هريرَ النابِ حاذرتِ العِصَابَا
سأحملُها وتعقلُها غَنِيٌّ ... وأُورِثُ مجدها أبداً كلابا
فإن أحمد بها نفسي فإنّي ... أَتيتُ بها غداتئذٍ صوابا
وكُنتُ إذا العظيمةُ أفظَعتهُمْ ... نَهَضْتُ ولا أَدِبُّ لها دِبابا
بحمد الله ثم عَطاءِ قومٍ ... يَفُكُّونَ الغنائمَ والرقابا

إنها ذاتٌ متزنة ، تُعطي كلاً قدره .

وتفعل مشاعر الوفاء في الشاعر عوف بن الأحوص الكلابي بالغ الأثر حتى يهون عليه ولده أمام ما التزم به لغيره ، فيقدم التزامه على فلذة كبده فيقول[2] :

ولا آتي لكُمْ من دُونِ حقٍّ ... فأُبْطِلَهُ كَمَا بَطَلَ الحِجَاءُ
خُذُوا دأباً بما أثأَيْتُ فيكم ... فليس لكُم على دأبِ عَلاَءُ

ولم تكن المشاعر التي تربطهم بأفراد المجتمع هي التي يحق لها البروز ، بل إنَّ ما بين الأسوار من أسرار ظهر للناس ، فذا كهل كلابي يقول[3] لزوجته :

---

(١) المفضلية ١٠٥ . اختلاب : خديعة . الأشياع : المتفرقون . ناب : جاء . الجرباء : السماء . الطباب: الخرز في أسفل القربة ، يريد النجوم . الناب : الناقة المسنة . العصاب : ما تعصب به عند الحلب .

(٢) المفضلية ٣٥ . الحجاء : الأحجية . دأب : ابن الشاعر . أثأيت : أفسدت .

(٣) الحماسة لأبي تمام ٢/٣٦١ .

وأَرملـــةٍ تَنُـوْءُ على يـديهـا ... من الضَّرَّاءِ أو قَصَصِ الهُزالِ
خَلَطْتُ بغثِّها سِمْني فأضحت ... شـريكـة من يُعَدُّ من العيالِ
وأفنتني الـلَّيـالي أُمَّ عـمـرٍو ... وحـلّي في التنائف وارتحالي
وتـربيـتي الصغـير إلى مَـداهُ ... وتأميلي هـلالاً عـن هِـلالِ

إننا لنحسُّ بإيقاع مشاعره ، وكأنمـا هـو سيسـقط مـن الإعيـاء وهـو يخاطبهـا ، فـالعَبْرة تسوقه ، وهو في حالٍ من التّحسر يبكي ، ويستحث مشاعر سـامعيه ، ولقـد كـان لتصويـره مشاعر المرأة أن أحال تلك العواطف إلى أصوات مسموعة تنوء تشنّجاً وتهالكا .

وربما ذكر الشاعر مشاعر غيره ليكون صداهـا تبيانـاً لمشـاعره ، فهـذا الأعـور بـن بـراء الكلابي ينقل لنا مشاعر ابن أخته بعد أن أعطاه ناقة من إبله ، فعابها المُعْطَى ، مما جعل خالـه يرد عليه بحماس يبدو فيه مستاءً من عمل ابن أخته ، ومظهراً جـوده بأحسـنِ موجـوده ، راداً تهمة النقد التي رمي بها إنه يقول[1] :

لما أتـاني ابنُ صُبـيـحٍ راغـبَـاً ... أعطـيتهُ عَيسَـاءَ منها فبرق
أعـطـيـتُـهُ مـبـنـيـةً دايـــاتُـهـا ... مائرةَ الضَّبعينِ سَطْعَاءَ العُنُق

إن وصفه للحيوان بهذه الصفـات ليـدل علـى حبـه لـه ، وهـو حـب لا نسـتغربه لـدى العرب، بله الكلابيين ، ذلك أنهم ساووا خيولهم بأنفسهم ، وخلعوا أرديتهم وجعلوها ألحفـة لها ، وقدموا لها لبن نياقهم ، وما هذا إلا إحساسٌ نبيل بمن يشـاركهم حيـاتهم ويَطْعَـمُ معهـم حلوَها ومرَّها ، يقول خالد بن جعفر الكلابي[2] في شعور مرهف تجاه فرسه :

أريغـوني إراغـتـكم فـإني ... وحذفةَ كالشجا تحتَ الوريدِ
مُسَـوَّمَةً أُسـوِّيها بنفسـي ... وأُلحـفُـها ردائي في الجلـيـدِ
وَأُوْصِي الراعيين ليُؤثراها ... لهـا لـبنُ الخلية والصَّـعُـودِ
لعل ا لله يُمْكِـنُني عـليها ... جِهـاراً من زُهـيرٍ أو أَسـيدِ

إنه شعور مودة ووفاء لحيوان عـرف بالـوفاء ، فهـو يقـذف بنفسـه مع صاحبه في أتون

---

(١) تهذيب إصلاح المنطق ص ١٢٦ . ابن صبيح : هو ابن أخت الأعـور . عيسـاء : بيضـاء بشـقرة . برق : تحيَّر . دایاتها : أضلاع كتفها . وتُطلق علـى فقـرات الظهـر . مـائرة الضبعـين : سـريعة . سطعاء : طويلة .

(٢) الوحشيات ص ١٠١ . أريغوني : أي اطلبوني ، فإني وفرسي غُصَّة في حلوق الأعـداء . الخليـة : الناقة التي تركت للحلب . الصعود : الناقة يموت حوارها فتدرُّ على فصيلها .

المعارك لا يصده عنها شيء ، فعزمه عزم راكبه ، ولذلك كان اللُّطف بينهما متبادلا.

وكلابي آخر اسمه ربيعة بن عامر يصل به حُبُّ الحيوان إلى نسيان الأهل ، وتقديم مأكلهم طعاماً للفرس ، وما هذا إلا دليل التعلق النفسي والعاطفي بهذا الحيوان الذي اتخذه الإنسان عدة وسبيلاً للعزة ، يقول ربيعة[١] :

أذنتُ لكُم أن تشتروا بفُضُولها وأعددتُ للأعداء والحربِ ناثِلا
حَفَوْتُ لهُ أهلي وألطفتُ جُلةُ وأَفصِلتي حتّى شتونَ حَسَاكِلاَ

أليس في هذا ما يدل على المشاعر الفياضة نحو الحيوان ؟ وما هذا اللطف معه إلا إحساس بأن له روحاً تستحق العطف .

إن مشاعر عشقهم للحيوان جعلتهم يرون فيه ما يرونه في المرأة من طباع ، وذلك لشدة إعجابهم به ومعايشتهم لحركاته وسكناته التي صارت مصدر إلهاب لتلك العواطف الرقيقة تجاه حيوان عرف بالغلظة ، ولكن تلك الغلظة أصبحت عندهم إيقاعاً يسم القلوب لينا ، إن هذا ما يمثله بيت جهم بن شبل الكلابي[٢] وهو يصف ناقته وصفاً قال عنه ابن الأعرابي : هذا أحسن ما وصف به الناقة :

تَدَلَّلُ تحتَ السَّوطِ حتّى كأنّما تَدَلَّلُ تحتَ السَّوطِ خَوْدُ مُغاضِبُ

إنّ إحساسهم بروح الحيوان جعلهم يُلِمُّون بكل الجوانب النفسية المتعلقة به ، فكان أن ارتبطوا شعورياً بحيواناتهم ، فما إن يصدر عنها شيء حتى يطرق وجدانهم قبل أبصارهم ، وتسجَّل أفئدتهم ما توحي به تصرفات تلك الحيوانات من دلائل شعورية ، تمسُّ شغاف قلوبهم ، فيندمجوا معها في إحساس واحد يحكي إحساس الإنسان ذاته ، الذي وجد في تعبير الحيوان بثاً لخافي آلامه ، وتبياناً عمَّا حوت أضلاعه ، فكان أن كفتهم هذه الحيوانات الكشف عن أحاسيسهم ، وعكست مستور مشاعرهم ، ويعتبر الشاعر ثعلبة بن أوس الكلابي أوفى الشعراء الكلابيين في نقل مشاعر الحيوان ، وذلك نابع من إحساسه بأنَّ لهذا المخلوق روحاً لا تختلف عن روح الإنسان ، يقول ثعلبة[٣] :

وَمَا ذُو مِشْفَرٍ نِقضٍ يَمَانٍ بِنَجدٍ كان مُغتَرباً نزيعا

---

(١) أسماء خيل العرب ص ١٣٨ . ناثل : اسم فرسه . حفوت : أي لم أترك لهم شيئاً من أجله . جُلّة: ما يجله به . حساكل : مهازيل ، وهي صغار الإبل لم ترو من اللبن .

(٢) لسان العرب (دلل) .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٩٧/١ . نقض : مهزول من السير .

يُمارسُ رَاعياً لا لين فيه وقيداً قَد اضرَّ به وجيعا
إذا ما البرقُ لاحَ لهُ سَنَاهُ حِجَازِياً سَمِعتَ لهُ سَجِيْعَا
بأكثر غُلَّةً مني ووجداً لو أنَّ الشمل كان بنا جميعا

لقد ساوى بين الحيوان والإنسان في العواطف ، بل أظهر تفوق الحيوان في تلك الأحاسيس .

وللشاعر أبياتٌ أخرى يؤكد فيها على تلك العواطف الجياشة التي تمور في صدره نحو أحبابه ، فهو يذكر جملاً كبير السن يحن شوقاً إلى دياره بعد أن بُدِّل غيرها فلم يعد مستسيغاً ماءها ومرعاها فيقول(١) :

وَمَا عَودٌ يَحِلُّ بِبَطْنِ نَجدٍ مُغاني الشَّوقِ مُضطمرٌ قليلاَ
إلى وادٍ تذكَّر عدوتيه أسنَّ به وكان به فصيلا
فَبُدِّلَ مشرباً من ذاك مِلْحَاً وَظِمأً بعد قِصْرته طويلاَ
يحنُّ إلى الجنائبِ هيَّجتهُ ضُحَيّاً أو هَبَبنَ له أصيلاَ
بأكثر غُلَّةً مني وجُهداً على إضماريَ الهجرَ الطويلاَ

وكانت المقارنة بين مشاعرهم ومشاعر الحيوان قائمة على الدوام ، وذلك لأن معايشتهم له أرتهم حقائق أنفسهم متجسدة بصدق ، ولطالما كان البث الوجداني للحيوان باباً للولوج إلى العواطف الإنسانية التي تتضح أكثر عندما تُقْرن بغيرها ، من مثل قول أعرابي من بني كلاب رأى حنين ناقته مبدياً لواعجها ، وأسى نفسِه رهينُ الضلوع لا يبرحها ، فهو يقول(٢):

فَمَنْ يَكُ لم يَغْرَضْ فَإنّي وناقتي بحجرٍ إلى أَهلِ الحِمى غَرِضَانِ
تَحِنُّ فَتُبْديْ ما بها من صبابةٍ وأُخفي الذي لولا الأسى لقضاني

وما كان لمشاعرهم الفردية أن تتحقق إلا عن طريق حيوانهم الأليف الناقة ، التي تحملت مؤنة تلك المشاعر التي تصدَّع عنها صدر العاشق ، حين أُوجع بفراق الأحبة ، فما كان له أن يحبس عواطفه ، ويبقى سجين مراحهم ، وإنما رأى في ناقته خير عون ، على تحقيق مراده ،

---

(١) الزَّهرة لابن دؤاد ص ٣٤٨ .

(٢) الكامل للمبرد ٣٢/١ . يغرض : يشتاق . لقضاني : أي لقضى علي الموت .

فامتطى ظهرها يحثها نحوهم ليلحق بهم ، وما كادت لتلحقه لولا صدق مشاعره ، وهذا ما يمثله بيتا زر بن أربد الكلابي[١] :

بَانَ الخليط لنية فتَصَدَّعُوا ... وَرَمَوا فُؤادكَ بالفراقِ فأوجعُوا

وطلبتهم مدَّ النهار فلم تكد ... بالحيِّ يُلْحِقُني الجَنُوبُ الميلعُ

إن شدة العاطفة قد دفعته للمضي خلفهم ، وذلك من أوهن تأثيراتها ، فقد يكون لعواطف الحب أن تودي بالمحب إلى تسليم نفسه للحبيب ، والإذعان لسيادته ، يقول محمد بن الخطاب الكلابي[٢] :

عَلِّمِيني الإصدارَ والإيرادا ... فَارْفقي بي فقد ملكتِ القيادا

لا تقولي إذا نأيتُ سلا عنـ ... ـنا وإن زُرتُكُم أَراد البعادا

علِّمِيني الدُّنُوَّ منكِ إذا شئـ ... ـتِ وَعَنْكِ البِعَادَ أَلقى الرَّشادا

ومن دلائل قوة المشاعر تكرار السؤال عن الحبيب وملاقاة الركب على الجوادِّ للسؤال عن الأحباب ، وتلك حالة عاطفية تعقبها آثارها ، نجدها عند ابن هرم الكلابي[٣] :

وأَستخبرُ الأخبارَ من نحوِ أرضها ... وأَسأل عنها الركبَ عهدُهمُ عهدي

فإن ذُكِرَتْ فاضت من العين عبرةٌ ... على لحيتي نثر الجمانِ من العِقْدِ

إنَّ لهفته لأخبار الحبيبة جعلته يتعرض لكل قادم من جهة ديارهم يسأله عنها ، فيعود عليه سؤاله حزناً إذ لا يجد عندهم ما يشفي النفس من أخبار جديدة ، وما إن تُذكر حتى يَلِجُّ به الهوى ، وتستبد به مشاعر الأسى على الفراق ، فتنهمر الدموع تفضح المكنون .

إن تعلقهم بأحبابهم جعلهم يبكون ديارهم ، وهو بكاء ينم عن حسرة على ما مضى واكتواء بحاضر لم يغن شيئا ، يقول أَربد بن قيس الكلابي[٤] :

وكائن أتى لِلدَّارِ بَعدكَ مِن شَهرِ ... وَصَفْقِ سَوَارٍ من رياحٍ ومن قَطْرِ

فامسكتُ فيها أَبتغي العلمَ عندها ... فضنَّت علينا بالجوابِ وبالخُبرِ

إنَّها حالة اليأس بعد لأي من الصبر .

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ١٣٢ . الجنوب : التي تميل على جنبها من السرعة . الميلع : المسرعة .

(٢) الزَّهرة لابن دؤاد ص ٩٧ .

(٣) الحماسة لأبي تمام ٢/١٥٠ .

(٤) المؤتلف والمختلف ص ٢٥ . سوار : الرياح والأمطار تسري ليلا .

وما ذكرهم لأسماء الديار وتحديدهم لأماكنها إلا شاهد على بالغ عشقهم لها ، لأنها مُنْبثقُ مشاعرهم ومحط أفئدتهم ، يقول عبيد بن العرندس الكلابي[١] :

يا دارُ بينَ كُلَيَّاتٍ وأظفَارِ ... والحمَّتينِ سَقَاكِ اللهُ من دارِ
على تَقَادُمِ ما قد مرَّ من عُصُرٍ ... مع الذي مرَّ من ريحٍ وأمطارِ
عنَّا غنيتِ بذات الرمث من أَجلى ... والعهدُ منكِ قديمٌ منذُ أَعْصَارِ

إنَّ في دعائه للديار بالسقيا ما يشي بظمئه ، ويوحي بألمه ، الذي صرح بمصدره بعد ذلك .

ويقول مطير الكلابي عبد بني قريط[٢] ، وقد اشتاق للديار :

أَلا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... وَصدَّاءُ مني والبيَاضُ بَعِيدُ
بوادٍ من اللَّعباءِ أَعلاَهُ عوسجٌ ... وَأَسْفَلُهُ رِمثٌ أَحَمُّ جَهِيدُ

إذ يظهر اليأس من لذةٍ لم يبق منها إلا طنينها في السمع والفؤاد .

ويأتي الأُسلوب التّركيبي باستخدام النفي المتكرر دالاً على عواطف القنوط من الديار وأهلها في قول دآود بن بشر الكلابي[٣] :

أتبكي على ريَّا ونجدٍ ولن ترى ... بعينيكَ ريَّا ما حييتَ ولا نجدا
ولا مُشرفَاً ما عِشتَ أنقاء وجرةَ ... ولا واطئاً من تُربهنَّ ثرىً جَعْدَا
ولا واجداً ريحَ الخُزامى تَسُوفُها ... رياحُ الصَّبا تعلو دكادِكَ أو وَهْدَا
تَبَدَّلْتُ من ريَّا وجاراتِ أَهْلِها ... قُرىً نَبَطِيَّاتٍ يُسَمِّيْنَني مُردا

---

(١) الكامل للمبرد ٧٨/١ ، كُلَيَّات : كلية آبار في وادٍ يأتي من شمنصير بقرب الجحفة (معجم البلدان) . أظفار : أبيرقات حمر في ديار فزارة (معجم البلدان) . الحمَّتين : حمتا الثوير ، والثوير: أبيرق أبيض في ديار بني أبي بكر بن كلاب (بلاد العرب ١١٧) . أجلى : هضبة في فلاة الثعل (السابق) .

(٢) بلاد العرب ص ١٦٧ . صدّاء : مويهات بالبياض بين سعد بن زيد مناه وكعب بن ربيعة بن كلاب (معجم البلدان) . اللعباء : موضع كثير الحجارة بحزم بني عوال (ق . المحيط) .

(٣) الحماسة البصرية ١٧٥/٢ . أنقاء وجرة : كثبانها ، ووجرة فلاة بين مران وذات عرق (معجم ما استعجم) .

٣ ـ الشعور الجماعي :

لا يكاد يخفت صوت الشعور الجماعي في الشعر الكلابي ، فهو جلي عند الشعراء الجاهليين ، والأمويين منهم ، لارتباطهم بعرى ذلك الشعور ، بينما تضعف تلك العرى إبَّان العصر الإسلامي ويحل محلها رابط أقوى وأقربُ للنفس.

كان الشاعر أبو دوآد الرُّؤآسي لسان قبيلته ، المباهي بحروبها ، إذ كان همه الأول هو أن يُظهر شأن قومه ، وأن يعلي اسمهم في المحافل ، لذا غلب عليه الحديث بضمير الجماعة ، فهو يقول(١) في رد بني كلاب لبني نُمير بعد أن لحقت ببني سعد بن زيد مَناة :

دَفَعنا والأحبةُ من دَفَعْنَا ... وَكُنَّا مَلْجَأً لبني نُميرِ
حَوَينَا حَجْرَنَا لَهُمُ فَحَلُّوا ... إلينا بعد تَظْعَانٍ وسيرِ
وكانَ الرَّأسُ يومَ قِراصَ منا ... ومنَّا الرأسُ يومَ أبي عُميرِ

إنَّ نبرة التعالي تُظهر اعتزاز الشاعر بقبيلته ، وابتهاجه بأفعالها الحميدة ، وهو إحساس لا تنطفيء جذوته لدى الشاعر ، فقد عُمِر قلبه بحبٍّ قومه ، وشدا بهم في كلِّ جانب ، فأبان أيامهم من خلال شعره ، وفصَّل معاركهم مع أندادهم ، حتى استحق أن يكون شاعر القبيلة بحقٍ ، فقد قال(٢) عن يوم فيف الريح ضدَّ قبائل مذحج من جعف وزبيد وسعد العشيرة ونهد وصداء ، وخثعم وشهران وأكلب ، التي أغارت عليهم في فلاة فيف الريح فأوقعوا بهم:

ألا هل أتاك ما لقيتْ قَنَانُ ... وما لقيت ببلدتها صُداءُ
أتانا أنَّ بالخرماءِ مِنهمْ ... سَوَامَهُمُ وَدُونَ الفيف شاءُ
فوجّهنا كتائب غير ميلٍ ... ولا كُشُفٍ إذا كُره اللقاءُ
وأفلتنا المُحجَّلَ في صلاهُ ... طريرُ الحدِّ ينهاهُ اللواءُ
وغَادَرْنَا بني الديانِ صرعى ... كأنَّ رؤوس سادَتها الغُثاءُ
تنادوا نحونا ودعوتُ قومي ... كلاباً والأمورُ لها بَدَاءُ
فأنعمنا هناك على شَريكٍ ... وكُنَّا من سجيتنا الحِبَاءُ

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٣ . قراص : ماء لبني عمرو بن كلاب (معجم البلدان) . أبو عمير : رئيس مذحج يوم فيف الريح .

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٧٨٤ . قنان : هم عمومة الحصين الحارثي . صداء : قبيلة من مذحج. الخرماء : الرابية . فيف الريح : أرض بين ديار عامر بن صعصة وديار مذحج وخثعم . المحجل : لقب معاوية بن حزن الحارثي لبرصه (المحبر ٣٠١) . صلاه : الصلا : موضع اتصال الفخذين بالظهر . طرير الحد : يريد الرمح الحاد . بنو الديان : بنو يزيد بن قطن من مذحج .

ونحسُّ بصدق عاطفته ، ومشاركته لقومه في مشاعرهم ، حتى لكأنهم في قوة اتحاد عواطفهم أبناء أُمٍّ واحدة ، متوافقين إحساساً وعزما ، إنه يقول(١) :

وَكُنّا بني أُمٍّ حَمَينا ذِمَارَنَا ولم يَكُ فينا العاجزُ المُتَزلّجُ

سَيُخبرُ عن أيامنا وبلائنا وشداتنا في الحرب حِدجٌ وحُنْدُجُ

وتبلغ قمة الشعور بأحد الكلابيين حدَّ الكبرياء وهو ينتسب لقومه في اعتزاز وخيلاء تمادَيا به إلى الشموخ المتعالي الذي يكاد منه أن يهدر كهدر البعير الهائج لا يبالي بأحد ، فهو يقول(٢) :

لأهدِرَنَّ اليوم هدراً صادِقاً هَدر المعنّى ذي الشَّقاشِقِ اللَّهم

إنَّ كلاباً والدي لاذا جرم

إنّ كونه من بني كلاب فخر لا يدانيه فخر ، لذا فهو يعلنه بالصُّوت والصورة غير هيَّاب ، لاستناده على ما يحق له أن يطاول به .

وحين تشتد مشاعر حب الفرد لقبيلته فإنه يسوق ما يدل على ذلك من مظاهر تفصح عن حَمِيَّته دونهم ، والعمل من أجلهم ، ولا فرق في هذا بين الشاعر الجاهلي والشاعر الأموي، فهذا شاعر بني كلاب في عصر بني أمية درَّاج بن زرعة يقول خائفاً على قومه بني عمرو ومحذّراً إياهم من أن يهونوا أمام أعدائهم ، وذلك صدق المودة وبالغ الولاء :

فبلّغ بني عمرٍو سلاماً ورحمةً بآياتِ شدّاتي إذا الخيلُ تُقْدَعْ

فقد كُنْتُ أُعْطِيكُم طريفي وتالدي وأدفع عن أحسابكمُ كل مَدفَع

فلا تخشعوا للقومِ من خشيةِ الردى لُكلٌّ امرئ يوماً حِمَامٌ ومصرعْ

وإنّي لأخشى من رجالٍ تركتُهُم ورائيَ أنْ يُعطوا الذي كنتُ أمنع

ولم يكن الرجل هو حامل الهم القبلي ، بل شاركته المرأة إحساسه نحو القوم ، فنزت مبتهجة بأفراحهم وأغضت الجفن على أتراحهم ، فتلك جمل بنت أبي هلال الكلابية تذكر يوماً لقبيلتها وتتمنى تكراره وتقول(٣) :

أهفي على يومٍ كيومِ سُويقةٍ شفى غِلَّ أكباد فساغ شرابها

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٧٩٠ .

(٢) الأمالي لأبي علي القالي ٢/٢٣٦ . هدر البعير : ردَّد صوته في حنجرته . الشقائق : الشِّقشقة : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج . اللَّهم : المسن . لاذا جرم : أي حق .

(٣) بلاد العرب ص ١٠٦ . سويقة ماءَة للضِّباب (السابق ص ٣٩١) .

وتتلوى سلمى بنت المحلّق من بلوى الهزيمة التي حلّت بقومها ، وأفقدتها القدرة على ضبط نفسها حتّى خرج بها شعورها المحتد عن سمت المرأة وخجلها فأخذت تصبُّ جام غضبها على من سبب الهزيمة في ألفاظ توحي بأن متلفظها مع بالغ أساه لم يعد مُطيقاً الصبر ، فهي تقول[١] :

لحى الإلـه أبـا ليلى بِفرّتـه ... يومَ النّسَارِ وقُنْبَ العِيْرِ جَوّابا

كيف الفخارُ وقد كانت بمُعترَكٍ ... يومَ النّسارِ بنو ذبيان أربابا

لم تمنَعُوا القوم إذ شَلّوا سوامكُمُ ... ولا النّسَاءَ وكان القوم أحزابا

وتتغير مشاعر المرأة تبعاً للعقيدة التي آمنت بها ، فما عادت شؤون القبيلة تحركها ،بل صار لها محرك آخر منبثق عن إيمانها يجعلها تنكر على كلٍّ من يخالف دين الله ولو كان من أهلها ، فقد ذكر الواقدي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى بني حارثة بن عمرو سنة تسع يدعوهم إلى الإسلام ، فأخذوا الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها دلوهم ، فقالت أم حبيب[٢] بنت عامر بن خالد بن عمرو بن قريط الكلابية منكرة عليهم :

إذا ما أَتتهُم آيةٌ من مُحَمَّدٍ ... مَحَوها بماءِ البئر فهو عصِيرُ

وإذا كانت المشاعر القبلية قد طغت في أحايين كثيرة من خلال الشعر الكلابي إبّان عصريه الجاهلي والأموي ، فإنَّ هذا لم يطغَ على صدقهم الشعوري ، وهم يتحدثون عن معاركهم مع أعدائهم ، فقد أنصفوهم ، وذكروا ما لهم وما عليهم ، فأبو دؤاد الرُّؤاسي يذكر تشاركهم مع عدوهم في التقاذف بالسيوف ، وغزواتهم المتبادلة بينهم فيقول[٣] :

نُقاذفُ بالأسيافِ عبساً وطيئاً ... وقد أَحجمت عنّا تميمٌ ومذحجُ

بغزوٍ كولغ الذئبِ غادٍ ورائحُ ... وسيرٍ كصدرِ السيفِ لا يتعرّجُ

والقتال الكلابي يعترف بخوفه فيقول[٤] :

أَلا هـل أتى فِتيانَ قومي أنّني ... تسمَّيتُ لما اشتدتِ الحربُ زينبا

وأدنيتُ جلبابي على نبتِ لحيتي ... وأبديت للقومِ البَنَان المُخضّبا

---

(١) النقائض ص ٢٤٢ . قنب العير : جراب قضيبه .

(٢) الإصابة ١٩٨/٨ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ٧٨٨ .

(٤) ديوان القتال الكلابي ص ٣٥ .

ويعلن زفر بن الحارث الكلابي هزيمته أمام عدوه قائلاً[١] :

وكُنا حسبنا كلَّ بيضاءَ شحمةً ... لـيـالِيَ لاقيـنا جُـذامَ وحِـميرا
فلمَّا قَرَعنا النبع بالنبعِ بعضَهُ ... ببعضٍ أَبت عيدانه أن تَكَسَّرَا
ولمـا لقينا عُصْبَةً تغلبيةً ... يقودونَ جُـرداً للمنيـة ضُـمَّرا
سـقيناهُمُ كأساً سقونا بمثلها ... ولكنّهم كانوا على الموتِ أصبرا

وإذا ما فرضت الحرب نفسها على أبناء القبيلة ، فإنها لا تلغي مشاعر القربى بينهم ، إذ لا يمكن أن ينسوا أخلاقهم الأخوية التي ملأت قلوبهم وإن انهمرت دماؤهم ، فهذا هـدم بـن عمَّار الكلابي يتحدث عن موقعة بين أبنـاء الأعمـام مـن القبيلـة يظهـر فيهـا امـتزاج مشـاعر الخجل لِمَا حدث بمشاعر الإبقاء على ما بقي ، ويقول[٢] :

تلاقينا ونحن بنو عُـمُومٍ ... وشُبَّتْ بيننا نارُ الذُّحُولِ
فلم نَذْعُر نساءهُمُ بسبيٍ ... ولم نسلُب سرابيلَ القتيلِ

وما كانوا ليقدموا على التباغض فيما بينهم ، أو ليدفعهم أمر هيِّن للشحناء ، فقـد كـان طبعهم الهدوء والحلم ، حتى إنَّهم ليتفادون الخلاف فيما بينهم بكل أساليب المودة ، وهذا مـا حكاه يزيد بن الحكم الكلابي في قوله[٣] :

دفعناكُـمُ بالقـولِ حـتى بَطِرتُـمُ ... وبالرَّاحِ حتّى كان دفعُ الأصابِعِ
فلـما رأينا جـهـلكُم غـير مُنـتهٍ ... وما غابَ من أحلامكم غير راجعِ
مسـسـنا من الآبـاء شـيئاً وكلنا ... إلى حسـبٍ في قـومـه غـيرِ واضـعِ
فلما بلغـنا الأُمـهـاتِ وجـدتُـمُ ... بني عمكم كانوا كـرامَ المضـاجـعِ

إنَّ كلمة مسسنا تُبين لطفهم في العتاب ، وتورعهم عمّا يشين ، كما يتضـح أن للنسـاء عندهم حرمة أعظم توقيرا ، وأنزه قدرا .

إن احتفاءهم بالرابط الاجتمـاعي جعلهـم يعـدُّون ذلـك مفخـرة يتميزون بهـا ، وتلـك مشاعر عمقها الإسلام فيهـم ، حتى جـاءت على لسـان الشـاعر الأمـوي عمـرو بـن الـبراء الكلابي صفة يمتدح بها نفسه ، لإحساسه بأن ذلك من دلائل رقة القلوب فهو يقول[٤] :

---

(١) ديوان زفر بن الحارث ص ٢٣٩ .
(٢) الأشباه والنظائر للخالديين ٢٧٨/٢ . الذحول : جمع ذحل : وهو الثأر .
(٣) الحماسة لأبي تمام ١٣٢/١ .
(٤) النوادر لأبي زيد ص ٤٤٣ .

وذي رحمٍ ذي حاجةٍ قد وصلتُهُم إذا رَحِـمُ القَطَّـاعِ نَشَّـت بـلالُها

وإذا كان العصر الأموي قد عرف بأنه عصر التَّحَزُّب والقبلية ، فإن هذا لا يعني امِّحـاء الروح الإسلامية التي تؤلف بين الناس وتلم شعثهم بعد فرقة الجاهلية وتنافر جماعاتها .

فالشاعر الأموي الآخر مربع بن وعوعة الكلابي يؤكـد علـى أن الأنفـس وإن تبـاعدت فإنَّ اختلاطها في تآلف ومحبةٍ هو سبيلها الأسنى ، وهو ما عايشه الشاعر تجربـة حقيقيـة[1] : فهو يحمد هذا ، ويقول :

جـزى الله خـيراً والجـزاء بكـفِّـه كُليبَ بنَ يربُوعٍ وزادهم حمدا

هُمُ خلـطـونا بالـنـفـوس وألجـمـوا إلى نصرِ مولاهُمْ مُسـوَّمَةً جُردا

---

(١) لباب الآداب ص ٢٦٨ .

الخَاتِمَةُ

الخاتمة

أحمد الله سبحانه على أنْ وفّق فكان هذا البحث الذي درس شعر قبيلة بني كلاب من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي ، لما بين أفراد القبيلة من وشائج ومؤثراتٍ اجتماعية وبيئية تنتج عنها صفات متحدة في شعرهم ، ومن أجل ذلك كان المبتدأُ في الباب الأول تاريخَ القبيلة الذي احتل ثلاثة فصول ، تناول الأول نسب القبيلة وعشائرها ثم ديارها التي شملت رقعة واسعة من الأرض ، ثُمَّ حروبها مع القبائل المجاورة وأحلافها وصلاتها بالممالك العربية ، وموقفهم من الرسالة وعلاقتهم بالدولة الإسلامية ، وخرجت من هذا بأنّها قبيلة عدنانية سكنت عالية نجد ، وكان ديدنها الحرب ، فما من يومٍ مشهور إلا وكان لها فيه مشاركة ، فلماء جاء الإسلام كان ضلالها ضده وعقلاؤها معه ، حتّى اجتمع رأيهم فوفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ٩ هـ ، فلمّا كانت الرِّدة ، منهم من ارتدّ ومنهم من بقي على دينه ، وقد شارك بعضهم في الفتوحات ، وبعضهم لم يبرح دياره ، فوقعت بينهم العداوة . وانقسموا بين علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما .

وكان الفصل الثاني ترجمةً لشعراء القبيلة الذين توفّرت لهم بعض المعلومات ، وبما أنّهم شعراء مغمورون فإنّ التعريف بخمسين شاعراً منهم يُعتبر مكسباً يُضاف لمعجم الشعراء العرب.

وجاء الفصل الثالث تبياناً لمصادر شعرهم ، التي وضّحت أهمّيتها ، ومبلغ ما فيها من الشِّعر والشعراء الكلابيين .

ثمَّ جاءَ الباب الثّاني موضعاً لدراسة الشِّعر من ناحية موضوعاته ، التي احتلت ستة فصول عالج الأول شعر الغزل الذي بدأ تقليدياً ، واختصّ الثاني بشعر الطّبيعة التي عبّرت عن ارتباطهم بأرضهم ، وكان الفصل الثالث يناقش أهم غرض لديهم وأغزره مادة ، وهو الفخر، حيث أظهرت دراسة هذا النوع من الشعر أنَّ قبيلة بني كلاب ذات وجدان قبلي ، فقد عبرت عن مشاعر الجماعة التي انضوى فيها صوت الفرد ، فما كان له أن يعلو إلا بعد مجيء الإسلام ، حتى وإن عبّر الفرد عن خصائصه الذاتية فإنّها في سبيل القبيلة التي يتودَّد إليها بنوها بما كان لهم من أفعال ، ولذا كان شعر الفخر عندهم غزيراً ، وتناول رابع الفصول غرض المدح ، وهو موضوع لم يكن مُحبَّباً لديهم ، لعزة يرونها في نفوسهم ، فكان أقل

شعرهم ، ومثّل الفصلُ الخامس أقسى الأغراض وأشدّها كيّاً وهو موضوع الهجاء الذي كان وسيلة من وسائل الكشف عن صلة القبيلة وأفرادها بغيرهم ، وقد اقترن بالفخر ، ممّا يُبين أنّهم يتخذون خفض غيرهم سبيلاً لرفعة شأنهم ، فهو غرض غير واقعي ، وكما بدأت هذه الأغراض بأرقّها فقد ختمتُها بأرقها أيضاً إذ جاء غرض الرّثاء آخرها وهو موضوع يتّسم بالرّزانة ، ويدلّ على جلد أولئك الباكين لاعتبارات نفسية ، وعقدية .

وعُقِد الباب الثالث للشعر أيضاً ، لكن من ناحية الدّراسة الفنية له ، شملت الشّكل الظّاهري لهذا الشعر ، وكان ذلك هو الفصل الأول ، الذي درس الأساليب التعبيريّة من حيث التركيب ومكوناته ، والصورة الفنية وأقسامها ، والصوت وسماته ، وكانت الوقفة الأخيرة من هذا الفصل عند خصائص البناء الفني للقصيدة الكلابية التي تبيّن أنّها أقل عدداً بالمقارنة إلى مقطوعاتهم ممّا يدل على أنّهم ذوو إحساسٍ حبيس لا تفتأ نفوسهم قلقلة حتّى يُنَفّسوا عنها بتلك البويتات التي تطيب بها جوانحهم ، ثم كان الفصل الثاني خاتمة هذا الباب ونهاية الدراسة ، حيث تحدّثت فيه عن مضمون الشّعر الكلابي من جهة معانيه ، ومشاعر قائليه ، وهي معاني معادة في العصر الجاهلي ، ومتأثرة بعض الشيء بالدين الإسلامي إبان عصر صدر الإسلام ، ومعاودة لأصولها في العصر الأموي ، ممّا يُظهر للشّعر الكلابي مسارين أحدهما تقليدي والآخر تجديدي يترعرع في خفية حين أثّر الإسلام فيهم فاستخدموا ألفاظه ونقلوا معانيه ، وخرجوا في الفُتوحات مُجاهدين فاختلطوا بغيرهم فأثرت فيهم ثقافاتهم ، وسرت فيهم رقتهم ، فجاء شعر هذه الفترة مشوباً بإرهاصات التغيير ، لكنهم لم ينجوا من أسر المحافظة ، حتّى الشعر الكلابي في الأندلس على الرغم من تباين الأمكنة واختلاف الطبيعة فقد ظلّ محتذياً أصوله المشرقية ، متخذاً من التقليد دليلاً على الأصالة والإقتدار الفني .

وبدت لي من خلال هذه الدراسة نتائج كان أهمُّها ما يلي :

من الناحية التاريخية شكّلَت الحرب جانباً مهماً من حياة قبيلة بني كلاب في الجاهلية ، وظهر هذا من خلال نتاجهم الشّعري كما ظهر عزهم وجاههم من خلال إمرتهم لجيوش هوازن وبني عامر .

ومن الناحية الدينية كان تعلقهم بالبيت الحرام قائماً منذ العصر الجاهلي ، تدل على ذلك قصيدة عمرو بن الوحيد بن كلاب التي أوردها ابن حبيب في المنمّق .

وفي العصر النَّبوي تردّدوا في قبول الإسلام فعيبوا ، وأحجموا عن مشاركة قبائل هوازن في غزوة حنين فَحُمِدُوْا .

وفي العصر الراشد بدأوه بالرِّده إلا نفر منهم ، ثمَّ شاركوا في الفتوحات بعد توبتهم . ثم كان ترددهم الثاني بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما ، مما يدل على نوازعهم واختلاف قبائلهم وهو ما فشى علناً في العصر الأموي ، حين كانت النزاعات بينهم على أشدِّها .

وبرز من رجالهم مشاهير في القيادة والعلم ، متوّجين تلك الشهرة بإقامة دولتهم في حلب إبّان العصر العباسي ، وهي المعروفة بدولة بني مرداس .

ومن ناحية تراجم الشُّعراء وكثرة عددهم تبيّن أنّ هذه القبيلة من القبائل التي استوطنها الشعر فكثر شعراؤها ، وقلّ شعرهم ، وهذا مُبيَّن ضياعه .

وتؤكد لنا مصادر الشعر الكلابي ذيوع شعرهم ، الذي غدا متناقلاً بين العلماء والأدباء، وحرصهم على أن يُتحفوا مؤلفاتهم منه ، ويستشهدوا به لقيمه المتعددة .

ومن ناحية الشِّعر الذي وجدناه لهم اتّضح من خلاله ارتباطهم ببيئتهم والتصاقهم بقبيلتهم وذلك في العصر الجاهلي ، أمّا في العصر النَّبوي وعصر الراشدين فقد كان الرابط الديني بارزاً من خلال شعرهم القليل في هذه الفترة ، إذ وجدوا عنه ما يشغلهم .

وأسفرت دراسةُ أغراضهم الشِّعرية عن تقاليد مُتَّبعة ، ومعاني مُتَردِّدة ، مما يُبيِّن صلة الشِّعر بأهله ، وأنّه فَنٌّ تُراعى أصوله ، وتُحتذى أفكاره .

وقد جاء شعر الغزل عندهم مُفصِحاً عن رّقة في عفاف ، كما دلّ شعر الطبيعة عندهم على أثرها فيهم ، وإحساسهم بها فقد دلّت عليهم ودلّوا عليها ، ويأتي شعرُ الفخر مُظهِراً علوَّ صوتِ الجماعة في ظلِّ القبيلة ، وكاشفاً عن تاريخهم الحربي ، ومن شعر المدح القليل يَتَبيَّنُ انصرافهم عن طلب العطاء ، وابتغاءَهم المدح عن قناعة ، إلا شواذّ منهم ، وفي شعر الهجاء الفردي والجماعي يظهر ترفُعهم في معانيهم ، وتتّضح منه قصص عداواتهم ، وفي الرِّثاء بكوا ميِّت الفراش أكثر من بكاء قتيل المعارك مما يُفصِح عن نوعين من الموت عندهم : موت الشرف وموت الضَّعة ، ولم تكن كلّ هذه الأغراض إلا تَبَيُّناً للمعاني قديمها وجديدها وحظ شعراء بني كلاب منها ، فقد برز على يدهم لون جديد من الشعر هو شكوى العمال .

وبدت المرأة في شعرهم شاكية ناقدة ، تحمل الهمَّ .

وفي الأسلوب اتّبعوا مناهج التعبير التقليديّة بلا غموض أو التواء ، وفرض ذلك عليهم معانيهم الشائعة ، ومقاصدهم الواضحة .

وكانت الصورة عندهم تسجيلاً حيّاً لحياتهم ، ودليلاً على واقعيتهم ، فهي منتزعة من البيئة بلا مبالغة ، ومقبولة لدى الأذهان بلا جموح ، ولذا كان التشبيه أكثر استخداماً لديهم. وفي دراسة نغم أشعارهم اتّضح نظمهم في معظم أعاريض الشعر ، مُتَّخِذِين منها لموضوعاتهم ما يناسب من البحور والقوافي ، وإن لم يكن هذا حتماً ، وإنما حسب ما تدعو إليه الذائقة وظهر في شعرهم الإقواء ، وهو أمر لم تعدّه العرب قديماً عيباً .

وفي البناء الفنّي اتخذوا من المقطوعات القصيرة متنفساً لنفوسهم ، وبثاً لما في صدورهم دون أن يكون لهم في الشعر حرفه ، فهو شعر مناسبات في أغلبه ، وجاءت القصائد الطّوال فخريّة أو مدحيّة في عصري الجاهلية وبني أُمية ، ولم تكن مُقدِّمات قصائدهم طللية أو غيرها غالبة ، فكثيراً ما بدأوا بلا مقدمات ، أيّاً كان سبب ذلك ، وفي العصر الجاهلي لم تكن قصائدهم خالصة لموضوع معيَّن ، بينما تتجه أشعارهم فيما بعد للوحدة الموضوعية ، ولم تكن قصصُ الحيوان الوحشي ـ المرافقةُ لوصف الناقة أو الفرس ، وهو ما عهد في الشعر الجاهلي ـ موجودة في شعر بني كلاب الذي درسته .

وفي المضمون كان مرتكزهم على معاني الحماسة والوصف ، وهي معان مباشرة ، نقلت جوانب الفطرة الإنسانية ، وكان شعورهم متبايناً بين سموٍ وانحطاط ، يبين عن اضطراب قبل الإسلام .

وتظهر الدراسة الفنية نواح عديدة من الجمال الشكلي والمتعة الفكرية في شعر بني كلاب ، تشهد بمزاحمته لمشهور الشعر العربي وتأثره به أو تأثيره فيه .

وأهم إنجازات هذا البحث هو أنّه قد أَلَمَّ بأسماء عديدة لشعراء مغمورين مهيئين للدراسة والبحث ، كما وقف على شعرهم الذي يُكَوِّن ديواناً قد يكون عوضاً عن الديوان المفقود وإن شابه التقصير ، غير أن لفت الأنظار لهذا الشعر وأهله أمر علمي لا بد منه ، وما خصائص شعرهم التي حاولت هذه الدراسة إبداءها إلا تنويه إلى مجالٍ من مجالات البحث العلمي تصلح للاستقراء والمقارنة ، وإن لم تفترق ـ على الجملة ـ خصائصُ الشعر الكلابي عن خصائص القبائل المجاورة لها .

وليس وصفي لنتائج بحثي ادعاءً له بالكمال ، ولكنّي أذكر ما وقفت عليه أثناء خطواتي في هذا الدرس الأدبي الذي أطمع أَنْ يُضِيْفَ شيئاً مُفِيداً ، وأَنْ يَسُدَّ ثغرة كانت بادية ، ثم لعلي شجَّعت غيري في أن يخوض ما خضت فتمتليء دلوه من جمام ، وحسبي أنّي ذلّلت سبيل المورد ليرتوِيَ مبتغوه ، وا لله أسأل أن يعينَ ويسدد .

قَائِمَةُ المَصَادِرِ والمِرَاجِع

قائمة المصادر والمراجع

١-أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ، بقلم : حمد الجاسر . منشورات دار اليمامة ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م - الرياض .

٢-الإحاطة في أخبار غرناطة ، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب . تحقيق : محمد عبد الله عَنان . الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٣-الأخبار الطِّوال ، تأليف أبي حنيفة ، أحمد بن داؤد الدِّينوري المتوفى عام ٢٨٢ هـ ، تحقيق: عبد المنعم عامر ، ومراجعة د. جمال الدين الشيال . طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر . دار إحياء الكتب العربية . الطبعة الأولى ، ١٩٦٠ م ، القاهرة .

٤-الأخبار الموفقيات ، تأليف : الزبير بن بكار . تحقيق : د. سامي مكي العاني ، ١٩٧٢ ، مطبعة العاني - بغداد .

٥-اختيار الممتع في علم الشعر وعمله ، لأبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي المتوفى ٤٠٥ هـ . تحقيق د. محمود شاكر القطان . دار المعارف بمصر .

٦-الإختيارين . صنعة الأخفش الأصغر المتوفى ٣١٥ هـ . تحقيق : د. فخر الدين قباوة . مؤسسة الرسالة - بيروت . الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ .

٧-أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها ، الجزء الأول، تأليف الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي المتوفى ٤١٨ هـ ، أعده للنشر حمد الجاسر . دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ .

٨-إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بـ " معجم الأدباء " أو " طبقات الأدباء " ، لياقوت الرومي الحموي . اعتنى بنسخه وتصحيحه د. س مرجليوث . الجزء السادس ، الطبعة الثانية ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر ، عام ١٩٣٠ .

٩-أساس البلاغة ، تأليف : أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، تحقيق : عبد الرحيم محمود . دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .

١٠-الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عُمَر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر . تحقيق : علي محمد البجاوي . مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .

١١- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، ت ٦٣٠ هـ . القاهرة ، طبعة الشعب ١٩٧٠ م .

١٢- أسرار البلاغة ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني . تحقيق : محمود محمد شاكر . الناشر : دار المدني بجدة . الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

١٣- الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية . تأليف : أحمد الشايب . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة . الطبعة الثامنة ١٤٠٨ هـ .

١٤- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ، لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني . تحقيق : د. محمد علي سلطاني . مؤسسة الرسالة .

١٥- أسماء خيل العرب وفرسانها ، لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي المتوفى ٢٣١ هـ . تحقيق : د. محمد عبد القادر أحمد . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

١٦- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء ، لمحمد بن حبيب . ضمن نوادر المخطوطات ، بتحقيق عبد السلام هارون ، الجزء الثاني . مصطفى البابي الحلبي بمصر . الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

١٧- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدّمين والجاهليين والمخضرمين ، للخالديين أبي بكر محمد المتوفى ٣٨٠ هـ وأبي عثمان سعيد ٣٩٠-٣٩١ هـ ابني هاشم . تحقيق : د. السيد محمد يوسف . القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ م .

١٨- الإشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دُريد ، المتوفى ٣٢١ هـ . تحقيق : عبد السلام هارون . الناشر : مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الثالثة .

١٩- الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) المتوفى ٨٥٢ هـ. تحقيق : علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ .

٢٠- إصلاح المنطق لابن السكيت ١٨٦-٢٤٤ هـ . شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ١٩٨٧ م .

٢١- الأصمعيات ، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ١٢٢-٢١٦ هـ . تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون . بيروت ، الطبعة الخامسة .

٢٢-الأضداد في كلام العرب ، تأليف : أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة ٣٥١ هـ . تحقيق : عزة حسن . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، مطبعة الترقي - دمشق ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

٢٣-الأعرابُ الرُّواة ، تأليف د. عبد الحميد الشلقاني . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧ م .

٢٤-الأعلام ، تأليف : خير الدين الزِركْلي . دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة، ١٩٨٤ م .

٢٥-الأغاني ، تأليف أبي الفرج الأصبهاني عليّ بن الحسين المتوفى ٣٥٦ هـ . مصوّر عن طبعة دار الكتب ، مؤسسة جَمّال للطباعة والنشر . دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢٦-الأفعال ، تأليف : أبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي . تحقيق : د. حسين محمد محمد شرف ، مراجعة : د.محمد مهدي علام . مجمع اللغة العربية - القاهرة ، المطابع الأميرية .

٢٧-الإقتضاب في شرح أدب الكُتّاب ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البطليوسي ٤٤٤-٥٢١ هـ . تحقيق : مصطفى السقا ، د. حامد عبد المجيد . الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .

٢٨-ألقاب الشُّعَرَاء ومن يُعرف منهم بأُمِّه ، لأبي جعفر محمد بن حبيب ، ضمن نوادر المخطوطات ، الجزء الثاني . تحقيق عبد السلام هارون . مصطفى البابي الحلبي بمصر . الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

٢٩-الإكمال ، لابن ماكولا . تحقيق : الشيخ المعلمي اليماني . دائرة المعارف العثمانية ، حيدرأباد ١٩٦٧ م .

٣٠-إلياذة هوميروس . عربها : سليمان البستاني . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣١-أنساب الأشراف ، تصنيف أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري . الجزء الأول . تحقيق : د. محمد حميد الله . معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ودار المعارف بمصر .

٣٢-الأمالي ، لأبي عبد الله محمد بن المبارك اليزيدي المتوفى ٣١٠ هـ . عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ .

٣٣-الأمالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي المتوفى ٣٥٦ هـ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م .

٣٤- أمالي المرتضَى ، غرر الفوائد ودرر القلائد ، للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي ٣٥٥-٤٣٦ هـ . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه . الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ -١٩٥٤م .

٣٥- إِنْباه الرُّواة على أنباهِ النُّحاة ، تأليف الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القِفْطِيّ المتوفى ٦٢٤ هـ . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي ـ القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٣٦- أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لابن الكلبي . تحقيق : أحمد زكي . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٦ م . الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ، ١٣٨٤هـ -١٩٦٥م . الجمهورية العربية المتحدة . الثقافة والإرشاد القومي .

٣٧- الإنصاف في مسائل الخلاف ، تأليف : كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري المولود ٥١٣ هـ ، والمتوفى ٥٧٧ ، ومعه كتاب الإنتصاف من الإنصاف ، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

٣٨- الأوائل ، لأبي هلال العسكري . تحقيق : د. وليد قصاب ، محمد المصري . دار العلوم ـ الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م .

٣٩- الأنوار ومحاسن الأشعار ، لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهّر العدويّ المعروف بالشمشاطي (القرن الرابع الهجري) . تحقيق : د. السيد محمد يوسف . راجعه وزاد في حواشيه : عبد الستار أحمد فراج . إصدار وزارة الإعلام في الكويت ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٨م .

٤٠- البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ١٥٠-٢٥٥ هـ . تحقيق : محمد مرسي الخولي ، دار الاعتصام للطبع والنشر ، القاهرة ، بيروت ، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م .

٤١- الإيناس في علم الأنساب ، تأليف الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي المتوفى ٤١٨ هـ . المطبوع مع كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب . أعدهما للنشر : حمد الجاسر . دار اليمامة ، الرياض . إصدار النادي الأدبي في الرياض . الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ .

٤٢- البديع ، لعبد الله بن المعتز . نشره وعلق عليه : اغناطيوس كراتشقوفسكي . لندن ١٩٣٠ م.

٤٣- بُغْيَة الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبّي المتوفى ٥٩٩ هـ . طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس سنة ١٨٨٤ م .

٤٤- بلاد العرب ، تأليف الحسن بن عبد الله الأصفهاني . تحقيق : حمد الجاسر و د. صالح العلي . منشورات دار اليمامة بالرياض . الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ .

٤٥- بلاغات النِّساء ، الإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، المولود ببغداد سنة ٢٠٤ هـ والمتوفى سنة ٢٨٠ هـ . دار النهضة الحديثة ، بيروت ، ١٩٧٢ م .

٤٦- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الألوسي . عُني به : محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الثانية .

٤٧- بهجة المجالس وأُنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر النمري القرطبي . تحقيق : محمد مرسي الخولي . دار الكتب العلمية، بيروت . الطبعة الثانية .

٤٨- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . ت : عبد السلام محمد هارون . الناشر : مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م .

٤٩- البيزرة ، تأليف : بازيار العزيز بالله الفاطمي أبي عبد الله الحسن بن الحسين " ظنّاً ". علق عليه : محمد كرد علي . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٤٧١هـ - ١٩٥٢م .

٥٠- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزّبيدي ت ١٢٠٥ هـ . المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ .

٥١- تاريخ آداب العرب ، تأليف : مصطفى صادق الرافعي . دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٤ هـ .

٥٢- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، عرَّبه : د. عبد الحليم النجَّار . الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧ م .

٥٣- تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين . نقله إلى العربية : د. محمود فهمي حجازي . منشورات جامعة الإمام بالرياض ، ١٤٠٣ هـ .

٥٤- تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن ت ٥٧١ هـ . تهذيب : عبد القادر بن بدران . دار المسيرة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .

٥٥- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٢٢٤- ٣١٠ هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف .

٥٦- تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف عبد الملك بن قُريب الأصمعي ت ٢١٦ هـ . تحقيق: محمد حسن آل ياسين . منشورات المكتبة العلمية ، مطبعة المعارف . الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٧٩ هـ .

٥٧- تاريخ المدينة المنورة ، لابن شبة أبو زيد عمر بن شبّه النميري البصري ١٧٣هـ - ٢٦٢هـ . تحقيق : فهيم محمد شلتوت . نشره : حبيب محمود أحمد ، ١٣٩٩ هـ .

٥٨- التذكرة السَّعدية في الأشعار العربية ، تأليف محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي. تحقيق : د. عبد الله الجبوري . الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس، ١٩٨١ م.

٥٩- تَذْكرة النُّحاة ، لأبي حيّان محمد بن يوسف الغرناطيّ الأندلسي ٦٥٤-٧٤٥هـ ، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن . مؤسسة الرسالة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٦٠- تطَوُّر الغزل بين الجاهلية والإسلام ، تأليف : د. شكري فيصل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة .

٦١- التعازي والمراثي ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢١٠-٢٨٦هـ . تحقيق : محمد الديباجي . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٦هـ -١٩٧٦م .

٦٢- التعليقات والنوادر ، لأبي علي هارون بن زكريا الهجري . دراسة وتحقيق : د. حمود عبد الأمير الحمادي . وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد . مطابع دار الشؤون الثقافية العامة .

٦٣- التنبيهات ، لعلي بن حمزة (مع المنقوص والممدود ، للفراء) . تحقيق : عبد العزيز الميمني . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

٦٤- التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، تأليف : أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري. (مطبوع مع أمالي القالي) . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م .

٦٥- تهذيب إصلاح المنطق ، صنعة الخطيب التبريزي . تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، منشورات : دار الآفاق الجديدة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

٦٦- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ت ٤٢٩ هـ . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر ، ١٩٨٥ م.

٦٧- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تأليف : الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد الله الأزدي ، توفي ٤٨٨ هـ . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦.

٦٨- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي . تحقيق : علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

٦٩- جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦ هـ . تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ.

٧٠- جمهرة النَّسب ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السَّائب الكلبي ت ٢٠٤ هـ ، رواية السكري عن ابن حبيب . تحقيق : د. ناجي حسن . عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

٧١- الحُلّة السِّيراء ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار ت ٦٥٨ هـ . تحقيق : د. حسين مؤنس . الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة.

٧٢- الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي . تحقيق : د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان . نشره : المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٧٣- الحماسة ، تأليف أبي عُبادة الوليد بن عُبيد البحتري . تحقيق : لويس شيخو اليسوعي. دار الكتاب العربي ، بيروت . الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ .

٧٤- الحماسة البصرية ، لصدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري ت ٦٥٩ هـ . تحقيق: د. مختار الدين أحمد. مطبوعات دائرة المعارف العثمانية. الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ.

٧٥- الحماسة الشجرية ، تأليف : ابن الشجري : هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني المتوفى ٥٤٢ هـ . تحقيق : عبد المعين الملوحي ، أسماء الحمصي . منشورات وزارة الثقافة - دمشق ، ١٩٧٠ م .

٧٦-الحماسة ، لهبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني رحمه الله المعروف بابن الشجري المتوفى بالكرخ ٥٤٢ هـ . طبع في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ، الدكن . محرم ١٣٤٥ هـ .

٧٧-الحماسة المغربية ، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التَّادِلي ت ٦٠٩ هـ . تحقيق : د. محمد رضوان الدَّاية . دار الفكر المعاصر ، بيروت . دار الفكر ، دمشق . الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٧٨-الحيوان ، تأليف : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون. دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ١٣٧٨هـ -١٩٥٨م . مكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر جـ ٧ . المجمع العلمي العربي الإسلامي ، منشورات محمد الداية ، بيروت ، بقية الأجزاء .

٧٩-خِزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب ، تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي ت ١٠٩٣ . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٨٠-الخيل ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة ٢٠٩ هـ . رواية أبي حاتم السجستاني عن رواية أبي يوسف الأصبهاني عنه . تحقيق : د. محمد عبد القادر أحمد . القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .

٨١-دراسات في الأدب الإسلامي ، تأليف : الدكتور سامي مكي العاني . المكتب الإسلامي ، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م .

٨٢-دراسات في أدب الدعوة الإسلامية ، د. محمود حسن زيني . مطبوعات مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٨٢ م .

٨٣-الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، لأحمد بن الأمين الشنقيطي ، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم . دار البحوث العلمية، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .

٨٤-دلائل الإعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني . علق عليه : محمود محمد شاكر . الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني بمصر ، ١٩٨٤ م .

٨٥-الدِّيباج ، لأبي عبيدة معمر بن المثنّى التّيمي ت ٢٠٩ هـ . تحقيق : د. عبد الله الجربوع ود. عبد الرحمن العثيمين . الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ .

٨٦-ديوان الأدب ، تأليف : أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى عام ٣٥٠ هـ . تحقيق : د. أحمد مختار عمر . مراجعة: د. إبراهيم أنيس . القاهرة ـ مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .

٨٧-ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) . شرح وتعليق : د. محمد حسين . الناشر: مكتبة الآداب ، القاهرة .

٨٨-ديوان امرىء القيس . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر . الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤ م .

٨٩-ديوان أوس بن حجر . تحقيق : د. محمد يوسف نجم . بيروت ، ١٩٦٧ .

٩٠-ديوان جرير . شرح محمد بن حبيب . تحقيق : د. نعمان طه . دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٩ م .

٩١-ديوان الحطيئة (برواية وشرح ابن السكيت ١٨٦-٢٤٦ هـ) . تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه . الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة . مطبعة المدني ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م .

٩٢-ديوان حميد بن ثور الهلالي ، صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني . مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٧١هـ -١٩٥١م .

٩٣-ديوان زفر بن الحارث الكلابي ، صنعة : د. رضوان محمد حسين النجار . المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٣٣ ذو القعدة ١٤٠٧ هـ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ.

٩٤-ديوان الطُّفيل الغنوي . تحقيق : محمد عبد القادر أحمد . دار الكتاب الجديد .

٩٥-ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ، بشرح أبي سعيد السكري . تحقيق : محمد جبّار المعيبد . مطبعة الإرشاد ، بغداد . ١٩٦٨ م .

٩٦-ديوان عامر بن الطفيل ، رواية أبي بكر الأنباري عن ثعلب . تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .

٩٧- ديوان عنترة . تحقيق ودراسة : محمد سعيد مولوي . رسالة ماجستير ، المكتب الإسلامي . عام ١٩٦٤ م .

٩٨- ديوان القَتّال الكلابي . تحقيق : إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت . ١٤٠٩ هـ .

٩٩- ديوان ليلى الأخيلية . تحقيق : خليل العطية وجليل العطية . بغداد ١٩٦٧ .

١٠٠- ديوان المعاني . لأبي هلال العسكري . عالم الكتب .

١٠١- ديوان المفضليات ، أبو العباس المفضل بن محمد الضبي (مع شرح وافر) ، لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشّار الأنباري . عني بطبعه ومقابلة نسخه : كارلوس يعقوب لايل . مطبعة الآباء اليسوعيين ، على نفقة كلية أكسفورد ، بيروت ١٩٢٠ .

١٠٢- ديوان النابغة . صنعة ابن السكيت . ت. د. شكري فيصل . دار الفكر - بيروت .

١٠٣- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تصنيف الإمام : محمود بن عمر الزمخشري . تحقيق : د. سليم النعيمي . مطبعة العاني - بغداد - وزارة الأوقاف العراقية ١٩٨٢ . الجزء الرابع .

١٠٤- الرجال للنجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي الكوفي الأسدي ت ٤٥٠ هـ . دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .

١٠٥- الرحلة في القصيدة الجاهلية ، لوهب رومية . مؤسسة الرِّسالة ، بيروت . الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ .

١٠٦- رسائل الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر) . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي بالقاهرة .

١٠٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، تأليف : الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ . صححها وعلق عليها : أحمد عبيد . المكتبة العربية - دمشق . مطبعة الترقي ١٣٤٩ هـ .

١٠٨- الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ت ٣٢٨ هـ ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن . وزارة الثقافة العراقية ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٣٩٩ هـ .

١٠٩- زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني . تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٠ م.

١١٠- الزَّهرَة ، لأبي بكر محمد بن داؤد الأصبهاني ت ٢٩٧ هـ . تحقيق : د. إبراهيم السامرّائي . مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ .

١١١- سِرّ الفَصاحة ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ت ٤٦٦ هـ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢ م .

١١٢- سِمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري . تحقيق : عبد العزيز الميمني . دار الحديث للطباعة والنشر ، بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ .

١١٣- السيرة النبوية ، لابن هشام . تحقيق : مصطفى السَّقا وآخرون . مصطفى البابي الحلبي بمصر . الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ .

١١٤- شرح أبيات سيبويه ، لابن السيرافي أبي محمد يوسف بن أبي سعيد ت ٣٨٥ هـ ، تحقيق : د. محمد علي سلطاني . دار المأمون للتراث ، دمشق ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

١١٥- شرح أبيات مغني اللبيب . صنفه : عبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠-١٠٩٣ هـ، تحقيق : عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف دقّاق . منشورات دار المأمون للتراث ، دمشق . الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م .

١١٦- شرح أدب الكاتب ، لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ت ٥٤٠ هـ ، عن نسخة دار الكتب المصرية . تقديم مصطفى صادق الرافعي . نشره : مكتبة القدسي ، القاهرة ، سنة ١٣٥٠ هـ .

١١٧- شرح جمل الزَّجاجي لابن عصفور الإشبيلي . تحقيق : د. صاحب أبو جناح ، منشورات وزارة الأوقاف العراقية ، ١٤٠٠ هـ .

١١٨- شرح ديوان جرير ، تأليف : محمد إسماعيل عبد الله الصَّاوي . دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت .

١١٩- شرح ديوان الحماسة ، تأليف : أبي زكريا يحي بن علي الخطيب التبريزي المتوفى ٥٠٢ هـ . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة التجارية ، مصر . مطبعة حجازي بالقاهرة ، ١٣٥٨هـ -١٩٨٣م .

١٢٠- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . تحقيق : د. إحسان عباس . وزارة الإعلام في الكويت . طبعة ثانية مصورة ١٩٨٤م .

١٢١- شرح رسالة الحور العين لأحمد بن فارس . شرحها : أبو سعيد نشوان الحميري ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد . الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ .

١٢٢- شرح شافية ابن الحاجب ، تأليف : الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ت ٦٨٦ هـ ، مع شرح شواهده ، لعبد القادر البغدادي ، تحقيق : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محي الدين عبد الحميد . دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥ م .

١٢٣- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ت ٣٢٨هـ . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ م .

١٢٤- شرح القصائد العشر ، صنعة الخطيب التبريزي . تحقيق : د. فخر الدين قباوة . دار الأصمعي ، حلب ، مطابع المكتبة العربية . الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

١٢٥- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ت ٣٨٢ هـ . تحقيق : عبد العزيز أحمد ، نشره مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ .

١٢٦- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، د. يحيى الجبوري . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .

١٢٧- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٢ م .

١٢٨- شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . جمعه وحققه : صلاح الدين المنجد . الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ م . دار الكتاب الجديد ، بيروت .

١٢٩- صحيح مسلم . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان . الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ -١٩٩١م .

١٣٠- طبقات فحول الشعراء ، تأليف : محمد بن سلام الجمحي ١٣٩-٢٣١ هـ ، قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ، ١٩٧٤ م .

١٣١- الطّبقات الكبرى ، لابن سعد . دار صادر ، بيروت .

١٣٢- العصر الجاهلي (تاريخ الأدب العربي) ، تأليف : د. شوقي ضيف . دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٦ م .

١٣٣- العقد الفريد ، تأليف : أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي . تحقيق : أحمد أمين . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .

١٣٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تأليف ، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٥٦ هـ . تحقيق : محمد قزقزان . دار المعرفة ، بيروت . الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

١٣٥- عيار الشعر ، تأليف : محمد أحمد بن طباطبا العلوي ت ٣٢٢ هـ . تحقيق : عباس عبد الساتر . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .

١٣٦- عيون الأخبار ، تأليف : أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢١٣- ٢٧٦هـ . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٩٦٣ م .

١٣٧- الفتوح ، للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي المتوفى نحو سنة ٣١٤ هـ -٩٢٦م ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدّكن . الهند . ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م .

١٣٨- فتوح البلدان ، لأبي الحسن البلاذري . علق عليه : رضوان محمد رضوان . دار الكتب العلمية ، بيروت . ١٣٩٨ هـ .

١٣٩- الفرج بعد الشّدة ، تأليف : القاضي أبي علي المُحَسِّنِ بن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ . تحقيق : عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م .

١٤٠- فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه ، لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني كان موجوداً سنة ٤٣٠ هـ . تحقيق : د. محمد علي سلطاني ، دار النبراس ، مطبعة دار الكتاب ، دمشق ، ١٤٠١هـ -١٩٨١م .

١٤١- الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ ، لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ت ٤٤٩ هـ . تحقيق : محمود حسن زناتي . الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، ١٩٧٧ م .

١٤٢- فن التقطيع الشّعري والقافية ، تأليف : د. صفاء خلوصي . منشورات مكتبة المثنّى ببغداد . الطبعة الخامسة ١٩٧٧ م .

١٤٣- الفهرست لابن النديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالورّاق ، تحقيق : رضا تجدّد بن علي المازندراني . دار المسيرة . الطبعة الثالثة ١٩٨٨ م .

١٤٤- في الشعر الإسلامي والأموي ، د. عبد القادر القط . دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

١٤٥- القاموس المحيط ، للفيروزأبادي . دار الفكر ، بيروت .

١٤٦- قراءة ثانية لشعرنا القديم ، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ هـ .

١٤٧- القرط على الكامل ، وهو الطرر والحواشي على الكامل للمبرد ، لأبي الوليد الوقشي وابن السِّيْد البطليوسي . تحقيق : ظهور أحمد ظهور . جامعة بنجاب بلاهور ، باكستان ، ١٤٠١ هـ .

١٤٨- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تأليف : القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ . تحقيق : إبراهيم الأبياري . دار الكتب الحديثة ، القاهرة . مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣ هـ .

١٤٩- الكامل ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد . عارضه بأصوله وعلق عليه : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

١٥٠- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ت ٦٣٠ هـ . حققه : سيف الدين الكاتب . دار الكتاب العربي .

١٥١- كُنَى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه ، لمحمد بن حبيب . (نوادر المخطوطات) . تحقيق : عبد السلام هارون ، مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

١٥٢- كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ ، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت . هذبه الإمام أبو زكريا يحي بن علي الخطيب التبريزي . تحقيق : لويس شيخو اليسوعي ، بيروت . المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، سنة ١٨٩٥ .

١٥٣- لباب الآداب ، تأليف : الأمير أسامة بن منقذ ت ٥٨٤ هـ . تحقيق : أحمد محمد شاكر . دار الكتب السلفية ، ١٤٠٧ هـ . طبعة مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥هـ.

١٥٤- لبيد بن ربيعة العامري ، تأليف : د. يحيى الجبوري . دار القلم ، الكويت . الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م .

١٥٥- لسان العرب ، لابن منظور جمال الدين محمد بن مُكرَّم الأنصاري ت ٧١١ هـ . طبعة مصورة عن طبعة بولاق . المؤسسة المصرية العامة .

١٥٦- المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢ هـ . تحقيق : د. حسن هنداوي . دار القلم ، دمشق . دار المنارة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

١٥٧- مجالس ثعلب ، لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب ، ت ٢٩١ هـ . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر .

١٥٨- مجالس العلماء ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت ٣٤٠ هـ . تحقيق: عبد السلام محمد هارون . الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ، مطبعة الرفاعي بالرياض . الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .

١٥٩- مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٤هـ -١٩٥٥م .

١٦٠- مجموعة المعاني ، لمؤلف مجهول . تحقيق : عبد المعين الملّوحي . دمشق ، دار طلاس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م .

١٦١- المُحَبَّر ، لأبي جعفر محمد بن حبيب . تصحيح : د. إيلزه ليختن شتيتر . منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

١٦٢- المختار من شعر بشار ، اختيار الخالديين ، وشرحه : لأبي الطاهر إسماعيل بن أحمد ابن زيادة الله التُّجيبيّ البرقيّ . ت : محمد بدر الدين العلوي . مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

١٦٣- المخصَّص ، لأبي الحسين علي بن إسماعيل النحوي المعروف بابن سيدة ت ٤٥٨ هـ . دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

١٦٤- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب . دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٠ م .

١٦٥- المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات . تأليف : مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . تحقيق : د. إبراهيم السامرائي، ١٣٩١هـ-١٩٧١م .

١٦٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ . ت : محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة، مطبعة السعادة بمصر . الطبعة الرابعة ١٣٨٥هـ -١٩٦٥م .

١٦٧- المزهر ، في علوم اللغة وأنواعها ، للعلامة : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي . شرح وتحقيق : محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر .

١٦٨- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، تأليف : د. ناصر الدين الأسد . الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨ م ، دار المعارف بمصر .

١٦٩- مصارع العُشَّاق ، تأليف : أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السرَّاج القارىء . دار صادر ، بيروت .

١٧٠- المعارف ، لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم . تحقيق : د. ثروت عكاشة . الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨١م .

١٧١- المعاني الكبير في أبيات المعاني ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ . تحقيق : د. سالم كرنكو ، وعبد الرحمن بن يحيى اليماني المعلمي . حيدر أباد الدكن ١٣٦٨ هـ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م .

١٧٢- معجم البلدان ، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي . دار صادر، بيروت ، ١٣٩٧ هـ .

١٧٣- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (عالية نجد) ، تأليف سعد بن عبد الله بن جنيدل . منشورات دار اليمامة ، الرياض . مطبعة نهضة ، مصر ، ١٣٩٨ هـ .

١٧٤- معجم الشّعراء ، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى ٣٨٤ هـ . المطبوع مع المؤتلف والمختلف للآمدي . بتعليق المستشرق : د. فريتس كرنكو . مكتبة القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ .

١٧٥- معجم الشعراء الجاهليّين والمخضرمين ، د. عفيف الرحمن . دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ .

١٧٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تأليف : أبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري ، المتوفى ٤٧٨ هـ . تحقيق : مُصْطفى السَّقا . عالم الكتب ، بيروت . الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ .

١٧٧- المغانم المطابة في معالم طابة ، تأليف : مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ٧٢٩-٨٢٣ هـ . تحقيق : حمد الجاسر . منشورات دار اليمامة ، الرياض . الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م .

١٧٨- المُغْرِب في حُلَى المغرب ، لابن سعيد المغربي . تحقيق : د. شوقي ضيف . دار المعارف بمصر . الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ م .

١٧٩- المفضليات ، المفضل بن محمد بن يَعْلى الضبِّي . تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون . بيروت . الطبعة السادسة .

١٨٠- المُلَمَّع ، صَنْعَةُ : أبو عبد الله الحسين ابن علي النّمَرِيّ المتوفى سنة ١٣٨٥ هـ ، تحقيق: وجيهة أحمد السَّطْل . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . مطبعة زيد بن ثابت، دمشق ، ١٣٩٦هـ -١٩٧٦م .

١٨١- المنازل والديار ، لأسامة بن منقذ ت ٥٨٤ هـ . تحقيق : مصطفى حجازي . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ .

١٨٢- المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة . تحقيق : حمد الجاسر . منشورات دار اليمامة ، الرياض . المطابع الأهلية بالرياض . الطبعة الثانية ، ١٤٠١ هـ .

١٨٣- من اسمه عمرو من الشعراء ، تأليف أبي عبد الله محمد بن داؤد بن الجراح ت ٢٩٦ هـ . تحقيق : د. عبد العزيز بن ناصر المانع . مكتبة الخانجي بالقاهرة . مطبعة المدني بالقاهرة . الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ .

١٨٤- المنتخب من غريب كلام العرب لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل المتوفى سنة ٣١٠ هـ . تحقيق : د. محمد بن أحمد العمري . مطبوعات جامعة أم القرى ، مركز إحياء التراث الإسلامي . الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

١٨٥- منتهى الطلب من أشعار العرب ، لمحمد بن المبارك بن ميمون . مخطوطة مصورة عن مخطوطة المكتبة السُّليمانية باسطنبول ، في جامعة الملك سعود بالرياض .

١٨٦- المُنَجَّدْ في اللغة ، لأبي الحسن علي بن الحسن الهُنائي المشهور بكُراع النمل المتوفى ٣١٠ هـ . تحقيق : د. أحمد مختار عمر ، ضاحي عبد الباقي ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ -١٩٧٦م .

١٨٧- المنقوص والممدود ، للفراء ، مع التنبيهات ، لعلي بن حمزة . ت : عبد العزيز الميمني الراجكوتي . دار المعارف ـ القاهرة ، ١٩٧٧ م .

١٨٨- المنمَّق في أخبار قريش ، لمحمد بن حبيب البغدادي المتوفى ٢٤٥ هـ . علق عليه خورشيد أحمد فارق . عالم الكتب ، بيروت . الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ .

١٨٩- من نُسِب إلى أُمِّه من الشعراء ، صنعة : محمد بن حبيب . ضمن نوادر المخطوطات ، المجموعة الأولى . بتحقيق : عبد السلام هارون . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر . الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ .

١٩٠- مِنهاج البلغاء وسراج الأدباء ، صنعة : أبي الحسن حَازم القرطاجني ت ٦٨٤ هـ . تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة . دار الغرب الإسلامي ، بيروت . الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م .

١٩١- الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى ٢٣١ هـ ، وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي المتوفى في عام ٢٨٤ هـ ، لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري المتوفى عام ٣٧٠ هـ . حقق أصوله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٦٣هـ =١٩٤٤م .

١٩٢- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي . المطبوع مع معجم الشعراء للمرزباني ، بتعليق المستشرق فريتس كرنكو . مكتبة القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ.

١٩٣- موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس . دار القلم ، بيروت .

١٩٤- نسب قريش ، لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري ١٥٦- ٢٣٦هـ . نشره وعلق عليه : إ. ليفي بروفنسال . دار المعارف للطباعة والنشر ، ١٩٥٣م.

١٩٥- نظرية الأدب ، رينيه ويليك وأوستن وارين . ترجمة : محي الدين صبحي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

١٩٦- نظم الدُّرِّ والعقيان ، القسم الرابع (في محاسن الكلام) ، تأليف : محمد بن عبد الله ابن عبد الجليل التِّنسِيْ . تحقيق : نوري سودان . إصدار جمعية المستشرقين الألمانية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٤٠١ هـ .

١٩٧- النغم الشعري عند العرب ، تأليف : د. عبد العزيز شرف و د. محمد عبد المنعم خفاجي . دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ .

١٩٨- النقائض (نقائض جرير والفرزدق) تأليف أبي عبيدة مُعَمَّر بن المثنى التيمي . باعتناء المستشرق الإنكليزي : بيفان . طبع في ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٠٥ م .

١٩٩- نقائض جرير والأخطل ، تأليف : الشاعر أبي تمام . عُني بطبعها .. وعلق حواشيها : انطون صالحاني اليسوعي . دار الكتب العلمية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، ١٩٢٢ م.

٢٠٠- نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ٢٦٠-٣٢٧ هـ . تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي . دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٠١- النَّوادر لأبي علي القالي ، ملحق بأماليه . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م .

٢٠٢- النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري . تحقيق : محمد عبد القادر أحمد . دار الشروق، بيروت ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م =١٤٠١هـ .

٢٠٣- الوافي في العروض والقوافي ، صنعة : الخطيب التبريزي . تحقيق : د. فخر الدين قباوة. دار الفكر ، دمشق . الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ .

٢٠٤- الوحشيَّات (وهو الحماسة الصغرى) ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي . علق عليه وحققه : عبد العزيز الميمني الراجكوتي . وزاد في حواشيه : محمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ م .

٢٠٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١ هـ . تحقيق : د. إحسان عباس . دار صادر ، بيروت .

٢٠٦- وقعة صِفِّين ، لنصر بن مزاحم المِنقري المتوفى سنة ٢١٢ هـ . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . الناشر : مكتبة الخانجي بمصر ، القاهرة . الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
الباب الأول	
التاريخ	
الفصل الأول : قبيلة بني كلاب :	
النسب	٣
المنازل	٧
دارات بني كلاب	١٥
الأيام	١٦
بنو كلاب في الإسلام	٢٦
بنو كلاب في العصر الأموي	٣٠
الفصل الثاني : شعراء القبيلة :	٣٣
١ ـ الأجلح بن قاسط الضّبابي	٣٥
٢ ـ الأحوص بن جعفر الكلابي	٣٦
٣ ـ أربد بن قيس الجعفري	٣٧
٤ ـ الأشعث بن عبد الحجر الكلابي	٣٩
٥ ـ أوس بن الأعور الكلابي	٤٠
٦ ـ جامع بن مرخية البكري	٤١
٧ ـ جبّار بن سلمى الجعفري	٤٢
٨ ـ جهم بن شبل البكري	٤٣
٩ ـ خالد بن جعفر الكلابي	٤٤
١٠ ـ أبو الأجرب الكلابي	٤٥
١١ ـ جوّاب بن كعب البكري	٤٦

الموضوع	الصفحة

١٢ - درّاج بن زرعة الضّبابي	٤٨
١٣ - ذو الأهدم الكلابي	٤٩
١٤ - زرعة بن عمرو الكلابي	٥٠
١٥ - زينب بنت مالك الكلابي	٥٢
١٦ - سراج بن قوة الكلابي	٥٣
١٧ - سلمى بن المحلّق الكلابي	٥٤
١٨ - شبيب بن جراد الكلابي	٥٥
١٩ - شمر بن ذي الجوشن الضّبابي	٥٦
٢٠ - الصميل بن حاتم الكلابي	٥٧
٢١ - الضحاك بن سفيان الكلابي	٥٨
٢٢ - عامر بن مالك الكلابي	٥٩
٢٣ - عبد العزيز بن زرارة الكلابي	٦٠
٢٤ - عبد الله بن حذف الكلابي	٦١
٢٥ - العرندس الكلابي	٦٢
٢٦ - عروة بن عتبة الكلابي	٦٣
٢٧ - عمّار بن الكاهن الصَّمّوتي	٦٤
٢٨ - عمرو بن الأحوص الجعفري	٦٥
٢٩ - عمرو بن البراء الصَّمّوتي	٦٦
٣٠ - عمرو بن حسّان الكلابي	٦٧
٣١ - عمرو بن الصَّعق الكلابي	٦٨
٣٢ - عمرو بن قريط العبدي	٦٩
٣٣ - عوف بن الأحوص الكلابي	٧٠
٣٤ - قُطيَّة بنت بشر الكلابية	٧١
٣٥ - أبو المختار الكلابي	٧٢

الموضوع	الصفحة

٣٦ - مربع بن وعوعة الكلابي	٧٣
٣٧ - معاوية بن مالك الكلابي	٧٤
٣٨ - المهاجر بن عبد الله الكلابي	٧٥
٣٩ - نباتة بن حنظلة الكلابي	٧٦
٤٠ - يزيد بن عمرو الكلابي	٧٧
٤١ - يزيد بن معاوية الكلابي	٧٨
٤٢ - الهذيل بن زفر الكلابي	٧٩
الفصل الثالث : مصادر شعرها :	٨٠
أ - الدّواوين :	٨٢
١ - ديوان عامر بن الطفيل	٨٢
٢ - ديوان لبيد بن ربيعة	٨٢
٣ - ديوان طهمان بن عمرو	٨٣
٤ - ديوان زفر بن الحارث	٨٤
٥ - ديوان القتال الكلابي	٨٤
٦ - دواوين أخرى	٨٥
ب - الإختيارات الشعرية	٨٨
جـ - كتب الأدب	٩٣
د - كتب التراجم	٩٦
هـ - كتب اللغة	٩٩
رواة القبيلة	١٠٢
الباب الثاني	
الدراسة الموضوعية	
الفصل الأول : شعر الغزل :	١٠٦
١ - الأطلال	١٠٩

الموضوع	الصفحة
٢ ـ الآثار	١١٢
٣ ـ الدموع على الآثار	١١٤
٤ ـ السقيا للديار	١١٥
٥ ـ الظّعائن	١١٧
٦ ـ حادي الإبل	١٢٠
٧ ـ الحال بعد الفراق	١٢١
٨ ـ تذكّر الماضي	١٢٤
٩ ـ أمراض الحب	١٢٦
١٠ ـ محاسن المرأة	١٢٩
١١ ـ الحديث مع المرأة	١٣٣
١٢ ـ طيف المحبوب	١٣٥
١٣ ـ ذكر الحبيب	١٣٧
١٤ ـ معالم غزل الكلابيين	١٣٨
الفصل الثاني : شعر الطبيعة :	١٤٠
١ ـ الإبل	١٤١
٢ ـ الخيل	١٤٦
٣ ـ الذئب	١٥١
٤ ـ المطر	١٥٤
٥ ـ الشجر والنبات	١٥٩
ملامح شعر الطبيعة	١٦٤
الفصل الثالث : شعر الفخر :	١٦٦
أ ـ الفخر الجماعي	١٦٧
أيامهم في الجاهلية	
١ ـ يوم فيف الريح	١٦٨

الموضوع	الصفحة
٢ - يوم ساق	١٧٣
٣ - يوم سويقة	١٧٤
٤ - يوم النفراوات	١٧٤
٥ - يوم السُّحامة	١٧٦
٦ - يوم رحرحان	١٧٦
٧ - يوم جبلة	١٧٨
٨ - أيام أخرى	١٨١
أيامهم في الإسلام	١٨١
مرج راهط	١٨٣
التفاخر بين الكلابيين	١٨٥
يوم هراميت	١٨٧
ب - الفخر الذاتي	١٨٨
مظاهر شعر الفخر	١٩٢
الفصل الرابع : شعر المدح :	١٩٤
١ - مدح الخلفاء :	
أ - مدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٩٥
ب - مدح عبد الملك بن مروان	١٩٦
جـ - بمدح الوليد بن عبد الملك	١٩٧
٢ - مدح الولاة :	
أ - مدح الوليد بن عقبة	١٩٨
ب - مدح خالد بن عبد الله القسري	١٩٩
جـ - مدح الصّميل بن حاتم	٢٠٠
٣ - مدح القبائل :	
أ - مدح بني عمرو الغنويين	٢٠١

الموضوع	الصفحة

ب ـ مدح بني قيس بن جزء الكلابيين	٢٠٣
جـ مدح بني واهب الكلابيين	٢٠٣
د ـ مدح بعض بني حنيفة	٢٠٤
هـ ـ مدح بني كليب بن يربوع	٢٠٥
٤ ـ مدح الأشخاص :	
أ ـ مدح أوس بن حارثة الطّائي	٢٠٦
ب ـ مدح أُحيحة بن الجلاح الأوسي	٢٠٧
جـ ـ مدح مالك بن حمار الفزاري	٢٠٧
د ـ مدح محمد بن المنذر الزبيري	٢٠٨
هـ مدح عبد الله بن حنظلة الكلابي	٢٠٩
٥ ـ مدح رفيق الرحلة	٢١٢
الفصل الخامس : شعر الهجاء :	٢١٦
١ ـ المنافرة	٢١٧
٢ ـ هجاء الحكام	٢١٩
٣ ـ الهجاء الديني	٢٢٢
٤ ـ الهجاء بين بني كلاب	٢٢٥
٥ ـ الهجاء القبلي	٢٢٨
٦ ـ المرأة هاجية ومهجوة	٢٣٣
٧ ـ شعر النقائض	٢٣٧
٨ ـ الهجاء الشخصي	٢٤٢
خصائص شعر الهجاء	٢٤٥
الفصل السادس : شعر الرثاء :	
١ ـ رثاء الأب	٢٤٧
٢ ـ رثاء الإبن	٢٤٩

الموضوع	الصفحة
٣ - رثاء الأخ	٢٥١
٤ - رثاء الزُّعماء	٢٥٣
٥ - رثاء العامة	٢٥٦
٦ - رثاء الجماعة	٢٦١
٧ - رثاء النفس	٢٦٢
خصائص شعر الرثاء	٢٦٤
الباب الثالث	
الدراسة الفنية	**٢٦٥**
الفصل الأول : الدراسة الفنية من حيث الشكل :	٢٦٦
أ ـ السمات الأسلوبية	٢٦٨
١ - الأدوات	٢٦٨
٢ - المفردات	٢٧٤
٣ - التراكيب	٢٧٨
أ - التقديم	٢٧٩
ب - الحذف	٢٨٠
جـ - الفصل والوصل	٢٨٣
د - الفصل بين طرفي الجملة	٢٨٤
٤ - البديع	٢٨٦
٥ - اللغة	٢٨٩
ب - سمات الصُّورة الفنية	٢٩٣
١ - مصادر الصورة	٢٩٤
٢ - دلالات الصورة	٣٠٥
٣ - أنواع الصورة	
أ - التشبيه	٣١٢